منتدى أدبي ثقافي أسس بجدة عام ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ

محمد حسين زيدان

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاثنينية

(٢٤)

الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ

محمد حسين زيدان

الجزء الأول

الناشر

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

جدة

ⓒ عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

زيدان ، محمد حسين

الأعمال الكاملة ./ محمد حسين زيدان .- جدة ١٤٢٦هـ

(٧ مج ٤٥٧٦ص) الجزء الأول ٦٤٨ص ؛ ١٧×٢٤سم (كتاب الاثنينية ٢٤)

ردمك ٨-٧٣٩-٤٧-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٧٤٠-٤٧-٩٩٦٠ (ج١)

١ - زيدان ، محمد حسين ٢ - التاريخ الاسلامي

٣- الأدب العربي-مجموعات أ- العنوان

ديوي ٩٥٣ ١٤٢٦/٢٠٣٢

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٢٠٣٢

ردمك : ٨-٧٣٩-٤٧-٩٩٦٠ (مجموعة)

١-٧٤٠-٤٧-٩٩٦٠ (ج١)

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

الأديب الأستاذ محمد حسين زيدان

الإهداء

بمناسبة اختيار

مكة المكرّمة عاصمة للثقافة الإسلامية

لعام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م،

أهدي هذا العمل لمؤلفي

"وحي الصحراء":

والدي

محمد سعيد عبدالمقصود خوجه

و رفيق دربه

عبدالله عمر بلخير

–يرحمهما الله –

فهرس

الأعمال الكاملة

المقدمة .....

كلمة الناشر .....

اصدارات الاثنينية .....

السيرة الذاتية .....

الجزء الأول/ مجنحات الزيدان في الاثنينية – فواتح الدارة – سيرة بطل .....

الجزء الثاني/ تمر وجمر .....

الجزء الثالث/ كلمة ونصف – مخلاة الكاتب .....

الجزء الرابع/ ذكريات العهود الثلاثة – صور – خواطر مجنحة .....

الجزء الخامس/ محاضرات عن التاريخ والثقافة – اشياخ ومقالات – أحاديث وقضايا حول الشرق الأوسط .....

الجزء السادس/ كلمات متنوعة .....

الجزء السابع/ كلمات متنوعة .....

فهرس المحتويات

المقدمة .....
كلمة الناشر .....
الإصدارات .....
السيرة الذاتية .....
النثر .....
مُجَنَّحات الزّيدان في الاثنينية .....
حفل تكريم معالي الشيخ عبد الله بلخير .....
حفل تكريم الأستاذ محمد حسين زيدان .....
حفل تكريم الأستاذ حسين عرب .....
حفل تكريم الأستاذ عزيز ضياء .....
حفل تكريم الأستاذ حسين باشا سراج .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد عبيد .....
حفل تكريم الأستاذ الشاعر محمود عارف .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد بن محمد رشيد العربي .....
حفل تكريم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي .....
حفل تكريم الأستاذ عمر أبو ريشة .....

حفل تكريم الأستاذ طارق عبد الحكيم .....
حفل تكريم السيد الأستاذ حسن كتبي .....
حفل تكريم الأستاذ الشاعر فاروق جويدة .....
حفل تكريم الأستاذ السيد محمد بن علي السنوسي .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار .....
حفل تكريم الأستاذ عبد اللّه أحمد خوجه .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد السباعي .....
حفل تكريم الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين .....
حفل تكريم الشيخ أبي تراب الظاهري .....
حفل تكريم الأستاذين علي وعثمان حافظ .....
حفل تكريم الأستاذ السيد علي حسن فدعق .....
حفل تكريم الأستاذ فاروق جويدة .....
حفل تكريم الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجه .....
حفل تكريم الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد محمد جمال .....
حفل تكريم الأستاذ عيسى خليل صباغ .....
حفل تكريم الأستاذ محمد هاشم رشيد .....
حفل تكريم الدكتور صلاح الدين المنجد .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد عبد الجبار .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد محمد الشامي .....
حفل تكريم الأستاذين أحمد عبد الغفور عطار وطاهر زمخشري .....

حفل تكريم الأستاذ علي أبو العلا .....
حفل تكريم الأستاذ محمود السعدني .....
حفل تكريم الدكتور عبد اللَّه الغذامي .....
حفل تكريم الأستاذ محمد عبد الله مليباري .....
حفل تكريم معالي الدكتور المهندس محمد سعيد فارسي .....
حفل تكريم معالي الدكتور المهندس محمد سعيد فارسي .....
حفل تكريم الأستاذ عبد الله بن سليمان الحصين .....
حفل تكريم معالي الشيخ عبد العزيز أحمد الرفاعي والشاعر عبد الوهاب البياتي .....
حفل تكريم الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود .....
حفل تكريم الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري .....
حفل تكريم العقيد شحات مفتي .....
حفل تكريم الفريق يحيى المعلمي .....
حفل تكريم الأستاذ عثمان الصالح .....
حفل تكريم الشيخ أحمد ديدات .....
حفل تكريم الأستاذ خليل الفزيع .....
حفل تكريم معالي الدكتور راشد بن راجح الشريف .....
حفل تكريم الأستاذ صالح محمد جمال .....
وفي حفل تكريم الأستاذ عبد الله الغاطي .....
حفل تكريم معالي الدكتور محمود سفر .....
حفل تكريم الأستاذ علي أبي العلا .....
حفل تكريم الأساتذة المشاركين في ندوة (قراءة جديدة للتراث) .....

حفل تكريم الأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد المبارك .....
حفل تكريم الأستاذ فهد العرابي الحارثي .....
حفل تكريم الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل .....
حفل تكريم المهندس زياد أحمد زيدان .....
حفل تكريم الدكتور ربيع صادق دحلان .....
حفل تكريم سعادة اللواء صالح طاهر فاضل .....
حفل تكريم بعض رؤوساء الأندية الأدبية .....
حفل تكريم معالي الشيخ عبد اللَّه النعيم .....
حفل تكريم سعادة الدكتور محمد بن سعد آل حسين .....
حفل تكريم سعادة الدكتور راشد المبارك .....
حفل تكريم الأستاذ أحمد محمد محمود .....
حفل تكريم معالي المهندس عمر قاضي .....
حفل تكريم سعادة الدكتور عبد اللَّه منّاع .....
حفل تكريم فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني .....
حفل تكريم معالي الدكتور محمد عبده يماني .....
حفل تكريم فضيلة الشيخ عبد الله بن خميس .....
حفل تكريم معالي الدكتور منصور إبراهيم الحازمي .....
حفل تكريم فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند .....
حفل تكريم الأستاذ محمد عبد اللَّه الحميد .....
حفل تكريم معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف .....

فواتح الدارة .....

المقـدمـة .....

بسم اللَّه الرحمن الرحيم استشـراف .....

عهـد ووفـاء .....

مبادئ السعودية في وثيقة .....

الفيصل في مجالسه .....

تقـديـر .....

القمة و. . القاعدة .....

الأرض والأمن والوحدة .....

الملك خالد بن عبد العزيز .....

الدارة في عهدها التذكاري .....

مؤتمر الفقه الإسلامي .....

مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب .....

الهجـرة المحمـديـة .....

إحصاء. . و ثَنَاء .....

عـرفـان .....

رَجـــاء. . وَشكـــر. . .....

المجلة حفيظة على التراث .....

عود على بدء. . .....

المـؤتمـر الجغـرافـي .....

اعتـــذار .....

عَـام. . وَعـام .....
الدارة في عامها السادس .....
البحـر الأحمـر .....
دعـم المجلـة .....
الدارة بين كتابها وقرائها .....
الـدَّارة والتُـراث .....
عَتـب .....
الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على إنشاء جامعة الملك سعود .....
كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد
ونائب رئيس مجلس الوزراء .....
تعليق رئيس التحرير .....
تـوجـه .....
أريد. . وَأريد. . وَأريد. . .....
حَسرَة. . وَحَسرَة. . .....
رَسْ. . وَرسْ. . .....
وَثيقـة هـامـة. . .....
أمـل. . .....
وحدة الأثر تعني وحدّة الأرض والأمة .....
مَـن هُـم العبـرَانيـون؟ .....
الوثيقـة التَـاريخيَـة .....
التعجيز لاَ العَجز .....

عبد العزيز تاريخ.. لاَ سيرَة .....
قالوا عن البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن .....
اليمَــامَــة .....
الفتح انتصار.. والانفتاح انتشار .....
أدب اللغة الشاعرة .....
عبد العزيز في مسيرة التاريخ .....
الملك عبد العزيز والمؤتمر .....
التاريخ المجغرف .....
الدَارَة.. أَول رَوَافِد مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية .....
المَــرابــد .....
أرضنا صهرت فأبقت على إنسانها .....
ضيم الشعُوب.. يَلد العَبقَري .....
اليَوم الوَطني .....
التطبيب عِند العَرب .....
مقارَنة بَين يَعرب وَعَامر .....
إنها مكة حَرم آمن .....
وَاشمخَرتْ اليمَامَة.. .....
مواقف لعبد الملك بن مَروان .....
اللغة إعراب.. والأرض تعريب .....
سيرة بطل .....
تقــديــم .....

قُدامَة بن مَظعُون .....
مُصْعَبُ بن عُمَيْر .....
أبو الهَيْثَم بن التَّيهَان .....
أمّ المؤمِنين خَديجَة .....
قَيْسُ بن نَشَبَـة .....
عُتْبَةُ بن غَزْوَان .....
المِقْـدَادُ بـن عَمْـرو .....
سَعْد بن مُعاذ .....
عَبْد اللَّه بن عَمْرو بْن حَرَام .....
بِـلاَل بـن أبـي رَبَـاح .....
عَـامِـر بـن فُهَيْـرة .....
أبُـو طَـلْحَـة .....
خُبَيْـبُ بـن عَـدِي .....
الأرقَـمُ بن أبي الأرْقَـم .....
عَبْدُ اللَّهِ بن أنيس .....
عُمَيْرُ بن وَهْب .....
عِكْرِمَةُ بن أبي جَهْل .....
سُهَيلُ بن عَمْرو .....
الطَّفَيْـلُ بن عَمْروٍ الدَّوْسِي .....
ضِرَارُ بن الخطّاب .....
سَـلمَـانُ الفَـارسـي .....

هِنْدٌ . . أمُّ سَلَمَة .....
الغُمَيْصَاءُ بنْتُ مِلْحَان . . أمُّ سُلَيْم .....
مرثد بن أبي مرثد .....
عَبْد اللَّه ذو البجَادين .....
أنَسُ بن مَالك .....
مخرمَة بن نوفَل .....
حُذيم بن حنيفَة التمِيمي .....
مِرْداسُ بن نُهَيْك .....
مُعَاوِية بن مُعَاوَية المُزَنى .....
عَامِرُ بن عَبْدِ اللَّه بن عَبْدِ القَيْس .....
عَبد اللَّه بن مَسعُود .....
محمَّد بن مَسْلَمَة .....
بَـدْر . . أمُّ الأبطَـال .....
أمُّ كُلثوم بنتُ عُقْبَة .....
قَـتَـادَة بـنُ النُعْمَـانُ .....
عَبْـدُ اللَّهِ بْـنُ رَوَاحَـة .....
مُحَيْصَة بن مَسْعُود .....
عُمَيْـر بـن سَعْـد .....
سُـرَاقَـةُ بـن مَالِـك المُـدلجى .....
النُعَيْمَانُ بن عَمْرو .....
مَعْـنُ بـن عَـدِي .....

كُلثُوم بـن الهَـدْم .....
عُكَّاشَة بن مُحْصَن .....
مَنْظُورُ بن زِبَّان .....
عَاصِم بن أبي الأقلح .....
مَعقِل بن سِنَان .....
كَعْـبُ بـن سـُور .....
عُمَيْـر بـن الحُمَـام .....
قَيْسُ بـن عَاصِـم .....
فاطِمة بنتُ عُتْبَة .....
عَاتِكة بنتُ زَيْد العَدَوِيَّـة .....
أسمَاء . . ذاتُ النِّطَاقَيْن .....
عُمَيْـر بـن سَعْـد .....
قُـدْقُـدْ بـن خِـنَـاقَـة .....
أمَامَةُ بنت أبي العَاص بن الرَّبيع .....
حمزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِب .....
أم أيمن . . . . بَرَكَة .....
جُلَـيـبـيْـب .....
خَالِد بنُ سَعِيد .....
حمْنَةُ بنتُ جَحْش .....
أسْمَاء بنت عميس .....
عَبْدُ اللَّهِ بن جحش .....

أبـو دُجَـانَـة .....
عَبْدُ اللَّه بن جُبَيْر .....
عَمْرُو بن عَبَسَة .....
فهرس المحتويات .....

المقدمـــة

لقد ازدهرت «الاثنينية» وواصلت مسيرتها وهي تمتح من معين النور في مكة المكرمة مستلهمة فضائل أم القرى من موقع انعقاد فعالياتها بجدة «بوابة الحرمين الشريفين». . وكان لا بد لهذا القرب الجغرافي من إلقاء ظلاله على ما يمكن أن يقدمه هذا المنتدى في مناسبة تاريخية مثل اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، وإن كانت مكة المكرمة دائماً وأبداً موئل العطاء وإشعاع الثقافة والفكر منذ نزول «اقرأ» بغار حراء على سيد الخلق وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

والحمد لله الذي ألهمني التوجه إلى بر والدي، وصديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير «رحمهما الله». . . ذاكراً فضل معاليه عليَّ بالتوجيه والرعاية في دروب الحياة المختلفة. . فقد غرسا في نفسي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حب الكتاب. . . وكانت البذرة التي أخرجت ما تيسر من السنابل والحبوب كتابهما القيم (وحي الصحراء) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٥٥هـ، بصفته أول عمل أدبي معاصر يرصد جانباً من نتاج أدباء الحجاز بتراجمهم ونماذج من أعمالهم. . وقد أعادت «تهامة» طباعته للمرة الثانية عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

وكان من فضل الله بما أفضلت به «تهامة» في قمة عطائها إصدار كتاب «محمد سعيد عبد المقصود خوجه حياته وآثاره» للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين، من سلسلة الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.. ثم شرفت بإصدار سلسلة [كتاب الاثنينية] كرافد يوازي [سلسلة أمسيات الاثنينية] وتحت مظلته صدر كتاب «عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية» للأستاذ محمود رداوي، في طبعاته: الأولى عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، والثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، والثالثة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.. وأردف بكتاب «عبد الله بلخير يتذكر» للدكتور خالد باطرفي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ثم كتاب «الغربال» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).. ثم كتاب «الأعمال الكاملة للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي» الذي صدرت طبعته الأولى في ستة أجزاء (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).. وكتاب «المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي محمد سعيد عبد المقصود خوجه» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ـ وبين هذه الإصدارات وبعدها ـ أصدر [كتاب الاثنينية] مجموعة أخرى، إلا أن التي نوهت عنها ذات ارتباط مباشر بكتاب «وحي الصحراء» الذي استلهمت منه فكرة الأعمال الكاملة لكل أديب أسهم فيه بأنموذج من أعماله.

وبدأت مرحلة شاقة من البحث، وحصر الأعمال، التي كان معظمها متناثراً أو لدى الورثة الأفاضل الذين حافظوا عليها مشكورين، واستجابوا للإعلانات التي نشرتها في مختلف الصحف، إلى أن تجمعت حصيلة طيبة خضعت لمعايير صارمة من المراجعة والتدقيق أثناء مراحل الطباعة المختلفة... وقد أكرمنا الله عز وجل بطباعة هذه الكتب التي تقدمها «الاثنينية» بكل اعتزاز بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية ما بين عامين وعام من المناسبة المذكورة، وظلت في المستودعات لترى النور وتتلازم مع هذه الفعاليات.. ويسعدنا تقديم:

ـ الأعمال الكاملة للأستاذ حسين سراج (١٠ أجزاء).

ـ أخبار مكة للأزرقي (جزءان في مجلد واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر (جزء واحد).

ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء (٥ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان (٧ أجزاء).

ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة (جزء واحد).

ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي (٥ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي (٤ أجزاء).

ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة (٤ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الجفري (٦ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للشاعر الأستاذ علي حسن أبو العلا (جزأين)

ـ عكاظ لندن (جزء واحد).

ويلاحظ القارىء الكريم أن هناك أعمالاً لم تكن ضمن كتاب «وحي الصحراء» إلا أن أصحابها الأفاضل لهم ريادة وعلاقة وثيقة بهذا التوجه... أي إنها تنصهر كلها في بوتقة حب مكة المكرمة زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خيراً يسهم في إثراء مكتبتنا العربية والإسلامية.

والله الموفق وهو من وراء القصد، ،

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كلمة الناشر

مهما عصفت رياح الصمت فإنها لن تتمكن من إطفاء جذوة كلماته المتفردة، فلأستاذنا أسلوبه الخاص الذي دمغ به الأيام، تناقلته الألسن ودارت به المطابع، إنه من الرجال الذين يضن بهم الزمان حتى تحسبهم ممن قال فيهم عبد الرحمن الكواكبي (ما بال هذا الزمان يضن علينا برجال يعلمون الناس، ويزيلون الالتباس).. إنه شيخنا وأديبنا الكبير، الغائب الحاضر، الأستاذ محمد حسين زيدان «رحمه الله»، أستاذ الأجيال الذي تخرج على يديه من نعدهم بكل إعزاز واعتزاز أساتذة وروواداً نفخر بعطائهم، ومنهم على سبيل المثال الأستاذ الأديب السيد عبد الله الجفري، الذي يضع أستاذنا الزيدان في قمة لا تدانيها قمم بتسميته «والده الروحي»، وبطبيعة الحال فإن مكانة الأستاذ، الذي هو بمثابة الوالد والمربي والموجه لبعض تلاميذه، تحلق عالياً فوق ذرى الإبداع التي أنسناها من الأستاذ السيد الجفري وهو الذي أثرى ساحتنا الثقافية والأدبية بعطائه الكبير وإسهامه المشكور في النهضة الأدبية والصحافية التي تجاوزت حدود الوطن لتمتد عن جدارة إلى كثير من الدول العربية فتكون له الصدارة على مستوى الخليج العربي ومنارات الإشعاع في بعض العواصم العربية.. ومن تلامذته الذين يشار إليهم بالبنان الأديب والكاتب المعروف الأستاذ عبد الله الماجد الذي يصف أستاذنا الكبير بـ «شيخي وشيخ الكتاب في عصرنا»، وبهذه الخصوصية في العلاقة بين

الأستاذ ومحبيه والتي يفخر كثير منهم بأنها تصل إلى مصاف الألق التربوي والعاطفي الذي يربط بين الوالد وأبنائه، فعندما قال للأستاذ عبد الله الماجد من خلال حوار دار بينهما «يا ولدي» لم تمر العبارة مرور الكرام عند تلميذه النجيب، بل حفرت أخدوداً عميقاً في ذاته فتمترس خلفها ليشير إلى «هذا النحو النادر المتأطر بهذه الخصوصية العذبة، كنت محظوظاً بهذه البنوة حيث كنت أبحر في أعماق هذا البحر ألامس صدفاته، وأفتحها واحتوي داناته المتلألئة، وأعود إلى شاطئه فأستريح على ثرائه».

ثم نظر الأستاذ السيد الجفري إلى مكوّنات شخصية أستاذه، ووالده الروحي، فصنَّف عنه كتاباً بعنوان «الزيدان.. زوربا القرن العشرين» من إصدارات مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر محرم ١٤١٣هـ يوليو ١٩٩٢م.. إن هذا الانتقاء الحصيف لعنوان الكتاب لم يأت من فراغ.. فقد نبع من عمق إدراك الكاتب الفذ لشخصية الأستاذ المعلم الذي تتماهى شخصيته مع «زوربا» (العجوز، العميق، الفياض بالحيوية).. ما أجمل الصورة القلمية التي لا تحفل باللحظات بل تمتد حزمة ضوء أبدية نحو اللانهاية فتعبر المدى ليعزف التلميذ الوفي لحن أستاذه.. ذلك هو الزيدان الذي (كانت مودته للكلمة.. هي: وله يسمو بالمعاني في نفسه.. فلا يجعل الملل ينتصر على وقته.. ولا يجعل الغرض يهزم معانيه إن ولهه بالكلمة: عطاء جزل لحياته على إمتدادها.. لتطلعاته، فقد بقي ـ في شيخوخته ـ شاباً بروحه، وبعزيمته، وبفكرته، وبرؤيته للغد.. يكتسح خريف العمر بالحبِّ).

إن سنابل العطاء التي نبتت من وجدان الزيدان لم تقتصر على كلماته «المجنحة» التي أصبحت تومئ إليه وتصرح باسمه وإن لم يُذكر، فهو صاحب مدرسة في الكتابة الأدبية والصحفية قل نظيرها في تاريخنا الأدبي المعاصر،

لقد أثرى المكتبة العربية بمجموعة من الأعمال القيّمة التي أشرف بوضعها بين يدي القارئ الكريم ضمن هذه المجموعة الكاملة، وفي إطار الاحتفاء باختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، ومع عدد من الإصدارات التي سبق أن ساهم مبدعوها في كتاب «وحي الصحراء» الذي نشره والدي وصديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير (رحمهما الله)، وإن كان أستاذنا الزيدان لم يكن ضمن كتاب «وحي الصحراء» إلا أنه عاصر تلك المرحلة بوعي وإدراك لما تمخضت عنه، وواكب إرهاصات التطور الثقافي والإبداعي الذي ننعم بثماره على مختلف المستويات. . وله مع والدي «رحمه الله» صداقة حميمة ومواقف نبل وإخاء وسمت علاقات ذلك الزمن النقي.

لم يكن أستاذنا الزيدان «رحمه الله» أديباً فحسب، بل كان أقرب إلى الفيلسوف والحكيم والمفكر الذي يعمل فكره الثاقب في كل فكرة يصوغ منها موضوعاً ذا دلالات تمس صميم الحياة وتتفاعل مع واقع الحال سواء داخل أو خارج الوطن، فهو مثقف أصيل يسعى باستمرار إلى تقليب كل خبر والقراءة بين السطور وفوقها وتحتها وربط الأحداث وتجارب الماضي واستشراف المستقبل ليقول في النهاية كلمته مدعمة بكثير من الحجج والبراهين مما يجعل خطابه وكتاباته نوعاً من التاريخ الأمين والتحليل المنطقي العميق، ويصوغ كل ذلك في قالب أدبي مميز ولغة رصينة يتخير مفرداتها ومعانيها بدقة متناهية، حتى تحسبه يزن الحروف والكلمات بميزان يعدل إن لم يفق معيارياً ميزان الذهب والأحجار الكريمة.

لقد كان أديبنا الكبير موسوعياً في علمه وسعة أفقه وتنوع مصادره، فهو ضليع في الأنساب ومعرفة القبائل ومضاربها قديماً وحديثاً ـ وإن كان لا يميل إلى التوسع في هذا الجانب ـ كما إنه خبير في علم الفلك، راسخ القدم في

دراسات الشعر العربي قديمه وحديثه، عالم ببواطن التاريخ الإسلامي والغربي، مطلع على كل ما يستجد من أحداث سياسية في كل أصقاع العالم، وله موهبة نادرة في تحليلها وربطها بمختلف القضايا التي تثار في أكثر من نقطة ساخنة حول العالم، ويبدي رأيه بكل جرأة في كثير من القضايا الخلافية ولكن بعد أن يدعمه بأفكار لمّاحة، وذكاء حاد، وقالب لغوي أنيق.

وهو مع كل ألقه ومكانته السامقة في قلوب محبيه ذو تواضع جم، سئل ذات لقاء صحفي أن يعرِّف نفسه فقال: «طالب معرفة يحب كل الناس، ولا يكره أحداً.. وما نام ليلة وهو حاقد على أحد».. بهذه الروح الشفافة شق أستاذنا الكبير «رحمه الله» طريقه بين الناس، كان الحب ديدنه وبوصلته التي يتواصل من خلالها مع من حوله، سعى لخدمة من يعرف ومن لا يعرف، وضن بخطه الجميل حتى على كتابة مقالاته الممتلئة بمقومات الإبداع، ولكن لم يضن به قط عن كتابة توصية أثر أخرى لمساعدة من يتوسمون فيه الخير، وكثيراً ما تكبد المشاق حتى أثناء توعكه ليتابع بنفسه مصالح بعض من يلقون بثقل همومهم على ساحته، فغرس من الحب ما أزهر وأينع وحصده إبان مسيرة حياته وعند وداعه في مثواه الأخير.

كان «رحمه الله» من أعمدة أمسيات «الاثنينية».. وكان من أوائل من شرفت بتكريمه بتاريخ ١٤٠٣/٥/١٥هـ الموافق ١٩٨٣/٢/٢٨م.. ثم تكريمه مع معالي الشيخ عبد الله بلخير في أمسية تداولا خلالها تداعيات الغزو الفكري بتاريخ ١٤٠٦/٧/١٤هـ الموافق ١٩٨٦/٣/٢٤م.. أما الكلمات التي تفضل مشكوراً وساهم بها في تكريم الأساتذة الأفاضل الذين سعدنا بتكريمهم من داخل وخارج المملكة فهي مجال دراسة تستحق أن يُعنى بها وتُترجم إلى عمل يسهم في إضاءة ساحتنا الثقافية.. وتسهيلاً لذلك فقد تم جمعها مع

توضيح تواريخها ومناسباتها ضمن هذه الأعمال الكاملة.. لقد كان «رحمه الله» حفياً بالاثنينية فكانت وفية له.. محضها الحب وغرس فيها الكثير من أزاهير كلماته المجنحة، فبذلت له مودة وصداقة وإكبار روادها الأفاضل من داخل وخارج المملكة، وإنه لفخر للاثنينية بأجزائها العشرين، أن ثمانيتها الأولى قد ازدهت بحضوره الطاغي، حيث أطلق واحدة من أوائل مجنحاته في تكريم معالي الشيخ عبد الله بلخير (١٤٠٣/٤/١٠هـ الموافق ١/٢٤/ ١٩٨٣م) عندما علق معاليه عن فساد خطه الذي قد لا يساعده على قراءة ما أعده بمناسبة تكريمه، فانبرى أستاذنا الزيدان قائلاً: «هناك معادلة بين فساد خطه وصلاح حظه، فليفسد الخط وليسعد الحظ».. فرد معاليه قائلاً: «أي والله وهذه من كلمات الزيدان التي يشع بها كما تشع الأحجار الكريمة بألوانها وضيائها ـ ....» وتتوالى كلمات الزيدان بكل زخمها وذكرياتها الخصبة التي يسردها عفو الخاطر من حافظته المبهرة من خلال المجلدات التي أشرت إليها، والواقع أنه لم ينقطع عن تلك المجالس التي أحبها وأحبته إلا في السنتين الأخيرتين حيث اشتد عليه المرض، وزهد في الدنيا إلى أن توفي صباح السبت ٢٩ شوال ١٤١٢هـ الموافق ٢ مايو ١٩٩٢م ودفن بمدينة جدة.. وكانت آخر أمسية شارك فيها بمناسبة تكريم معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف بتاريخ ١٤١٠/٦/٤هـ الموافق ١٩٩٠/١/١م، وحملت كلمته ما يشي بما سيكون من انقطاع عن مجلس أحبه حيث قال في أولها: اسم عبد الله نصيف جرني من فراشي، وما جئت إلا متحاملاً على نفسي، لئلا أكون متحاملاً عليه...» وختمها بقوله «وأعتذر للذين لم أحضر أمسيات الاحتفال بهم لمرضي، فأنا عجوز وأصبحت طفلاً أحتاج إلى التدليل».. ثم دلف إلى عزلته التي اختارها بنفسه، مكتئباً ومنطوياً على نفسه، وهي ذات الأعراض التي انتابت كثيراً من المبدعين الأعلام في أواخر سنوات حياتهم أمثال

المازني، والدكتور إبراهيم ناجي، وإبراهيم المصري، وغيرهم.

لقد ترك «رحمه الله» ثروة من العطاء العلمي والأدبي النادر، أشرف بوضعه في ثوب يناسب مكانته بين يدي القارئ، واجباً وطنياً، وشيئاً من وفاء لأهل الوفاء، سائلاً المولى عزَّ وجلَّ أن ينفع به المسلمين ويجعله في ميزان حسنات أديبنا الكبير تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

والله الموفق، وهو من وراء القصد..

جدة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م **عبد المقصود محمد سعيد خوجه**

إصدارات كتاب الاثنينية

١ ـ ديوان (الأعمال الكاملة).

لمعالي الأستاذ أحمد بن محمد الشامي، (رقم ١) الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢ ـ كتاب (عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية).

لمؤلفه الأستاذ محمود رداوي، (رقم ١/١) الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣ ـ ديوان (عاصفة الصحراء).

للشاعر الأستاذ محمود عارف، (رقم ١/ ٢) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤ ـ ديوان (الأربعون).

للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ، (رقم ١/ ٣) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥ ـ ديوان (قلبي على وطني).

للشاعر العراقي الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٤) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٦ ـ كتاب (جرح باتساع الوطن).

للشاعر الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٥) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧ ـ ديوان (حصاد الغربة).

للشاعر العراقي الدكتور زاهد محمد زهدي، (رقم ٦/١) الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨ ـ ديوان (الأعمال الكاملة).

للأستاذ الراحل زكي قنصل، (رقم ٢) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ ـ كتاب (البهاء زهير).

للأستاذ المرحوم محمد إبراهيم جدع، (رقم ٣) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠ ـ كتاب (التوازن معيار جمالي).

للأستاذة غادة بنت عبد العزيز الحوطي، (رقم ٤) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١ ـ كتاب (سوانح وآراء).

للأستاذ الدكتور بدوي طبانه، (رقم ٥) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٢ ـ كتاب (ترجمة حياة).

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٦) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣ ـ ديوان (قوس قزح).

لفضيلة معالي الدكتور الشيخ أحمد الزرقاء، (رقم ٧) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الأول).

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الثاني).

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦ ـ ديوان الأعمال الكاملة (الجزء التاسع).

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٩) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧ ـ ديوان (أوراق من هذا العصر).

للشاعر الدكتور خالد محي الدين البرادعي، (رقم ١٠) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨ ـ ديوان (زمن لصباح القلب).

للشاعر فاروق بنجر، (رقم ١١) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٩ ـ الشعراء في إخوانياتهم.

للأستاذ خالد القشطيني، (رقم ١٢) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠ ـ عبد الله بلخير يتذكر

للأستاذ خالد باطرفي، (رقم ١٣) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢١ ـ كتاب (الغربال)

للأستاذ حسين عاتق الغريبي، (رقم ١٤) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢ ـ ديوان (حلم طفولي)

للأستاذ سعد البواردي، (رقم ١٥) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٣ ـ كتاب (الأعمال الشعرية الكاملة وأعمال نثرية)

للشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، (رقم ١٦) الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤ ـ المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه

إعداد وتقديم الأستاذ حسين عاتق الغريبي (رقم ١٧) الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٥ ـ الأعمال الكاملة للشاعر والأديب الكبير حسين عبد الله سراج رقم (١٨)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٦ ـ أخبار مكة للأزرقي رقم (١٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

٢٧ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر رقم (٢٠)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي رقم (٢١)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي رقم (٢٢)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٠ ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي رقم (٢٣)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣١ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان رقم (٢٤)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٢ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي رقم (٢٥)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٣ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء رقم (٢٦)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٤ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة رقم (٢٧)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٥ ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي رقم (٢٨)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٦ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق رقم (٢٩)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٧ ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة رقم (٣٠)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب رقم (٣١)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٩ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الجفري رقم (٣٢)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤٠ ـ الأعمال الكاملة للشاعر الأستاذ علي حسن أبو العلا رقم (٣٣)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٤١ ـ عكاظ لندن رقم (٣٤)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

السيرة الذاتية

كاتب بارع، له أسلوبه المميز في كتابة المقالة، اكتسب شعبية كبيرة لدى القراء والمستمعين لأحاديثه الشيقة عبر الإذاعة خاصة في «كلمة ونصف»، مؤرخ وعالم في الأنساب، (ومحاضر وخطيب لبق يشد الأسماع إليه بأسلوبه الجذاب) وصفه أحد الأدباء بأنه (فنان كلمة، يحلق فيها في سهولة ويسر).

الميلاد والنشأة:

ولد في المدينة المنورة عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م، ونشأ بها، حيث تلقى تعليمه الأولي في الكتاب، ثم التحق بالمدرسة النظامية الابتدائية في ينبع البحر، وعاد مرة أخرى إلى المدينة المنورة عام ١٣٣٧هـ ليلتحق بالمدرسة العبدلية التي سميت فيما بعد بالمدرسة الراقية، فنال شهادتها في أواسط عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، كما تعلم على مشايخ المسجد النبوي الشريف، وكانت القراءة خير معوان له على بناء شخصيته الأدبية والثقافية، فكان منذ صغره يقرأ بنهم شديد حتى صنعت منه القراءة (أديباً وكاتباً وخطيباً).

حياته العملية:

ـ عمل مدرساً للتاريخ والمواد الدينية عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

ـ سافر إلى الهند، ومكث بها ستة أشهر، وبعد عودته منها عين مدرساً للعقيدة السلفية في دار الأيتام، فمديراً مساعداً لها في الفترة من شهر ذي

القعدة عام ١٣٥٢هـ إلى شهر جمادى الثانية عام ١٣٥٨هـ.

ـ عمل سكرتيراً لرئاسة مشايخ الجاوة حتى عام ١٣٦٠هـ.

ـ انتقل للعمل محرراً مساعداً لرئيس قسم الأوراق بوازرة المالية، ثم تنقل بين عدة وظائف في هذه الوزارة حتى عام ١٣٦٤هـ، حيث انتقل سكرتيراً لمديرية الحج، فمديراً عاماً مساعداً، فرئيساً لمالية مكة، ثم مديراً عاماً لشؤون الرياضة، ثم مفتشاً عاماً للحج.

ـ عاد مرة أخرى للعمل في وزارة المالية فعين ممثلاً مالياً لها في وزارة الداخلية.

ـ في عام ١٣٧٣هـ أحيل إلى التقاعد.

ـ شهد بدايات تاريخ الصحافة السعودية، وعمل فيها كاتباً، ثم عمل مديراً لتحرير جريدة «البلاد» ثم رئيساً لتحريرها، ثم رئيساً لتحرير جريدة الندوة، ثم رئيساً لتحرير مجلة «الدارة» التي صدرت عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض في ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

من آثاره:

١ ـ سيرة بطل ـ جدة: الدار السعودية للنشر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

٢ ـ عبد العزيز والكيان الكبير ـ جدة، دار الأصفهاني، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٣ ـ بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة ـ الرياض: دارة الملك عبد العزيز ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٤ ـ رحلات الأوروبيين إلى نجد والجزيرة العربية ـ الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٥ ـ محاضرات عن التاريخ والثقافة العربية ـ القاهرة، مطبعة أطلس، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٦ ـ المنهج المثالي لكتابة تاريخنا ـ الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٧ ـ ثمرات قلم ـ جدة: تهامة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٨ ـ كلمة ونصف ـ جدة: تهامة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٩ ـ أحاديث وقضايا حول الشرق الأوسط (دراسات) الرياض: جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠ ـ أشياخ ومقالات ـ الرياض: مطابع الشريف، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١١ ـ صور ـ الرياض: الدار العباسية للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٢ ـ خواطر مجنحة ـ جدة: تهامة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٣ ـ فواتح الدارة ـ الرياض: المؤلف: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٤ ـ ذكريات العهود الثلاثة ـ جدة: المؤلف، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٥ ـ مخلاة الكاتب كشكول القارىء، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

وفاته:

توفي رحمه الله عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(*) مصادر الترجمة:

١ ـ عبد المقصود خوجة، الاثنينية، ص ١٣٧، ١٣٨.

٢ ـ د. عمر الطيب الساسي، الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي، ص ١٧٩.

٣ ـ الدائرة للإعلام المحدودة، معجم الأدباء والكتاب، ص ١٤٥.

النثر

مُجَنَّحات الزّيدان في الاثنينية

حفل تكريم معالي الشيخ عبد الله بلخير(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام عل سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. إخواني كلكم عزيزٌ علي، وما كنت أعددت نفسي كي ألقي كلمة في تكريم الشيخ عبد الله بلخير. ولكني فوجئت بهذا الطلب من الابن العزيز الغالي عبد المقصود... وكأني ذلك الذي قال:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا إليَّ خطيبهم يتوسَّم

عبد الله بلخير أعرفه ولا أعرفه! أعرف أثره ولا أعرف التأثير الذي حصل منه على هذه المكانة، لكن أعرف تأثيراً واحداً هو أن عبد الله بلخير وأمثاله قد أعطوا لمدرسة الفلاح أن تكون بصمتها ظاهرة عليةً. فالفلاح في مكة لها بصمات على أبناء مكة ومنهم بلخير.

عبد الله بلخير التحق بالقصر الملكي لدى الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ كلاقط إذاعة. ذكّرني بكلمة اللاقط الأخ الذي يقول: هذا الميكروفون يلقط، فكان يأخذ من المذياع، ويقرأ الأخبار للملك عبد العزيز، وما كان كل عامل لدى الملك عبد العزيز يستطيع أن يستمر فترة طويلة معه، ولا

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٤) الجزء الأول ـ ١٠/ ٤/ ١٤٠٣ الموافق ٢٤/ ١/ ١٩٨٣م.

أدري كيف تسنّى لعبد الله بلخير أن يتحمل هذه الطاقة، ولكنه أحيط برجال يقدرونه ويعرفونه. عندما كان عبد الله بلخير شاعراً وطالباً في مدرسة الفلاح، حفظت له:

لغة المدافع والقنابل والقنا يشفي الخطاب بها والاستفهام
لا الاحتجاج ولا التكلم نافع كذب اليراع وصدق الصمصام

لقد كنا نقرأ له يوم كان لا يضن بشعره، ولكن الشعر الكثير الذي ملأ الدفاتر أصبح عبد الله بلخير به ضنيناً، بينما هو حافل بالذكريات. لقد أمضى السنوات الكثيرة سائحاً حول العالم كأنه ابن بطوطة، ليس المؤرِّخ وإنما ابن بطوطة الشاعر، قد زار كل أثر إسلامي مما إذا ذكر بكتهُ العين، زار الأندلس، وزار المغرب، حتى يوغسلافيا زارها، يريد أن يتذكر البوسنة والهرسك المسلمتين.

زار هذه البقاع جميعاً فأثرت فيه، ولكن أين تأثيرها فينا، ذلك ما يُضنّ به علينا كأنه لا يهتم بنا. من هنا ألزمه أن يتيح نشر ما كتب من القصائد المطّولة في قرطبة، وغرناطة وإشبيلية، وفي الجزائر، وفي فاس، وفي تلك المواقع التي إذا ما ذكرناها ذكرنا ماضياً مجيداً. ذكرنا العربي الفاتح، ذكرنا العربي الذي علّم اللغة. فلنا في الشمال الأفريقي تأثيران:

التأثير الأول: تأثير الفتح ولم يعرف كثيراً.

والتأثير الثاني: تأثير التقريب، وهو تأثير بني هلال، وبني سليم، والمؤثر بين هذين هو تمسك المغاربة بمذهب أهل المدينة كم يحبون هذه الأرض، ويحبون إنسانها... تمسّكوا بمذهب مالك، وتمسّكوا بقراءة نافع، لعلَّ الأستاذ عبد الله بلخير يُطري المغرب بما يستحق. كما أطرى

الأندلس بما يستحق، إن الذين عقوا الأندلس يذكرهم التاريخ بقول الشاعر:

يا راتعين وراء البحر في دعة لهم بأوطانهم عزٌّ وسُلطانُ
أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سرى بحديث القوم ركبانُ

كان الشاعر يخاطب من؟... يخاطب سلطاناً عظيماً له بواخر في البحر تخافها أوروبا، وله جيش فتح البلقان، وغزا النمسا، فأطلق إمبراطور فرنسا الأسير من أجل عشيقته الفرنسية، ولكن معشوقه الإسلام في الأندلس عُق ولم ينجز والتاريخ يسجل العار على كل خوّان. ذكّرني بذلك الأستاذ عبد الله بلخير رجل عرفناهُ وزيراً للإعلام، وعرفناهُ عوناً لكل عمل في صالح الإعلام وتطوره. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ محمد حسين زيدان(*)

وفي حفل تكريمه تحدث وهو ضيف الأمسية، عن سيرته الذاتية وذكرياته القديمة في المدينة ومكة وجدة فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد نبي الرحمة وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخواني جميعاً، أهلي وعشيرتي، لا أدري بماذا أبدأ، ولكن التقليد يحتم عليّ البدء بالشكر لله، فصانع الجميل شاكره، وشاكر الجميل صانعه، لأنه لا تجد باخلاً بالشكر إلاَّ وهو الباخل على نفسه بصنع الشكر، ولا تجد باخلاً بالجميل إلا وهو أكثر بخلاً بالشكر، لهذا أشكر الابن عبد المقصود على هذا الاحتفاء الذي أشعر فيه بفرحة كبرى، لأنه تقدير وتكريم، وأحذف من نفسي الترحة، لأني لا أحب أن يكون هذا التكريم، وداعاً. الشكر للمحتفي بي لا يكفيني، فأنتم الذين حضرتم كلكم قد احتفل بي، كلكم قد أكرمني، إنما هو الداعي له فضل الدعوة، ولكن فضل التلبية عندي أكبر، لأنه سعي إلى صنع الجميل يلزمني بأن أشكر هذا الصنيع لكم، أحمده لكم حمداً كثيراً. يعجزني أن أقول لا حينما طلب مني أن ألقي الكلمة، ويسعدني أن قلت الكلمة الشاكرة له ولكم، فماذا تريدون مني إلاَّ أنني أمامكم عجوز قد احتفلت بالقراءة؟

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٥) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٥/١٥هـ ـ الموافق ١٩٨٣/٢/٢٨م.

أتعرفون أوّل من علّمني القراءة؟ لقد علّمني سوق (الحراج) وجريدة «ألف ـ باء»، كنت لا أقرأ الصحف، لأن الصحف لا تأتينا. قبل «العهد السعودي»، كنا نفتش في الحراج لنجد بعض الكتب التي يعرضها أصحابها للبيع نتيجة الفقر والعوز والجوع الذي ألمَّ بهم فيبيعونها بمبالغ زهيدة لا تتجاوز قيمة الواحد القرش أو القرشين، فأنقب عن كتاب ينفعني، فأشتريه وأقرؤه، ومن هنا تعلّمت القراءة من هذا السوق، ثم تعلّمت القراءة في مكتبة كنت أبيت فيها لمدة لا تقل عن سنتين، فيها أمهات الكتب وكنت أقرؤها.

لكن السؤال المهم: كيف تعلّقت بالصحف والمجلات؟ السبب يرجع إلى جريدة «ألف ـ باء»، أريد أن تضحكوا من هذين البيتين لشاعر من العراق، لكنه ليس الزهادي ولا الرصافي، يقول الشاعر:

أنت عندي بمنزل لم ينله غير سلمى وابنها إسحاق
أنا مُخْرَنبقٌ وغير عجول ولقد طال في الهوى اخْرنْبَاقي

فاخرنبقت مع نفسي، وكلمة اخرنبقت جعلتني أفتش وأقرأ.

ويعلَّق الشاعر أبو ريشة بقوله:

وآخر نبقوا دهراً يريدون التي طاروا بها من بعد اخرنباقي

فاخرنبق معناها سعى وتحفز.

ثم يوالي الأستاذ محمد حسين زيدان ذكرياته، لكنه قبل أن يبدأ الحديث يفاجأ بدخول الأستاذ ضياء فيقول:

وما دام الأستاذ عزيز وصل، فأنا أؤكد لكم بأنه قرأ قبل أن اقرأ، فأنا قرأت بعض كتب التراث، لكنه قرأ كتب الميراث. فأنا «مُخْرنبق» وغير

عجول، فكلمة (اخرنبق) هي التي دفعتني إلى القراءة وصنعت مني أديباً وكاتباً وقارئاً وخطيباً.

ولقد زاملني الأستاذ عزيز ضياء في المدرسة، فلا تصدقوا ادعاءه بأنني أكبر منه سناً، يزعم أنني كنت عجوزاً حينما كان ولداً صغيراً.

وفي المدرسة أذكر حادثة أفخر بها، حيث جمع الأستاذ أحمد صقر الصفَّين الأكبرين اللذين طلبتهما عبد الحميد عنبر والنقشبندي، عثمان حافظ وأحمد العربي. فسألهم عن كلمة تفاوت هل هي اسم أم فعل؟ فقالوا: إنها فعل، غروراً بالتاء في أول الكلمة، فرفعت إصبعي دلالة ـ كما تعلمون ـ للاعتراض على إجاباتهم فقلت: إن هذه الكلمة اسم. قال الله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ﴾ (الملك: ٣) فقد سبقها حرف جر، ولا يسبق حرف الجر إلاَّ الاسم، كما لحقها التنوين في آخرها والتنوين لا يدخل إلاَّ على الاسم النكرة، وهنا بادر الأستاذ أحمد صقر بمنحي درجة الامتياز وأثبتها في كرّاسته.

في اليوم الثاني، جمع الأستاذ أحمد صقر الصفين، فإذا هو يقرأ في وفاء الوفاء عن تاريخ المدينة، فإذا فيه خبر أن الشمس كسفت في اليوم السادس عشر من الشهر، فسكت جميع الطلبة إيماناً منهم بصحة الخبر، فاعترضت على ذلك وقلت: إن هذا خطأ فقال: الأستاذ صقر: هل أخطأ المؤلف السمهودي؟ فقلت: لم يخطئ المؤلف، ولكن المطبعة قد تكون المخطئة، لأن الشمس لا تنكسف إلاَّ إذا كان القمر في المحاق أي في نهاية الشهر، فأعجب المدير بإجابتي ومنحني أيضاً درجة الامتياز.

ثم سأل سؤالاً آخر بقوله: «النهر ماء عذب يجري منحدراً» ما معنى كلمة عذب؟

فأجاب أحد الطلاب بأنه الماء الذي يجري كذا وكذا وكذا.. فرفعت إصبعي وأجبت أن معنى كلمة عذب هو: حلو، فمنحني أيضاً درجة الامتياز. وفي نهاية الأسبوع اجتمع الصفان الكبيران مع صفنا، فسألهم الأستاذ: هل كلمة كرسي ممنوعة من الصرف؟ فتصوّر الإخوان أن الكرسي لا يجلس عليه إلاّ رجل أعجمي! فهو أيضاً أعجمي، لأن الكرسي لم يكن مستعملاً بين سكان المدينة، فأجابوا جميعهم بأنه أعجمي ممنوع من الصرف، فرفعت إصبعي هنا، وقلت: لقد ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، فهي كلمة قرآنية، فأخذت أيضاً درجة الامتياز، وهكذا حصلت على أربع درجات ممتازة خلال أسبوع واحد.

ويختتم الأستاذ زيدان كلمته، بقوله:

أظن أن الرحلة طويلة ولا أرغب أن أطيل عليكم، فاسمحوا لي أن أقول لكم السلام عليكم وفي أمان الله.

حفل تكريم الأستاذ حسين عرب(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، لست بصدد تقريظ أخي الأستاذ حسين عرب، فقد قرَظ هو نفسه بهذا القريض الذي أنشدنا فأكبرناه كأنما إكبارنا له هو نتيجة الحب والتقدير له، لا لأنه إنسان، ولا لأنه أديب، ولا لأنه شاعر، ولكن لأشياء ساررته بها ففعلها فكان خيراً ما فعل، لست بصدد أن أقولها الآن، ولكني وقد كبرت سني أريد أن يغفر الله لي ذنبي، أنا قد اذنبت في حق حسين عرب ولكن ليس ذلك من باب النقد الذاتي، إنما لأن هذا الذنب الذي أمضني حين فعلته هو الآن مصدر فخري بعد أن فعلته.

يطالب الحضور بإيضاح أكثر للعبارة الأخيرة، فيقول الأستاذ الزيدان:

دعوني أشرح لكم.

حسين عرب كان يعمل في صوت الحجاز واستقال منها، وأظنه قد أراد أن لا يكون محرراً فرشحه الأستاذ عابد قزاز الله يرحمه، وكان صديقاً له، ليعمل في «إدارة الحج» محرراً، وقد كنت في ذلك الوقت سكرتيراً عاماً لها، لم أعترض على ترشيحه لأن منعي أو ردي لا يمنع، ولكن القائمين بالأمر اعترضوا. محمد سرور لم يوافق والشيخ صالح قزاز لم

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٦) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٥/٢٢هـ الموافق ١٩٨٣/٢/٢٨م.

يتحمَّس وأنا أيضاً ما تحمست، وأعتبر أن هذا الذنب الذي اقترفته كان جناية مني عليه، وأن هذه الجناية قد جنى منها حسين عرب خير الثمار، حيث عمل في وزارة الداخلية صغيراً، ثم أصبح وزيراً، ففعل الخير في الوزارة وفعلنا الخير.

فأنا أعترف بذلك الآن لا ليغفر لي حسين عرب ذلك، ولكن ليطمئن قلبي بأن كل ما عذبت به قد زال عني حينما أتشرف الآن بأن أجد الذين احتفوا به أو أجد الذين كرموه وهو جدير بالتكريم، لأنه قد حظي بالوقار، وحظي بالصمت الوقور وحظي بالنطق المفرح شعراً كنزه عنا زمناً، لكن الله لا يحب الكنز فقد أظهره الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ عزيز ضياء(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، أنا أعرف عزيزاً: زميلاً وطفلاً، وقد كفاني شرفاً أن أعرفه رجلاً بما تحدّث به، أعرفه طفلاً زميلاً في المدرسة، كان أرستقراطياً، ولقد نشأ نشأة أرستقراطية فيها كبرياء، وفيها انطواء. ومن غرائب عزيز ضياء أنه اجتماعي بمعنى الكلمة، وانطوائي بمعنى الكلمة، ففي استطاعته أن يكون إنسان جماعة متى أراد وأن يبتعد عن الجماعة إذا أراد. لم نعرف له نشاطاً في المدرسة باعتباره أصغر منا سناً. صغر السن لا أستطيع أن أقدره الآن بالسنتين، والثلاث، والأربع سنوات، قد يكون أكثر من ذلك ولكنه نشأ كما هو نظيف الثياب نظيف الخلق. أحب صحيحاً، وعشق صحيحاً، لم أرَ عليه ما يعيب في هذا الحب والعشق. أول ما عرفت أنه أحب عندما كنت أقرأ ما يكتب، يقول: إنه يكتب عن جبران خليل جبران، أما أنا فأتهمه أنه كان يكتب عن المنفلوطي لأنه سريع التأثر بما يقرأ. عزيز ضياء لم يستفد من المدرسة، فقد كان هو مدرسة نفسه، وهو معلم نفسه، ذلك لأن الطموح فيه جعله يتخطى كل الحواجز. ما كنت أدري أنه درس النحو على الأستاذ سعيد، ولم أسمع عن ذلك إلاّ منه الآن، لقد كنت أكبر الأستاذ عزيز وهو لم يتعلم النحو في المدرسة، كيف

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٧) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٥/٢٩هـ ـ الموافق ١٩٨٣/٣/١٤م.

أصبحت تستقيم عبارته وليست مشكلة أن تستقيم عبارة الكاتب، وإنما المشكل أن يستقيم حديث الكاتب. وعزيز من الذين استقامت أحاديثهم فهو قليل اللحن، حتى إذا قرأ، أو إذا تحدَّث. فهو من أعداء العامية حتى في حديثه الشخصي. فهو من عشقه للعربية وتعلمه لها، يتكلم معنا باللغة الفصحى. كان الخلاف مستعراً بينه وبين حمزة شحاته وبيننا حول الموسيقى الغربية، فقد كان يعشقها، ويحاول أن نشاركه هذا العشق. عزيز كبير الصفوة، كثير الجفوة. يعني أنني ما أصبحت في صفاء منه إلاَّ بعدما تعارفنا معرفة دقيقة. عزيز لقي العنت الكثير من أصدقائه ولا أدري أبخس حظه معهم؟ أم كان هو سبباً في أن ينال منهم ما يشقيه؟ لعلّي كنت أحد الذين أشقوه أو لعلّ غيري كان أكثر شقاءً له لكنه تغلب على كل ذلك، فأصبح في طليعة هؤلاء الأصدقاء، حبيباً إليهم، حفياً بهم وهم حفيون به.

وتعقيباً لما ذكره الأستاذ عزيز عن محمد عمر توفيق أنه كتب مقالاً بتوقيع راصد أحب أن أوضح لكم شيئاً له علاقة بالموضوع:

لقد كنت في تلك الفترة أحد محرري جريدة «المدينة»، فأبى عبد الحق النقشبندي ـ رحمة الله عليه ـ وكان شبه مستشار لعثمان حافظ لأنه صديقه وشريكه، أبي أن ينشر ذلك المقال. قد طاوعه علي حافظ وعثمان حافظ، ولكنني أصررت على نشر المقال لأنه أعجبني، وكان المقال متأثراً بأسلوب الدكتور محمد حسين هيكل، ولا غرابة في ذلك، فقد قرأ محمد عمر توفيق كتاب «حياة محمد»، كما قرأ كتاب «منزل الوحي». وكلاهما من تأليف الدكتور هيكل.

بعد موافقتي وإصراري على نشر المقال، قال لي عبد الحق ـ رحمه الله:

لماذا تنشر له هذا المقال؟ فقلت له: لأنه كاتب ولأن أسلوبه جيد. قال: أما تخاف أن يكبر هؤلاء فيتكبروا علينا؟ قلت له: لا، بل نريد أن يكبروا علينا، وأن يكونوا أحسن منا. فمحمد عمر مدين لي بهذا، وأنا مدين لمحمد عمر بان كنت كاتباً وصحفياً وأديباً. فلولا أن محمد عمر توسط في تعييني مديراً لجريدة «البلاد» لما كنت بينكم الآن الكاتب، فكأنما أنا ومحمد عمر تقايضنا أن يحسن كل منا إلى الآخر. محمد عمر رجل استقامة لهذا أثني عليه. فهو صاحب الفضل عليَّ، تفضلت عليه مرة واحدة، وتفضَّل عليَّ بالكثير. وعزيز ضياء قد يبخسني حقي في المواجهة. عندما كان رجلاً يعبأ بالسلوك وأنا رجلاً غير مسلوك، لكني في الغيبة أحمد للأستاذ عزيز أنه يحفظ لي حقي.

كلام الأستاذ عزيز:

(أنا أحفظ غيبة كل إنسان. لا أسمح لنفسي بأن أغتاب إنساناً، حتى ولو كنت أعرف مساوئه كلها).

محمد زيدان:

أنا لم أكن موسوعة الناس كلهم في معاملتك، وإنما أتحدّث عن إنسان سَمَّاك وهو أنا. عزيز ضياء بكاء أقول أم أسكت.

الأستاذ عزيز:

بل قل فأنا معروف بأني بكاء.

يواصل الأستاذ زيدان حديثه، فيقول:

عزيز بكاء، لا يطيق أن تضام الأنثى. يقدس الأمومة بجميع أنواع التقديس، ولعلّي على أثره في ذلك التقديس لشيئين: **أولاً**: لأنه هو تربية الأم، ولأني أنا فقيد الأم، **ثانياً**: أمه عظيمة أعرفها تزورنا في بيتنا.

عزيز ضياء كان عشيراً لطالب في المدرسة صديقاً له، لا يمشي إلاّ معه، ولا يأتي إلاّ معه، اسمه كمال اليافي ولد عبد المجيد اليافي، كان أبوه صيدلياً وكان زوج أم عزيز كبير الصيادلة، والصداقة امتدت من هنا. وكان كمال حرياً بأن يكون صديقاً لعزيز، وعزيز أحرى بأن يكون صديقاً لكمال. ويظهر أن الأدب، أو قراءة الأدب، أو حفظ الشعر قد نما من تلك النبتة التي نبتت في عواطفه. لعلّكم لا تعرفون عبد المجيد اليافي فقد كان صيدلياً في جدة، تزوج ابنته نجيب صالحة.

تلك الأيام خلت، وما أحسن أن نتذكرها، أما كلام الأستاذ عزيز عن الوظيفة، فأنا أؤيده في ذلك، فقد كنت من قبله أرى أن أسوأ أيام حياتي عندما كنت موظفاً، وأسعد أيام حياتي، حين كنت معلم الصبيان. ولعلّي سعيد أن أكون بينكم أتكلم وأتحدث.

ويختم الأمسية الأستاذ عزيز ضياء، بقوله مخاطباً الأستاذ حسين زيدان:

وأختم بالرضا عملك.

فيرد الأستاذ زيدان بقوله:

والحمد لله، قوموا للعشاء.

حفل تكريم الأستاذ حسين باشا سراج(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، حين دعيت أن أعلق على تكريم هذا التكريم وجدتني متهماً أني أعطي للأخ حسين سراج ما يحمله هذا الاتهام لأن بيني وبينه صداقة متينة، ولأن بيني وبينه سراً، ولأن بيني وبينه علماً فهماً. كلما اجتمعت به كان أستاذاً لي وكنت تلميذاً له.

ولا خير في التلميذ أو لا خير في الأستاذ إذا لم يكن تلميذاً. حسين سراج أرستقراطي. أبوه رئيس وزراء، وجدّه إمام في العلم، وجده الثاني كذلك. ولقد ذكر في سياق حديثه أن السادة الأمراء كانوا يقبّلون أيديهم أدباً منهم.

هذا الأرستقراطي أحب أن يكون ديمقراطياً في شعره، يقول إنه تعلّم الشعر في المجالس لكنه نسي أن يذكّرنا بالمجالس التي كان فؤاد الخطيب سيداً فيها. فهو إن لم يتتلمذ على فؤاد الخطيب بالتلقي، فإنه تتلمذ على فؤاد الخطيب بالسمع، فله معاشرتان مع فؤاد الخطيب في مكة وفي عمان.

إن ديوان فؤاد الخطيب الذي نشر له لم يذكر مع الأسف شعره الغزلي وشعره النظيف المحبَّب إلى أهل مكة، وأعتقد أن الأخ حسين سراج باشا

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٦/٧هـ ـ الموافق ١٩٨٣/٣/٢١م.

قد نسيه أو تناساه، أو لا يحب أن يذكره، كما أن الصديق أحمد موصلي ـ أمدَّ الله في عمره ـ يعرف هذا الشعر، ولكنه ضنين به.

كان فؤاد الخطيب معلماً ولم يمارس التعليم حين كان محرراً في «أم القرى» ومكة كانت في ذلك العهد مناط الغزل، ومناط الحب، كذلك بيروت السروق أنا أطلقت على بيروت اسم المدينة السروق. لأنها سرقت حبي لشيء وجعلتني أحبها بعض الشيء أي بعض الوقت. كنت قادماً من هنولولو إلى جدة عن طريق اليابان، وفي اليابان ذهبت أركب من المطار إلى جدة، إلى أهلي، ولكني عندما شممت رائحة الأرز وعندما لثمت تربة لبنان أقال الله عثرتها، ونكب الله من نكبها من عربي أو يهودي، فالعربي نكبها واليهودي ما نكبها إلا حين نكبها العربي. فتركت السفر إلى بلدي ورجعت أعيش في بيروت أياماً، سميت بيروت سروقاً، هذه السروق سرقت حسين باشا سراج من الأرستقراطية ومن التعاظم إلى أن صار بلدياً ديمقراطياً، يتعلم العلم للعلم، ويقول الشعر للشعر.

فبيروت أيضاً كانت ميداناً ليتعلم فيها، ثم عندما جاء إلى عمان كان بلاط الأمير عبد الله بن الحسين، أو الملك عبد الله بعد ذلك بلاط شعراء: فؤاد الخطيب، خير الدين الزركلي، الأمير عبد الله نفسه، عبد المنعم الرفاعي، الشريقي، حسين سراج وغيرهم، والأمير عبد الله شاعر، ومن يعرف الخنجرية يعرف شعر الملك عبد الله الحسين.

فهذه البيئات جعلت حسين سراج شاعراً ديمقراطياً فيما دفع الأرستقراطي فيما نظم وفيما قال، لأن الشعر عندما يعظم ويصبح آخاذاً في الأذن، أخاذاً للوجدان، يصل إلى مقام الأرستقراطي الكبير، وأظن أن الدكتور عز الدين لا يخالفني في ذلك إذا ما سرنا مع ابن رشيق.

هذا الأستاذ حسين سراج أكبر غشاش بالنسبة لي، فكثيراً ما عاشرته، وكثيراً ما سهر عندي، ولكنه قد كتم عني الكثير مما قال. فأنا أعتبره قد غشَّني. وإن غشاني الآن بكل ما أتحف. لقد ترك لقب باشا وما جاء ليأكل البغاشا هنا، وإنما جاء ليلثم تراب وطنه، ليلثم تراب مكة، فمكة في وجدانه لها حنين، ولا أنسى شهاراً، فشهار أرض السراجيين لا زالت حباً لحسين باشا سراج ـ أمدّ الله في عمره وأبقاه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ أحمد عبيد(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، أعذروني فقد أثقلت عليكم حين ألزمت نفسي بالحديث عن كل محتفى به. وهذا لم يفرض عليَّ، ولكن أنا فرضته على نفسي. قد لا أعود إلى ذلك مرات أخرى، ولكن الأستاذ أحمد عبيد فرض عليَّ بما أكنه له من الحب والاحترام أن أتكلم عن بعض ما فاته.

السيد أحمد عبيد ابن أمه، نشأ يتيماً فأمه سيدة فاضلة كريمة، فقد نشأ يتيم الأب.... وهي التي نشأته. فالأم الكاملة الكريمة حينما تحتضن ولدها تنشئه هذه النشأة.

أذكر من الذين أنشأتهم أمهاتهم السيد عبيد مدني أيضاً. فنشأ الرجلان في تمام الرجولة تحثهم أمهاتهم على التحصيل والعلم.

السيد أحمد عبيد ما كنت أظن أنه ولد سنة ١٣٣٠ لأنني كنت أظن أني أكبره بكثير فأنا ولدت سنة ١٣٢٥هـ.

ولأني كنت رجلاً وأستاذاً في المدرسة وأحمد عبيد طفل لكنه كان طفلاً ناجحاً كريماً نظيف العرض أقولها بكل فخار لي وله. اتصل بالكتّاب واتصل بالشيخ عبد القادر شلبي، واتصاله بالشيخ عبد القادر شلبي جعلني

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٦/١٤هـ الموافق ١٩٨٣/٣/٢٨م

أنا أتصل به أكثر لأنني كنت خادماً في بيت عبد القادر شلبي.

والدي ـ رحمه الله ـ قال: دعني لا أكسب من ورائك ريالاً، ولكن أريدك أن تطلب العلم.

فدفعني إلى الشيخ عبد القادر شلبي وكنا عندما خرج من عمادة المعارف في أول الأمر قد أسَّسنا مدرسة ذات فصلين: فصل يدرس به الشيخ عبد القادر شلبي، وفصل أدرس به الحساب والجغرافيا وما إلى ذلك.

وكان أحمد عبيد تلميذاً، وكان للشيخ عبد القادر علاقة وتربية خاصة بأحمد عبيد، كما أضفى تربيته الخاصة على السيد الكريم الفاضل الجليل السيد أحمد العربي أمد الله في عمره.

الكثير منكم لا يدري كيف التحق أحمد عبيد بمدرسة اللاسلكي، فلعلّي كنت أحد أسباب التحاقه به لم أغره، ولم أطلب منه الالتحاق. ولكن جاء إلى المدينة السيد إبراهيم زارع يريد أن يأخذ طلبة من المدينة. للالتحاق بمدرسة اللاسلكي. ولكن لماذا اختار المدينة بالذات لينتقي منها طلبة مدرسته؟

لسبب واحد هو أن الأمية منذ عام ١٣١٨هـ قل وجودها بالمدينة، بل انمحت الأمية منها، وتعتبر المدينة المنورة البلدة الوحيدة التي لم يسيطر عليها حكم الأشراف، وإنما كانت السيطرة فيها بعد جلاء محمد علي للحكومة العثمانية. ولقد فتحت الحكومة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد المدرسة الإعدادية التي تخرج منها أفواج من الطلبة متزودين بالعلم وبالمعرفة.

كما أسسوا داراً للمعلمين تخرَّج منها أفواج، أسسوا ثماني عشرة مدرسة ابتدائية، بالإضافة إلى أن في المدينة وقتئذ أكثر من خمسة عشر كتَّاباً، ولقد ذكر السيد أحمد عبيد أنه تعلم في كتاب العريف بن سالم،

ولعلّه يذكر أن كتاب العريف بن سالم وبجانبه كتاتيب أيضاً.

هذه الكتاتيب وهذه المدارس قد محت الأمية في الجيل الذي قبلي والجيل الذي قبله إلى الأجيال الآتية.

والمدينة كانت تعيش في شظفٍ، فأبناؤها كانوا يطلبون العمل، فلما جاء إبراهيم سلسلة وإبراهيم زارع آخذاً من شباب المدينة أحمد عبيد، صالح طه، محمد نيازي وغيرهم إلى مدرسة جدة، وذلك أن هذا الشباب في المدينة قد حمل عبئاً كبيراً في الدولة ولا أقول عن الدولة.

فمدرسة اللاسلكي، ومدرسة الدفاع، ومشروع الخرج، ومشروع السكة الحديدية، كان أكثر العاملين بها هم من أبناء المدينة لأنهم يعرفون القراءة والكتابة. لا أقول هذا فاخراً ولا شاكراً وإنما التاريخ يحكم.

قد توجد في مكة مكتبة الشيخ ماجد الكردي مثلاً لنفوذه ولكن في المدينة مكتبات عدة:

فهناك مكتبة الشيخ عارف حكمت، ومكتبة السلطان محمود، ومكتبات أخرى. ذلك لأن المجال اتَّسع لأهل المدينة خصوصاً بعد وصول السكة الحديدية أن ينتشر فيها التعليم وأن يتخرج منها الروّاد أمثال أحمد عبيد وغيره.

التحق بمدرسة اللاسلكي وتخرج منها وعمل بإدارة اللاسلكي حتى أصبح مديراً لها، ولكنه نسي أو لعلّه تعمد النسيان أن يذكر فترة عمله مديراً لمالية الظفير، ولعلّه تعمَّد أن ينساها لأنه كان خلالها جريئاً، لا يخضع لأحد ولم يخضعه أحد، وإني لأذكر له مجلة «الصرخة»، فقد كان أول من فتح لي الطريق في أن أعرف عن حضارة مصر، وأنها حضارة ليست الوحيدة، وليست الفريدة، وإن بقي عمرانها، وإن بقيت في التاريخ شامخة، حينما نشر

صورة لما يشبه الفراعنة من أهل اليمن، ولقد قلت في سيمنار عين شمس أن الآباء الذين نحتوا الجبل في حجر ثمود (مدائن صالح) هم آباء وإخوان الذين بنوا جبل الأهرامات في مصر، فالحضارة متحدة.

وإني لأعجب من سيِّد كريم المهندس العظيم أن يقول: إن حضارة مصر قد عبرت إلى مصر كاملة من المكسيك.

سألته: كيف وصلت من المكسيك؟ هل حينما كانت قارة الأطلانتيك؟ وهل عبرت شمال إفريقيا ولم يبق لها أثر في شمال إفريقيا؟

إن حضارة مصر ممتدة فرعونية من الفراعين. والفراعين والكنعانيون والفينيقيون قد رحلوا من قرية بون في اليمن، وعرفنا قرية بون في اليمن من خبر من إذاعة القاهرة يوم جلت جيوش مصر بعد مؤتمر الخرطوم.

قال المذيع: لقد رحل الجيش المصري من صنعاء إلى الحديدة عبر بون.

فقد استفدت من جريدة «الصرخة» هذه الملاحظات التي تجعل الحضارة العربية وحدة. وقد تعجبون من احتفال القرآن الكريم بذلك: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ (الفجر: ٧)، ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ (الفجر: ٩)، و﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ (الكهف: ٨٣)، ويخطئ كثير حين يزعمون أن ذا القرنين هو الإسكندر المقدوني والحقيقة أنه المصعب بن الحارث اليماني.

ذكر ذلك المقريزي، وذكر ذلك أكثر من مؤرخ وآخر من ذكره أستاذنا معروف الدواليبي.

أذكر هذا الفضل لأحمد عبيد. جعلني أتبع ذلك وأقرأ كثيراً عن حضارة مصر. عمرها الله. إنها كنانة الله في أرضه... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ الشاعر محمود عارف(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، أسرعت من الرياض لأحضر تكريم الأخ محمود عارف، لأنه يستحق التكريم، لا لأنه شاعر، ولا لأنه ناثر، ولكن لأنه أخلاق، كان مخضرماً بين متخاصمين في الشعر، بين العوّاد وبين حمزة شحاته، كان العوّاد من جدة أصلاً وفرعاً، ولكنه كان يرى نفسه لا ينتمي إلى جدة كل الانتماء، لأنه حلَّق بعيداً، وكان له طموح أكثر من أن يكون جداوياً كما يقولون، وحمزة شحاته مكي أراد أن يكون بالقسر جداوياً. أما محمود عارف فهو جداوي أصالة، فيه من أخلاق جدة ما جعلني أقول أنه أخلاق، لأن في جدة بعض طبقات قد استكبرت، وبعض طبقات قد عرفت معنى ترابها فزانته بأخلاقها، لا أريد أن أذكر أسماء، ولا أريد أن أذكر أحداً، وإنما أريد أن أقول إن محمود عارف عرف موطنه، وانتسب إليه، وعمل بسلوكه وأخلاقه، كأنه تاجر من التجار القدامى، يقنع بالكيس الفارغ، لا يغالي في الربح ولا يغالي بما لديه، إنما هو مطمئن إلى سلوكه، يأتينا بالشيء في دعة وسمو سلوك، وسمو أخلاق، محمود عارف كان يمكن أن يمتطي الكبرياء، ولكن الكبرياء بعيدة عن رجل يرى لإخوانه حقاً من التواضع معهم، وحقاً من الألفة بهم. من هنا أحترم محمود

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٠) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٦/٢١هـ الموافق ١٩٨٣/٤/٤م.

عارف، من هنا أسرعت من الرياض وأنا في هذه السن آتياً، لأصل قبل المغرب إلى هنا، أقسم أنه ما أتى بي إلاّ أن أحضر تكريم محمود عارف، وأنا كنت بعيد الصلة به، ولكني قوي الوصل له، كما قلت: إنه مواطن يعرف قدر وطنه، لا يستكبر ولا يتصنَّع، فهو في الناس الوسط، أشكر الأستاذ محمود عارف.

أما هذا التونسي الشاعر، فلي كلام عنه، أولاً: إن هؤلاء المغاربة، قلت أكثر من مرة: يحبون هذه الأرض وأنسابها، لهم فضل الحفاظ على تراثها، نزل القرآن في الحجاز، وحُفِظ في المغرب، وكُتِب في أسطنبول، وقرئ في مصر، هؤلاء المغاربة حافظوا على اثنين لم نحافظ عليهما نحن، وهما من حقنا وهما لنا، حافظوا على مذهب مالك، مذهب أهل المدينة، فهم مالكيّون، وحافظوا على قراءة أهل المدينة قراءة نافع مولى ابن أبي نعيم، أي وفاء أكثر من هذا؟ هم الذين حفظوا الدين، وحفظوا القرآن يوم دك التتار المشرق، ويوم ذهبت بغداد، وذهبت الكوفة والبصرة. من عمَّر مصر بالأزهر؟ إنهم المغاربة، فالأزهر بناء مغربي، بناه جوهر الصقلي، بناه المُعز الفاطمي المغربي، ومصر ما عقت المغرب، جعلت السيد البدوي المغربي سيد أوليائها، وعبد السلام المرسي سيد أوليائها، وأبا الحسن الشاذلي سيد أوليائها، وعبد الرحيم القناوي سيد أوليائها وهم مغاربة، وبالأمس الخضر حسين شيخ أزهرها، هذا وفاء لا أراه إلاَّ غرب السويس، أما شرق السويس فدعوني أسكت، ألم تسمعوا هذه القصيدة التي يعارض بها دوقلة المنبجي أو دعبل الخزاعي؟ لقد حقق أستاذنا عبد العزيز الميمني الراجكوتي الهندي، وهو من أكابر العلماء، حققها ونسبها لدوقلة. وما علينا أن تنسب لدوقلة أو لغيره ولكنها منسوبة لشعرنا العربي.

هل بالطلول لسائل رد أم هل لها بتكلم عهد

والتي جاء فيها هذا البيت والذي لمسنا إيحاءه في قصيدة هذا الشاعر التونسي:

إن تُـتْـهـمـي فـتـهـامـة وطـنـي أو تُـنْـجـدي يـكـن الـهـوى نـجـدْ

لكني أريد أن آتي بالبيت التالي:

ضـدان لـمـا اسـتـجـمـعـا حَـسُـنـا والـضـد يـظـهـر حـسـنـه الـضـد

لقد عارض الأستاذ صمود القصيدة أحسن معارضة، وذلك لأنه ينتج من فؤاد محب لهذه الأرض، لنَجْدِها، تهائمها، سرَاتها، حجازها، مكّتها، مدينتها، هذه التي يكاد يضيع فيها الحب، ويكاد يضيع لها الحب، من أمتها العربية، ما من بلد أعطى ولم يأخذ، إلاَّ هذا البلد، وهذا من عطاء هذا البلد، إنهم يفخرون وإن حملوا على بني هلال لأنهم خربوا القرطاج، إنهم هم من بني هلال، هم والجزائر، عزوتهم إلى الآن عزوة شباب حرب وعتيبة، أي أبناء بلدكم وقبائلكم، أليس كذلك، هل أكذب أم أصدق؟

عندما قدِم طاهر زمخشري قلت له: لا يذكركم بأنه شاعر، وإنما يذكركم بزرياب، عندما ذهب من الأندلس صيت زرياب احتضنته تونس. أستاذنا ابن خلدون محمد عبد القادر التونسي الكيلاني، يقول: إن تونس هي التي احتضنت حضارة الأندلس، وما أحلى تونس، وهي تونس بلا شك، هذا الشعر المجيد أجاد الشاعر، فأطربنا، ولكن ليس ذلك غريباً على إنسان نشأ لحب هذه الأرض وإنسانها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حفل تكريم الأستاذ أحمد بن محمد رشيد العربي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

تركت كلمة المظهر للأستاذ حسين نجار وللمحتفي عبد المقصود خوجه ولا بد لي أن أقول كلمة المخبر. كلمة المخبر هي التي تعطي جوانب النشأة جوانب الكرامة، جوانب الخلق للسيد الشريف أحمد العربي. لم أعرفه طفلاً وإنما عرفته فتىً تزاملنا في الدراسة، فقد كان ينتظم في فصل يتقدمنا وهو بحمد الله أكبر مني بعدد من السنوات، وربما تقل عن السنتين. السيد أحمد العربي مظهره غير مخبره، فمخبره يحمل هموماً عُلْوية وهموماً عَلويَّة. فالهموم العُلوية جعلته يتفوَّق بالتعلُّم، جعلته يتفوَّق بالعطاء، والهموم العَلوية جعلته لا يتجافى مع نسبه العلوي. أنتم لا تعرفون قرباه للأسرة المالكة في المغرب أسرة الحسن الثاني. فأنا أعرف ذلك عندما جاء السلطان عبد الحفيظ إلى المدينة المنوَّرة بعد أن استقال عن العرش كان رفيقاً لمولاي العربي، فإذا ما خاطب مولاي العربي السلطان عبد الحفيظ قال له: مولاي عبد الحفيظ، وإذا خاطبه السلطان عبد الحفيظ قال له: مولاي العربي. كل منهما يلقّب أخاه بالمولى، لأنهما ذوا نسب واحد، هو

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١١) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٦/٢٨هـ الموافق ١٩٨٣/٤/١١م.

عياشي، جذوره تنتمي إلى الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي مات وقبره لا يزال في ينبع النخل. جده بعد الحسن المثنى عبد الله الطاهر. الذي خلَّف أربعة من الأبناء كل منهم كان طعام السيف. فالنفس الزكية الذي قتله المنصور بعد أن بايعه. فالمنصور في المدينة قد بايع النفس الزكية يوم كان إبراهيم الإمام في الحميمة. وإبراهيم قد ثار في الكوفة وكاد ينتصر فقتله المنصور، ويحيى بن عبد الله سجنه الرشيد في مخزن من المِلح لعلّ نكبة البرامكة كانت بسببه. وإدريس قد رحل إلى المغرب فتزوَّج البربرية وجاء بابنه إدريس. وإدريس ليس جداً للسيد أحمد العربي، فأنا أحسب أن جده إبراهيم، هذا النسب العالي حافظ عليه السيد أحمد العربي كل المحافظة. لا أعرفه إلاَّ أنه نظيف كل النظافة في عرضه وفي كرامته، وله منَّة عليَّ، فحينما هجاني بعضهم:

أيا زيدان عيناك أزعجتني من الأقذار والنظر الشئيم

فقد كنت أرمد يومها. كان السيد أحمد العربي أحد ثلاثة دافعوا عني بالشعر، هم: السيد أحمد العربي، وأمين الشنقيطي، سفير الأردن السابق، أبوه الخضر بن ميابة الجكني، العلامة الكبير، والدكتور حمزة الشلبي، ابن الشيخ عبد القادر الشلبي، أحفظ لهم ذلك كما أحفظ لهذا الشعر أنه أول من جعلني أشْهر، فقد دفع محمد سعيد أبو ناصف ريالاً مجيدياً لمن يأتيه بهذه القصيدة، فقابلته في دار الضيافة وقلت له: أتريد هذه القصيدة؟ خذها. قال: ما معي الريال. قلت أهديها لك لتعطيني إياه، وفعلت.

السيد أحمد العربي لا أريد أن أذكر أستاذيته في المعهد، ولا أريد أن أذكر طلبه للعلم، وإنما اذكر شيئاً واحداً هو طلبه بالأزهر. وانتسابه لدار العلوم، كأنما أرى الأزهر ودار العلوم واحداً.

لكن أزعم وأنا صادق في الزعم أنَّ تأثير دار العلوم بعلي الجارم وأمثاله كان أكبر من تأثير الأزهر. ولا أريد أن أتجنّى على عمر أبي ريشة، فأبو ريشة خير من يُلقي الشعر، وأحمد العربي خير من ألقى الشعر عندنا، ستسمعون نغمات كأنها نغمات عمر أبي ريشة، عندما تسمعون أحمد العربي. لا أكثر وأنا تَعِبٌ جداً، ولولا معزة أحمد العربي لما حضرت وقد كتبت عنه في كتابي الذي صدر في الأشياخ، كما كتبت عن بعض العلماء، فهو يستحق التكريم لأنه من العلماء.

ولكن دعوني أذكر شيئاً واحداً: بالأمس كان السيد عثمان حافظ هنا وهو صديقه الحميم، فما لي لا أراه الآن؟ لعلّه مشغول بمرضه، أو لعلّه اعتذر. أنا لم أذكر ذلك لألوم عثمان، وإنما لأوضح المعذرة، ولأوضح أنه لن يتأخر عن السيد أحمد العربي. ولكن لا أعذر تلامذته في تحضير البعثات أين هم الآن؟ أين الوفاء؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي(*)

فيطلب الأستاذ محمد حسين زيدان الكلمة بعد أن فرغ الأستاذ طاهر زمخشري من كلمته، فيعطاها، فيقول مهندس الكلمة «وهو اللقب الذي أطلقه الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين على الأستاذ محمد حسين زيدان» مفتتحاً حديثه:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبَعد أنْ أوفى فؤاد طاهر الزمخشري بما قصه وبما أثنى، كأنما يحجزني أن أتكلم، لا يحبسني كحابس الفيل، وإنما يحبسني إعجاباً بهذه الشيخوخة التي وصل إليها طاهر الزمخشري، يذكر هذه الذكريات لا ليطري أو يثني، وإنما ليغري الآخرين، كي يكونوا مثل الأولين.

عبد العزيز الرفاعي من جيل أسرع بعض إخوانه بسرعة فائقة ليلحقوا فلحقوا، ولكن الرفاعي ارتفع عن السرعة، فإذا هو يرتفع بالهوينى كأنما هو لا يشعرك بأنه الفوق، وإنما يأخذ منك، لترغم على أنه الفوق، لا يملي إرادته على أحد، إنما يملي ما يفعله على كل أحد فينا، ذلك أنه صاحب خلق. مسيرة الهوينى كأنما هو قلَّد فيها طبيعة هذا الكون، القانون الطبيعي، كل حي أو كل نبات ينمو بسرعة ينتهي بسرعة، لهذا نما الرفاعي ببطء،

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٢) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٧/٥هـ الموافق ١٩٨٣/٤/١٨م.

بالهوينى، فبقي في حياته الزاخرة بعطائه حياً بيننا نكرمه ونحن في منزلة آبائه، نحن نعرفه طفلاً، فإذا نحن الآباء نعتز بهذا الابن، فإذا هو أب مثلنا لا أعني أبوة أطفال، إنما أعني أبوة العطاء الذي أعطاه.

بالهوينى ارتفع أن يخاصمه أحد، وبالهويني ارتفع أن يكون صديق كل إنسان، أنا ما سمعت أحداً من لداته أو من الأولين قبله قد كره عبد العزيز الرفاعي، بل الكل أحبه لأنه يأتيك كأنما يسرقك من نفسك بما يعطيك من أدب جم وخلق كريم.

أنا لا أهنِّئ عبد العزيز الرفاعي بذلك فقد هنَّاه الله بما أعطاه، وإنما أهنِّئ أنفسنا بأن يكون الرفاعي مثلاً للشباب، لا يقفزون بسرعة، وإنما يتسابقون بالهوينى، بالعطاء برحابة الصدر، وبترك البغضاء بالحب.

هذا طاهر زمخشري، لولا الحب لما ذكر محمد سعيد طيب، وأنا لولا الحب لما ذكرت عبد العزيز الرفاعي، ولا أريد أن أمنَّ على محمد سعيد طيب بأني أذكره، فهو شحيح بأن يتقبَّل المن، وإن كان هو من الشاكرين لكل من له منّة عليه.

أهنِّئ أنفسنا بعبد العزيز الرفاعي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حفل تكريم الأستاذ عمر أبو ريشة(*)

ثم أعطيت الكلمة للأستاذ الأديب الكبير، صاحب العبارة المشرقة الواضحة محمد حسين زيدان، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، بعامل الحب لعمر أبي ريشة نغتفر للأستاذ عبد المقصود هذه المفاجأة التي حجزتنا أن نعدّ كلمات، فقد عودنا الأستاذ أبو تراب أن يُعدَّ قصيدة. ولو علم بأن المحتفى به هذه الليلة هو عمر أبو ريشة لأعدَّ قصيدة، ولأعدَّ آخرون كلمات. ولكني أعذر الأستاذ عبد المقصود، وأشكر الأستاذ عمر أبا ريشة على هذا القبول بصدر رحب. الشفيع فيه الحب، والشفيع فيه هذه المسرة التي أنارت وجوهنا، المحتفى به عمر أبو ريشة أخضع السياسة للشعر، ولم يخضع الشعر للسياسة، فالموهبة عنده أن يحترف الشعر، وأن يغترف من ديوان العرب الذي هو الشعر كل جميل تزين به، وزين لغته بشعره. عمر أبو ريشة كتب عليه الاحتراف أن يكون سياسياً سفيراً، ولكن الموهبة دعته أن يكون أحد السفراء الكبار الذين هم في صف فؤاد الخطيب، بدوي الجبل، شوقي، حافظ ومطران. هذه المدرسة القديمة لا زال عمر أبو ريشة هو الجديد فيها الآن وما أقلّ الجديد الآن، أعني الجديد المحافظ على هذا القديم محافظة عمر أبي ريشة. اسمعوه وهو يلقي الشعر. كان إلقاؤه شعراً

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٣) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٧/١٢هـ الموافق ١٩٨٣/٤/٢٥م.

على الشعر، وفناً على الفن، لا تحسبوه قليل الأحزان فهو من الرجال الذين يكبرون بالحزن، فالحزن صفة الرجال الكبار. من شمائله ﷺ أنه كان متواصل الأحزان، كان ضحكه التبسم، فلو ابتسم عمر أبو ريشة لكانت تلك البسمة بيتاً من الشعر يرفِّه به عن حزنه على واقع أمته العربية. لا أريد أن أطيل، وإنما أريد أن أتطرَّى هذه المفاجأة، أرفِّه عنكم قليلاً، وأرفِّه عنه قليلاً لعلَّه يسمعنا، لعلَّه يطربنا. فعمر أبو ريشة هو بقية الناس. أتعرفون من بقية الناس؟ وفيمن قيلت أول مرة؟ لقد قالها الوليد بن عبد الملك لسيدنا سعيد بن المُسَيِّب. وأنا لا أسيِّبُ سعيداً، ولا أقول ابن المسيِّبِ لأنه ـ رضي الله عنه ـ وأرضاه كان يقول: سيَّبَ الله من سيَّب اسم والدي.

عندما زار الوليد بن عبد الملك المدينة، ودخل المسجد رأى سعيد بن المسيب محتبياً بحبوته، فما أطلق حبوته، ولا هش وبش للوليد فاكفهر أعوان الوليد، ولكن الوليد كان رضي الخلق، كسرته النخوة في الشيخ المسلم الإمام سعيد أن يقول: دعوه هذا بقية الناس.

أنا أستعير هذه الكلمة لمن أعرف أنَّه بقية الناس، وعمر أبو ريشة بقية الناس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ طارق عبد الحكيم(*)

تعطى الكلمة لمهندسها الأستاذ محمد حسين زيدان، فيقول:

بسم الله الرحمن الرحيم، إن تكريم طارق عبد الحكيم ليس هو تكريم الموسيقى فحسب وإنما هو التكريم للصبر والمصابرة، تكريم الرجل الذي كان يعيش الأمن الخائف، تكريم هذا الشاب الذي لم يأتِ من فراغ، فهو لم يخلق الموسيقى في هذا البلد، فالبلد بلد الموسيقى. أحل الحجازيون الموسيقى، وأحل العراقيون النبيذ فقد امتد له عرق في مرج، وامتد له عرق في العقيق، وإن لم يؤثر عليه عرق في العراق، هو ظالم وهو مظلوم، هو ظالم إذا ادَّعى أنه خلق.

ولكنه لموهبته قد تخلَّق بهذا الخلق الموسيقى أعني هذا الفن من هذا البلد لعلّكم لا تعرفون أن في مصر التي استحوذت على الموسيقى العربية من عهد سلامة حجازي كانت المدينة ومكة تعجُّ بصنَّاع الموسيقى الذين تأثروا بالسلم التركي.

فما من شاب نشأ في المدينة في هذا القرن كله إلاَّ ويعرف الأنغام ويغنيها... أعرف كامل توفيق شيخاً جليلاً وإماماً في المسجد وأسعد توفيق والبناني... كان البناني أبا الموسيقيين في المدينة، كانت المدينة تتأثر

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٤) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٣/٧/١٩هـ الموافق ١٩٨٣/٥/٢م.

بالعنصر التركي فهناك «العود»، وهناك «الكمنجة»، حتى أن البيوت الكبيرة لا تخلو صالوناتها من العود والقيثارة والكمنجة. إذاً، فهذا البلد عريق بالموسيقى، ولكن ميزة طارق أنه اقتحم الأمن الخائف، فأعطى هذا التأثير للفن الجديد في حياتنا، من ظلمه لنا أنه تحمّل هذا الخوف حتى أصبح يحرف بعض الشعر... فعندما غنّى مثلاً البيت التالي:

واذكروا صبًّا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

أبدل عجزه بكلمات من عنده، فغنّاه هكذا:

واذكروا صبًّا إذا غنّى بكم ذاب وجداً وتمنى الفرحا

ذلك لم يكن بدعة منه ولا ظلماً منه، وإنما هو تحمّل الظلم بدَوَاعي تكره ذكرى القدح وما أدراك ما القدح... وهكذا أصبح طارق ظالماً ومظلوماً؛ ظالماً لنفسه لأنه تحمل هذا العبء، صحيح أنَّ وراءه كانت تقف حماية الأمير منصور بن عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ له. لكن هذه الحماية ما كانت تكفي أن تحميه من أن يهان في الشارع مثلاً ولكنه تحمل كل ذلك. تحمل عبء الفن للفن فأعطانا الفن وأعطاه هذا البلد الكريم كل التكريم فليس ما أخذه طارق الآن من وظائف، أو من جوائز، إلا من عطاء هذا البلد الكريم.... لقد أخرجنا طارق عبد الحكيم بالعود والكمنجة ومعهد الموسيقى من موسيقى الأطفال، بالصبر وبالظلم الذي اختاره وبالظلم الذي تحمل، وصنع لنفسه ولنا ما صنع... فنهنئه ونهنىء أنفسنا والسلام عليكم ورحمة الله....

حفل تكريم السيد الأستاذ حسن كتبي(*)

بعد أن استمع الحضور إلى كلمة المحتفى به التي ألقاها نيابة عنه الأستاذ حسين نجار تحدث الأستاذ محمد حسين زيدان فقال:

وجدتني أستحي أن أقول كلمة عن السيد حسن محمد مكتبي، ذلك لأني ألزمت نفسي أن أقول كلمة عن الذين احتفل بهم الأخ عبد المقصود ولعل السيد جدير بأن أستحي منه، وجدير بأن أكرمه بكلمات بسيطة تعليقاً، وقد يكون فيها بعض التذكير بشيء من مناقبه ومن أعماله.

للسيد حسن مخبر ومظهر: المظهر فيه شيء يتصوره المقبل عليه أنها جفوة، ولكن المخبر عند الذين عرفوه وعاشروه لا يجدون إلا الصفوة، ذلك أن أكثرنا لا يعرفه، بينما هو يعرف أكثرنا لأنه ابن التراب المقدس مكة المكرمة، وأعني بهذا التراب المقدس الأرض العربية كلها وعلى الأخص هذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية». فالذين يشعرون بحب التراب لا تجدهم إلا أوفياء لهذا التراب، والكتبي من أوفى الناس لهذا التراب.

قال لي مرة محمد سرور الصبان يرحمه الله: إن السيد حسن كتبي قابل أيوب خان كأنما كان يشعرني بشيء من المنافسة، أو بشيء من المن عليه

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٥) الجزء الأول ـ بتاريخ ١٤٠٤/٢/٣هـ الموافق ١٩٨٣/١١/٧م

أو بما غير ذلك. قلت له: لقد قابلت أنا زاكر حسين، ولكن المسألة ليس الفخر أن يقابل الإنسان رئيس جمهورية، وإنما الفخر أن يجعل رئيس الجمهورية عاملاً للغاية التي ذهب إليها. أنا لم أستطع أن أحدد موقف زاكر حسين رئيس جمهورية الهند؛ فذلك لأنه مقيد بإمرة الألمان أو بما هو واقع حتى حين قال لي: إنا نريد الهند أن يكون لا حاكم ولا محكوم، قلت: ذلك مستحيل في بلد فيها أكثر من طائفة، وأكثر من لغة، وأكثر من تنازع، وإنما سدد الله خطاك. لكن حسن كتبي عندما اجتمع بأيوب خان ما قال لكم، ولقد جاء الأكثر من ذلك، لقد تكلم كثيراً عن هذا البلد عن الإسلام عرفت ذلك منه وعرفت ذلك من محمد سرور الصبان؛ فالسيد حسن حتى يستميل رئيس جمهورية كوريا؛ ليس تعنيه المقابلة الشخصية، وإنما تعنيه الفعالية الشخصية لنترك ذلك، ولنترك حسن كتبي الوزير والمجاهد ولنأت لحسن كتبي الأديب، كان الأدب قد قبل حسن كتبي عظامياً نعرفه في المدينة بعد جيل برادة وإبراهيم أسكوبي وأنور عشقي وغيرهم.

ثم يأتي الدور الذي تمثل فيه الأدب العظامي في السيد عبيد مدني الذي أسميه بقية الناس إلى الآن يرحمه الله، والسيد حسن كتبي، وأمثالهما من الذين ينتسبون إلى أسر جبت عنهم أن يقال عنهم أدباء، فكانوا عظاميين نشروا وأثبتوا العظامية لهذا الأدب. ولا تتصوروا أني حذفت حمزة شحاتة من العظامية؛ حمزة شحاتة كان عصامياً إذ أصبح أديباً ولكنه صار عظامياً إذ أصبح شاعراً وأديباً كبيراً، فعصاميته أتت له بالعظامية.

أما السيد حسن كتبي وعبيد مدني وأضيف إليهما السيد علي حافظ وعبد الوهاب آشي فكانت لهم العظامية، واستحالت إلى عصامية، فالعصامية أو العظامية قد تزاوجتا في السيد حسن كتبي.

تاريخ السيد حسن كتبي تاريخ ليس طويلاً وإنما هو عريض لا أريد أن أستعرضه، وإن كنت أعرف الكثير، لكن أعقب عليه بشيء واحد، قال حفظه الله: إن أول بعثة من الحجاز كانت من الفلاح كانت سنة ١٣٤٨هـ. أنا معه إن أول بعثة كانت من مدرسة الفلاح، ولكني لست معه في أن بعثته كانت أول بعثة طلابية أرسلت من الحجاز فقد سبقتها بعثات ففي سنة ١٣٢٨هـ ابتعث من مكة عبد الرؤوف صبان وسنة ١٣٢٤هـ، و١٣٢٦هـ ابتعث من المدينة جميل أحمد عن السيد حبيب أحمد، وحسين طه وأحمد أبو بكر من ينبع ابتعثوا إلى سلطان الشام، وعبد القادر عبد الجواد ومحمد علي طه ابتعثا إلى الصلاحية في القدس، فأنا أريد أن أصحح القابلية ولا أريد أن أجادل في الامتياز، فمحمد علي زينل حين قابلته احتفلت به مع من احتفل به في الفلاح، وأنا فلاحي العاطفة، فلاحي الوجدان، إن لم انتسب إليها، ومدرسة الفلاح لها المنة على هذا البلد، ولمحمد علي زينل كذلك، قلت: إن ترك الذكر للفلاح لأنها علم معروف يعتبر ذكراً وفخراً لها، ولكن روّاها عبد الله عريف بصورة أخرى لأستاذي إبراهيم النوري، فقال: لقد هجا زيدان الفلاح في السكوت عن الفلاح؛ فاعتبر سكوتي عن ذكر الفلاح هجواً لكنني عندما ذهبت إلى إبراهيم نوري وقلت له: إن مرادي كذا، رضي عني، وإبراهيم نوري كان فلاحياً من الفالحين في مدرسة الفلاح إني أهنئ أنفسنا بأن قمنا بشيء من التكريم للسيد حسن كتبي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ الشاعر فاروق جويدة(*)

الكلمة التي أطرحها الآن على صورتين: أولاً صورة الحمد لهذا الاجتماع يجمعنا بأخوة من مثقفي الأمة العربية فنحن أمة واحدة، فالشكر لهم أن حضروا والشكر للداعي أن دعاهم، والشكر لنا أن اجتمعنا بهم وسمعناهم. بقي الشعر والشاعر:

سؤال: هل الشاعر صانع نفسه أم هو مصنوع بيئته؟

تكلمنا عن الشعر والشاعر كأنه صانع نفسه أو كأنما نحن نصنعه بقوانين نقننها عليه، أنا لست مع هذا الشاعر شاعر مقصور مصنوع من بيئته ومن أحوالها ومن أحداثها، لأنه فنان والفن تعبير عن قيمة الشعب، قيمة حياة أمته، قيمة أرضه، كل القيم التي يعتز بها أو هي التي تبتزُّه من نفسه ليكون هو نفساً يعبر عنه. اتركوا الشاعر يقول عن طبيعته وعن إيحاءاته، لا نضع له قوانين ولا نضع له تعريفات. فاروق هذا شاعرنا الآن شاعر زرع في أنفسنا الخوف وزرع في أنفسنا الحزن، لماذا؟ لأننا نعيش عصر الخوف وعصر الحزن. قصيدته بيروت تعبير عن هذه المجزرة التي قتلت بيروت السروق أنا أسمي بيروت السروق لماذا؟ لأنها سرقتني من نفسي يوماً ما. كنت سافرت إلى أمريكا عن طريق الغرب ورجعت عن طريق الشرق ١٩

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٨) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٣/١هـ الموافق ١٩٨٣/١٢/٥م.

ساعة من طوكيو إلى بيروت وكنت عازماً على أن أحضر إلى بلدي جدة بالترانزيت ولكني عندما شممت رائحة الأرز، عندما شممت رائحة الطين رائحة لبنان الجنَة في الأرض العربية تركت أن أسافر ومكثت في بيروت أياماً. أنا لست شاعراً ولكن هذه كلمة شعرية، لقد سبقنا الأندلس بالموشحات وخرج عن القاعدة ولكنه أسس قاعدة ذات تفاعيل ذات جرس، اتركوا الشاعر مصنوع بيئته لا صانع نفسه، فهو مصنوع بنا بأحوالنا بتراثنا، ولكن الشعر المنثور كقول بعضهم، أنا حنش، أنا طوب، أنا قمر أنا أنا أنا أنا. . . إلخ هذا عجز أن يستوعب ليسمعنا الجرس، فحاول أن يقول نثراً ويعطيناه بأنه شعر. هذه كلمة أحيي بها الجميع وأشكركم وأظن أننا قد تأخرنا عن العشاء.

حفل تكريم الأستاذ السيد محمد بن علي السنوسي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة.

ليس عندي خلفيات ولا ظواهر للأستاذ محمد علي السنوسي إلا ظاهرة واحدة؛ وهي أن أقول: لولا الشظف لما كان هذا الترف، دائماً أنا مولع بالشظف، فالشظف قوة لعضلات النفس وإن تعبت عضلات الجسم، إن الذين عاشوا الشظف استطاعوا أن ينهضوا بنا واستطاعوا أن يكونوا لنا، فهل كان المتنبي مترفاً لا بل كان يعيش وعاش الشظف، فإذا نحن نعيش في ترف الشعر وهذا السنوسي نشأ في عدم العدم شظفاً في قرية اسمها جيزان ما أحبها إلينا وما أحرانا أن نكون حباً لها لأنها قطعة من أرضنا، ولكن لم يكن أهل جيزان هم الذين أرادوا أن يعيشوا الشظف ولا الدولة حين ذلك لأن الأمور كانت تسير بالتطور فللَّه الحمد أن وصلت الكهرباء بعد أن كانت لكل محلة يوماً أصبحت عامة، السنوسي هذا الشظف الذي عاش في هذه المدينة أصبح لا يشرك شعره بين أيدينا يجفوه حسن عواد لأول مرة، ثم

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٢٠) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٣/١٥هـ الموافق ١٩٨٣/١٢/١٩م.

يصطفيه حينما كان السنوسي رفيقاً به صادقاً معه تعامل معه بالمودة فأصبح صاحب ودً له، السنوسي ما كنت أعرف أنه نشرت له مجلة الأديب، ومجلة الهلال أولاً.

قد يكون ذلك قصوراً مني في المراجعة، والمطالعة، والنسيان، ولكنّي بالأمس القريب كان في النادي الأدبي في ليلة من ليالي صوت العرب احتفلوا به في مصر، فكان مشرقاً في ذلك النادي، ومصر الحبيبة كثيراً ما تعمد كثير من أدبائها الجفوة لغيرهم، فهم قد لا يرون غيرهم أديباً ولا يرون غيرهم كاتباً ذلك لانقطاع الصلة، وانقطاع المواصلة، فحمدت للسنوسي أن يكون صاحب صلة بالنادي المصري وصاحب شهرة في ذلك النادي لأني أحب لبلدي أن يكون فيه رجال يذكرون في أمصارنا كما كان الزمخشري عافاه الله واسطة عقد واسطة صلة في تونس أيضاً، السنوسي وصلنا بمصر عن طريق ما نشر له، وعن طريق هذا النادي الأدبي، السنوسي تجتمع فيه خصلتان الضعف والقوة فهو ضعيف المسالك قوي الاتصال، يسلك الطريق بأسلوب ضعيف بأسلوب المساكين. ولكن المساكين أقوياء عندما يرون هذه القوة في شعر المسكين يرون أن هذا الشعر قوي، أغلب شعراء العرب كانوا مساكين ولكنهم كانوا أهل الثراء فنياً، أهل الغنى فنياً، عندما أصبح لهم سلطان امتد من عكاظ، امتد من أصحاب المعلقات، امتد إلى المشرق، إلى المغرب، لهذا أنكرت دائماً حتى اسم وحي الصحراء أنكرته. إذا كان انحيازاً إلى أدب الصحراء، ولكن الصحراء هي الأم لأدب العرب فلهذا أنكر إنكاري عليهم حيثما كنت لأن الأدب هو أدب العربية، أدب الأمة العربية، فالأدب والشعر أول ما نشأ في نجد في عكاظ، ثم أصبح حجازياً بابن ربيعة وبحسان وبغيرهم، ثم أصبح عراقياً، ثم أصبح شامياً، ثم أصبح أندلسياً.

قد تقول: هناك أدباء أندلسيون، أدباء مصريون، وأدباء عراقيون، وأدباء شاميون، أدباء يمنيون، أدباء سودانيون، أدباء مغاربة ولكن الأدب عربي واحد من يوم نشأ في وادي عبقر في صحراء نجد إلى أن شمخ وارتفع في وادي آش في الأندلس وعلى وادي النيل، وعلى ضفتي الفرات، وعلى الأعالي في سبأ. شعرنا شعر عربي والكلاسيكية التي لامها العواد هي دليل الأصالة، أما التقليد والخروج عن الشعر العمودي فليس بشعر؛ فما كان موزوناً بتفاعيله ويعطي معنى فهو شعر؛ أما قولهم أنا حنش أنا عقرب أقرص أعدائي عندما أتمرغ في التراب آكل الندى؛ فهذا ليس شعراً؛ أنا أحيي السنوسي أن زادني معرفة به وأشكركم جميعاً ودعوني فإن صوتي مبحوح وسلمكم الله والسلام عليكم.

حفل تكريم الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار(*)

يطلب المحتفي الأستاذ عبد المقصود خوجه من الأستاذ زيدان باسمه وباسم كثير من الحضور أن يتفضل ليستمعوا إليه في هذه الأمسية شاكرين ومقدرين. ونزولاً عند طلبهم تحدث الأستاذ محمد حسين زيدان فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

ليس بدعاً أن أتحدث عن صديق، وليس بدعاً أن أتحدث عن رجل قد كرمه عمله قبل أن نكرمه بحضورنا، أو قبل أن يكرمه عبد المقصود، فعمله قد كرمه، بأي شيء عمل أحمد عبد الغفور عطار، لعلّكم لا تعرفون أن الحياة لم تكن عذبة بين شفتين، وإنما كانت العذوبة في العذاب الذي كان يعايشه، فلقد ظُلِم كثيراً، فلئن قالوا: إن طه حسين قاهر الظلام فالعطار أيضاً قاهر الظلم. قهر ظُلم الناس عليه وقهر ظلمة الرؤية أيضاً فهو أعشى مثلي، العطار شجيرة نبتت في أم القرىٰ امتصت الصخر فإذا هو شجرة باسقة ثمراتها الكلمة، ثمراتها الأدب، ثمراتها أن كان بيننا مكرماً نكرمه جميعاً، قد نأخذ عليه بعض المآخذ وقد تقع مشادة بيني وبينه ولكن الإنصاف والحق وانتزاع الغل من الصدور، يجب أن نكون أصفياء، يجب

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٢١) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٥/٥هـ الموافق ١٩٨٤/٢/٦م

أن نكون أخوة متحابين، تلك دعوة الإسلام قال تعالى ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ (الحجر: ٤٧). العطار صديق بيني وبينه تدبيح لا أريد أن أقول: إنه أخذ مني شيئاً، وإنما أذكر أني أخذت منه أشياء، فكان يتعقبني بالمشافهة أو بالمراسلة فيصوب أخطائي، وكثيراً ما وقعت في بعض الألفاظ أخطئ في اللغة فكان العطار يصوب لي تلك الأخطاء أحمده لذلك وأشكره. جاءني مرة في الطائف فوجد بين يدي المحلى والمغني فعجب أن أقرأ المحلى والمغني أفقه الفقه وأثنى عليَّ في ذلك، ولكني لا أطاوله في الدراسة والقراءة فأنا قد أكون من أصحاب السندوتش لا من أصحاب العمق، ولكني قدمت ما قدمت، رأى لي صورة من الصور لا زال يذكرها وذكرني بها، وهي أن قلت: المن من القوي استعلاء، ومن الضعيف استجداء، ومن القرين بلاء فإذا هو يهتف لي يحييني، هذه الكلمة كان ذلك أراه شجاعة منه وتشجيعاً لي، من هذا أحمده وأشارك في التكريم وأرجو أن يكون الصافح العفو، وأرجو أن أكون أخاه فقد تقدمت بنا السن فهو أصغر مني بعشر سنوات، وقد تلاحقنا في السن وأدركنا عجز الصحة فلماذا لا نكون إخواناً؛ لماذا لا تكون المحبة بيننا، ثقوا أني لا أكن للعطار إلا كل ثناء، وكل اعتزاز، وكل ما يشرف به المرء.

إنا لقومٌ أبَت؛ أخلاقنا شرفاً أن نبتدئ بالأذى من ليس يؤذينا

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ عبد اللَّه أحمد خوجه(*)

أعطيت الكلمة للمربي الفاضل الأستاذ محمد حسين زيدان حيث قال:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... إخواني.. حينما أعلن الابن الصديق عبد المقصود عن أن هذا اليوم هو لتكريم الأستاذ مربي الجيل عبد الله خوجه كنت أول من صفق، وثقوا أني قد بليت بالسرور الآن لا أريد أن أجحف بما مضى من الأمسيات ولكن أقسم بالله أني الآن أكثر سروراً برؤية هذا الرجل المجاهد، لقد كان رائداً صبر على الشظف فمنحنا الترف، ترف رفع الأمية، ليس الترف مالاً وإنما غذاء العقول، ومعرفة العقول، وانطلاق القراءة في أمي هو ترف فكري ما أحلاه وما أعزه. كان رائداً لنا ولعلّه قد قصّ بعض النوادر، آن أن أقص لكم بعض العوائق... أسسنا نحن جماعة المحاضرات في المدينة المنورة: عبد الحق النقشبندي، عثمان حافظ، عبد الحميد عنبر، أستاذنا ماجد عشقي، أسسنا أيضاً مدرسة ليلية لتعليم الكبار فصل، فصلان، ثلاثة، أربعة، لكن لا خيل عندنا ولا مال ولا شيء وقد كان صديقي عابدين بغدادي حفيد موسى بغدادي عين أعيان جدة في زمانه

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٢٢) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٥/١٢هـ الموافق ١٩٨٤/٢/١٣م

كان تاجراً في المدينة تبرع بالأتاريك لكن المشكلة هي من يقوم بإضاءة الأتاريك فليس عندنا مال لكي نؤجر واحداً يقوم بتلك المهمة، فتبرعت أنا بالقيام بذلك العمل، بعد مضي عدة أشهر أصبحت أقوم بإضاءة ١٣ «إتريكا»، وكان يساعدني السيد إبراهيم رفاعي بن السيد حمزة رفاعي وهو من أعيان المدينة، وذات مرة كدت والأخ إبراهيم أن نحترق فأسرع إبراهيم بإحضار الماء فقلت له: لا ينفع الماء في إطفاء الجاز، وقد ساعدتنا مقاعد التلامذة لأنها كانت من القطن فأرخيت بكل جرأة وكل صبر الإتريك وصرنا نطفيه بالمقاعد ونجانا الله. ولكن لأني كنت المكلّف باستقبال المتعلمين وأقوم بالخدمة أصبحت علاقتي متينة بهم غير أن بعض الذين كانوا يساعدونا قال بعضهم للبعض الآخر: هل يريد أن يكبر علينا؟ هل يريد أن يصير زعيماً علينا؟ إذن لنترك المدرسة، وبقينا خاوين وعابدين بغدادي يرحمه الله استثقل النفقة ولم يعاونا أحد فإذا نحن في فشل، ومن المفارقات أن أحد الحجاج التونسيين وكان طبيباً ولعلّه كان مليئاً، قام بزيارة فصول المدرسة وكنت ألقي فيها بعض المحاضرات فلما خرجت إلى الباب مد يده في جيبه وأخرج رزمة من النقود الورقية فاستصغرت نفسي واستصغرت هذا العمل منه كأنما يعدنا نحن في هذا البلد نستجدي أو نتسول فقلت ما هذا؟ قال: هذا لك، قلت: لا تعال، ودخلت إلى المكتب وكان السيد ماجد عشقي موجوداً يرحمه الله وتركته يتبرع بها.

كم حز في نفسي أن نعامل ونحن أساتذة ونحن نعلّم في مدرسة أن نعامَل بأسلوب المُسْتَجّدين. عبد الله خوجه فقير المادة، ولكنه غني في وجاهته الآن، وفي قيمته الآن ولقد سجل على التاريخ وصمة أقولها بكل صراحة حيث أن العالم يحتفل بتعليم الأميين ولا يذكر اسم عبد الله

خوجه. هذه معابة سأعقب عليها في تمر وجمر لأنصف هذا الرجل وأعطيه حقه فيما فعل، لعلّه لم يعلم ١٠٠ أو ١٠٠٠ أليس من الكسب أن علم عشرة. أليس أنه قلد الصحابة الذين علموا من الأسرى كل واحد إذا علم عشرة يطلق من الأسر. تلك سنة سنها السيد العظيم سيد الخلق محمد بن عبد الله أطلق الأسرى مقابل أن يعلم كل أسير عشرة من صبيان المدينة. نحن الأمة الأمية أوجب الله علينا أن نكون الأمة القارئة كل تاريخ ابتدأ لأمة لم يبدأ بمثل تاريخنا اقرأ، فإذا نحن نستحيل ونجدد أنفسنا بالأمة القارئة، نبغ فينا الأئمة، نبغ فينا الكبار، أريد لأن أستطرد مرة أخرى، أنصف بلدي؛ ما من متعلم مثقف في الدنيا كلها مسلماً أو غير مسلم أوروبياً، آسيوياً، وأفريقياً إلاّ وعليه بصمة من أربع جامعات، بصمة المسجد الحرام، بصمة المسجد النبوي، أعطوني من يستطيع أن يقول: لا أثر لهذين المسجدين عليّ، أعطوني من يقول في الأزهر، والقرويين، والزيتونة، والجامعات الأخرى: إنه ليس لمربد البصرة، ومربد الكوفة أثر عليه نحن الأمة الأمية أصبحت الأمة القارئة أمة الأئمة الكبار الذي يجزء منهم كما قلت لخريجي تحضير البعثات أنكم لا تتتفّجوا علينا بالشهادة الثانوية ستصبحون متعلمين أكثر، إنكم تنتمون إلى بلد أنجب دكاترة ابن عباس، وابن عمر، ومالك، وعطاء، وعكرمة، وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وأنجب إن لم يكونوا في هذا البلد من تعليمهم أنجب أبا حنيفة، والبخاري، وأحمد بن حنبل وغيرهم. بلدكم كبير لهذا يكبر عبد الله خوجه أن ساهم في هذا التعليم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ أحمد السباعي(*)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

السباعي، الأستاذ المعلم والحرفي، أعني أنه حريف ذلك لأنه رجل ترابي كما أطلقت ذلك على الأستاذ أحمد قنديل، فالاثنان يشتركان بأنهما بلديان... أي أنهما أحالا العصامية إلى أرستقراطية... عكس السيد محمد حسن كتبي، والسيد عبيد مدني اللذين أحالا العظامية إلى عصامية...

أحمد السباعي ما كان يعرف أنه أديب ولهذا لم يكن من رعيل المعرض... ذلك الكتاب الذي جمع مقالات البياري، وحمدي شيخ، وعبد الله فدا، وعمر صيرفي وغيرهم. لقد كان من سنهم ولكنه ما كان على سننهم كان بعيداً عن الأدب ولكن أسميه النابغة، نبغ في الأدب فَبزّ أصحاب المعرض وتقدم أصحاب أدب الحجاز، ذلك لأن عشقه للتراب وأنه مكي مائة في المائة جعله يستغرق لتتشرف به المكية وليتشرف بهذه المكية.

السباعي الرجل قد لا يبلغ في الفكاهة كمبلغ قنديل ولكنه ليس منه ببعيد، ذلك لأن الاثنين من أشياخ المراكيز، كأنما هما «حارويان» قد

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٢٣) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٥/١٩هـ الموافق ١٩٨٤/٢/٢٠م.

أصبحا أديبين. سمعت باسم السباعي حين كنت في المدينة، وقد تعودت ولله الحمد ألاّ يأتي قادم للمدينة من جدة أو من مكة أو من غيرها من الأمصار إلاّ وأتشرف بزيارته فتعرفت بأحمد السباعي... وصادف أن كان راجعاً إلى مكة وكنت راجعاً أيضاً إلى مكة وإذا بسيارته «تغرّز» في الطريق... وقفت أنا ورفاقي نساعده على رفع السيارة من الرمال لأن الطريق إلى المدينة حينذاك لم يكن مزفتاً وهي مصادفة جرّ لي فيها الخير أحمد السباعي... بعد أن سار بسيارته ووقفت فإذا محمد بن لادن يرحمه الله قد وقف بجوارنا فصببنا له كوباً من الشاي... وفي تلك اللحظة قدم شاب يحمل بطيخة ولحماً يقول للشيخ محمد بن لادن: إنني أعمل سائقاً عندكم ولدي سيارة معطلة تحتاج إلى نصف ماكينة، فسألني الشيخ محمد بن لادن إذا كنت أعرفه، فسألت الشاب عن عائلته وتعرفت عليه، فأمر له الشيخ محمد بن لادن بقيمة نصف ماكينة! مجاناً، فكان وقوفنا لأحمد السباعي مجالاً وفاتحاً لخير كثير لهذا الشاب الذي كان رأس ماله في هذه السيارة.

السباعي دعاني إلى العمل، ولكن تعطلت الدعوة لأسباب كثيرة، السباعي عندما أصبح رئيساً لتحرير صوت الحجاز، وأصبح مديراً لها... لا أذيع سراً إنه كان المفروض فيه أن يكون منافساً لمحمد سعيد عبد المقصود، فمحمد سعيد عبد المقصود له مواقف إيجابية وسلبية... كان بعض الناس لا يريدونها منه إذ يريدون منه أن يتواطن فلم يتواطن.. فأرادوا أن يستغلوا السباعي في هذا الموقف، ولكن السباعي لم يكن إمَّعة ولم يكن بموضع الطاعة فإذا هو أصبح الصديق والرفيق لمحمد سعيد عبد المقصود، ذلك لأن الشباب مثل السباعي وأمثاله لا يمكن أن يسخّر أديباً ضد أديب... قد يختلف أديب مع أديب، ولكن بدافع التنافس الشخصي

أو العناد الشخصي، أما أن يسخّر أديب على أديب من قوة خارجية فأنا أتحدى من يبرز لي مثل هذا الأديب... ولا أريد أن أسمي الأشخاص فالسباعي أبى أن يسخر ضد محمد سعيد عبد المقصود.

وحورب أحمد السباعي في إدارة النشر ولعلّه لا يريد هذا الربح ولا أريد أن أتذكر ولكن عوضه الله بخير منها صيتاً في الأدب تأليفاً وسمعة. وأذكر حادثة وقعت بيني وبينه في منى... كان هو معيناً لمحمد سعيد عبد المقصود في الحفل الذي يقام في اليوم الثاني من أيام منى في بيت الشيخ ماجد كردي العريان يرحمه الله الذي كان الرجل الثاني بعد الأفندي نصيف... البيت المفتوح، والضيافة المفتوحة للعلماء، وللأخيار، والمكتبة المفتوحة فرجلان في هذا البلد ما أكرمهما علينا... الأفندي نصيف وماجد كردي العريان، جلست على كرسي وجلس طاهر زمخشري على كرسي وإذا السباعي يقول لي: قم، قم. وقلت له: لن أقوم ولكن دعني أجلس ويجلس غيري من جماعتنا حتى إذا تضايق الضيوف قمنا لهم فأصر على قيامي فأبيت أن أقوم، فقام طاهر الزمخشري وآخرون. وبينما كان محمد سعيد عبد المقصود يتولى الإشراف على اللاقط وكان محمد سرور خلفه، والسباعي يدير الحفلة فإذا بعثة الحج المصرية بقيادة محمود بسيوني رئيس مجلس الشيوخ تحضر، وجلس محمود بسيوني وبعض الرفاق وإذا بالدكتور أحمد فريد رفاعي مؤلف عصر المأمون، الكاتب الكبير لا يجد كرسياً... هنا اهتبلت انتصاراً على السباعي فقمت وأجلست الدكتور فريد مكاني وقمت بجانب محمد سعيد. فقال محمد سعيد عبد المقصود: أشكرك قلت: أرفض هذا الشكر لأن هذا المكان مكاني كمكانك ونحن أخوة فليس هذا مكانك أنت، ولا مكان السباعي بل مكاننا جميعاً... قال: لهذا أشكرك. قلت: أقبل ذلك.

وجاء بكرسي لمحمد سرور فقال محمد سرور بشيء من الفكاهة: هذا الكرسي لي أم للشيخ محمد «يعني شخصي» قلت للشيخ محمد فإذا أطلقت كلمة الشيخ محمد فهي لك... فضحك السباعي، وضحك محمد سعيد، وطابت صداقتنا... حتى إذا أسس جريدة قريش كنت أكتب فيها تحت عنوان "قراقيش" فالتقريش هو الجمع... وقد قال السباعي أن المليباري ومن إليه كانوا من أحابيش مكة، عندما كتبت مقالاً أقول فيه: إن محمد سرور لم يكن قرشياً طبعاً ولم يكن من بني عبد الدار ولكن كان من أحابيش مكة، عاتبني السيد علي حافظ ظاناً أن أحابيش معناها حبشة مع أن الأحابيش هم القبائل من غير الحمس من غير قريش الذين كانوا يسكنون مكة من خزاعة وغيرها... أما الأحابيش المجتمعين... والتحبيش هو التجميع، لهذا عندما يقول العطار حَبِّش لي أي جمِّع لي... ومنه جبل حبشي الموجود في مكة، فالقبائل التي كانت تجتمع في مكة اسمها الأحابيش ومنهم الدّغنة الذي أجار أبا بكر رضي الله تعالى عنه منعه أن يهاجر إلى الحبشة.

السباعي في المسرح... كان مسرحياً ولا يزال مسرحياً... لعلّي أقول إن هناك خطأ في أسلوب عرض الروايات، فأجفل بعض الناس فجفلوا وكان الإلغاء ولكني أعتقد أن آفة آلة شريط التسجيل المرئي وآفة هذا التستر تضطرنا إلى الوضوح في تأسيس مسرح، عندنا ملاحم، عندنا قصص، وتاريخنا مليء بالأمجاد فليس من الضروري أن يكون المسرح من إيسن، وشكسبير، وتولستوي... فليكن من عنترة، من ذي الرمة، من سيف بن ذي يزن، من الصحابة، من الفتوحات، من عظمة الأمجاد... لماذا لا يكون المسرح... تمثيلية عن مربد البصرة، تمثيلية عن مربد الكوفة، هناك

كما قلت وأريد أن أكرر أربع جامعات طبعت كل مسلم في العالم وأية جامعة إسلامية عربية أو غير عربية طبعتها ببصماتها: المسجدان (مسجد مكة، ومسجد المدينة...) ما من أحد متعلم إلا وعليه بصمتها. والمربدان (مربد البصرة ومربد الكوفة) تركا طابعهما على كل مثقف ولكن مع الأسف عُقّتِ البصرة وعُقّتِ الكوفة يحتفلون بذكرى المتنبي وذكرى الأزهر ولا يحتفل العرب بذكرى مربد البصرة ومربد الكوفة، ومربد البصرة أصبحت تطلق عليه القنابل من حقد الهرمزان وخنجر أبي لؤلؤة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ عبد الفتاح أبو مدين(*)

أعطيت الكلمة للأستاذ الكبير محمد حسين زيدان فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم.. ما كنت أحسب أن أبا مدين يعتنق الصدق، بهذه الحفاوة وبهذا الإصرار، فأول الصدق أنه لم يستح من الشظف الذي عاشه، فلئن جاعت معدته فإنه بهذا الجوع قد أشبع عقله وفكره، يتيم بلا معين إلا الله سبحانه وتعالى، ثم إلا عون خاله، الرجل الذي كنا نحترمه ونكبره مصطفى بدر الدين، والذي أصبح له صهر في هذا البلد ومكان، فكما ذكر من أصهاره صالح بوقري، وكما لم يذكر فإن صهره عبد الرحمن محمد سرور الصبان، هذا الرجل كان كريماً مع كل من كان يعرفه وكنت أعرفه أيضاً، وكان رجلاً حازماً جازماً لعلّه قد صنع من عبد الفتاح أبي مدين بعض الإصرار، وكل التحدي الذي فيه، فكان مصطفى بدر الدين أيضاً لبيباً صارماً. الصدق في أبي مدين عزمت في نفسي أن أتحداه.. فأنا أعرف تاريخ بلدي المدينة المنورة، أعرف مواليدها وشبابها، كنت أظن أن أبا مدين يخفي مولده في بني غازي، يذكر أنه نشأ في المدينة، أو وُلد في المدينة كما عرفنا عن غيره ممن لم يذكر أين ولد، وإنما قال أنه مديني وهكذا...

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٢٤) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٥/٢٦هـ الموافق ١٩٨٤/٢/٢٧م

هذا الصدق في أبي مدين هو عنوان الرجولة فيه، ما بنغازي، ما المدينة، ما مكة، ما تونس، ما دمشق، ما مصر... ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)... دين واحد، لسان واحد، أرض واحدة، لئن فصلها البرزخ فإن القناة وصلتها، سواء أكان شرق السويس، أو غرب السويس، كلنا أمة واحدة، لعلّه تأثر بعمر المختار، ابن بلده، ذلك الشيخ الذي جاهد. أذكر أن أحد علماء شنقيط قال لي مرة، أو قلت له أنا مرة: أنتم يا علماء الشنقيط قد حجزتم أنفسكم في شعر القدامى من أصحاب المعلقات والهذليين، فتحداني فقال: نحن إذا قال المحدثون مثل هذا البيت حفظنا له، وأنشد:

لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء

فقلت له: هذا البيت لمحدث هو شوقي في عمر المختار... تصوروا كأنما أسمع عامر بن الطفيل، أو زيد الخير، أو خلد بن عامر، يقولون مثل هذا الشعر. شاعر تركي أنشأته البيئة العربية عربياً فما أفصح... البيئة هي الطابع... الإنسان ورقة بيضاء، البيئة تطبعه فتجعل التركي عربياً، فلئن كان العرب أعرافاً فإن العروبة استعراق.. ومن كان عربياً مثل شوقي الذي يقول:

لكن أخو خيل حمى صهواتها وأدار من أعرافها الهيجاء

لو لم نقل شوقي لقلنا شاعر جاهلي عامر بن الطفيل، أو زيد الخير، هذه النشأة الليبية والولادة الليبية والعرق الليبي فيه البداوة، والبداوة لا تنحرف عن الصدق لأنها تأتي من الطبع، وجاء في البيئة الصادقة، البيئة العاشقة لعلّكم لا تعرفون أن تربة المدينة تربة غَزلة، تربة الحب، أتحدى

ولا ينكر عليَّ الأستاذ عزيز أني لم أجد مدنياً إلاّ وقد عشق إلا وقد أحب، ذلك لأن المدينة تُربة غزلة، الصدق الليبي والحب المدني جعلا من أبي مدين هذا الرجل الذي قست عليه الحياة فإذا هو يلين صخرها، يصبح رجلاً ممتازاً بيننا... ما كنت أعرف من قصته ما قال... كم لقي من العذاب ولكنه عذاب ذاق فيه طعم العذوبة بالنجاح... بالصبر وبالتحدي..

أنا صاحب علاقة مع ليبيا لعلّي لا أريد أن أذكرها ولكن أذكر شيئاً واحداً زعيمها الذي نال استقلالها بمعاهدة مع الإنجليز بشير السعداوي، كان صديقاً لي، عرفته من أحمد الدالي وفهمي الحشَّاني. أذكر بكل الفخر أنَّنا على فانوس في بيت فهمي الخشَّاني أصلحنا بينه وبين أحمد باشا المُريضي أحد زعماء الثورة الليبية، وفي بيتي على فانوس نمرة «٢» أصلحت بينه وبين محمد بك المنتصر... وكنا... وقد خوت جيوبنا من المال وراتبي (٣٥) ريالاً في دار اليتام... كنت أنا وفهمي الحشَّاني نجمع من الحجاج مرة (٦٠) جنيهاً ذهباً، ومرة (٦٠٠) جنيه ذهباً أرسلناها لبشير السعداوي في دمشق... أذكر لبشير عندما جاء وأنا مدير شؤون الرياض يأخذ قائمة حساب يصرف له، وقد زارني، قلت له هنيئاً استقلال ليبيا ولكن لا تكن عمدة في مصطبة السياسة كما كان سعد زغلول... سر مع جيش السنوسي لئلا يخطفه غيرك. فقال كلمة أريد أن أسجلها... اسمع لولا ما أعطانا محمد سرور الصبان لما نلت استقلال ليبيا.. قلت له ذلك عطاء الصبان ولكنه من عطايا عبد العزيز لأني أعتقد أن الصبان لم يفعل ذلك معكم إلا برضا الملك عبد العزيز... كلام يجب أن يقال... كلام يجب أن يثني على رجال ماتوا يرحمهم الله.

أنا أهنئ نفسي بصداقة عبد الفتاح أبي مدين... فله فضل عليَّ... إنه

عرفني قبل أن أعرفه... حين ذكر بعضهم الذين أسسوا جريدة المدينة وقاموا بتحريرها، نسي أو تناسى أو أراد أن يجحف بحذفي منها فانتصب يرد عليه، وإني لعاتب على صديقي عثمان حافظ أنه لم يشر إلى ذلك وأنا كنت شريكه المكلف بتحرير الجريدة، ولكن عبد الفتاح هو الذي نصرني... لعلّكم تسألون كم كنا نتقاضى ونحن نحرر جريدة المدينة... هل كنا نتقاضى عشرة ريالات، أو عشرين ريالاً أو مائة ريال في الواقع لم نتقاض شيئاً أبداً..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الشيخ أبي تراب الظاهري(*)

قال:

كما تعودت أن أتكلم سواء كان الكلام قد فرض عليَّ أو رغبته، وجدت المقال والقول ذا سعة، ولكن عالمنا، أستاذنا، تلميذنا أبا تراب قد أغرقني بما قال، وبما سرد علينا من ذلك العلم الجمّ والرصيد الفخم، فإذا أنا غارق أكاد أعجز عن الكلام، ولكني أستمد القوة منه فكم كان هو قوة لي، وعوناً لي لقبته بالأستاذ التلميذ لا لأنه تلميذ لي، وإنما لأنه يشرف كأستاذ بقدر ما يشرف بأنه تلميذ... دائماً هو طالب العلم، دائماً يتعلم. ينسى أنه يعرف كذا وكذا فلا يدعي... فإذا ما سألته وجدته قد رجع. لا يتراجع أمام أي حجة وإنما هو يقدم إقداماً قوياً فيأتيك بالحجة. أبو تراب بقية الناس... بقية الذين عرفناهم من كابر العلماء في المسجد النبوي كالعزيز بن الوزير، وحمدان بن الونيس، وحسين أحمد، وإبراهيم لبري، وأحمد البرزنجي. كنا إذا سمعناهم وما اقل أن نسمعهم، فقد كان صغر السن يمنعنا من أن نكون خلطاء لهم... ولكن كنا إذا سمعناهم، عجبنا لما يقولون، فجاء أبو تراب على هذا النحو. جاء عالماً مجلياً، قد أوتي الفطنة في أن يتعقب الأخطاء، لا لأنه يغضب على أحد و يريد أن ينافس

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٢٥) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٧/١هـ الموافق ١٩٨٤/٤/٢م

أحداً، ولكن يريد أن يتنفس بالمعرفة، أن يتنفس نصيراً للحق، ما عجزت عن مسألة إلا وجدته حاضر الإجابة، فأنا في عشوتي هذه هو بصري، وهو بصيرتي، فكم أنا مدين له بما يبصر لي وبما يُبصرني.

أبو تراب أريد أن أستملح معه فأحكي عنه أضحوكة، لقد كان مُصَحَّحاً في جريدة البلاد وما أقل ما يُعطي الكريم من الوظائف أو غيرها فهل كنت أنا وغيري نرأسه؟ نرأسه بحكم التقليد أو بحكم الوظيفة ولكن كان هو يرأسنا بالعلم والمعرفة، في إحدى المرات نشرت الأخبار عن الخلاف بين يوغسلافيا، وإيطاليا، وألبانيا... الدول التي على بحر الأدرياتيك... عن المنطقة التي اسمها التيرول فعزَّ على أبي تراب أن نكتب التيرول بدل البترول، فغير كلمة التيرول بكلمة البترول، وإذا فؤاد ناظر حفظه الله، وكان المسؤول في وزارة الخارجية يتحدث إليّ هاتفياً ويقول: يا أستاذ ألا تُفرقون بين التيرول والبترول؟ قلت له: والله قد فرقنا ولكنَّ أستاذنا أبا تراب لا يعرف التيرول وليس له علاقة بالجغرفة في أوروبا... هو عالم إسلامي، ولغوي فأحب أن يصحح ولا يعرف إلا البترول وأوقعنا في هذه المشكلة اللغوية عفا الله عنه.

هذا الرجل الجهم في ألفاظه اللغوية الذي نبتعد عنه إذا ما أغرب ما أشدَّ قربنا له وأنيساً، رفيقاً، حَنَّاناً. لم تأخذ منه الهند التي نشأ فيها أن كان جافياً أو غليظاً وإنما أخذته رقة هذا البلد، أبو تراب لا تحسبوه إلاّ وكأنه قد نشأ في مكة أو نشأ في المدينة، فهو غَزل وهو مُترف حتى وهو يعيش الشظف كان مترف الفكر، مترف الأنس، مترف العلاقة، لأن الترف ليس في الجيب إنما الترف في القلب، الترف في الوجدان، كم من فقير وكم من شظف يعيش الترف. هذا مصطفى حمام ما كان إلا رجلاً من أفقر

الفقراء ولكن ما أشد ظرفه وما أقوى ترفه: الترف في النفس وأبو تراب كان مع الشظف ترفاً أيما ترف. أعجزني عن أن أفيض، فأعتذر وأسأل الله أن يطيل عمره، وأن يديم عليه التوفيق، وأن لا يحرمني حَبَاءه، وأن أكون في حياتي دائم التطلع إليه والأخذ منه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذين علي وعثمان حافظ(*)

تحدث الأستاذ محمد حسين زيدان حديثاً فضفاضاً لعلاقته القوية وصلته الوثيقة بالمحتفى بهما فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، وعلى آله وصحبه أجمعين.

لم أزوّر كلمة أثني بها على الصديقين السيدين علي وعثمان حافظ ذلك أن أية كلمة أقولها ثناءً ما هو إلا الثناء على نفسي، فأنا وهما كنا أصدقاء فتياناً ورجالاً، السيد علي كان صاحباً أكثر من صديق، والسيد عثمان كان صديقاً أكثر من صاحب، كلاهما حبيب إلى نفسي فهم من أولاد بلدي. ولئن كان عثمان ابن خاله عزوة وحماسة، فإن السيد علي حافظ ابن طموحه إشراقاً وعملاً.

ذكر السيد عثمان حافظ عن المطبعة وعن الجريدة ونسي شيئاً كان له الفضل الكبير علينا نحن الذين كنا نريد أن نقرأ، نسي السيد عثمان حافظ أنه أسس مكتبة جلبت الصحف، المقتطف، والهلال، والرسالة، وكل الصحف تتلمذنا عليها، فكان بهذا أستاذاً وإن لم يكن على كرسي، وإنما كان معلماً لنا عندما وافانا بهذه الصحف.

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٢٧) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٧/١٥هـ الموافق ١٩٨٤/٤/١٦م

بيني وبين السيدين علي وعثمان حافظ من الحب والوفاء ما لم يستطع أن يدرك مداه الآخرون الذين يظنون أنني بعيد عنهما، بينما أنا قريب لهما، وقريب منهما ذلك أنهما حينما تهيأ لهما أن يصدرا جريدة المدينة قدمت من الحج ولم أكد أغير ثيابي إلا والسيد علي حافظ والسيد عبيد مدني والسيد عثمان يأتون إلى بيتي ويفرضون عليّ أن أكون واحداً مُعيناً لهم في التحرير. بذلت ما بذلت ووجدت منهم رعاية، من الميزات التي أعرفها لعلّي وعثمان أنهما كانا لا يرفضان لكاتب جيد أن يكتب، كان محمد عمر توفيق لا يزال طالباً في العلوم الشرعية، فأرسل مقالاً بإمضاء راصد رحب به علي وعثمان حافظ، وأراد واحد لا أريد أن أسميه أن لا ينشر، فأصررت على نشره، وكانت حجة الرافض أن هؤلاء الصغار سوف يكبرون ومن ثم يتكبرون علينا، فقلت له: ما مرادنا إلا أن يكبر الشباب وأن يكون المستقبل لهم.

وانتصر عثمان حافظ وعلي حافظ وانتصرت أنا فنشر هذا المقال واصبح محمد عمر توفيق أول كاتب من الشباب ينشر في المدينة. المكتبة، مكتبة عثمان حافظ رادفتها مكتبة سامي حفظي، من المفارقات العجيبة أن الدكتور محمد حسين هيكل يرحمه الله رئيس تحرير جريدة السياسة، الوزير، رئيس مجلس الشيوخ، صاحب حياة محمد، وصاحب الكتب الكبيرة، وكان رجلاً وقوراً عندما قدِمَ إلى المدينة، كرمناه، السيد علي حافظ ألقى قصيدة، ضياء الدين ألقى كلمة، أنا ألقيت كلمة، ليس هذا هو الموضوع، الموضوع أنه زار مكتبة سامي حفظي فوجد كتاباً لنقولا حداد عن علم الاجتماع ولقد ذكرت في مقدمتي لحمزة شحاته، أن حمزة شحاته في محاضرته التي ألقاها في جمعية الإسعاف كان متأثراً بكتاب لنقولا حداد في علم الاجتماع، عندما رآه الدكتور هيكل استغرب أن يطبع كتاب في

مصر لا يعرفه الدكتور هيكل ولا يقرؤه وإنما في المدينة، لقد كان هذا الكتاب موجوداً في مكتبة عثمان حافظ، ووجد في مكتبة سامي حفظي ورآه الدكتور هيكل.

إني أثني على عملهما في جريدة المدينة والمطبعة، ولكن ثنائي الأكبر هو ثناء علي ليس لأني قد شُهرت كاتباً في المدينة، أو قد قرئ لي وأنا أكتب المقالات فيها، لكن ثنائي وشكري لأني قد وجدت مدرسة عندما كنت أقرأ، وجدت المجلة والكتاب. ومن مجد جريدة المدينة ولعلَه أيضاً مما أعتز به عندما توفي مصطفى صادق الرافعي يرحمه الله كتبت عنه مقالاً في جريدة المدينة، فكان من الاعتزاز والعزة لجريدة المدينة أن أحمد حسن الزيات، صاحب مجلة الرسالة قام بنقل هذا المقال من جريدة المدينة ونشره في مجلة الرسالة كم كنت فخوراً بذلك، كم كنت شكوراً لجريدة المدينة، هناك تصحيح أريد أن أذكره، فقد ذكر أن أول مطبعة في المدينة هي التي قد أسسها عثمان حافظ، هذا صحيح في العهد السعودي، ولكن في أواخر عهد الأتراك أسست مطبعة بإيحاء من الأمير شكيب أرسلان، وعبد القادر المغربي عضو المجمع العلمي العالم الكبير، وعبد العزيز جاويش الزعيم المصري أحد أركان الحزب الوطني، عندما قدموا إلى المدينة لتأسيس الكلية الإسلامية بعد أن وصلت السكة الحديد كان ذلك قبل الحرب العامة بسنوات بسيطة، كان اعتمادهم على كثير من الأصدقاء مثل السيد أحمد صقر، ولكن كانت ثقتهم أكبر بكامل خجا، فقد كان كبير التجار وكان رجلاً ذا أخلاق عالية من أكرم الناس يرحمه الله فهو الذي جلب المطبعة وأخذتها الدولة فأول ما طبعت جريدة الحجاز التي كان يرأسها حمزة غوث يرحمه الله رئيساً في مظهر الرئاسة كحجازي وكان من المدينة أما رئاسة العمل الفعلي فقد كان لبدر الدين النعساني اللبناني المعروف بالشامي.

هذا التصحيح للتاريخ ليس للانتقاص من عمل عثمان وعلي حافظ، علي حافظ طموح بغير جموح، عثمان حافظ على ثقة في نفسه ولكنه يسير الهوينا أكثر من علي.

ما السبب في أن يكونا على هذا الخلق؟ السبب:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

أنا أعرف أباهما كان رجلاً دلالاً للفواكه والخضر، وكان مصدر ثقة للذين يتعاملون معه، توضع عنده الأمانات من أهل العوالي والعيون الذين يتعاملون معه، كان إذا أعسر فلاح أعانه، وإذا وضع عنده أمانة صانها، انظروا إلى نصيحته إليهما أن لا يشاركا ولا يكفلا، كان هذا الرجل من الذين نحترم أنفسنا إذا قبّلنا يديه.

ورغم أنه قام بطردي من منزله مع بعض الزملاء أذكر منهم الأستاذ أسعد طرابزوني، مصطفى عطار، وعبد الله حافظ، وعبد القادر غوث وحرم علينا دخوله مرة ثانية، أو تناول أي طعام فيه وذلك لما احتسبه علينا إساءة أدب منا عندما مرَّ بنا ونحن نقهقه بصوت مرتفع نتيجة حركة هزلية قام بها أحدنا رغم كل ذلك، فإني أحمد له هذا الخلق الذي رَبَّى أولاده عليه وأراد أن يربي زملاء أولاده عليه أيضاً.

لا أريد أن أطيل فقد طالت الجلسة، وكما قلت فإن الثناء على المحتفى بهما قد أنال فيه الثناء على نفسي فأنا صديق وإن أرادوا أن يجحف بعضهم فيرحمني هذه الصداقة مع إنها باقية وستظل إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ السيد علي حسن فدعق(*)

بسم الله الرحمن الرحيم... والحمد لله واهب النعمة، وصلَّى الله وسلم على رسول الله نبي الرحمة وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. كنت أظن أني أعرف السيد علي فدعق... ولكن الآن أعلن جهلي بأني ما كنت أعرفه... فما تكلم به الآن أصبح معرفة جديدة عليَّ... ولكني كنت أعرف السيد علي فدعق صعب المراس، وفي الوقت نفسه سهل الانقياد، كيف يتم هذا التناقض، هو صعب المراس لرأي يراه، صعوبة المراس عرفتها لأنه لا يريد أن يكون تابعاً، كما أنه ينفي أن يكون متبوعاً، كان حريصاً على الندادة لا يريد أن يكون فلاناً أو فلاناً، محمد سرور الصبان مثلاً، وما أكثر ما كان بينهما، أو حسين جستنية، أو عبد الرزاق نداوي، أو غيرهم. كان لا يستطيع أن يكون تابعاً لأحد منهم، ولا يريد أن يكون من هو أقل منه تابعاً له، كان يفرض الندادة، ومن الصعب على الناس أو بعض الناس أن تفرض عليهم الندادة.

فبعض هؤلاء كان يريد أن يكون سيداً وسيداً فقط، وبعض هؤلاء قد يرضى أن يكون تابعاً.. أنا لا أعني الأسماء التي ذكرتها وإنما أعني كل الناس، إنَّما علي فدعق كان عنيداً في أن يكون نديداً، علي فدعق بهذا

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٢٨) الجزء الثاني ـ بتاريخ ١٤٠٤/٧/٢٢هـ الموافق ١٩٨٤/٤/٢٣م

العناد يظن أنه لا يخدع، ولكنه قد خُدع كثيراً، لأن بعض الترطيب بالثناء عليه يطوعه حيناً ليترك العناد، كم هي الظواهر التي خدع فيها.. لم يخدع لأجل أن يكون صاحباً، وإنما خُدع لأن يكون باذلاً... أذكره لعلّه يعتز بأن يكون الباذل، ولو كان مخدوعاً. أتطرف بهذا التذكير له ليعرف أن الذين شبعوا منه ما عقوه، وأنه قد شبع منهم بالعشرة والرحلة والمزاملة سفراً وترحالاً ـ أبوه حسن فدعق كان للسادة العلويين في مكة امتياز عند الشريف الحسين بن علي يرحمه الله. فكثيراً ما سمعت الملك عبد العزيز إذا نطق الحسين قال يرحمه الله. فالكبار لا يحتقرون الكبار، وعبد العزيز كان كبيراُ والحسين كان كبيراً، الحسين كان يجل الأشراف العلويين... فمما نعرفه أنه ما دخل بيت أحد في مكة إلا بيت السيد حسين حبشي في ريع الرسام، وكان يجلّ السيد حسن فدعق والسيد محمد فدعق حتى إن السيد حسن وقد أعلنت ذلك من قبل ويظن السيد علي أني لا أعرف ذلك إن السيد حسن فدعق كان إماماً للملك فيصل ملك العراق، يوم كان مقيماً في مكة بالأمانة بل كان صندوق فيصل ـ أي أمين خزينته ـ وما ذلك إلاّ ثقة بالأمانة، الأمانة خلق، ومن هنا كان السيد علي فدعق، لعلّه ورث الأمانة مع نفسه حينما كان جريئاً في رأيه، صريحاً في رأيه، وهو أيضاً شخص متعب، أتعبني مرة، فأتعبته في اللحظة نفسها...

كنا نسجل في التلفاز فإذا أنا بين علويين حسينيين، وجمازي حسيني وأنا رجل من عامة الناس، ولكني أعرف قيم الناس. فقد ضم مجلسنا السيد محسن باروم وحيدر مشيخ، والسيد علي فدعق وهم من السادة العلويين الحسينيين ويس طه من السادة الجمازيين الحسينيين أيضاً وأنا بينهم من عامة الناس، فإذا بالسيد علي فدعق يقول: أنت لست هاشمياً فقلت

له: فاتك أن مولى القوم منهم. إنني أعتز بصداقة علي فدعق لقد جَرَّ عليه العناد كثيراً من المتاعب ولكن الحق ينصر الذين يعاندون في سبيله، فهو الآن بخير وعلى خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ فاروق جويدة(*)

قال:

إني أسمع من يهمس، ويقول ثرثارة[1] في كل نادٍ يخطب، لست كذلك ولكن الأخ عبد الله بلخير فتح شهيتي للكلام، فأحببت أن أعلق عليه توضيحاً وتفسيراً بواقع من الحب.

عندما زرت لأول مرة بعثة الجامعة المصرية مع بعثة الأزهر المدينة المنورة، كنت حينئذٍ معلم صبيان في دار الأيتام، وقد أعدت المدرسة لنزولهم فيها واستقبلهم صديقي محمد سالم الحجيلي وكيل عميد المعارف حينذاك، لأن السيد أحمد صقر بمكة. فلما رأيت السيارات أسرعت بالدخول إلى المدرسة من باب الفضول فدخلت فضولياً فإذا بي أجد حفلة مرتجلة تم ترتيبها بسرعة قبل أن يتوجهوا لزيارة الحرم، وكان من بين الخطباء الأستاذ ضياء الدين رجب يرحمه الله فقال «إن العقيق يحييكم، وإن أُحُدَاً يرحب بكم»، ثم خطب الأستاذ سالم داغستاني خطبة لا تختلف عن سابقتها، ولكني وجدت أن هذا المقام يحتاج إلى حديث آخر غير الترحيب

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣٠) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٤/١٦هـ الموافق ١٩٨٥/١/٧م.

(١) ثرثارة في كل نادٍ يخطب هذا عجز بيت من الشعر صدره:

وَزِنِ الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثارة في كل نادٍ يخطب

فقمت خطيباً وقلت: إن هذه حفلة مرتجلة فلا أقل من أقول فيها كلمة مرتجلة، وإن كان الارتجال يضيق بفحول الرجال، ولكني سأكون الفحل أمامكم لأني أستمد الفحولة منكم.

وكان أحمد أمين يرحمه الله يرأس البعثة التي ضمت الشيخ علي محمود وعبد الوهاب عزام، وعبد الحميد العباس، وقلت فيما قلت: لقد تعلمنا منكم وفعلنا كذا وكذا فقام أحمد أمين يرحمه الله بعد أن أنهيت كلمتي وقال: إن الارتجال يضيق بفحول الرجال نعم، ولكني أشكر الأستاذ على الكلمة المرتجلة ـ وسماني أستاذاً ـ في تلك الأيام، مع أني كنت معلم صبيان. وقال أيضاً مشيراً إلي ـ هو يقول إنه تعلم منا وأصبح فحلاً لأنه قرأ لنا، وفي الحقيقة أننا نحن الذين استمدينا الفحولة من هذا البلد، من علمنا القرآن؟ من هدانا إلى الإسلام؟ ألم يكن جند هذا البلد؟ وأهل هذا البلد؟ قال ذلك وعيناه تسبحان بالدموع أمام القبة الخضراء، والأستاذ عزيز يعرف الصالون كيف كان.

وقال أيضاً:

أقسم بالله: إني لا أريد شعباً أن يكون سيداً لشعبي، أو وصيفاً لشعبي، أو أكثر علماً من شعبي إلا شعبكم هذا. ثم قام عبد الوهاب عزام وهو من المجاذيب أنا أسميه «مجذوباً»، وكان صديقي يرحمه الله فقال: لقد كنت من أوائل المتفائلين بالعالم الإسلامي، ولكني أصبحت الآن من أول المتشائمين، ما دامت المدينة ومكة خربتين، هذه الكلمة القاسية نقلت، وانتقل على أثرها الأستاذ محمد حسين زيدان إلى مكة، وضمت دار الأيتام إلى مهدي بك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجه(*)

كانت له الكلمة التالية:

لقد تعلمت من تونسي... أستاذنا الشيخ محمد عبد القادر الكيلاني، كان إذا أراد أن يحيّي رجلاً يعزه ويكرمه يبهبه له فإذا ذكر عبد العزيز الثعالبي[1] يرحمه الله يقول بيه بيه عزيز تونس. وأريد هنا أن أقلده فأقول بيه بيه أستاذنا الخوجه.

الأستاذ الخوجه لم يأت بغريب، ولم يأت إلا بما أنعم الله به على هؤلاء المغاربة، أتعرفون هذه النعمة؟ لقد قلت أكثر من مرة هما نعمتان: فكل المغاربة يحبون هذه الأرض وإنسانها... يعشقون هذه الأرض وإنسانها.

النعمة الثانية: إنهم أهل الثبات والإثبات، ثبتوا على مذهب إمام دار الهجرة بالمدينة المنورة وثبتوا على قراءة أهل المدينة المنورة قراءة نافع... أيُّ ثبات أكثر من هذا؟ وأيُّ حب أكثر من هذا؟ عندما أسس الفتى القرشي الفهري عقبة بن نافع القيروان لم يؤسسها في بلد غير عربي سواء كان هانئ البال أو كما يسميه البربر "هانيبال" فشمال إفريقية أرض عربية حميرية من

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣١) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٤/٣٠هـ الموافق ١٩٨٥/١/٢١م.

(١) هو زعيم تونس من الخطباء والكتاب ـ جاهر بطلب الحرية جزائري الأصل ولد عام ١٢٩١هـ وتوفي عام ١٣٦٣هـ.

الأزل، فليست غريبة عن اللغة وليست غريبة عن العاطفة لهذه الجزيرة.

والمغاربة أحبوا المشارقة، فاعتنوا بلغتهم وأدبهم، وشعرهم وفقههم... أتعرفون الخوجه يرث من في علمه؟ ورث أسد بن الفرات، ورث سحنون، ورث يحيى[1] بن يحيى كلهم من هنا أخذوا علم ابن القاسم علم مالك بن أنس... أخذوا ذلك ولم يكتنزوه ولم يبخلوا به بل أعطونا إياه وها هو يعطينا ابن الخوجه:

ارتدى برنسه والتثما حنّ للبان وناجى العلما

لم يكن بيننا وبين المغرب أي بعد، بل القرآن هو القربى، والسنة:

هي القربى، واللغة هي المقربة. وما أشد قربهم لنا هؤلاء المغاربة. تعلمت من أستاذنا الكيلاني يقول: نحن في تونس ورثنا حضارة الأندلس.. نعم أتعرفون أن تونس كانت بموقفها السبب في استقلال الجزائر؟ فرنسا أرادت أن تسترضي تونس لتقسو على الجزائر حتى إذا أخذت تونس استقلالها كانت العون الأول للجزائر.

أسألكم أن ترفعوا أكفكم إلى السماء.. قولوا اللَّهم وحد المغرب العربي. اللَّهم احقن الدماء في الصحراء... اللَّهم وفقهم ووفقنا في المشرق. إنها مأساة ألا يجد العرب أصدقاء، وكارثة أن يكون بين العرب وأنفسهم عداوة... إن هذا الشخص كان حباً لأن المغرب هو الحب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) هو يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس الليثي، بربري الأصل، ولد عام ١٥٢هـ ورحل إلى المشرق شاباً، عاد إلى الأندلس فنشر فيها المذهب المالكي توفي بقرطبة عام ١٢٣٤هـ.

حفل تكريم الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، لقد أطنب الأستاذ عبد الكريم نيازي، وأعتقد أنه احتفل بموضوعه احتفالاً كبيراً فأعده هذا الإعداد الذي أطنب فيه... هو مشكور بدوافعه ونوازعه ولكن لا بد من تكريم التكريم، وكلكم مع صاحب البيت تشاركون في تكريم الدكتور زكي نجيب محمود. وأنا لا أدعي أني عرفت الدكتور زكي نجيب معرفة الأستاذ نيازي، ولكن بعض المعرفة عرفتها من أخيه صديقي محمود محمود الذي كان عندنا في دارة الملك عبد العزيز وهو من حذاق اللغة الإنجليزية.

عرفت هذا الرجل وقرأت له بعض ما عرف، ولقد كبر عندي أنه كان زميلاً لأستاذنا الدكتور أحمد أمين ذلك الروح الطيب والنفس الطيبة، صاحب ضحى الإسلام... هو صديقه عندما كانت الثقافة والرسالة مجلتين عربيتين تمصرَّتا ومصرّتا المجلات، فالهلال والمقتطف وإن صدرتا في مصر فهما لم تكونا مصريتين مائة في المائة... وإنما الثقافة والرسالة كانتا مصريتين مائة في المائة.

عندما كنا طلبة كنا نخاف كلمة فيلسوف، عندما بدأنا نقرأ درساً في المنطق قال أستاذنا أول الأمر: اعرفوا ما يقول العلماء في المنطق:

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣٢) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٥/٧هـ الموافق ١٩٨٥/١/٢٨م.

ابن الصلاح والنواوي حرَّما وقال قوم ينبغي أن يعلما
والقولة المشهورة الصحيحة جوازه لكامل القريحة
ممارس السنّة والكتاب ليهتدي به إلى الصواب

إن المنطق فرع من فروع الفلسفة إذن الفلسفة طريق الهداية إلى الصواب... سقراط كان الفلسفة... أرسطو كان الفيلسوف والفلسفة. لقد نفر بعض علمائنا الأولين من كلمة الفيلسوف وأول النافرين كان الإمام الغزالي حينما ألف "تهافت الفلاسفة" ولكن أعطوني فكركم... أليس "الإحياء" كان فلسفة؟ لقد تفلسف الغزالي في كتابه "الإحياء" يضع الشرح للروحانيات والعقيدة وتلك فلسفة، وابن تيمية يرحمه الله ويرحم الغزالي كذلك أراد أن يحارب الفلسفة ويحارب الآراء المعتزلة وغير ذلك فإذا هو يصنع فلسفة إسلامية جديدة. إذن فقد تقدمنا حينما أصبحنا نكرم فيلسوفاً، ولقد أصبح الموضوع متسعاً من حيث ضاق، ضاق من حيث اتسع، فما الأدب إلا نوع من الفلسفة وما الفلسفة إلا نوع من الأدب، وما الثقافة إلا جماع الفلسفة والأدب، كأنما الأمر قد اختلط فأصبح مزيجاً واحداً، الفيلسوف مثقف... الفيلسوف أديب... المثقف عندما يتسع... ويجري وراء الحقائق يصبح فيلسوفاً.

وأستاذنا زكي نجيب محمود كان كذلك والرد على الأستاذ نيازي فيما أنكره هو رده من قبل أن يتكلم. سمعته يتحدث في الإذاعة... يقول: إنه كان يدعو إلى تغريب العرب... أن يصبحوا كالغرب يأكلون بالشوكة والسكين والطاولة كذا وكذا... أن يجعل كل عربي يتقمص شخصية أوروبية ولكنه عندما رجع إلى التراث وكان في الكويت كما قال هو عرف التراث وعرف قيمة تراثنا، فرجع عن هذا القول وحدد أن الثقافة استيعاب

للتراث وتزويد بالتراث الآخر سواء أكان غربياً أو غير غربي.

حضارتنا الإسلامية التي أنجبت الفارابي وابن سينا، وأنجبت ابن رشد وغير هؤلاء شبعوا من تراثهم، وشبعوا من تراث الفلسفة وغير ذلك. فالأستاذ زكي نجيب من زمن طويل قد أعاد لنا أنه هو المسلم... هو العربي هو الذي يريد لقومه أن يكونوا متفوقين. وذكرني (ولتكن مِلْحَة) إطناب الأستاذ عبد الكريم نيازي بكلمة قالها سعد زغلول يرحمه الله... كتب لأستاذه الإمام محمد عبده كتاباً أطنب فيه وهمس عليه بكلمة عرَّف فيها الإيجاز كما لم يعرفه الجرجاني والتفتازاني... قال: فأعذرني عن الإطناب فإنه ليس لدي وقت للإيجاز... إن هذا الإيجاز الذي أوجزته فيه معنى التكريم... وتكريم زكي نجيب محمود ليس تكريماً للشخص وإنما تكريم لأنفسكم أيضاً... وإنما هو تكريم لمصر.

هم بنو مصر لا الجميل لديهم بمضاع ولا الصنيع بمنسي

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حفل تكريم الأستاذ أحمد محمد جمال(*)

بسم الله الرحمن الرحيم... أحمد جمال كان القريب القريب إلى نفسي، وكنت البعيد البعيد عن وضعي معه، ذلك لأنه صاحب خلق وسلوك، وقد كنت ملوثاً بالوظيفة فأتعس أيامي أن كنت موظفاً، وأسعد أيامي أن كنت معلم الصبيان.

أحمد جمال حبيبه قليل، والذين يكدرونه كثير ذلك لأنه مع الحق وأنصار الحق قلة، وذلك أنه ضد الباطل وأهل الباطل كثرة.

أحمد جمال أراد أن يتعب الحياة لئلا تتعبه الحياة فانتصر على المعيشة وانتصر على العيش فإذا هو كاتب إسلامي بارز.

لا أريد أن أرفعه إلى فوق كما هي عاطفة الأستاذ عبد الله بغدادي، وإن كنت أنا معه في أكثر ما قال، وإنما أريد أن أتوطن معه لأنه بكل التواضع أدى ما أداه على أساس من خلق كريم وتربية مكية صالحة.

أحمد جمال نسي شيئاً واحداً مقال الزمان، وأسميه مقال الزمان وهو مقال كتبه في حراء... كل المقالات التي ذكرها وكل الأحوال التي ذكرها قد كنت أعرف بعضها لأني فضولي أحب الاطلاع... المقال الذي نسيه

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣٣) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٥/١٤هـ الموافق ١٩٨٥/٢/٤م.

أحمد جمال مقال حراء عن الدولار والريال، هذا المقال كان صريحاً كان جريئاً، قد أحدث ما بعده. فهو مرتاح حينما كان الدولار بسبعة ريالات، ولما جاء الأمير فيصل وزيراً للمالية، فأرجع الأمور إلى نصابها.

كان أحمد جمال هو الصيحة، فذكر الصيحة السياسية، والصيحة التربوية، ولم يذكر الصيحة الاجتماعية والاقتصادية. من يومها وأنا أقرظ أحمد جمال لأنه كان حازماً وصريحاً. في ذلك اليوم وشعرت بحنينه إلى يوم كنت رئيساً لتحرير جريدة البلاد، وكانت المعركة بيننا وبين الوضع في مصر حينذاك كثيرة.

جاءني مشفقاً أو مباهياً كلا الأمرين أعترف به وأشكره عليه. قال لي:

ماذا صنعت بمعماراتك التي في مصر؟ فأجبته ليس لي عمارات في مصر، وأشفق علي أبنائي فسألني عن مصيرهم قلت: أبنائي كلهم هنا. أنا لا أملك عمارة في مصر، ولا عتبة في شقة، فلست بطلاً وإنما أؤدي واجبي.

أحمد جمال كان يحضنا، لا أريد أن أقرظ أحمد جمال بأكثر من ذلك فهو مفتاح شخصيته الحق، ونصرة الحق، والخلق، والسلوك. هل أريد أن أقول كلمة: عرفته شاباً نشأ في طاعة الله، أسأل الله أن يكون هو وأمثاله من الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ عيسى خليل صباغ(*)

بسم الله الرحمن الرحيم «الأذن تعشق قبل العين أحياناً» ـ قد عشقت عيسى خليل صباغ وأنا أسمع الرنين من جرسه في اللغة الشاعرة، يوم كان في لندن، فاللغة العربية ألفاظ وقواعد، ولكن حليتها وزخرفتها في حسن الأداء، وكان عيسى خليل صباغ من أحسن من سمعت مؤدياً لهذه اللغة الشاعرة.

أحببته سماعاً حتى إذا لقيته هنا أصبحنا صديقين، وفي الكويت بذل لي من صداقته أيضاً ما أعتز به وأشكره عليه.

الأداء في اللغة العربية طرب، وعيسى خليل كان مطرباً، كان موسيقياً، كأنما يتغنى باللفظ العربي، تسمع جرسه فيطربك لم يكن وحده، كان هناك محمد فتحي كروان الإذاعة المصرية، أو أحمد فتحي شاعر الكرنك إذا سمعتهم يتحدثون أحسست بنشوة الطرب تمتلك حواسي.

أول ما سمعت من حسن الأداء في المدينة المنورة قبل أكثر من ٥٠ عاماً. عندما أقصى ملك الأفغان أمان الله يرحمه الله زار المملكة وجاء إلى المدينة ونزل في ساحة بيت هاشم، وكان المرافق له السيد عبد الوهاب نائب الحرم أبو أحمد، فلما زرناه ومعي عبد الحق نقشبندي، وعثمان

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣٤) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٦/٢٠هـ الموافق ١٩٨٥/٣/١١م.

حافظ وآخرون. . . فجاء ليستقبلنا ويجلس معنا وكان رجلاً طوالاً، لابس عمَّةْ فغانية، فإذا بعبد الحق نقشبندي يرحمه الله يسأله وقد كانت مجلة الفتح تشن الغارة على الأفغان، بإيعاز من صادق المجددي وأمثاله الذين ثاروا عليه. . . فسأله ما بال الملكة ثريا تقبل الشبان؟ فإذا بي أسمع الجرس الأغن من هذا الأفغاني يقول: كأنما هي لام عواذل، ثريا أنا خالها لم تقبل شباناً، وإنما قبلت بنيها، نحن خرجنا من الأفغان وليس فيه من كان ذليلاً منا، سألت شكيب أرسلان ما بال الملك علي يرحمه الله، يترك الناس يقبلون يده، فقال لي: إنه ابن بنت النبي قلت: وهل كان النبي يسمح لأحد أن يقبل يده، ألم تقرأ لي مقالاً في القبس إنكم تحملون على الأفغان لأنهم يلبسون القبعة، في حين أنكم تلبسون الطربوش، أتدرون ما الفرق بين الطربوش والقبعة، الطربوش لم يكن عربياً إنه لباس نمساوي، ولكن القبعة عربية لا يزال أهل اليمن يلبسونها، يتقون بها حرارة الشمس، عواء الكلاب عوت علينا فأقصتنا، كان ينطق بذلك بفصاحة لا أعرفها، لعلّها تفوق فصاحة عيسى خليل صباغ وأحمد فتحي. وسألته هل أنت أفغاني قال: لا أنا سوري، ألا تعرفون أن ثريا أبوها محمود طرزي باشا أفغاني أصبح دمشقياً في دمشق بنت محمود طرزي باشا تزوجها أمان الله خان. ومن حيث حسن الأداء لا تنسوا أداء طه حسين، وأداء محمد رفعت، ذكرني بهم جميعاً عيسى خليل صباغ، صادقته وصادقني وبيننا أشياء لعلّي إن لم أخف أنشرها في الذكريات. أن أهنئ حفلنا بزيارة الصديق عيسى خليل الصباغ. لقد صبغ اللغة العربية بجرسه الرنين وتفوقه، لم أسمع مذيعاً يحرص على عدم اللحن صرفاً إلا عيسى خليل صباغ. . . لأن اللغة لا تفهم إلا ببنية الكلمة، بالأمس كنت أخطئ، سمعت في برنامج عبد الله بن خميس شطراً من بيت لجميل بثينة يقول:

لم يَرِد أن يحبنا (قالها هكذا...) بفتح الياء وكسر الراء فصرخت: يا ابن خميس، لماذا لم تقل لم يُرِد بضم الياء وكسر الراء؟ ثم فطنت إلى أن نفي الإرادة كما أردتها معناه إسقاط للغزل وإسقاط للإبداع، وإنما أرادت هي الورود، من ورد يرد ويصبح معنى الجملة لم يرد إلى المنبع ليحبنا وتلك هي الغزل وهي الشعر، أداها ابن خميس أداءً لم يلحن في الصرف، وهكذا كان عيسى خليل صباغ يؤدي اللغة العربية لا يلحن نحواً، ولا يخطئ صرفاً... سلامي إليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ محمد هاشم رشيد(*)

بسم الله الرحمن الرحيم خرجت من المدينة إلى مكة عام ٥٨، ولم أكن أعرف هذا الفتى، ولكني كنت صديقاً لوالده. فقد كان رجلاً مثقفاً، كان مهندس سكة حديد، يقتني مكتبة أعارني ٨٠ جزءاً من مجلة المقتطف أيام كان يصدرها يعقوب صروف وفارس نمر، أيام كان يكتب فيها الدكتور شبل شميل ومحمد عبده، وعبد الخالق ثروت. كانت أول قراءة لي في هذه المجلة فأنا مدين بداء القراءة إلى هذا الرجل رشيد بك الغزي. هو من غزة من فلسطين، كان مهندساً لسكة الحديد. لعلّكم لا تعرفون أنه شارك في تعبيد طريق جدة الترابي مع عبد الله الجفالي. هذا الرجل كان صديق المثقفين، كان صديقاً للأستاذ حسين طه مدير المدرسة وأستاذنا، وكان صديقاً للسيد أحمد صقر، وكان صديقاً وراعياً لي. من هنا أحترم الأستاذ الشاعر، وقد تكلم عن العقيق فلم يوف حق العقيق هو عنوان التربة الغزلة في المدينة المنورة، فتربة المدينة تربة غزلة لم اقل هذا أنا إنما قاله رسول الله ﷺ: «زفوا بنات الأنصار فإنهم أهل غزل»... إن احتشم الشاعر من الغزل فقد عق العقيق.

هذا العقيق وتلك شم رعانه فامزج عقيق الدمع من عقيانه

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣٥) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٦/٢٧هـ الموافق ١٩٨٥/٣/١٨م.

لو رجعتم إلى الكتاب الأم الأغاني لوجدتم العقيق، ومغانيه، وأغانيه ومغنيه. أنا أحترم هذا الشاعر لأنه كدّ وجدّ وعمل بتعليم والده، وأثنى ثناءً عاطراً على الأستاذ المعلم أحمد يٰسن الخياري.

يٰسن الخياري كان من علماء المدينة، ومن قرائها، وشيخاً من شيوخها وأحمد كان شيخاً... أثنى على الشاعر لأنه ذكر عثمان حافظ وعلي حافظ، وأنا لا زلت أذكرهما أيضاً بخير زميلين صديقين، ولكنهما كانا من التواضع يختفيان بالتواضع، ولا يلتحفان الكبرياء، الأستاذ الشاعر أطنب إطناباً كثيراً لم يدع لي مجالاً لشرح شيء عنه، فقد شرح نفسه بل وشرَّحها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الدكتور صلاح الدين المنجد(*)

بسم الله الرحمن الرحيم... قالوا: الأسلوب هو الرجل. وحين تحدث الدكتور صلاح، تحدث بأسلوب بسيط جمع إلى الحلاوة حقائق ممتعة وكان الأمل أن يطيل لأنه لم يكن مملاً. لقد حدثنا عن التراث، إنه لم يترجم لنفسه بل هو ألقى محاضرة علمنا منها الشيء الكثير وعلمنا الكثير من الأخلاق لأكابرنا وعلمائنا.

قلت: إن الأسلوب هو الرجل. وقد اختلفت يوماً معه في الرأي لا في العقيدة ولا في المبادئ. فأنا رجعي مثله، والحمد لله أن الرجعية بعدما رأينا من حركات سموها تقدمية وأحداث، لم تعد مسبة بل أصبحت من مفاخرنا. فالفخر أن نكون ثابتين على مبادئنا وعلى قيمنا وعلى تراثنا. كان الخلاف في الرأي بيني وبينه وهما مني. كان يريد الناس كما ذكر الآن، وأنا كنت أدافع عن الناس. أتعرفون صلاح المنجد ماذا كان؟ لقد كان بكتاباته النصير لنا يوم أن قال النصير. ولهذا أعتذر عما فات. وأشكر لنفسي أني الآن أكثر صفاء معه وأكثر وداً له. لأني عرفته. عرفت العالم الباحث الوفي. عندما ذكر كرد علي وذكر الزيات كان يعترف للأفاضل بفضلهم. وما أحرانا أن نذكر للرذلاء رذائلهم أيضاً. لأن هناك مثالب كثيرة

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣٦) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٧/٤هـ الموافق ١٩٨٥/٣/٢٥م.

يجب أن يعرفها الجيل الجديد ليتجنبوها. لقد ذكر الحلواني، وكان من بيت كبير في المدينة، لكن لعلّه لم يعرف ماذا حدث لمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت. لقد جاءني يوماً الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ببيان كتبه أستاذي السيد أحمد صقر. وكان هذا البيان محفوظاً عند أحمد ياسين الخياري. فعرفت خط أستاذي. وفيه أن عدد الكتب في مكتبة عارف حكمت هو ستة عشر ألفاً وخمسمائة، في عهد الأتراك وأوائل عهد الأشراف. فماذا بقي منها. وكما سمي صلاح المنجد الحلواني فإني لا أستحي من ذكر اسم سارق آخر هو إبراهيم الخربوطي، الذي كان مديراً للمكتبة. وعندما كان مديراً قبله عبد القادر حواري، أبو كامل الحواري الذي عاش في دمشق، وأبو محسن حواري الذي كان سكرتير الأمن العام. كانت المكتبة مصونة. فلما جاء الخربوطي كان يسحب الكتاب والكتابين ويذهب إلى أوروبا، ولعلّه باع بعضها إلى فيلبي. أتعرفون كم بقي من الإحصاء الذي أحصاه أحمد صقر. أي الـ ١٦٥٠٠ مخطوط؟ لم يبق منها سوى خمسة آلاف.

أما مكتبة السلطان محمود أي المحمودية فقد أبيدت. إن الدكتور صلاح يستنكر السرقة، إنه عيب أن نسرق كتبنا الموقوفة ونبيعها. ولكن عندما يشتريها المستشرقون أو تجار الكتب في أوروبا فإنها تبقى محفوظة لنا باسمها. وتبقى تذكر في أمجادنا. فالمذمة هنا للسارق، والحمد للمشتري. ذكروا أن فيلبي وجد رأس الأسد في الربع الخالي، وقوم عاد كان لقب "الهر" عندهم أسداً. ومنه جرى اسم الهر. فأهل اليمن لا يعرفون "القط" ولا "البس" إنما اسم الهر. فاستوهبه الملك سعود فأعطاه إياه. فسمعت من ينكر هذا العمل. قلت لهم: لا تنكروا لو بقي عندنا لكسرناه وقبضنا ثمن النحاس. أما الآن فقد بقي في لندن أثراً من آثارنا. أنا مع الأستاذ صلاح على استنكار السرقات، وإهمال مكتباتنا ولكنني أحمد للذين اشتروها

فصانوها. وهنا يجب أن أثني على أمين التميمي رحمه الله، فقد جمع لنا وثائق كثيرة عن المملكة من تركيا ومن لندن، وهي موجودة في دارة الملك عبد العزيز في الرياض والدكتور صلاح يعرفها.

وخاطرة أخرى خطرت لي عندما ذكر الدكتور صلاح دمشق واحتفالها بالعلماء. أنا لا أريد أن أذكر أحداً غير الشيخ بدر الدين، الذي هاجر إلى دمشق من المغرب وكان خاتمة لرواة الحديث، وكان راوية دارية. كما أخبرني أستاذنا الشيخ كامل القصاب. هذا الأستاذ الذي كان له رعاية لي وهو الذي فتح لي باب العلم والمعرفة. لهذا أشكر كامل القصاب أمام صلاح المنجد. وأعود إلى بدر الدين. هذا المغربي أصبح عالم الشام لا يجلس إليه صغار الطلبة بل العلماء من أمثال كامل القصاب وبهجت البيطار. أتعرفون ماذا أعطته دمشق؟ أعطت ابنه تاج الدين أن يكون رئيس جمهوريتها. أليس كذلك؟ الأرض لا تبغض الأرض، والشعوب لا تبغض الشعوب ولكن ماذا أقول للذين يزرعون البغضاء بين الشعوب باسم الزعامات أو باسم المبادئ أو باسم المذاهب وغيرها.

ولعلّي لا أنسى قبل إنهاء كلمتي أن أذكر الصحفي القدير كامل مروة رحمه الله صهر صلاح الدين لقد لقيته في فندق اليمامة، وكان بيننا أحاديث. أما ثناء صلاح علي الزيات ففي مكانه. رحم الله الزيات ورحم كرد علي، وأبقى لنا صلاح المنجد ذخراً ثقافياً عظيماً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ أحمد عبد الجبار(*)

بسم الله الرحمن الرحيم. قد يعسر على إنسان امتلأ فؤاده بالحب لإنسان أن يستطيع إلقاء كلمة عنه في حفل كريم كبير مثل هذا.

أنتم سمعتم الأستاذ أحمد عبد الجبار شاعراً أطربكم وأفرحكم لكن لي تعريف له كشاعر، إنه بهذا أثبت أنه كبير القلب، فالقلوب الكبيرة يرهقها الحزن، الحزن العميق لا لشيء ناله في نفسه وإنما للأشياء التي حوله. فالقصائد عن لبنان لم تعبر عن الفرحة بلبنان إنما عبرت عن الترحة بما يجري على لبنان، وفي لبنان ذلك وفاء من نشأ في ربوع لبنان، ومن أجدر بالوفاء من أحمد عبد الجبار.

الشاعر لا يلعب وإن قرأ له بعض الناس ما يلعبون به من الشعر... الشاعر حسن ووجدان لا يقول شعراً إلا إذا طرب أو كرب أو غضب. وهذه العبارة لم تكن لي وإنما سُبِقْتُ بها فقالوا فلان إذا طرب، وفلان إذا كرب، وفلان إذ غضب.... إنما استعرتها من الماضي. أريد أن أتكلم عن أحمد عبد الجبار الإنسان، عن ابن هذا البلد. كنا في مجاعة من المعرفة أبناء مدارس بسيطة، طلبة علم في مسجد، لكن كم كانت فرحتنا عندما طلعت علينا هذه الطلائع وكان من بينها أحمد عبد الجبار، جميل

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣٨) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٧/١٨هـ الموافق ١٩٨٥/٤/٨م.

داود المسلمي، محمد شطا، أحمد العربي، هناك إنسان لا أنساه يذكره الأستاذ عزيز إنه الدكتور يوسف عز الدين، كان فرحة مكة كما كان فرحة المدينة الدكتور محمد الخاشقجي، هؤلاء الطلائع لا تدرون كم كنا نفرح بهم ونطرب بهم ونعتز بهم.

أحمد عبد الجبار من هؤلاء الطلائع، ولا أنسى أيضاً الأستاذ عبد الله بلخير، فريد بصراوي، والأستاذ عزيز ضياء من مخضرمي الثقافتين ثقافتنا نحن المدرسية وثقافة لبنان فما منا أحد شرّق ثقافياً وغرّب ثقافياً أكثر من عزيز ضياء. من هنا أحيي الأستاذ أحمد عبد الجبار أحييه وقد يقول إنه قد اغترب مع أنه لم يغترب ودائماً هو المقترب من نفوسنا ومن وجداننا، فنحن لن ننسى طلائعنا الذين أترعونا بالفرحة يوم انقشعت عنا مجاعة المعرفة، فقد كان أحمد عبد الجبار ومن ذكرت شبعاً من هذه المجاعة التي كنا فيها.

أحييه وأشيد به شاعراً أشيد به وفياً. قابلته في مكة كثيراً ولكن عندما وصلت إلى طوكيو أكرمني وأكثر ولا أريد أن أبوح بشيء من هذا الإكرام لأنه لا يحب هذا الإطراء يراه مني شكراً ويراه من نفسه أن فيه المنّ منه.

أشكره على ما قدم.. أشكره على ما صنع، هو القريب. الحنين إلى روضة التنهات هو كالحنين إلى الأرز كلها أرضنا، كلها بلدنا. لقد ذكرت من قبل أن الأرض ما عقَّت الأرض... الأرضُ ما هَجَتِ الأرضَ... أي شبر في شامنا ويمننا ومغربنا ومصرنا، كل شبر من هذه الأرض يحنّ إلى تلك، أما الإنسان فالله أعلم به وأنتم أعرف بالإنسان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ أحمد محمد الشامي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإنه يطيب لي الحديث لا عن الصديق أحمد محمد الشامي، فقد تحدثت أعماله عن آماله وعن كل ما ابتلاه الله به من كرب كارب. لم يكن لطلب المادة، وإنما كان طبعاً يهتديه. الليلة هو أحد صناع الكلمة. لا أريد أن أتكلم عن الشامي، ومن عجب أن يكون الشامي يمنياً، إنما أريد أن أتحدث عن اليمن. أنا لا أقول اليمن السعيد بل أقول اليمن السعيدة، فالانتماء إلى الأرض أحب إليّ من الانتماء إلى التراب، فهي اليمن السعيدة اليمن الخضراء. انتبهوا إلى هذا البيت الذي قاله كريم الوجه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

الحديث عن اليمن حديث عن العرب جميعاً فاليمن قحطان. إرم ذات العماد، الجنتان في سبأ، المصعب بن الحارث، ذو القرنين الذي وصل إلى الصين ووصل إلى مغرب الشمس وأبقى لنا البربر حمير.

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٣٩) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٧/٢٥هـ الموافق ١٩٨٥/٤/١٥م.

لا أريد أن أتكلم عن اليمن القديمة، وإنما عن الشعب العرب كله فإذا أردنا أن نفخر بشيء فيما قبل الإسلام، كان فخرنا بقحطان قمة، وإن جاء دور العدنانيين في الإسلام، فإن فخرنا بهم قمة أخرى. أتدرون لماذا قال علي بن أبي طالب هذا البيت:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

لأن علياً حينما مسه الضيم أضامته الدنيا بينما هو نصر الآخرة، وانتصرت به أعمال الاخرة رضي الله تعالى عنه. كانت همدان نصيرة له، نصرته في حروبه فكان الوفاء من طبيعة هذا الإمام يريد أن يفتح لهم باب الجنة يدخلهم فيها، لكن من الحسرة أن اليمن الحكمة والحكمة يمنية... اليمن التي أسلمت بالرسالة، اليمن التي شع منها نور الحضارة، لقيت من بعض السلطان شيئاً من العذاب. أتعرفون ماذا جرى لهمدان؟ حاربهم بشر بن أرطأة فساق نساءهم سبايا، أول سبي في الإسلام. بكى منه عبد الله بن عمر ولا زالت الدنيا تبكي أن تسبى مسلمة.

اليمن أعطتنا الكثير، وما زلنا نبخل عليها بالقليل، لا أقول نحن إنما أقول العرب جميعاً، بل إن اليمنيين قد بخلوا على أنفسهم أن يسيروا في وحدة كاملة من الأحقاف إلى حدود جزيرة العرب، لا يضير أي شعب عدوان غيره عليه، وإنما الضير أن يكون عدوان الشعب على نفسه من بنيه.

الكلام طويل والحديث قاس، والدموع لا ترقع ما فتقه الواقع الآن، لكن لعلّنا نعيش في بوتقة الصهر الأمل موجود، والتفاؤل موجود ما دام في الناس ناس كما قالت عاتكة بنت زيد، قالت ذلك يوم كان الناس ناساً، ونحن نريد أن يكون الناس ناساً الآن، التحية لليمن السعيدة بتاريخها. لا أريد أن أنسى كلمة زورتها من قبل: اليمني رجلان رجل كادح يعرق جبينه

في سبيل العيش، وعالم ناجح من أئمة اليمن الأمير الصنعاني، الذي ذكره الشوكاني. لكن قبل ذلك عبد الرزاق الصنعاني كانت إليه الرحلة أتدرون من رحل إليه مرة.

لعلّي إن أخطأت يصحح لي أبو تراب رحل إليه أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين. هؤلاء وما أثقلهم في الميزان. هل هناك من هو أكبر منهم في المجيدين في ذلك الوقت؟ إلا أن يكون عبد الرزاق وسفيان الثوري قبلهم وابن عيينة. فإذا عبد الرزاق وأهل الحديث دائماً فيهم كبرياء، لا تؤاخذني يا أبا تراب. قال: لا يدخل علي إلا أحمد بن حنبل... يعني ترك يحيى بن معين، وترك علي بن المديني فأملي على أحمد بن حنبل ما أملى عليه، وكان الإمام الصنعاني رحمة الله عليه قد وضع من يسبر كلامهم ويعرف ماذا يقول هؤلاء، إذا ما رأوا أحمد قد رجع من عنده.

فلما اطلع يحيى على ما أملى عبد الرزاق قال: هذا ليس في كتاب عبد الرزاق. لقد خلط الشيخ، سمع عبد الرزاق ذلك جاءه السابر فدعاه فقال: ماذا قلت يا يحيى... قال: أخرج كتابك لترى، فرأى فإذا يحيى معه الصحيح، فإذا هم أصفياء أحباب رضي الله تعالى عن عبد الرزاق، عن أحمد عن يحيى بن معين، عن علي بن المديني، عن البخاري، عن سفيان الثوري، عن سفيان ابن عيينة، عن الشوكاني، عن الأمير الصنعاني.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذين أحمد عبد الغفور عطار وطاهر زمخشري(*)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله... ليس إحراجاً لي أن أتحدث عن الذكريات فأنا أعرف أن باباً طاهر ظريف له من الظرف والإضحاك كما هو قد يكون دافع الإبكاء. ولكن قبل أن أتحدث عن الذكريات لا أريد أن أنجو من كلمة أثني بها قبل كل شيء تقديراً لأستاذنا أحمد عبد الغفور عطار. كما لا أنسى الأمير الشاعر والشاعر الأمير الذي كان يوم احتفال الجائزة وقوراً بينما العطار وهو أستاذنا جميعاً، كان وله الحق فيما اجتهد وما تكلف وما تعب أن يكون فخوراً... هو فخور بنعمة الله عليه ونحن أيضاً نفخر به لأنه من نعم الله علينا أن يكون فينا عالم يُعرف في مشرق الأرض عربياً وعند غير العرب. أثنى عليهما غير معتذر، وأريد أن أنتشر في الحديث عن ذكريات الفحمة السوداء الماسة البيضاء طاهر الزمخشري عندما تقدم في الحفلة وهو يشكر جائزة الجائزة الملك فهد أيده الله وأطال بقاءه. قال إنه فحمة سوداء يلبس ثياباً بيضاً. فأنا عرفت طاهر زمخشري ليس بثيابه البيض ولا ببشرته السوداء، ولكن بوجدانه الأبيض. إنه

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٤٠) الجزء الثالث ـ بتاريخ ١٤٠٥/٨/١٦هـ الموافق ١٩٨٥/٥/٦م.

يحب الجمال ويعشق الجمال، ولكني أعرف أنه لا يعبث بالجميل. فحمة سوداء ماسة بيضاء من سنن الكون أن الشجرة الخضراء تطمرها الأرض، تستحيل إلى فحم حجري أسود يتبخر هذا الفحم غازاً، يتجمد ويصبح ماساً. تعرفه وهو خام كأنه قطعة من الكلس حتى إذا بلوروه أو مَوْشَرُوه أصبح تاجاً على رؤوس الملوك، وزينة وحلية في جيد الغانيات. فطاهر زمخشري فحمة سوداء بالبشرة، ولكنه قلب أبيض ماسة بيضاء. لا يعرف الحقد ولا يعرف الكره. صبر على الكثير، صبر على العقوق.

وأنا أيضاً كنت ابن التربة الغزلة المدينة المنورة، وأتحدى أي مدني أن يقول لي إن هناك مدنياً لم يحب، ولكن الزمخشري أيضاً أدركه الحب، لا تغتروا بالبشرة السوداء إنه المكي مرتين، مكي النشأة ومكي العرق. فهو قرشي أتعرفون من أين جاءته القرشية؟ إنه من قبائل الفُلاّن التي تسمونهم الفلاتة، ولد عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب الذي وضع رجله على الأطلسي وقال: يا رب لولا هذا البحر لمضيت في سبيلك مجاهداً، عقبة بن نافع الفهري جده. كل قبائل الفلاتة يُستدل على ذلك ليس من قراءة صبح الأعشى ولا عبد الوهاب عزام، ولكن انظروا إلى أنوف الفلاتة، إلى عيونهم، إلى جباههم، إلى عجائزهم لا تجدوها زنجية.

ذكرياتي مع الزمخشري طويلة كبيرة، وله ذكريات مع الأستاذ العطار، والسيد ياسين طه، والأستاذ الشهيد سيد قطب فقد كانوا الثلاثة أو الأربعة زملاء.

لا يسع الوقت أن يذكر... الأستاذ السيد ياسين طه رجل قد لازم الصمت كثيراً. أتعرفون أنه كاتب، ولكن أراد أن يكتب قبل أن يكتب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ علي أبو العلا(*)

كانت له الكلمة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم... والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... أما بعد:

فقد أصبحت موظف كلام، والأخ علي أبو العُلا ولا أقول أبو العِلا له من اسمه نصيب، فهو علي بيننا وقد استعلى بشعره واستعلى بسيرته كموظف، فالشعر امتحان لنا أهل البيان، ولكن الوظيفة امتحان عند أصحاب الأعمال. الشعر قد ينم عن خلق الشاعر وطبيعته، ولكن الوظيفة تنم عن طيبة الموظف وحسن أخلاقه، أي ليس هناك ما يحفظ في الدرج أو ما شابه ذلك، فعلي سيرته شاعر هو مجيد بيننا، وسيرته موظف هو حميد لدى كل من تعامل به، يكفيه ذلك فخراً له، ثم هو ينتمي إلى حي في مكة هو حي الشبيكة... والشبيكة من حارات مكة تمثل طبقة وسطى ما فيها طبقة عليا وما فيها طبقة دنيا وكلهم يعرفون بعضهم بعضاً، والسبب أنهم مطوفون لأبناء الأقطار العربية، والعرب لا يملكون فلوساً كثيرة في تلك الأيام بعكس حي الشامية يسكنه علية من الناس لأنهم مطوفو أبناء الجاوة والهنود، والهنود والجاوة في ذلك الوقت كانوا في يسر.

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٤٢) الجزء الرابع ـ بتاريخ ١٤٠٦/٣/٢٧هـ الموافق ١٩٨٥/١٢/٩م.

فعلي نشأ هذه النشأة التي فيها كثير من الشظف، ولهذا ورث الترف في البيان والترف في الشعر والترف في المعاملة، فعلي مدين للشظف كما ذكر، كيف تعب في الوظيفة، وكيف حرم من العمل لوظيفي عشر سنوات؟ وينبغي أن يحمد هذا الشظف لأنه كون لنا هذا الإنسان الذي يكرم بيننا الآن، ولقد كرمني حينما ذكرني ببعض ما تعاملت به معه، ثقوا أني لا أذكر ذلك مع أن ذاكرتي والحمد لله قوية ولا أقول هذا فخراً، إن صانع المتلوف قد يذكره وصانع المعروف قد ينساه، لأن المتلوف فيه تعذيب للضمير وتعذيب الضمير يبقى، ولكن صانع المعروف لا يبقى معه لأن الضمير مرتاح.

لهذا أشكره هذه الليلة وأشكر الأخ عبد المقصود وأشكركم، وأحيي أبا العلا على نظافته شاعراً وعلى نظافته موظفاً لم يشكُ منه الناس والواقع من شرف الموظف في هذه الأيام أن لا يشكو منه الناس.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

حفل تكريم الأستاذ محمود السعدني(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، الثناء للإخوة المسلمين الذين تكلم عنهم الأستاذ الجزائري. كأنما كنا في حاجة بعد الإضحاك إلى شيء من أزمة النفوس لإخواننا المسلمين، ولنعد إلى الإضحاك مرة أخرى.

غريب جداً من الولد الشقي أن يكون هو السعيد بشقاوته، لأنه رفع الصعلكة إلى درجة العظمة، فهل رأيتم صعلوكاً كمحمود السعدني، شقياً يصبح عظيماً بينكم تكرمونه؟ تلك التربة مصر كما قلت في مقال كتبته في اقرأ: (لو كنت مَثّالاً أصنع تمثالاً لشخص أمثِّل فيه مصر لما وجدت إلا مصطفى حمام ومحمود السعدني). أعود فأقول: لو كنت مثالاً وعرضوا أمامي صورة شوقي العظيم أمير الشعراء وصورة حافظ إبراهيم، أيهما أتخذ منه تمثالاً يمثل تربة مصر وطبيعة مصر وفكاهة مصر وشقاء مصر وإسعاد مصر، لأن مصر تشقى من غيرها أو تشقى بنفسها لتسعد الآخرين. وكما قلت إن مصر شديدة المحافظة على القيم ولا تحاسب الذين أهدروا القيمة، لو وضعت صورة شوقي وحافظ إبراهيم لأصنع تمثالاً يمثل مصر، مصر التي طبعت الفتى التركي شوقي لأن يكون أمير الشعر العربي أو أمير الشعراء العربي، لا أستطيع أن أصنع منه تمثالاً يمثل مصر، ولكني سأصنع

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٤٦) الجزء الرابع ـ بتاريخ ١٤٠٦/٥/٢٤هـ الموافق ١٩٨٦/٢/٣م.

التمثال لحافظ إبراهيم، هو الذي يمثل مصر، ولو أني «كنت ذا عزيمة واستطعت أن أنقل تمثال سعد زغلول وأضعه على الأوراس لما أنكره برابرة الأوراس. كما أنني لو حملت كمال الملاح بالجمجمة العريضة وبالجبهة العريضة ووضعته في المغرب العربي لقالوا هذا فتى من البربر». ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢).

الولد الشقي أكبر نكتة عملها أن اشتغل بالسياسة. لماذا كانت نكتة؟ ولماذا عذب بها؟ السبب أن الدكتاتور قد يخشى أنداده ويحارب أنداده، ولكنه شديد الحقد على الصعاليك لأنه يخاف الصعاليك أكثر من الأنداد، لأن الصعاليك يحاسبونه على رغيف العيش... يحاسبونه على حبة التمر، وما دام دكتاتوراً طاغياً فإنه يحارب الصعاليك أكثر مما يحارب أنداده، ولهذا حورب الصعلوك محمود السعدني. هل أزيد؟ فأنا فرح بأني كنت أحد الصعاليك؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الدكتور عبد اللَّه الغذامي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم. كنت عازفاً عن الكلام فقد تكلمت كثيراً عن الدكتور الغذامي، ولكن البعض طلبني إلى الكلمة، أو بالأحرى أغراني بأن أتكلم.

أقول له: ما هكذا يا سعد تورد الإبل.

هذا البعض أراد التظاهر أو المظاهرة بشكل من النقد يمس العقيدة، ومجلسنا ينبغي أن يكون محترماً عن هذا المس. كون الأخ الدكتور عبد الله أخذ عن الغرب والغربيين، فعلى هذا البعض أن يرجع إلى ابن قدامة في "المغني والشرح الكبير" ليجد رسول الله ﷺ قال: (كنت نهيتكم عن إتيان الحبالى، ثم علمت أن الروم تفعلها ولا يضرها فأتوهن) والصور محرمة كان حرمها رسول الله ﷺ، ولكنه كان يحمل الدينار الرومي والعملة الرومانية وفيها صور. والسيف الذي استعملناه، لم نصنعه بادئ ذي بدء بأيدينا بل كنا نأخذه من الناس، فالأخذ من الغرب بحصافة وفهم على طريقة السلامة هذا أمر ينبغي عليه الثناء لا تنبغي عليه المذمة... (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها) فعتبي على هذا البعض أنه اختار موضوعاً أحال الاعتزاز بالغذامي إلى شيء من الابتزاز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٤٧) الجزء الرابع ـ بتاريخ ١٤٠٦/٦/١هـ الموافق ١٩٨٦/٢/١٠م.

حفل تكريم الأستاذ محمد عبد الله مليباري(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... بيني وبين الأستاذ محمد مليباري ترشيد المودة وتهذيب الحب، ذلك لأنه هو البادي أن يكون الودود، وما أحسبني إلا الواصل لمن يودني وغير المنفصل لمن لا أجد منه وداً، ولكني أتمسك بكلمة ترشيد الود لأختلف معه كثيراً وليبقى الود كما هو.

هو في محاضرته هذه التي حارب فيها الحداثة كان هو الحداثة... أنا معه في بعض الرفض للحداثة ولست معه في بعض الرفض للحداثة. لقد قلت كلمة من قبل نشرت: إن بعض الحداثة غثاثة ولكن بعضها دماثة... فمن الحداثة التي أتهمه بها أسلوبه التحصني، فهو يكرر الكلمة نفسها تؤدي المعنى الأوسع إذا ما كررها على صورة أخرى، ونأتي إلى اختلافي معه في قحطان وفي الآراميين أولاً عندما رست سفينة نوح على الجودي كان ابنه سام هو الذي عمّر هذه الجزيرة العربية أول ما عمّرها بين النهرين، فإذا الذين نشأوا من ذريته بين النهرين كانوا العرب والخبيريين والعبرانيين، من الخطأ أن نسمي اليهود العبرانيين لأنهم عبروا من النهر، بل العبرانية تنسب إلى عابر بن شالخ بن أرفخشات بن سام بن نوح، ولست معه في أن

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٤٩) الجزء الرابع ـ بتاريخ ١٤٠٦/٦/١٥هـ الموافق ١٩٨٦/٢/٢٤م.

قحطان بن عابر بل قحطان ابن أرفخشت عم عابر. فعابر بن شالخ بن أرفخشات هو عم قحطان بن أرفخشاد، وهناك روايات تقول إن قحطان هو هود، وهود عليه السلام كان نبي عاد، وعاد ليست تعد سنينها بالخمسمائة بل بآلاف السنين، فحجر ثمود مدائن صالح ١٥٠٠٠ سنة ليست ٥٠٠ سنة.

أما الآراميون واللغة السريانية والكنعانية والحبشية كلها من أرومة سامية، كانوا أولاً في ألفاظهم لا يستعملون المد، ففي الحبشية الأرض اسمها بدا بدون ألف جاءت العدنانية فوسعتها وقالت بيداء. تجدون هذا القصر للمد في اللغات اللبنانية وفي تونس... تونس نحن نقول تونس ونمد بالواو بينما هم يقولون تنس التوانسة. ليست في الكنعانية القديمة وفي الفينيقية القديمة والعادية القديمة والقحطانية القديمة والآرامية القديمة التي هي من أرومة عربية سامية هذا الحرف المد، وانظروا إلى اختلافهم بين التاء والثاء، كانت القديمة تكاد تعدم منها التاء فالثاء قبل، وانظروا إلى ما ورثنا من أنّ "ام" مكان "الـ" في لغة حِمْيرَ "آمن أم برام صيام في أم سفر". فالذي فصح اللغة هي العدنانية، وكان التفصيح إرهاصاً للإسلام حتى ينزل القرآن بلغة فصيحة هي ليست لغة قريش وحدها، بل إنها هي لغة هذيل وفيها لغة تميم لهجات عربية لا أكثر ولا أقل.

إن قحطان أقدم من عدنان وهذا ما أخالف أستاذنا محمد المليباري...

هو جاء بأقوال، ثم أخالفه في أن القيسية كانت مع عبد الله بن الزبير ـ أبداً ـ القيسية المتمثلة في غطفان بقضها وقضيضها عبسها وذبيانها ونزارها وأشجعها ومحاربها كانت عيبة بني أمية، فالذي أباح المدينة كان غطفانياً ولم يوجد فيمن أباح المدينة غساني أو كلبي من الشام، كلهم كانوا من غطفان يتقدمهم عقبة بن مسلم المري، ونحن عندنا مرتان مرة غطفان ومنها الحارث الظالم المري وهرم بن سنان وهذه انقضت الآن لأنها دخلت كلها

في مطير، ومنها مرة يامي الموجودة الآن في نجران، وهي "أخت العجمان، وجرهم أكاد أجزم مخالفاً للأستاذ أنها قحطانية ولهذا من عجيب الأمر أن تكون الأمومة لمحمد عليه السلام سيدنا خاتم الرسل أن تكون الأمومة قحطانية وعدنانية. أما الأمومة الأولى فإن هاجر كانت قحطانية أي فرعونية، والفراعين هاجروا من قرية عون في اليمن بين صنعاء والحديدة لا تزال موجودة حتى الآن، كذلك فإن زوج إسماعيل جرهمية وهي قحطانية أيضاً، كذلك جدة أبيه عبد الله أم عبد المطلب النجارية الخزرجية كانت أيضاً قحطانية فله ثلاث جدات من قحطان. كان عليه الصلاة والسلام يفخر بأنه ابن العوائق، وقد كتبت ذلك في جريدة المدينة وقلت: كأنما كل العرب ولدت رسول الله من هؤلاء الأمهات، وأقول: إن كل العرب ولدت محمداً ﷺ من هؤلاء الجدات، هاجر الفرعونية، وزوج إسماعيل الجرهمية، وأم عبد المطلب الخزرجة... وكلهم من قحطان حتى أن يقطان في التوراة هو اسم قحطان، وكان يطلق أيضاً على هود عليه السلام... فهود قبل إبراهيم وصالح قبل إبراهيم بسنوات عديدة".

أما الحداثة إن كانت رأي مارجليوث أو غيره فرفضها فأنا أرفضها معه، أما إن كانت خروجاً عن بعض التفاعيل في الشعر... فأهلاً وسهلاً، فهو يحكي لسان ابن الخطيب أو غيره في الموشحات، وأنا أحد القابلين لهذا الشعر النبطي أو الشعر الشعبي. لهذا ورغم أني ذكرت بعض الخلاف مع الأستاذ مليباري فلا يزال له مكان الإجلال والاحترام على المطالعة كأنما هو صنو لي. أرجو أن يكون وارثاً بعض ما علمت، وأرجو أن يزيد ويزيد... زاد الله في عمره وبارك الله له في حياته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم معالي الدكتور المهندس محمد سعيد فارسي(*)

فكانت له الكلمة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم، ما عهدتني أضيق من عجز القول إلا في هذه اللحظة، لكني لعلي أحتال بقوة أخرى يزول بها عجزي عندما أتحدث عن الطفل الذي هو أبو الرجل. تحدثتم عن الخلق وأريد أن أتحدث عن الخلق، وإن كان الأخ أمين عبد المجيد تطرق إلى ما صنع الخلق من العزيمة والصمود أمام ما يزعج وما يكره، وما كنت أحسب أن أمين عبد المجيد يحسن الخطابة كما أحسن أو يحسن الخطاب كما فعل. الخلق الذي أتحدث عنه هو الطفل محمد سعيد فارسي، الطفل أبو الرجل كما قلت، فما من رجل إلا وهو مدين لطفولته وما نشأ عليه:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوَّده أبوه

فمن أبوه؟ أبوه هو الشيخ الجليل الجواهرجي، كان يتعامل مع من يشتري الجواهر، ولعلّي لا أذيع سراً إذا قلت مع الشيخ عبد الله السليمان خادم الملك عبد العزيز ووزير ماليته. أنا لا أتصور أن محمد حسن

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٥٧) الجزء الرابع ـ بتاريخ ١٤٠٦/٨/١٩هـ الموافق ١٩٨٦/٤/٢٨م.

الفارسي وصل إلى المالية أو طالب بقرش، كان التعامل بينه وبين عبد الله السليمان شخصياً، وطرأ أخيراً تبدل في من يبيع الجواهر، رايت هذا وبين يديه عقد من الماس، الحبة به أكبر من الظفر الكبير، وسأل البائع ولعلّه كان من بلجيكا عن سعر ذلك العقد فأجاب أنه: (٤٨٠٠٠) جنيه ذهب، وأنتم تعرفون مقدار ميزانية الدولة في تلك الأيام، إنها لا تتجاوز مبلغ ٨٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال، واشترى الرجل العقد بـ ٤٨٠٠٠ جنيه ذهباً، ثم ذهب ليبيعه لمن يشتريه من هؤلاء أو أولئك بأكثر من ٩٠٠٠٠ جنيه ذهباً. الفارسي الجواهرجي ما كان يفعل ذلك، ما سمعت عن الفارسي والد محمد سعيد أنه قدم رشوة إلى أحد، فإذا البركة سينعم الله بها عليه، ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩) لم يكن صمود محمد سعيد فارسي أمام الحدث وأمام المهمة إلا برعاية الله، وبركة الله من التربية الحسنة والأخلاق المتزنة.

أما قصة السفير، فلمحمد سعيد فارسي فضل الصمود، ولكن لقيمة الدولة التي لا يزعجها فعل هذا السفير، وكنا في وقت ما ننزعج من كلام السفير، ولكن والشهادة أقولها لله ولا أضن بها على الملك فهد وإنما أرسلها رحمة من الله إلى فيصل بن عبد العزيز، فهو الذي قطع دابر هذه الاحتجاجات.

إذن مكانة الدولة عرفها محمد سعيد فارسي، فكان الصمود منه لينفذ القانون ولا يعبأ بالتهديد؛ هذا كلام يجب أن أقوله، تحدثتم عن الخلق، فالحديث عن الخلق أن محمد سعيد صاحب خلق نشأ عليه، لا تحسبوني أستجديه أو أتحلى أمامه أو أقوم بأداء ما بيني وبينه من قرابة وصلة رحم،

فما أكثر القرابة بيني وبينه بعضها ثقيل إلى حد أن بيني وبينه محرماً، فتاة هو محرم عليها وأنا محرم عليها. أي قرابة أكبر من ذلك؟ ولكن أقسم بالله أنني أثني على هذا الرجل لا بداعي القرابة ولا بصلة الرحم وإنما بما أداه لهذا البلد، ولكن بعضنا قتلة النجاح، والحمد لله قد كبر محمد سعيد من أن يكون بقرةً تكثر السكاكين عليها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم معالي الدكتور المهندس محمد سعيد فارسي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. إخواني.. أهلي.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن محمد سعيد فارسي يتسع الكلام عنه وإن كان قد ضيَّقه عليَّ عبد المقصود وضيَّقه عليَّ عزيز ضياء.. ولكني أتمتع بحيلة، وهي أني أستطيع أن أنجو من الضيق ليتسع الكلام عن الفارسي الذي اتسع له العمل واتسعت له القيم.. أقول لو أني ذقت طعم نفسي، يعني أنا بالأنويّة، لما تحدثت عن الفارسي، ولماذا أتحدث عنه؟ موظف قام بعمله فلماذا يكثر الحديث عنه؟ ولكن هذه الأنا أحذفها من نفسي لأني لم أذق طعم نفسي في هذه اللحظة وإنما أتذوق طعم بلدي طعم ترابي طعم هذا الكيان الكبير.

أعني بأسلوب الـ (نحن) محمد سعيد فارسي جنى علينا جناية كبيرة نحن معشر أدباء الطليعة.. لقد انتهى عصر الأدباء.. وجاء الفارسي فارس

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٥٨) الجزء الخامس ـ بتاريخ ١٤٠٧/٤/١٤هـ الموافق ١٢/١٥/ ١٩٨٦م.

حلبة يعطي المهندس هذه القيم، فإذا المهندس الوزير وإذا هو الخبير، وإذا المهندس الوالي. فإن لم يكن له فضل التعمير في الأرض فإن له فضل التعمير على هؤلاء المهندسين الذين أصبحوا الطليعة الآن.

الفارسي يحمد له كما ذكر عزيز أن جعل جدة الأرض المالحة الأرض السبخة شجراء خضراء. قال بعض الناس لماذا الفارسي لم يقم بزراعة شجر مثمر كالليمون والبرتقال. وغير ذلك؟ قلت لقد أحسن أنه لم يزرع لكم شجراً مثمراً وإلاّ لتضاربتم عليه واختلفتم عليه وأبدتموه وتركتموه خراباً. إن هذا الشجر الأخضر أعطاكم الأوكسجين، أعطاكم الجمال، أعطاكم أن تكون جدة شجراء خضراء. قد لا يحمد للفارسي كل هذا التوسع ولكنه لن يجحد أن جعل جدة شجراء خضراء..

الفارسي، استعاروا مني الكلمة التي قلتها أولاً.. عالم، مهندس.. نعم، فنان.. نعم، طموح.. نعم، لكنه ذوّاق.. خيالي، فلولا الخيال الذي لبس وجدانه ولبس عزيمته لما صنع كل ما صنع.

قالوا لوود ديزني صاحب مدينة الملاهي في لوس أنجلوس: إن مدينتك قد كملت، قال: لا شيء يتصف بالكمال ما دام هناك خيال. خيال الفارسي هو الذي خوَّل أن يصنع ما صنع، ولكن لماذا صنع الفارسي أو بعبارة أخرى بماذا صنع الفارسي؟ صنع بالدعم من الملك فهد خادم الحرمين الشريفين.

إن الملك فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين نذكر له هذه الثقة بمحمد سعيد فارسي وهذا الرضا عنه وهذا العطاء له، ولكنا نسينا أن نذكر لخادم الحرمين الشريفين عزيمتين نهضت بهما جدة، لم يصنعهما الفارسي، وإنما أعانتاه في أن يصنع ما صنع وهي عزيمة الفهد في التحلية، كانت

عزيمته كبيرة جداً وشديدة أن تثمر التحلية هذا الماء، ولعلّها كما تحلّت تلهينا عن كثير مما مضى فهي تحلية وهي تلهية.. كذلك عزيمة فهد بن عبد العزيز خادم الحرمين الشريفين في إصلاح الموانئ، جدة أصبحت ميناء معترفاً به محموداً، فكلما أتت باخرة تقف ساعات حتى تفرغ حملها.

إذن فهذا التكريم لمحمد سعيد فارسي يعطينا أن نكرم أنفسنا بالثناء عل الملك فهد خادم الحرمين الشريفين، لا من حيث أنه أمد الفارسي بالقوة ـ فذلك معروف ـ ولكن من حيث أنه عزم العزيمة الكبرى في أن تثمر التحلية هذا الماء الحلو، وعزم العزيمة الكبرى أن أصلح الموانئ، ليست جدة وإنما ينبع وكل الموانئ الأخرى.

قلت في مقال تقرؤونه يوم الأربعاء: لقد حكم هذا البلد حكّام كثيرون، بنو أمية والعباسيون وملوك الطوائف والأيوبيون والمماليك، لماذا عجزوا أن يمدوا جدة بماء حلو؟ جدة تشرب صهاريج وبرك وقرب تحملها الجمال.. لماذا؟ أقول ليس عجز الفقر ولكن عجز الفصام والخصام والخلاف بين المدينة وحاكمه، بين المدينة والقرى حولها، بين القرية والقبائل، كأنما ادخر الله ذلك للملك عبد العزيز أن يمد جدة بالعين، وادخر ذلك أن يزيد الملك فهد إمداد الماء في كل مكان حتى ليبلغ السراة وهو في تهامة، يبلغ السراة ويبلغ شماريخها الماء الحلو من التحلية.

إذن الفارسي أعطى للملك فهد بهذا التكريم أن نكرم أنفسنا بالثناء عليه.. لو ذقت طعم نفسي لما أثنيت على الفارسي وهو يعرف ذلك، ولكن أذوق طعم نفسي بالقرابة القريبة منه والصهر إليه، وأذوق طعم تربتي ـ بالثناء عليه الذي أحسن التنمية فيها والعمران فيها ـ ذواقاً كريماً مكرماً من الملك ومن الدولة ومنا جميعاً صغيراً وكبيراً.. أكرمه الله بقدر ما أكرم نفسه وأكرم بلده؛ والسلام عليكم ورحمة الله.

حفل تكريم الأستاذ عبد الله بن سليمان الحصين(*)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وما كنت أزور لنفسي أني سألقي كلمة في تقريظ أو في الإشادة بالأخ عبد الله الحصين، لئلا أتَّهم بأني أحد الذي يكتبون في جريدة المدينة أتقاضى منه أجر الثناء. لكن للصداقة حكمها وللأخ عبد الله الحصين التقدير والشكر، فلا بد وقد دعيت إلى الكلمة أن ألقي الكلمة.

عبد الله الحصين له من اسمه نصيب، فعبد الله كان يعبد الله سبحانه وتعالى في تذليل الصعوبات أمام الطلبة حينما كان مديراً للبعثات. فالرعاية للمبتعث والعناية به، أو اختيار المبتعث فيها أجل الخدمة لهذا البلد، وعبد الله الحصين عَبدَ الله.. فأحسن إلى عباد الله، والحصين له أيضاً من اسمه نصيب، فقد تحصن بالخلق الكريم فإذا هو بيننا مكرم وبيننا كبير، نحتفل به ليس كرئيس لجريدة المدينة فقط بل لأنه كان المحرر لي.. أتعرفون كيف تحررت من رقة التعذيب أو من رقة اللوم؟ عندما كان مديراً للمطبوعات.. ناداني، فإذا به يقدم لي مذكرة كانت لديه ـ لا أريد أن أشرحها ـ ونسي أن

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٥٩) الجزء الخامس ـ بتاريخ ١٤٠٧/٦/٢٠هـ الموافق ١٩٨٧/٢/١٨م.

يأخذ النصيحة من صاحب النصح أو صاحب العقاب، وقال لي هذا ما جرى في هذا الكتاب، وقرأه لي فإذا الرحمة منه تنصحني بقوله: دع عنك هذا.. دع عنك كل هذا ولا تجزع، فليس وراء هذه النصيحة أي عقاب أو أي جزاء.

هذا الموقف هو أول ما عرفت به عبد الله الحصين، ولكني عرفت هو أنا أراجع عن مبتعث لعلّه كان ولدي ولعلّه ولد الآخرين، وكل مبتعث وكل متعلم أقسم بالله أنه كولدي، لأني أعشق المستقبل والشباب هو المستقبل.. فما رزأت شاباً. لقد كنت أخاصم بعض الآباء، ولكني أقسم بالله ما خاصمت الأبناء، لأن البلد في حاجة إلى الشباب وعبد الله الحصين قد بذل الرعاية للشباب.. لهذا أكرمه كشخص أعطى للوطن عطاءً على قدر جهده.. عطاءً نكبره له ونحترمه من أجله، ولعلّي أيضاً أحترم المحتفي ابن عبد المقصود حيث مكننا من أن نؤدي واجباً علينا هو واجب الشكر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

حفل تكريم معالي الشيخ عبد العزيز أحمد الرفاعي والشاعر عبد الوهاب البياتي(*)

إخواني، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم.

والسنون إن طالت بشيخ عجوز مثلي فإنها ستكون الكبيرة والطويلة مسعدة بكثير من الإخوان، لكن ثلاثة عاصرتهم فاعتصروا صداقتي وودي واحترامي، هم: عبد العزيز الرفاعي، أحمد جمال، عبد العزيز ساب.. هؤلاء الثلاثة.. كانوا أتراباً، كلٌّ سلك طريقه فوصل إلى درجة رفيعة من التقدير لم أمنحها له ولكن هم منحوها لأنفسهم، ذلك لأنهم سلكوا طريق التشريف بنظافة التكليف، كلفوا أنفسهم بأن يكونوا على الطريق فإذا هم يشرفون بسلوك الطريق النظيف. كلٌ كما قالوا شيخ، ولكل شيخ طريقة.. لكن المكرم بينا الآن عبد العزيز الرفاعي، له طريقة تشكرونها وتحمدونها له، تلك هي الوفاء، فهو الوفي لأصدقائه، الوفي لكل كلمة كتبها، والوفي للكتاب. لا أقول حسدته، وإنما أقول غبطته.

إنه شديد التعلق بمعرفة الرجال، فما من ناهض بحرف في أمتنا العربية في شرق السويس أو غرب السويس إلا وعبد العزيز الرفاعي كان على

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٦٢) الجزء الخامس ـ بتاريخ ١٤٠٧/٧/٩هـ الموافق ١٩٨٧/٣/٩م.

معرفة به، ينشر له وينتشر به. فعبد العزيز الرفاعي أعطانا الكلمة النظيفة وأعطانا الكتاب النظيف، ذلك لأنه ذو خلق نظيف، كسب التشريف من نظافة التكليف. أقولها مرة وأشكره وأحييه كبيراً بيننا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله النبي الكريم..

أبدأ أقول إخواني قبل أن أنادي الأمير.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أيها المواطن العربي السعودي سلطان بن سلمان بن عبد العزيز، لم أنادك بلقب الإمارة فالألقاب التي تحملها وطنية ابناً لسلمان، ابناً لعبد العزيز، هي ألقاب التشريف لك، ولقد شرفت بك حينما عانقت بعملك النسب العالي بالسبب المعتلى بالحسب المرتفع، فقد حفظت عن أجدادك العرب هذا الأثر، إذ قالوا: من أبْطأ به حَسَبُهُ لم يُسرع به نسبه. نسبك العالي أكرمته بالسبب ألا وهو دينك الإسلام، وأكرمته أكثر بالحسب حينما تعلمت فارتفعت بالعلم والمعرفة. حينما كنت طياراً، حينما أصبحت رائداً. أتدري ما هو الأثر الذي تركته فيَّ بالذات؟ لقد كنت يمينياً متطرفاً، لا أصدق أن هناك أقماراً صناعية ولا سفن فضاء، ذلك لأني نشأت في عصر مضى، فقد طلبت من والدي أن يشتري لي "درَّاجة" فقال: أي بني أتركب

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٦٣) الجزء الخامس ـ بتاريخ ١٤٠٧/٧/١١هـ الموافق ١٩٨٧/٣/١١م.

حُصان إبليس؟ وعندما رآني أمسك المسَّاحة المطاطية، قال: أخرجها من فمك يا ولدي إنها من جلد خنزير. وحين ركبت السيارة أدركني الخوف، وكنت أكثر رعباً حين ركبت الطيارة، ولم أعترف وأنا يميني متطرف بأن هناك قمراً صناعياً أو أن هناك سفن فضاء، ولكن أنت جئت فعلمتني ذلك.. جعلتني معتدلاً، لا يسارياً متطرفاً، ولا يمينياً متطرفاً، وإنما سعودياً معتدلاً.

عندما أطلق الأمريكان قمرهم الصناعي جاء ولدي من أمريكا وكان يحمل شهادة الدكتوراه ولله الحمد، سألته: هل رأيت القمر الصناعي صعد إلى السماء؟ فقال كل الدنيا رأته إلاّ اثنان اليساري المتطرف شواين لاي، واليميني المتطرف أنت. هكذا جعلتني معتدلاً أعرف القمر الصناعي وأعرف سفن الفضاء.. كنت رائداً تعلمنا الجسارة، تعلمنا الشجاعة، تعلمنا.. ترفع عن كواهلنا التزمت، ترفع عن كاهلي أن أكون يمينياً متطرفاً بل لأعود فأكون معتدلاً سعودياً.

أحييك أشكرك، فأنت حين نهضت أنهضت وحين ارتفعت رفعت.. ليس ذلك غريباً عليك، فأنت من آباء وأمهات جاد الله علينا بهم فجادوا حين سادوا فسودونا بهذا التفوق الذي نحن فيه، عشت للعمل تحظى بالأمل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد... المذيع الفطن حسين نجار أتحفنا بمجد الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري... وأريد أن أتكلم عن هذا المجد وكيف أضيم، وكيف يضام هذا الماجد، هذا العالم، هذا الشاعر ذو الآثار بكلمة واحدة. اسمه عمر وما أعز الاسم. وبهاء... أقارن بينه وبين سميه البهاء زهير، فالبهاء زهير شاعر وهو شاعر، وليس هذا قصدي.

البهاء زهير جده المهلب بن أبي صفرة الذي أرسى مع الذين أرسوا عرش أمية في دمشق، ولكنه طورد بعد ذلك وحورب فإذا أبناؤه يتبعثرون في الأمصار، وإذا البهاء زهير في نخلة، ولكن مصر الحضّانة حضنته فإذا هو الوزير فيها. والبهاء هذا مكرمنا أيضاً كالبهاء زهير... خرج من بلده ولا أقول مضاماً وإنما هي المقايضة بين المغرب وبين سوريا، أو بين فاس وبين دمشق. فالمغرب أرسلت غير راضية أو مكرهة عبد القادر الجزائري. أريد المغرب كله ودعونا من عبد القادر الجزائري ومن إليه وإنما المقايضة بين العالمين هي المقايضة بين بهاء الدين الأميري وبين بدر الدين الحسني، فهذا بدر الدين المغربي أمَّ في دمشق العلم والمعرفة، حتى حدثني عنه

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٦٥) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٨/٣/١١هـ الموافق ١٩٨٧/١١/٢م.

أستاذنا كامل حديثاً فائضاً معجباً به. يقول يجلس الساعة أو أكثر يفسر لنا... ألم نشرح وطلابه من العلماء، ضمته دمشق كما ضمت فاس والمغرب كله بهاء الدين الأميري... وهذه المقايضة نعرفها بين الأقاليم العربية حنيناً إلى الرجال.. يضام في بلده ويكرم في بلد آخر، وقد أكرمته المغرب... فهنيئاً له بذلك، وهنيئاً للمغرب.

من لنضو يتنزَّى ألماً ... برّح الشوق به في الغلس
حنّ للبان وناجى العلما ... أين شرق الأرض من أندلس

إن وحدة الثقافة ووحدة العروبة ووحدة الأدب، لا تجعل هناك فرقاً بين قرطبة ودمشق، ولا بين بغداد ومكة، ولا بين مكة والقاهرة، كل ذلك العلم الإسلامي والأدب العربي. أمة واحدة وإن تناثرت الأقاليم بالعنعنات وبالقومية الظالمة الآن، التي ظلمت نفسها وظلمت إسلامها. تحيتي للبهاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم العقيد شحات مفتي(*)

في الواقع أنا صريح واضح ولله الحمد، أنا لم أحضر إلا إكراماً لشحات، الابن شحات يثني على الصحفيين لأنهم قدموا النصيحة، ولأنهم أعانوه.

إن هذا الثناء هو في حد ذاته ثناء على نفسه، وذلك أن تقبله للنصيحة، وخضوعه للرأي يدل على أن شحاتاً ليس شحاتاً، وإنما هو متصدق، ولا تنكروا على أهل المدينة، فإن اسم شحات يكثر لديهم، بينما تجد اسم صدقة وصديق يكثر في مكة، ومرد ذلك أن أهل المولود يعتقدون أنهم عندما يطلقون عليه اسم شحات إنما يقونه من العين والحافظ هو الله.

أتدرون لماذا جئت لحضور تكريم شحات؟

أولاً: لأنه كريم الأخلاق، ولأنه أكرمني كثيراً.

ثانياً: لأنه مدني وأنا مدني.

ثالثاً: لأنه من عرق صعيدي وأنا من عرق صعيدي. أنا أعرف جده، كان من أخيار الناس، وأبوه أعرفه ويعرفني، لذلك جئت عصبية وتعصباً له، وإجلالاً.

وفي الختام أدعو الله أن يعوضنا خيراً ويعوضه خيراً...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٦٦) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٨/٤/٢هـ الموافق ١٩٨٧/١١/٢٣م.

حفل تكريم الفريق يحيى المعلمي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، وعلى آله وصحبه وسلم.

إخواني جميعاً... الفريق غير المفترق عنا دائماً الأستاذ يحيى المعلمي، له من اسمه نصيب، غاب عنا طويلاً، وها هو يحيا بيننا، وعلّم نفسه بنفسه فأصبح علماً مثقفاً. لم يرتفع بلقب الجندية فحسب، وإنما ارتفع بيننا بلقب التجنيد العلمي له. فهو مجند على طريقتين، جندته العسكرية فأصبح الفريق، وجند نفسه للعلم فأصبح مجنداً للمعرفة والثقافة.

الفريق اللقب ينتهي بوقت، والتكريم أيضاً ينتهي بوقت، ولكن الذي لا ينتهي هو الخلق... الخلق الحسن الذي تخلق به وعرفناه عنه، فهو ذو خلق. هل علمتم أنه أساء إلى أحد و سعى إلى ضرر أحد، بينما كان يملك قوة الضرر؟ ولكن امتلكته قوة الخير فأصبح خيراً بيننا. نختاره للتكريم، بل هو اختارنا لأن نكون المكرمين له. وكلمة الفريق لقب عالٍ في الجيش، يستأهله وقد استحقه بما انتظم به وبما نظم له من الذين يمنحون التقدير لمن يستأهل التقدير.

لكن أتظرف معكم بنكتة عن القاضي الكبير عبد العزيز البشري رحمة

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٦٨) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٨/٤/٢٣م الموافق ١٩٨٧/١٢/١٤م.

الله عليه. سأله أحد الفرقاء، فريق بالجيش المصري مثلاً يحمل هذا اللقب "الفريق"، قال للقاضي عبد العزيز البشري أصحيح أن في الحديث النبوي قاضٍ في الجنة وقاضيان في النار؟ قال: نعم والأصح بالقرآن فريق في الجنة وفريق في السعير. لكن فريقنا هذا بما جبل عليه من خلق هو من أهل الجنة إن شاء الله، لأنه كان جُنَّة للمضام، وكان جُنَّة يستجنُّ به الضعيف. ولعلّي أحد الذين استجنوا به وعرفوا به، فكان جُنَّة لي.

لهذا أشكره حين أذكره، وأذكركم بأن الأخلاق هي عماد الرجولة، الأخلاق هي القوة الدافعة، الأخلاق هي التي ترفع الرجال. كما قلت اللقب وقت والتكريم وقت، وإنما الأخلاق زمن سَرْمَدي يمتد ويذكر حتى بعد أن ينتهي أمر الإنسان إلى ما انتهى إليه أمر الله سبحانه وتعالى.

أحييه باسمكم وأشكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ عثمان الصالح(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، وعلى آله وصحبه وسلم. ولست أقول الآن كما قلت من قبل "ثرثارة في كل ناد يخطب"، فلست اليوم ثرثارة لأني أعيش الإثارة، أعيش الوفاء للذي كان هو الوفاء، هو المثل الأعلى للفضيلة والوفاء ـ عثمان الصالح ـ فأنا متهم بأني مغرض فلو لم يثن عليَّ، ولو لم يذكرني بخير لما ذكرته، ولما أخرت سفري عن القصيم لألقي محاضرة لأجله.

اعتذرت عن سفري اليوم إلى سفري الغد، ولكن كل ذلك ليس كبيراً ولا كثيراً أمام ما تفضل به عليَّ عثمان الصالح. أعرفه ولا أعرفه، لهذا لا أستطيع أن أعَرَّفُه التعريف الشخصي، وإنما أعرفُه لأعرَّفه التعريف الخلقي، والرجل أخلاق، وعثمان الصالح أخلاق، وكأنما هو ينشد مع ابن نباتة:

دعها تمد كما تريد شباكها ... فلربما علقت بها العنقاء
أنا ذلك الصل الذي غنَّى به ... تلوى المنون وتلتوي الرقطاء
وفمي هو القوس الأرق ومقولي ... الوتر الشديد وأسهمي الإنشاء

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٦٩) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٨/٥/١هـ الموافق ١٩٨٧/١٢/٢١م.

عثمان الصالح له حق أن ينشد ذلك، لأنه صاحب قلم ولأنه صاحب ألم. فلولا الألم لما كان صاحب قلم... ألمه ليس في بدنه وإنما ألمه في نفسه، ألم المتعلم، أو ألم المحسن، أو ألم الشاعر حينما يرى أمته في جهل. لهذا يتألم، لهذا يريد أن يتعلم ليعلم. وعثمان الصالح تعلم فعلم، علم العلية وعلم الأقل وعلم الأكثر، وعلمني أنا أن أكون صاحب خلق لأرد الفضل إلى أهله.

فالذي يشكر الفضل هو صانع الفضل، والذي لا يشكر الفضل لا يصنع الفضل. ليس هذا فخراً أفخر به، وإنما هو إعلان عن وفاء لهذا الرجل الذي تفضل عليَّ فأثنى عليّ. وإن الثناء عليه، والثناء على المحتفى به، وعليكم أنتم الحاضرين أن جعلتم تهامة تكرم اليمامة... وهذه ميزة يمتاز بها كياننا الكبير... المملكة العربية السعودية، التي وحّدها البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن يرحمه الله.

نحن سعداء أن نعيش الوحدة، أن نعيش تهامياً أخاً لليمامي، أن نعيش نجدياً أخاً للحجازي، أن نعيش أحسائياً أخاً لأي بلد بل لأي شيء.

نحن أخوة... الأخوة تمثلت في هذا التكريم. ولقد كان عبد المقصود نبيهاً حينما فعل ذلك. فأنا تهامي مدين لهذا اليمامي بالفضل، وكم تهامة تفضلت على اليمامة، وكم لليمامة من فضل على تهامة. ولو عددنا الرجال الذين صنعوا تاريخنا لوجدناهم من هذه الجزيرة، من مآرز الإسلام... المدينة المنورة مآرز الإسلام ومن معاقل الإسلام. هذه الجزيرة هي التي صنعت تاريخنا. أتحدى من يقول: إن فاتحاً أو جندياً قاد الفتح العظيم لم يكن من هذا البلد، ولئن كانت الإمبراطورية في دمشق، فقد كانت عاصمة العاصمة الكوفة. دمشق تأمر وتحفظ التراث وتعين، ولكن

الكوفة كانت عاصمة العاصمة، كما أن الفسطاط، كما أن فاس، كما أن القيروان، كما أن تونس... كلها كانت عواصم للعاصمة، ولكن أين العاصم الآن؟ تفرقنا شيعاً، وها نحن نجتمع شيعة واحدة يجمعنا هذا المتشيع لنا بالحب عثمان الصالح؛ أشكره وأشكركم جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الشيخ أحمد ديدات(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله أكمل الدين وأتم النعمة، والصلاة والسلام على رسول الله نبي الرحمة سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. أود أن أقول أولاً إن الإسلام بخير، ينتصر بالحملة عليه وبالحرب عليه. فما سارت حرب على الإسلام إلا انتصر الإسلام عليها، ولكن الخذلان والهزيمة كانت على المسلمين لتفرقهم شيعاً ومذاهب وأحزاباً.

فأفريقيا القارة السوداء كتبت عنها مجلة الهلال قبل أكثر من ٥٠ عاماً مضت مقالاً جاء فيه: لقد أدت أوروبا دورها، وأدت آسيا دورها. فليأت دور أفريقيا. فقام بعض الناس وهزئ بهذا المقال، فقلت لهم لا تهزأوا، إن إفريقيا رغم انتشار الوثنية أو رغم انتشار الكاثوليكية أو البروتستانتينية أو غيرها، فإن إفريقيا أرض مسلمة ما دام فيها مالي، ما دام هناك الشمال الإفريقي، ما دام هناك في نيجيريا مسلمون، وما دام في تشاد مسلمون، وما دام في جنوب أفريقيا العنصرية مسلمون. فإن الإسلام في أفريقيا بخير، وسينهض من أفريقيا نهضة جديدة. ذلك لأن الإفريقي هذا الأسود بل هذا الأسمر، أنا لا أقول الأسود لأنه قلب متفتح أبيض كأسنانه البيض. هو منح أسناناً بيضاً ومنح عيناً لا تصاب بالتراخوما، إذن فقد منح قلباً لا يصاب بالغش.

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٧٢) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٨/٥/١٥هـ الموافق ١٩٨٨/١/٤م.

لهذا أنا أحيي هذا الأستاذ الإفريقي، لم أكن أعرفه لكن اسمه ديدات واسمي زيدان، فالفرق بين اسمي واسمه نقطة واحدة، لكن الفرق ألا أكون مسلماً مثله وألا يكون مسلماً مثلكم وألا تكونوا مسلمين مثله. فالإسلام يعاب بالمسلمين لا يعاب عليه كدين. فهو دين الرحمة.

أما كلمته عن ترومان، فقد صدق في روايتها فهناك ملايين من اليهود أعطوه أصواتهم، لكن قبل ذلك قابلت جنرالاً متقاعداً في أمريكا في أوكلاهوما.. أثناء زيارتي لأمريكا بدعوة الحكومة الأميركية، وأنا لا أنكر أننا أصدقاء الشعب الأمريكي أو أصدقاء الحكومة الأمريكية رغم ما فعلت ورغم ما تفعل.

قال ذلك الجنرال الأمريكي المتقاعد: إن أمريكا لن تنسى جريمتين أو كارثتين، قلت: ما هما؟ قال: حريق شيكاغو، وخسارة ترومان في المانيفاتورة.

فحريق شيكاغو كان كارثة لا تنسى، وأما خسارة ترومان في المانيفاتورة فقد قربته من اليهود، فاستعبده اليهود وأعطوه أصواتهم ليكون رئيس أمريكا وليكون ضد العرب وضد المسلمين. قال ذلك بعد أن شرحت له عقيدة الإسلام في المسيح، وأنه لا يتم إسلام امرئ ما إذا لم يؤمن برسالة المسيح. فبكى الرجل وكبر وقال: القساوسة ما فهمونا هذا عن الإسلام، إن الإسلام كبير. لذلك أنا أحيي هذا الأفريقي، وقد عرفته الآن وسمعته الآن، سمعت ما لم أفهم، ثم سمعت ما فهمت بالترجمة طبعاً.

أحييه وأبشركم بأنني مفتون بأفريقيا، وأسميها غرب السويس. أحب هذه الأرض وإنسانها. فالأفريقي يتأقلم بسرعة في هذه الأرض بينما الآسيوي. لا يتأقلم بسرعة.

إن الأمير شكيب أرسلان ذكر في كتابه "حاضر العالم الإسلامي"، أن الطرق في افريقيا هي التي أثرت على التبشير المسيحي في أفريقيا، فلول الطرق الإسلامية وهي شاذة بلا شك ولا نقرها، ولكنها أصبحت ضرورة لحماية المسلمين من التبشير المسيحي. قال شكيب أرسلان هذه اللفظة: دين خرافي خير من أن لا دين، لا نريد للإفريقي أن يكون مسيحياً ولا نريد له أن يكون وثنياً. نريد له أن يكون مسلماً على طريق هذا الشيخ وأشياخ آخرين.

أحييه تحية المسلم لمسلم، وأحيي أفريقيا في شخصه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ خليل الفزيع(*)

باعتبار الشيخ العجوز الذي لا يطيق الجلوس أكثر مما جلس، أحب أن أستبد على المُكرَّم ولا أطيع المُكرم فأتكلم بكلمة.. الأستاذ خليل صديق من بعيد لم أره ولكن بيني وبينه مكاتبات هو يفتقدني بها ويتفقدني فأشكره... أنا كنت أظن أنه البزيع لأنني لا أقرأ وإنما أستقرىء، ولكن قبل أن أحضر استقرأت فإذا هو الفزيع، ليته كان البزيع ليكون الجميل ليكون البديع. فمعنى بزيع في اللغة يعني البديع يعني الجميل، حتى أن قصر عمر بن الخطاب في الجنة كان يوصف بالقصر البزيع، أي البديع، تمنيت أن يكون البزيع، ولكن لا افزع من كونه الفزيع.

فالفزع منه أو الرعب لا أجده فيه ولن يكون منه، وإنما الفزعة منه فهو اسم ليس مشتقاً من الفزع أو الخوف والروع، وإنما هو مشتق من الفزعة وهي النجدة والغوث. فكم أنجدنا بما يكتب وكم أنجدنا أنه في منطقة كانت تحتاج إلى أن تكون فيها جريدة فنهض بها.

أنا رجل رجعي أفخر بأني رجعي فلا أسميها المنطقة الشرقية وإنما أسميها البحرين كما تسميها العرب، وأسميها هجر كما سماها محمد عليه الصلاة والسلام عندما وصف شجرة المنتهى، كان يصف نبقها بأنه كقلال

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٧٥) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٨/٨/٣هـ الموافق ١٩٨٨/٣/٢١م.

هجر. فهو في نظري هجري حساوي بحراني من المنطقة الشرقية، لهذا أكرمه وأحبه أفزع إليه ليكون صاحب الفزعة لي وأكون صاحب الفزعة له، لا أفزع منه.

وفي القرآن الكريم تجدون كلمة فزع منهم أي نزع منهم الخوف، فهو ينزع الخوف منا نجدة وكرامة ولعلّ من اسمه نصيب أن يكون خليلاً، وأن يكون فزعاً لي مفزعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله.

حفل تكريم معالي الدكتور راشد بن راجح الشريف(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، أكمل الدين وأتم النعمة، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

إخواني.. لولا أني عجوز لا أستطيع الجلوس، ولولا أني ضعيف العضل لأطلت الجلوس لأسمع أكثر مما أقول... ولكني سأقول وقد استأذنت أن اسبق بالقول. لا يستكثر على مكة أن يكون فيها جامعة، مكة المكرمة البيت الحرام، المسجد الحرام... لا يستكثر عليها أن يكون فيها جامعة، وأيضاً لا يستكثر عليها أن يكون مديرها ابناً من أبنائها، وهو راشد الراجح.

الدكتور راشد الراجح لا يستكثر عليه أن يكون مدير جامعة أم القرى.

أم القرى سبقتها صورة من صور الجامعة هي حراء كان مدرسة، المعلم هو الله أرسل أمين وحيه جبريل يعلم رسوله النبوة "إقرأ" فالنبوة على حراء كانت مدرسة، والرسالة على الصفا "وأنذر عشيرتك الأقربين"

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٧٧) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٨/٨/١٧هـ الموافق ١٩٨٨/٤/٤م.

كانت أيضاً مدرسة، والجمع في دار الأرقم بن الأرقم كانت مدرسة والصلاة في المسجد والدرس في المسجد الحرام توالت عليه القرون وامتلأ بالعلماء الأكابر، كابن عباس، كابن عم، كابن مسعود، وبعدهم كعطاء بن رباح وغيرهم وغيرهم من هذه الأسماء اللامعة، التي إذا كتبنا عن جزء من علمهم، لحصلنا على الدكتوراه... لأني أسميهم الدكاترة، فالدكتور عبد الله بن العباس طرف ممن يعطينا هذا اللقب.

أم القرى كانت جامعتها المسجد الحرام فيه العلماء، فيه الأكابر، فيه الذين أرسلوا الهداية وأرسلوا القرآن بعد الهجرة ومن دار الهجرة، وبعد بدر إلى كل الأمصار... إلى الفتح العظيم.

هناك ظاهرة أقولها: إن أبناء مكة كانوا قادة، وأبناء الجزيرة كانوا قادة، ولم يكن هناك من غير أبناء الجزيرة العربية قائد فتح و جندي فتح، تلك منَّة من الله سبحانه وتعالى، منَّ بها الله على مكة، منَّ بها على الحرم، فليس كثيراً عليها أن تكون جامعة، ليس كثيراً عليها أن نحيي الدكتور راشد تحية تليق بمقامه، تليق بعمله، تليق بما هو مقدم عليه، وبما هو مطلوب منه، وبما شافهته عليه؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ صالح محمد جمال(*)

تحدث الأستاذ محمد حسين زيدان مشاركة منه في الاحتفاء بالشيخ صالح محمد جمال بعد عودته من رحلته العلاجية فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله أكمل الدين، وأتم النعمة والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين سيدنا محمد، أما بعد:

فلا عطر بعد عروس، فقد أوفى الصديق عبد المقصود ما كنت أزوقه في نفسي، ولكن لعلّه قال بلغة وأريد أن أترجم هذه اللغة ترجمة أخرى.

صالح جمال... لم أكن العشير له، ولكني كنت الأثير به، والأثير له. لماذا؟ لأنه لم يلبس الكِبر مرة أبداً، وإنما لبسته الكبرياء... الكبرياء التي لبسته، أو هو لبسها، جعلته حريصاً على الحق، ثابتاً لقول الصدق.

مضت عليه أيام ومضى به الحق في تلك الأيام لا يسأل عمن يشير إليه بإصبع لأن أصابع الذين يبغضون ما قال أقل بكثير من ألسنة الثناء عليه والتقدير له. حين علمنا بمرضه وسفره رفعنا أكف الضراعة إلى الله سبحانه وتعالى أن يمن عليه بالشفاء. لأمرين: لأنه إنسان ندعو له بالشفاء، ولأنه الإنسانية التي تعرف الحق وتثبت عليه. كم من موقف لصالح جمال ما

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٧٨) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٩/٣/١٤هـ الموافق ١٩٨٨/١٠/٢٤م.

استطاع واحد منا أن يقفه... لهذا لا أهنئه بالشفاء وحده وإنما أهنئ أسرته كلها... ومن هي أسرته؟ هم كل أهله في هذا البلد.

كلكم أنتم أسرته، كلكم أخوته، كل من في المملكة من الذين فرحوا بما تحقق على يديه. لأنه كان لا يحصر حبه لمكة وحدها وإن كانت جديرة بكل الحب، بل بذل كل حبه لكل بلده، لكل أهله لهذا كان جديراً بالتكريم، جديراً بكل هذا الجمع الذي يكرمه.

ولا أستطيع أن أقول بعد ذلك إلا أن أسأل الله سبحانه وتعالى أن يديم عليه نعمة الشفاء، ونعمة الصحة ليكون صالح جمال الكاتب... الذي كتب يوماً مقالاً في جريدة حراء ـ التي استحالت إلى الندوة، لم يكتب مقالاً أجرأ منه، فصالح جمال هو الحر الذي لم يستعبده الخوف... وشكراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي حفل تكريم الأستاذ عبد الله الغاطي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. لا أقول اليوم ثرثارة في كل نادٍ يخطب، وإنما أؤدي واجباً عليَّ لإثنين.

أولهما: هو الأستاذ المحتفي عبد المقصود، فحسن الفعال منه لا أقول استعبدتني، وإنما جندتني له.

وثانيهما: صديقي الذي كان شاعراً حينما اختار لابنه اسم شاعر الرسول ﷺ (حسان بن ثابت) ليكنى بأبي حسان. لا أريد أن أصف شعره، أو أصف نثره، وإنما أصف معاشرته. فقد كان من كبار حاشية الملك فيصل، وهو ربيب هذا البيت، وكان جده من عظماء الناس (سليمان العنبر)، ولذلك قال الغاطي سليمان: عبد الله الغاطي قدير على جلب الأصدقاء، لديه قدرة فائقة على أن يكون صديقاً. وعسير عليه كل العسر أن يكون له خصوم... تلك منقبة... فقد زاملته في وزارة الداخلية وأذكر له أنه يسمع النصيحة، لقد كتب أمامي مذكرة أراد أن يبعث بها إلى المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة بصدد الفصل بين خصمين عمل كل منهما صكاً من الصكوك الشرعية، فكتب بسرعة ولا أقول مُغْرضاً يطلب من المحكمة أن تقوم بتعديل الصكوك، فقلت له لا يعدل

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٧٩) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٩/٣/٢١هـ الموافق ١٩٨٨/١٠/٣١م

الصكوك إلاَّ القضاء. فالقضاء مستقل عندنا وشرف القضاء كبير، فلا تأمر أو تلجأ للأمير عبد الله ليأمر بتعديل الصكوك... بل قل: طبقوا الصكوك. فإذا به يستبشر ويستهل بفرحة لهذه النصيحة، ويعدل الأمر. إذن كان موظفاً مثالياً، وكان صديقاً مثالياً، ولم يكن عدواً خيالياً. لهذا أرحب به وأهنئ نفسي بصداقته، وأهنئكم جميعاً بالاحتفال به. وأهنئ عبد المقصود بأنه كالمهلب بن أبي صفرة يستعبد الأحرار بحسن فعاله، ولا يستعبد العبيد بماله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم معالي الدكتور محمود سفر(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، ما ترك الأول للآخر فما من كلمة أستطيع أن أقولها بعد أن ملأ مخلاته وكشكولنا عبد المقصود، وجاء محمد سعيد طيب يعقب عليه. ماذا أقول؟ لكني أستطيع أن احتال على القول بثلاث كلمات: كلمة قلتها من قبل فأخذها عليّ بعض الذين يقشون التراب، وكلمة أقولها عن محمود سفر، وكلمة أقولها عن عبد المقصود، عندما جعل محمود سفر شبيكاوي بينما هو سوق ليلى...

في مستهل الكلمة الأولى من الكلمات الثلاث التي أشرت إليها في حديثي سبق أن قلتها في تكريم الأخ عبد الله الغاطي، وهي أن عبد المقصود اتخذ من كلمة المهلب بن أبي صفرة سيد الناس في زمانه رحمهُ الله، الذي ترك للناس أبناء أثروا الأدب وأثروا التاريخ والمهلب بن أبي صفرة يقول:

عجبت لمن يشتري العبد بماله، ولا يشتري الأحرار بحسن فعاله. قلت: عبد المقصود ما اشترانا وإنما جنَّدنا لنكون معه، نشاركه في الإحسان إلى إخوانه، والإحسان إلى نفسه.

هو لم يحسن إلى محمود سفر بقدر ما أحسن إلى نفسه، حينما كان

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٠) الجزء السادس ـ بتاريخ ١٤٠٩/٣/٢٨هـ الموافق ١٩٨٨/١١/٧م.

كريماً يكرم أخاً له. عاب عليَّ ذلك بعض الذين يقشون التراب فقال: أنت مجند اشتراك عبد المقصود. فهزأته بما هو أهله... الكلمة الثانية لا أتكلم عن محمود سفر الابن الدكتور الأستاذ، وإنما أتكلم عن البيئة التي نشأ فيها، البيئة التي نشأ فيها كانت في شعب بني هاشم، لا أدري كيف تخلوا عن هذا الاسم. وقد كانت السيرة تذكر أنَّ رسول الله ﷺ حصر في شعب بني هاشم، وأكل ورقة السدر والنوى في شعب بني هاشم، فلِمَ حولوه بعد هذا وقالوا شعب علي؟ أنا لا أدري كيف حولوه ثم سمّوه سوق الليل.

أنا أعجب من الناس الذين حكموا مكة وهم من أبنائها أطلقوا اسم شعب علي، على شعب بني هاشم، وسكنوا في محل يسمونه الغزة، بينما تركوا أجياد على حالها، والهجلة على حالها وشعب عامر على حاله. أما الكلمة عن أبيه محمد سفر، فقد عرفته صديقاً يوم سكنت في شعب بني هاشم، شعب علي، سوق الليل، سكنت فيه فعرفت محمد سفر، رجل خير، رجل بر. آخر بر ناولني إياه في المدينة المنورة، في المسجد النبوي قبل أيام. ناولني قارورة عطر من الورد لا زلت أحتفظ بها ذكرى صداقة لمحمد سفر.

وأما القول عن الشبيكة فأنا أنفي أن محمود سفر ولد الشبيكة إنما هو ولد سوق الليل، ولد شعب بني هاشم، ولد شعب علي، وإن كانت الفلاح قشاشية، فالقشاشية جزء من شعب علي، بدليل إن آخر أجياد كان بيت الأرقم بن أبي الأرقم على الصفا كأنما الصفا من شعب أجياد، أي ديار بني مخزوم، وقد كان الأرقم مخزومياً، أي ديار خالد بن الوليد وجماعته. ما علينا من هذا كله. الكلمة الثانية عن محمد سفر، قلت وأقول وأريد أن أسمعكم ذلك: عمل الأب دعاء للابن كأنما ما يعمله الأب يدعو لابنه، وقد اتخذت ذلك وفهمته من قوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ

خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩).

لقد ورث هذه الطيبة محمود سفر متعلماً طفلاً ذا شرف، رجلاً أستاذاً ذا شرف، وكيلاً لوزارة المعارف استثرته يوماً على عابث فأنصفني من ذلك العابث، ولم يعبث بي، وإنما عبث على جمال الدين الأفغاني. ومن العيب جداً أن ذلك الجاهل قد استغله من يعرف الحقد على رجالنا، فاستغل فكتب رسالة ماجستير يشتم جمال الدين الأفغاني، لأنه كان نصيراً لهذا البلد، ولحكام هذا البلد، ومن الأسف نصرني إلى ذلك محمود سفر، ثم دعاني إلى البحرين ألقيت محاضرة هناك، كرمني كل التكريم، شرفني كل التشريف. لهذا أمقت فيه مقتاً شديداً أنه طيب كل الطيبة، وأخشى أن يكون خاطئاً على نفسه بهذه الطيبة، فكم من الطيبين قد أخطأوا على أنفسهم بهذه الطيبة.

ومحمود سفر نشأ على الطيبة، نشأ على الفضيلة، نشأ على الأخلاق رباه أبوه أحسن تربية. ومحمود تعني أنه محمود السيرة بلا شك، وسفر لقب لكنه حمل هذا اللقب.

ما آب من سفر إلاَّ وأزعجه رأي إلى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو في حلٍّ ومرتحلٍ موكَّلٌ بفضاء اللَّه يذرعه

في الرياض سكن، وفي مكة سكن، وفي البحرين سكن. وهو مدير جامعة، وبجانبه مدير جامعة سابق هو الدكتور محمد عبد يماني، وأنا لست مدير جامعة ولا ابن جامعة، وإنما ابن الجمع الذي جمعته لنفسي من القراءة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ علي أبي العلا(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ﷺ. لا أدري هل أجد من يرثي لي، أو من يثني علي، أو من يذم أن أكون قاسماً مشتركاً في حفل الأستاذ عبد المقصود لمن يكرم. الواقع أني قسيمه في هذا التكريم لكل من يستأهل التكريم، والأستاذ علي يستأهل التكريم، لكن هناك حياة الأعمال عند علي أبي العلا غلبت على عمل الحياة التي هي موهبته الشعرية، ولو لم تشغله تلك المراكز التي ذكروها لكان خليفة للغزاوي، على نسيج عمر عرب زميلاً لحسين عرب، فالمكية فيه ظاهرة، ولعلّ كثيراً من أهل مكة لا يعرفون أثر المحلة في ابنها. الشبيكة التي هي حارة ومحلة يغلب عليها طابع الفهلوة، لأن أغلب سكانها مطوفو عرب، وأكثرهم مصريون، أما الشامية، سوق الليل فيغلب على أهلها طابع الأفندية، وطابع الجدة، وكذلك القرارة يغلب عليها طابع المكاتيب، وكل حارة في مكة تجد لها طابعاً خاصاً تطبع به ابنها، المعابدة مثلاً، وشعب عامر يبدو على أهلها طابع البداوة، وابن الشبيكة هذا لا أريد أن أثني عليه كموظف، فما استطاع أن يرقى من مركز إلى مركز إلاّ بحسن السلوك الذي نجم عن حسن

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨١) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٤/٥هـ الموافق ١٩٨٨/١١/١٤م.

الأخلاق، فالإنسان الناجح أو المحترم ينبغي أن يكون ذا خلق، وعلي ذو خلق، وذو سلوك.

هناك نكتة يرددها أبناء الشبيكة للتفاخر، بأن أحد أبناء الشبيكة قد كان له دور في الحرب العالمية الثانية، فقد زعموا أن الجنرال عمر براولي مساعد إيزنهاور كان أصله من الشبيكة حيث هاجر أبوه من مكة، وزعموا أن أصل اسمه هو عمر برادعي من قبيلة البرادعة، وما ذلك إلاَّ بقصد التفكه والتندر، غير أن الحقيقة تقول إن عمر براولي ولد لأب أمريكي يدعى براولي، وكان الأب معجباً بشعر عمر الخيام، فعند ولادة ابنه سماه عمر، فأصبح اسمه عمر براولي. والنكتة أطلقها أحمد منصور رحمه الله، وقصها عليَّ كمال خوجه، عم الدكتور عبد العزيز خوجه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأساتذة المشاركين في ندوة (قراءة جديدة للتراث)(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم تذكرون في الأسبوع الماضي أن الأستاذ عبد المقصود قال إنه سيخبركم بمفاجأة، أعتقد أن هذه المفاجأة هي التي فوجئت بها أنا، فما كنت مستعداً لأتكلم، وما كنت أدري أني سأطلب إلى الكلام، ولكن أريد أن أكرر ما قلته بالأمس. هذا التواصل بين العالم والعالم، بين الأديب والأديب، هو حياة ميراثنا من تراثنا. هذه الإباحة التي أبيحت لنا أن نجتمع بهؤلاء الأفاضل العلماء ما كانت من قبل، أريد أن أذكر بعثة الجامعة والأزهر حجتا في عام واحد سوية، ما رأيتهم في مكة، وإنما رأيتهم في المدينة، ولعلّي لا أدَّعي بأني كنت المحتفي بهم فقط.

لم أرَ طالب علم زارهم، ولم أرَ عالماً من المسجد تعرف مع الدكتور أحمد أمين، أو مع الشيخ علي محفوظ، ومع عبد الحميد العبادي، أو مع عبد الوهاب عزام، أو مع بقية أفراد البعثة. جلسوا أسبوعهم، أتموا زيارتهم وصلاتهم في المسجد، وأنا الذي كنت معهم يشرفني ذلك أن أكون خادماً لهم، أو أن أكون المحتفي بهم.

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٢) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٤/١٢هـ الموافق ١٩٨٨/١١/٢١م.

ارتجلت كلمة.. ما كنت أدري أنهم هم، ولكني فوجئت أن أدخل مصادفة وأسأل: أيكم أحمد أمين؟ وإذا أحمد أمين يقول: أنا، وبجانبه علي محفوظ، ألقيت كلمة قلت فيها: "إن الارتجال يضيق بفحول الرجال، ولكني سأكون الفحل أمامكم الآن لأني أستمد الفحولة منكم قرأتكم فأنتم أساتذتي". وقلت أيضاً: "يقولون: إنَّ جمال الدين الأفغاني نهض بالشرق، وما نهض جمال إلاَّ في الكنانة، مصر"، وبعد أن سكتُّ قام أحمد أمين، وقد اغرورقت عيناه بالدموع، لأنه كان يواجه القبة الخضراء في صالون المدرسة. فقال: لقد تعلَّمتم منا لكن من علَّمنا؟ من هدانا إلى الإسلام؟ من علَّمنا اللغة؟ إنه هذا البلد، وأهل هذا البلد، ثم أثنى ثناء يليق به.

كان ذلك فضيلة التعارف، واليوم هذا الكثر من المثقفين، هذا الكثر من الشباب والشيوخ يجتمع بهؤلاء العلماء دون حاجز، دون أي مانع، ذلك ما يحمد لحكومة هذا البلد، لئن تمثل ذلك في رعاية الشباب أو في النادي الأدبي في جدة، فإن المثل الأكبر هو لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد، فلولا أن أباح، ولولا أن يرضى بهذا لتعذر اجتماع الناس بالناس الذين هم الناس.

أليس هؤلاء العلماء هم الناس؟ لكني أسأل هل هو إحياء التراث وبيان التراث؟ أم هو نقد التراث؟ ما زلت غير فاهم لهذا... ماذا يعني نقد التراث؟ التراث قد كتب، وسجل في الأمهات. ليس الموضوع هو نقده وإنما الموضوع هو فهمه وفقهه، والاستنباط منه. فمثلاً... من التراث في السيرة في غزوة "الفتح" خرج أبو سفيان قائد الجيش من مكة سابراً يسبر الطريق، فلماذا لا يقابله إلاَّ العباس بن عبد المطلب؟ فهل العباس بن عبد المطلب سافر... سابراً؟

إذن من الفقه لهذه الرواية في التراث أن أزعم، ولعلّي على يقين من ذلك، أو صادق في ذلك أن أبا سفيان والعباس قد تعارفا على ذلك وقد كان بينهما اتصال لذلك، وأن رسول الله ﷺ وبأسلوب البشر كان يعلم عن ذلك، وإلاَّ فمن الخطأ أن يخرج قائد الجيش في مكة أبو سفيان سابراً في الطريق، يمسك به العباس بن عبد المطلب الذي كان سابراً في الطريق، فيأتي به إلى رسول الله، ويعلن إسلامه، ويكون بيته هو الآمن.

كالكعبة لكل مسلم، إذا كان نقد التراث، أو فهم التراث على هذه الصورة فأهلاً وسهلاً، أما إن كان النقد نقضاً، أو كإنكار الارتجال على الحارث بن حلزة، مع أن العرب وشاعرهم كان أمياً فليس لديه قلم، وليس لديه قرطاس، إنما لسانه هو قلمه وهو قرطاسه، والرؤية له هي القرطاس والقلم. فإنكار الارتجال كما علمنا عن ذلك عن أستاذ الأساتذة الكبار الدكتور العميد طه حسين، الذي رجع عن ذلك بعد. لا أدري كيف أنكر الارتجال على الحارث بن حلزة، وطه حسين هو أول المرتجلين؟ أليس هو المرتجل؟ أم أقول نكتة إسماعيل صدقي عنه يرحمهما الله جميعاً.

أقول إن طه حسين أمي لا يقرأ ولا يكتب. إسماعيل صدقي قالها، كتب طه حسين ينتقد إسماعيل باشا صدقي، فقالوا لإسماعيل صدقي في البرلمان: لماذا لا ترد على طه حسين؟ فقال: أأرد على أميّ؟ صحيح إنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، لكنه أمي القلم، أمي الحرف، ولكنه القارئ المفكر، العالم المفكر. فإن كان نقد التراث هو إنكار الارتجال على العرب فأنا لست معهم، وقد أكون الصغير أمامهم. ولكني بهذا الرد لعلّي أكون قد أكبرت نفسي بأكثر من اللازم. لهذا أحيّـي أساتذتنا الكبار، أساتذة التراث الذين يحيا بهم التراث، فتراثنا حي لأن لغتنا العربية سرمدية. وكما يقول

طه حسين: لا خوف علينا فما دام هذا القرآن سرمدياً، فإن اللغة الفصحى سرمدية. أرجو أن يكون حياة التراث، وبيان التراث، وفقه التراث لا نقض التراث، وليس هذا اعتراض وإنما هي صراحة أعتبرها صريحة. ولعلّي أجد عندهم أن يقولوا لي أنها مليحة.

حفل تكريم الأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ليست ورطة أن أتكلم عمن لم أعرف؛ وإني لأشعر من بعض السامعين ببعض الإشفاق، ولكنه إشفاق رحمة، لا إشفاق شماتة. ولن أترك للشماتة عليَّ سبيلاً فيما ألقي الآن.

لم أعرف الشاعر مواجهة إلاَّ ببعض الاستقراء لما ينشر، وما كنت لأحتفي به هذا الاحتفاء، إلاَّ أن هذا الإنسان عبد العزيز الرفاعي الذي لا يمضي يوم إلاَّ ويزداد كمالاً، وما تمضي ساعة إلاَّ ونثني عليه. فهو غُزَيَّتي الذي أعتمد عليه، في ثنائي على أخي أحمد سالم.

هو يقول باعُطب ولعلّي أنحرف عن ذلك فأقول: باعَطب... لماذا؟ لأني لو سكتُّ عنه أخشى عُطبة القطن، لأن التقصير مع رجل أحترمه عبد العزيز الرفاعي، وكرمه عبد المقصود، لا بد أنه سيصيبني ببعض العطب، أو ببعض حريق العُطبة. والأستاذ أحمد قد لا يكون عظيماً كشاعر، وإنما عظمة الرجال بالكد، وبذل الجهد في سبيل النهوض والارتقاء. وهو اليوم بيننا أديب وشاعر؛ تكرمونه، وتكرمون أنفسكم، فنحن في حاجة إلى أن

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٣) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٤/١٩هـ الموافق ١٩٨٨/١١/٢٨م.

نحترم نفسنا باحترام الآخرين من إخواننا.

وأود بهذه المناسبة أن أشرح هذه الكنية "باعطب" فهي كنية عادية قحطانية قديمة، تجدونها في بقايا الحميريين في شنقيط، أو في المغرب بلفظة "بو"، كمثل بو فلان، وتجدونها عندنا بلفظة "أبو" كقولنا "أبو فلان"...، فبا، وبو، وأبو كلها كنى. غير أن القحطانية الثانية التي جاءت بعد عاد وثمود استعملت "ذو"، مثال ذلك ذو رُعين، ذو يزن، ذو الكلاع، فذو كنية أيضاً معناها أبو، وبو، وبا.

و"با" عند الحضارم تدل على الأصالة، ومن الأصالة أن اجتهد هذا الرجل الذي كان معلم صبيان مثلي، إلى أن يكون موظفاً كبيراً، ولعلّ معلم الصبيان أنا، ومعلم الصبيان هو قد تشابهنا في بعض الوظائف المالية، أو غير المالية... إذن فمعلم الصبيان أصبح الآن يعلمنا بشعره أنه شاعر، وأنه مدير. لهذا أعتمد على غزيتي، عبد العزيز الرفاعي وأنشد بيت دريد بن الصمة:

وما أنا إلاّ من غُزية إن غوت غويتُ وإن ترشُد غُزية أرشد

فإذا غشنا عبد العزيز الرفاعي يكون هو الغشاش. وأمّا إذا أصاب فأظن أن هذا التكريم تصديق لتلك الإصابة، والسلام عليكم ورحمة الله.

حفل تكريم الأستاذ أحمد المبارك(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله أكمل الدين وأتم النعمة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسل والأنبياء، وعلى آله وصحبه أجمعين... إخواني.. كدت أعتذر ألا أحضر هذه الليلة لما أنا فيه ولكني حضرت لأقوم بما أنا له، وما هو الذي أنا له؟ هل هو الذي يكلفني به عبد المقصود أم هو الذي يشرفني به أحمد المبارك؟ سيان تكليف عبد المقصود عون لا أبخل به، وتشريف أحمد المبارك يتلخص فيما يلي:

عرفته معلم المعلمين... لماذا؟ لأني أفخر أني كنت معلم الصبيان، وقد كان هو يدير المعلمين كأنه المعلم لهم، وبما أني كنت معلماً للصبيان فقد أصبحت تلميذاً له، تتلمذت عليه في موضوع وأكثر من موضوع. الموضوع الأول هو أول ما عرفت النظرية المكانية التي اخترعها الدكتور عبد العزيز القوصي أستاذه هو الذي حدثني بها وعلمها إليه، وهو أن الإنسان التلميذ إذا ذاكر في غرفة أعدت له لا يستطيع إذا انتقل من تلك الغرفة أن يذاكر.

وعبد العزيز القوصي الدكتور قد جمعها، وتلقاها من عجائز أمهاتنا وآبائنا، هي نظرية معروفة لدى الجميع، ولكن هو هندسها وجعلها علماً في

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٤) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٤/٢٦هـ الموافق ١٩٨٨/١٢/٥م.

علم النفس النظرية المكانية وإلاَّ فهي معروفة لأن الواحد منا يقول: إنه لم يستطع أن ينام البارحة لأن مكان نومه تغير. فتغير المكان يحدث بعض التغير في أعصاب الإنسان أو نفسه، بحيث لا يستطيع أن يقوم بما كان يقوم به.

هذا أنا تلميذه فيها وهو تلميذ عبد العزيز القوصي ولا زلت أقول: إن عبد العزيز القوصي تلميذ لأمه أو جدته التي قالت له: إنني لم أنم الليلة لتغير مكاني.. ثانياً: عجزت أن أجد قائل هذا البيت:

ستألف فقدان الذي قد فقدته كإلفك وجدان الذي أنت واجدُ

فسألته فعجز هو أيضاً أن يجد صاحب هذا البيت، كما عجز أيضاً غيره، وقارئ البيت يرى فيه نسج المتنبي أو نسج ابن المقرب. ولكنه اليوم يحدثني أنه رأى هذا البيت في رثاء أحمد حسن الزيات لابنه رجاء يوم توفي وهو موجود في مجموعة الرسالة، لم ينسبه الزيات أيضاً إلى صاحبه وإنما قال كما رواه لي الآن أستاذنا أحمد المبارك قال: إنه لشاعر العروبة، قلت: لقد نسبه إلى صاحبه فلن يطلق شاعر العروبة إلاَّ على المتنبي... ألستم معي في ذلك؟ المتنبي شاعر الدهر العربي هو شاعر العروبة، ولكن يظهر أن الزيات أخذته بعض المصرية لأن المصريين وإن كتب طه حسين عن المتنبي وإن عظم المتنبي بعد ذلك يأخذون عليه أنه وقد وصل إلى مصر في عهد كافور الإخشيدي وهجا كافور، وكان يطلب الإمارة لم يذكر النيل في شعره قط، فالمصريون يجدون موجدة عل المتنبي أن هذا النيل العظيم لم يؤثر فيه ولم يذكره.

لهم حق في ذلك، ولنا عتب عليهم أن لا ينسوا للمتنبي هذا النسيان للنيل، لكن طه حسين لم ينسَ المتنبي وغيره كتبوا عن المتنبي كتابات

جيدة. من تحف طه حسين عن المتنبي وهو شاب في الكوفة تلك التحفة التي يعرفها الأستاذ أحمد المبارك ويعرفها أستاذنا أبو تراب، أنه رأى أناساً تجمعوا حول شيء، دخل بينهم فوجدهم مجتمعين على فأر ميت، فنظم هذه الأبيات يعجب بها طه حسين لأن فيها نكتة والنكتة تعجب المصري... يقول:

لقد أصبح الجرذ المستغير أسير المنايا أسير العطب
رماه الكناني والعامري وتلاَّه للوجه فعل العرب
كلا الرجلين اتَّلى قتله فأيكما غلَّ حر لسلب
وأيكما كان من خلفه فإن به عضةَ في الذنب

لهذا أنا أكرم الأستاذ أحمد المبارك، وإن كان هو دائماً يكرمني.

ذكرني بأشياء قديمة جديدة يوم كنت موظفاً في اللوازمات، ويوم كنت أزوره وهو رئيس التعليم، أذكرها له بالخير ولا أنسى أنه من عائلة وأسرة عريقة، في هجر في الأحساء يحلو لي دائماً أن أسمي الأحساء هجر لأن رسول الله ﷺ نطق بها هجر عندما وصف شجرة سِدْرَة المنتهى، ووصف نبقها فقال: كأنه قِلال هجر. هجر أعطتنا قِلال التمر، وأعطتنا برميل البترول، وأعطتنا عائلة كريمة هي عائلة المبارك الذين ما نسوا نسبهم إلى المدينة المنورة لأنهم يعتنقون مذهب مالك.

فعائلة المبارك، وعوائل أخرى كالملا وغيرها لهم فضل الحفاظ على عقيدة السلف، وعقيدة السنَّة، وكل المسلمين إلى خير وكل من قال لا إله إلاَّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فهو على الرأس والعين.

والسلام عليكم ورحمة الله..

حفل تكريم الأستاذ فهد العرابي الحارثي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم... مكلّف بشرف التكريم، ومعلّف لسماع هذا التكريم، لقد كنت وأريد أن أمن على الابن فهد العرابي. لقد كنت أنوي السفر إلى الرياض لغرض مُلِحٍّ لكني أجلت السفر، لأن الدكتور فهد أخشى لأن يتهمني بالعقوق وأشق ما عليَّ أن أتهم بعقوق. فأنا للشباب سواء كانوا من هنا أو هناك، سواء كانوا أبناء الصلب، أو أبناء البلد، أو أبناء الصنعة، أو أبناء الحرفة. لهذا تأخرت وفاجأني الأستاذ عبد المقصود بأن المكرم في الغد هو أستاذنا أبو عبد الرحمن بن عقيل. ومعنى ذلك أني سأذهب إلى الرياض، وأعود مسرعاً لأني لا يمكن أن أتأخر عن هذين الاثنيين أبداً، ولا تحسبوا أن ذلك تكليف من عبد المقصود كشخص وإنما تخليف هو التكليف من المقصود، وهو تكريم كل من يستأهل التكريم.

فهد العرابي أريد أن أترجمه ليس كالترجمة الواسعة التي سجلها من ترجم له، وهي وإن كانت مفخرة له، فهي أيضاً مفخرة لنا، لكن أريد أن أترجمه كبدوي، كقبلي. هو نشأ على ضرس السراة يعني حجازيًّا، فإذا هذا الحجازي يصبح باريسيًّا، وهذا الباريسي يعود إلى اليمامة المشمخرة، ثم هو الآن يجلس بيننا في تهامة كأنما هو احتوى البلد

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٥) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٥/٣هـ الموافق ١٩٨٨/١٢/١٢م.

كله... فهو تهامي حجازي يمامي.

إن تتهمي فتهامة وطني أو تنجدي يكن الهوى نجد
ضدان لما استجمعا حَسُنا والضد يظهر حسنه الضد

فهد العرابي... أريد أن أتكلم عن الباريسي، تعطر بأزاهير الشانزيليزيه، وبعلم السوربون، فهو ولا تزايد في ذلك كأنما هو العاقب لطه حسين والغريب أن بينهما مصادفة.

طه حسين تأثر بالسوربون تأثراً كبيراً، فكان منه ما كان يرحمه الله. والعرابي أيضاً لا أنكر وهذه ليست مذمة أنه تأثر بالباريسية، فكان بعض ما أنكرته عليه. هو جنوبي حارثي قحطاني فكيف ينكر علي عبد الله جفري مثلاً حينما قال له إنه جنوبي؟ لكنها شمخة باريس، وشمخة الدكتوراه غفرناها له، وها نحن نضعه على رؤوسنا ذلك من أثر الباريسية، ولكن عندما عاد إلى تراثه وميراثه وترابه فإذا هو القبلي، وإذا هو البدوي، وإذا هو الكاتب الكبير، وإذا هو في المجامع والمجمعات يشرفنا لأن أي تشريف للإنسان يشرف به في نفسه هو تشريف لقومه، هو تشريف لبلده، وفهد الحارثي إن شرف بما تحصل عليه فهو أيضاً يعطينا التشريف لابن من أبنائنا قبلي بدوي لولا سماحة الدولة، وفتح المدارس، والبعث إلى الجامعات لكن يرعى غنماً في بلحارث. ولكن الشكر لمن اتسع للعلم بالبناء، والشكر أيضاً لطالب العلم الذي تعلم فأنصف نفسه، وشرف نفسه، وشرف قومه. أريد أن أشكره، أريد أن يغفر ملاحظتي عليه فبيني وبينه عمار، وبيني وبينه صداقة، وبيني وبينه أني الشيخ العجوز ما تخليت عن الشباب في أي خطوة من خطواته. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الشيخ أبي عبد الرحمن بن عقيل(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، أكمل الدين، وأتم النعمة، والصلاة والسلام على خاتم الرسل نبي الرحمة، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين لا أقول "ثرثارة في كل ناد يخطب" هذه الليلة فأنا مكلّف بعاطفتي أكثر من هذا التكليف الذي يكلفني به هذا الحفل لأن عاطفتي نحو أستاذي الدكتور بلا دكتوراه أبي عبد الرحمن بن عقيل، هو اصغر مني سناً بأكثر من ثلاثين عاماً، ولكن أنا تتلمذت عليه كثيراً، فهو ذو ثقافة واسعة، ولكن ليست الثقافة المهرجلة كما يقولون وإنما هي ثقافة دقيقة جداً، لأن التمسك بمذهبه الظاهري وكأنه قد اتبع ابن حزم في الدقة الرقيقة، فيما يحفظ، وفيما يعرف، وفيما يعرض.

عرفته شاباً وما أزال الآن أراه في ذلك الشباب لأني الآن حين أراه أتصوره أنه قد شاخ بينما هو لما يصل بعد إلى أن كان كهلاً. ولكن هكذا هو يتبع ولا يبتدع. إذا حقق أتاك بكل ما هو واضح وبكل ما يشرح لك الصدر من هذا التدقيق وهذا التحقيق. ظاهري ما معنى ظاهري؟.. بعض الذين يتنكرون لصاحب المحلّى الإمام ابن حزم يظنون أن الظاهرية تحلل، لا، هي حلية لأنها بالثبات على النص الواضح والفقه المتضح، ليس فيها

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٦) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٥/١٠هـ الموافق ١٩٨٨/١٢/١٩م.

شيء من التحلل ولو كانت الظاهرية تحللاً لما رأيت أبا عبد الرحمن وأبا تراب بهذه اللحى الطويلة، بهذا الوقار الكريم. قد لا يعرف الكثيرون ابن حزم: ابن حزم إنسان حي شاعر، ولو كان ناثراً، فقيهاً، إماماً. وهو على حدة لسانه ما كان يتعرض للأئمة أصحاب المذهب الصحيح، وإنما هو يعارض المتمذهبين الذين يعترضون عليه. هذا ولقد بليت بأحد الأساتذة الكبار يشتم الإمام ابن حزم انتصاراً لما يذهب إليه، فكتبت في الجريدة يوماً ما أعترض عليه، وأقول له: إن سبّ العلماء سيِّئ لأن لحن العلماء مرّ فما لنا والخلاف بين هذا وذاك. ولكن أثبت الزمان بأبي تراب وبأبي عبد الرحمن بن عقيل أنهم أهل الثبات والإثبات، فكانوا بيننا رمزاً للأستاذية رمزاً لتعليمها، وأنا أدين لأبي تراب بشيء كثير من المعرفة، وأدين لأبي عبد الرحمن بن عقيل بشيء من المعرفة، لأني وإن لم أكن ظاهري المذهب. فلست بالظهرة الذي يتمذهب على الأئمة وعلى الأشياخ. كل عالم محترم ومن فضائل أبي عبد الرحمن أن جاء بإخوانه وأنصاره من أهل الرياض من هؤلاء العلماء إلى هنا لا ليشاركونا في تكريم أبي عبد الرحمن وإنما هم بمجيئهم قد كرمونا. لم يكرموا عبد المقصود، ولم يكرموا ابن عقيل وإنما كرمونا جميعاً فما أحسن الألفة التي يتم بها توحيد هذا الكيان الكبير. فالأرض إذا توحدت، والدولة إذا توحدت فما أحسن أن تكون المشاعر واحدة والمنطلق واحداً والمصير واحداً.

إن تتهمي فتهامة وطني أو تنجدي يكن الهوى نجد

وما لي أكاد أن أنسى أبناء كاظمة، ما هي كاظمة؟ الكويت اسم جديد وإلاَّ فهي كاظمة. قال عمر بن الخطاب لعتبة بن غزوان أحد السابقين الأولين الذي أكل ورق السدر والنوى مع رسول الله في شعب بني هاشم

حليف سعد بن أبي وقاص، قال له أبو حفص عمر بن الخطاب عبقري هذه الأمة: يا عتبة بصر البصرة على الأدنى من حدود العرب، والأدنى من حدود العرب كاظمة، فالكويت هي كاظمة. لماذا قال عمر: بصر البصرة من حدود العرب؟ لأن الجغرفة في عهد الجاهلية وفي صدر الإسلام كانت تخرج العراق والشام من الجغرفة لجزيرة العرب، لأن الشام كانت تحت حكم الرومان، والعراق تحت حكم الفرس.

فحصروا جغرفة الجزيرة العربية بكاظمة من الشمال، وببادية الشام بالجوف، ودومة الجندل إلى العقبة، فكانت جزيرة العرب من كاظمة إلى خليج عدن ومن البحر الأحمر إلى البحر الأزرق على الخليج. أنا أرحب بأبناء كاظمة، أبناء الكويت أخوة خصوصاً، ونحن الآن نتنسم الوفاق في مجلس التعاون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم المهندس زياد أحمد زيدان(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

لست العميد وإنما أنا المزينة، لا أزين برتوسن وإنما أزين برشوسن الكلمة العطرة التي تنبع من القلب، لكل فتى من فتياتنا، لكل صاحب نجاح نجح. فنحن في حاجة إلى الناجحين، في حاجة إلى كل صاحب موهبة. لا أريد أن أَمُنَّ على زياد زيدان، ولا على عبد المقصود، ولا على أحد وإنما أريد أن أمن على نفسي حين أسرعت من الرياض وما كدت أصل إلى بيتي قرب الساعة الثامنة حتى أخذت طريقي إلى هنا لئلا أتهم بالعقوق ضد الشباب. فالشباب هو المستقبل، وما كنت أعرف إلاَّ أني وفيٌّ للشباب كما أني أردت أن أعلن وفائي للصديق أحمد زيدان، فنحن وإياه من المحاربين القدماء، هو في مجاله وأنا في تجوالي. لكن كيف فاتني أن أعرف ما ذكره المذيع حسين نجار عن هذا الحشد من النجاح عن هذا الحشد من هذا العمل؟ لا أقول أنه العمل الذي يفخر به زياد، وإنما هو العمل الذي أفخر به أنا وأنتم.

أن يكون شاب من أبنائنا له هذا العطاء، له هذا النجاح، ولا تحسبوا

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٧) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٥/١٧هـ الموافق ١٩٨٨/١٢/٢٦م.

أن بيني وبين زياد زيدان قرابة نسب وإنما قرابة حسب، قرابة سبب فالسبب هذه العروبة السبب هذا البلد الكريم، السبب هو الإسلام، السبب هو العطاء. والحسب هو ما جاد به وما أنعم الله به عليه، فلئن فاتنا النسب أن نكون اقرباء لم يفتنا الحسب، ولم يفتنا السبب، ومن أبطأ به حسبه لم يسرع به نسبه، فما أبطأ الحسب بزياد. ولقد بليت باسم زيدان وسبَّب لي كثيراً من الحرج، أتدرون ما لقيته من الحرج؟ وصلتني رسالة من ماروني في لبنان اسمه إبراهيم زيدان يقول: هل أنت ابن عمنا؟ فأجبته: أنا لست مارونياً ولكنني مسلم، وأصلي من صعيد مصر، وولدت في المدينة المنورة، فليس لي قرابة معك. كما أن الزعيم المسلم التركستاني زعيم التركستان موسى جار الله وهو من أعظم أعضاء المؤتمر الإسلامي الأول الذي بايع الملك عبد العزيز في المدينة، سألني عندما زرته في بيت الأخ محمد نيازي عن درجة القرابة بيني وبين جرجي زيدان، فأجبته قائلاً: جرجي زيدان ماروني مسيحي لبناني، وأنا عربي مسلم مصري صعيدي حجازي. لكن من أين اشتقت كلمة زيدان؟ وما هو مصدرها؟ في الواقع أنها جاءت من الشيء الذي أريد أن يعود، وأطالب الإعلام بعودته، وهو شاعر الربابة، ربابة الملاحم التي ربت الشجاعة في الناس. كملحمة سيف بن ذي يزن، وملحمة أبي زيد الهلالي، وملحمة عنترة. هذه الملاحم ربَّت الفخر والشجاعة للناس العوام، فلماذا لا تتلفز ملحمة سيف بن ذي يزن؟ ولماذا لا يكون اشتهار اسم زيدان في كل مكان عربي جاء من قصة أبي زيد الهلالي؟ فزيدان ولد أخت أبي زيد الهلالي في الملحمة وشاعر الربابة حينما يقول زيدان ولد زيدان خاله سلامة الجيَّاشي إنما يعني أبا زيد الهلالي شريفاً من أشراف بني الأخيضر. ومن هنا أخذ هذا اللقب الأخ أحمد وأخذته أنا... وجاء الابن زياد بهذا الفخر وبهذا الحشد يعطينا عطاءً

كبيراً. وأسأل الله أن يحميه من كل أذى وأهنِّئ والده بذلك كما أهنِّئ الوطن به وبأمثاله الشباب البررة، الناجحين، الذين يرفعون علم بلادهم أينما كانوا عالياً ويكتبون بإنجازاتهم العظيمة سطوراً مضيئة في صفحات المجد...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الدكتور ربيع صادق دحلان(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة، والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. الكلمة التي أحيّي بها الابن بنوة الحفاوة والتكريم، بنوة السبب وإلاَّ فهو أعلى بنوة في النسب... السيد ربيع دحلان... أريد أن أمسح على رأسه.. أعيذه من كل شر وأقول ما شاء الله تبارك الله على هذا الحشد من الأعمال الطيبة الكريمة التي تحلّى بها، والتي هي حلية لنا. فالشاب الناجح لا يكون نجاحه لشخصه ولأسرته كافياً وإنما نجاحه يجب أن يكون لنا نحن شعبه، لأننا في حاجة إلى الناجحين لهذا أكرم هذا النجاح فيه، وتمنيت أن يكون والده السيد صادق دحلان حاضراً لأحيّيه. فلي كلمة أكررها هي أن عمل الآباء دعاء الأبناء، وعمل الأبناء رحمة للآباء، وهذه استقيتها من قوله تعالى جل جلاله: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩)، فتقوى الآباء دعاء الأبناء، فالنجاح الذي اكتسبه ضيفنا ما هو إلاَّ من عمل أبيه، نعم هو من عمله ودأبه، ولكن التوفيق والتسديد كان من عمل الوالد الرضي الذي رضي له الخلق الكريم. وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ (الكهف: ٨٣) ورحمة الأبناء للآباء

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٨) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٥/٢٤هـ الموافق ١٩٨٩/١/٢م.

هي في صلاحهم ونجاحهم، أليس من رحمة الآباء أن يكون لمن مات منهم ولد صالح يدعو له بالخير؟ وربيع هو الولد الصالح لأبيه ولنا جميعاً. هذا الحشد من النجاح لا أريد أن أحصيه، وإنما أريد إحصاءً واحداً وهو حسن استقباله، فنحن قوم يأسرهم حسن المقابلة وجميل اللقاء، وربيع اللقاء ويحسن المقابلة.

أنا أعتز به صديقاً، وأعتز به صديقاً لولدي سعود، وأعتز به شاباً أعطانا هذا النجاح الذي قلت عنه أنه من عمل أبيه. وربيع قد أعزه أب وما أستذله خال، أعزه الأب بحسبه ونسبه وكماله وما أستذله أخواله بحسن رعايتهم له، وحسن رعايتهم لأنفسهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم سعادة اللواء صالح طاهر فاضل(*)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وأما بعد: فماذا عندي من كلمة أقولها عن صديق كنت أشرب من يد أهله ماء زمزم، فهو عريق في مكة عراقة أهلها الأكرمين. ولكن أعرفه معرفة فيها بعض القرابة لأصهاري من بيت طيبة، وهو يعرفني أيضاً هذه المعرفة، ولئن كنت البعيد عن لقائه، فقد كان هو القريب لما تفضل عليَّ به من حفاظ على قيمتي، ومن عناية بي.

لكني أريد أن أتكلم عن الأمن لقد كنا لا نعرف إلاَّ "الجندرمة" فكانت الشرطة أيام الأشراف، وأيام الأتراك يطلق عليها "الجندرمة" ولكن سبق في التاريخ أن الشرطي يطلق عليه "الجلواز" لذلك قال سيدي عمر بن الخطاب وسيدكم جميعاً فاروق هذه الأمة، وعبقريها رضي الله عنه: كنت صاحب رسول الله وجلوازه، ثم أصبحت صاحب أبي بكر وجلوازه، وتذكرون أنه لم يتقدم أحدٌ بإساءة إلى رسول الله ﷺ إلاَّ قال عمر: دعني أقتله يا رسول الله، فكان يمنعه رسول الله ﷺ عن ذلك. هذه هي وظيفة الجلواز، أو وظيفة مدير الأمن في العصر الحديث.

صالح فاضل له من اسمه نصيب فهو صالح في أهله، وبيته، وقرابته،

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٨٩) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٦/٢هـ الموافق ١٩٨٩/١/٩م.

ووظيفته، وعمله، وهو فاضل حينما أصبح صالحاً لهذا المركز. كنّا لا نعرف مدير الشرطة إلاَّ واحداً من الذين خلفتهم حكومة الأتراك أو حكومة الأشراف، لأنه لم يكن بيننا من هو مؤهل لأن يكون مدير الأمن العام أو مدير الشرطة، ولكن ولله الحمد فتحت الدولة المدارس، فاتسع نطاق العلم، فأصبح أبناؤنا هم الذين يَحْكُمون بيننا، ويُحْكِمون نطاق الأمن بيننا، فالأمن هو رأس مالنا. ولقد قلت مراراً: لولا الأمن لما أنتجنا برميل بترول، ولولا الأمن لما أنشئت جامعة، لولا الأمن ما تيسر طريق حاج، فمن المزايا التي تذكر لعبد العزيز بن عبد الرحمن أنه هو الذي أسس هذا الكيان الكبير، أسس هذا الأمن. وجاء من بعده أبناؤه يفتحون المدارس ليخرج منها رجال أمن، يحفظون الأمن عليه، فلا جندرمة ولا جلواز، وإنما هو مدير شرطة، مدير أمن عام يحفظ علينا الأمن.

وذُكر لي أن خلفه "خطابيٌّ" لا أدري هل هو ينتسب إلى الحوازم الخطابيين؟ وهم من أطيب الناس في حرب، ومن أطيب القبائل، أم هو خطابي ينسب إلى عمر بن الخطاب؟ على كل لقب نظيف نتمنى منه، نرجو له أن يكون النظيف بعده.

أحيّي صالح فاضل تحيته لي فيما يعلم من إحسان عليَّ، جزاه الله عني خيراً والقرابة تجعلني أحيّي ابنه، وأحيّي صهره محمود نصير بن عبد الغني نصير الذي هو سبب القرابة بيني وبين صالح فاضل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم بعض رؤوساء الأندية الأدبية(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الرسل النبي الأمين، محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه أجمعين. إخواني أعضاء الأندية... إخواني المحتفلين... ما كنت مزمعاً أن أقول كلمة اليوم لأني مدخر الكلمة الواضحة الفاضحة إلى تكريمهم في جامعة الملك عبد العزيز، ولكن حين رأيت الصفوة من رؤساء الأندية رأيتني أزف نفسي بفرحة الكيان الكبير. كيف أصبح الإقطاع والتقاطع والقطيعة كلها اندثرت وأصبحنا أمة واحدة في المملكة العربية السعودية؟

أزف نفسي بهذا الاحتفال يحتفل بالأندية الذين هم أصدقائي وأصحابي وإخواني. أزف إليهم فرحتكم جميعاً بهذا الاجتماع. ولقد اتسع عبد المقصود بالكلمة حتى لم يدع لي كلمة أقولها، كما أنه حيّا بالنيابة عنكم عبد الفتاح أبا مدين. أما تحيتي لأعضاء الأندية وكل الإخوان الذين مثلوا لنا إجتماع الاخوة، وأخوة الجماعة في هذا المكان الكريم فموعدي لهم ولكم غداً الجامعة سأقول كلمة متسعة قد لا أرتجلها بل أكتبها، ارتجل

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٠) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٦/١٦هـ الموافق ١٩٨٩/١/٢٣م.

رؤوس مواضيعها، وإنما المكتوب سأنشره في الصحف لأن لي رأياً عما صنعه الجمل وما لم تصنعه الطيارة، عما صنعه نور الحطب وما لم تصنعه الكهرباء، عن الحب كيف صنع وعن التباغض والجفوة وكيف تهدم. لا أريد أن أتوسع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم معالي الشيخ عبد اللَّه النعيم(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ولي النعمة، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. لم أفاجأ بأن آتي أو أن أدعى لتكريم الأخ العزيز عبد الله النعيم، لم أكن عشيراً له، ولم أكن صاحباً له، لم أعرفه من قبل، ولكن أعماله هي التي عرفته لي وللناس جميعاً. رجل ما أبطأ به حسبه وما أبطأ به نسبه واعتز به سببه.

أريد أن أتكلم عن النجاح... ما هو النجاح؟ قبل أربعين عاماً كنت في بيت مكة وفي بير بليلة، وكان محمد عمر توفيق بجواري يقرأ في فتح الباري، والأستاذ عزيز ضياء يقرأ في مجلةٍ ما، فإذا بالأستاذ عزيز يفاجئنا بكلمة لكاتب إنجليزي (نسيت اسمه أعتقد أنه راسين أو غيره لعلي نسيت) فأربعون عماً تنسي. يقول هذا الكاتب: لو بحثنا عن سر العبقرية لوجدناها في ألمانيا جودة في الصناعة وعظمة في التصنيع، وأما فرنسا فسر عبقريتها الاختراعات، أما نحن الإنجليز فليس لنا هذه العظمة الصناعية كما في ألمانيا، وليس لنا عظمة الاختراعات كما في فرنسا، ولكننا أمة ناجحة وصلنا إلى قمة النجاح؟ إذن فنحن أمة ناجحة سر عبقريتنا النجاح. من هنا أريد أن أخلع هذا التعريف على عبد الله النعيم، فأية وسيلة، وبأية عبقرية، بل بأية موهبة وصل إلى ما وصل إليه؟ إنها موهبة النجاح في كل عمل أداه كان

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩١) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٧/٢١هـ الموافق ١٩٨٩/٢/٢٧م.

ناجحاً حتى ولو كان معلم صبيان، وذلك شرف لا أريد أن أخلعه عن نفسي أيضاً، لأني أنا معلم صبيان. فالعمل الناجح هو سر العبقرية، لا نريد أن نبحث عن موهبة، ولا عن شهادات، ولا عن تحصيل، وإنما عن النجاح الذي وصل إليه عبد الله النعيم بهذا التطور لمدينة الرياض وبهذا التطوير لسمعة المملكة وتاريخها وآثارها لمعرض الحرمين الشريفين. لا تحسبوا أن هذا المعرض قد خلا من عمل عبد الله النعيم، ومن توجيهه، ومن بحثه، ومن مساندة له، فهو أيضاً كأنما هو من عمله رأياً وتوجيهاً وإشادة.

من هنا أيضاً الثناء على الأمير سلمان ينبغي أن لا نختصره وإن كان ثناء سلمان فوق الثناء باعتباره الموجه وباعتباره المعين. ونقطة أخرى عند عبد الله النعيم، استحوذ على الثقة: ثقة سلمان، ثقة خادم الحرمين الشريفين، ثقة أعوانه. فلم يتبطر بهذه الثقة، لم يحلها إلى حَظْوَةٍ يرهق بها أعصاب الناس أو أخلاق الناس أو أعمال الناس. عبد الله النعيم بعيد عن التبطر بحظوة، سعيد بهذه الثقة، الثقة التي عملت، والحظوة والبطر بها هو الذي يفسد العمل.. لهذا أهنِّئ عبد الله النعيم بالثقة.

وهنا يتبادر إلى ذهني سؤال هو: لماذا تعطيه جامعة السوربون شهادة الدكتوراه ويأتي الجواب تلقائياً. لأن باريس مدينة الذوق، فهل هناك ذوق تليد وطريف ونبيل كذوق الباريسيين؟ فهم ذواقون، وعندما تذوقوا عظمة معرض الحرمين هداهم ذوقهم إلى أن يتذوقوا قيمة هذا الرجل، فأهدوه شهادة الدكتوراه الفخرية مع أنه كان في سبيل أن يراها شهادة علمية.

أهنئه وأهنِّئ أنفسنا وأرجو أن يكثر أمثاله عباقرة النجاح لا عباقرة التحصيل ونوابغ البطولة المستظهرة بما تحمل من علم. النجاح هو العبقرية كما قال الكاتب الإنجليزي راسين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم سعادة الدكتور محمد بن سعد آل حسين(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله أكمل الدين وأتم النعمة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، وعلى أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين... إخواني بعد السلام عليكم. ليس غريباً على محمد حسين أن يشارك في تكريم محمد بن حسين... وليس غريباً أيضاً أن يكرم الأعشى محمد حسين ذلك البصير محمد بن حسين. أكرمه وأنا صديقه، هو الذي أكرمني بالصداقة، أنيس المحضر ما جلست إليه إلاَّ وتعلمت منه، فما زلت طالب علم، وقد ارتفع هو أستاذاً على طلاب العلم. نشأ في جو؛ لو قلنا عن النشأة مجردة من معرفة سيرته ومسيرته بيننا لقلنا أنه رجل يتزمت، رجل ينكر الكثير، ولكن الغريب على هذه النشأة في اليمامة وبين أشياخ من أئمة السلف والدعاة، أن يكون هذا الشيخ محمد بن حسين رجلاً فيه سماحة، وفيه طلاوة، وفيه ملاحة، حينما يتحدث إليك لا يلمزك ولا يستهين بك ولا يكاد يقول لك ماذا أنت عليه.

أنا أعرف أنه يكره تعاطي شرب التبغ أياً كان نوعه ولكني شربته معه

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٢) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٧/٢٨هـ الموافق ١٩٨٩/٣/٦م.

الآن فما قال لي لا تشرب وما ضربني على يدي، وما صفعني كفاً على فمي كي لا أشرب. هذا التسامح في العالم يحبب إليه الناس، حتى إذا نصحني الآن أن أترك شرب التبغ أستمع إليه وأقول إنه ناصح أمين.

هذه النشأة هذبها، إنه يقرأ بأذنه وكم كتبت وكم قلت لكي يشبع الإنسان من الثقافة أن لا يتكل على قراءة العين فقراءة العين نمنمة، أما القراءة بالأذن فجرس يسمع. وما شبعت من ثقافتي التي تعرفونها أو أدعيها إلاَّ حينما بدأت أقرأ بالأذن، يُقرأ لي لقد كنت بصيراً لم تدركني العشوة إلاَّ أخيراً، ولكني وأنا البصير بقوة البصر كنت أستمع إلى أن يقرأ لي أحد بجرس. وأول ما بدأنا قراءة الرافعي حينما كان يكتب في الرسالة قرأت له كتباً كثيرة: المساكين، وإعجاز القرآن، وغيره بالنمنمة بالعين، فلم يتسع لي فهم واسع، ولكني عندما أخذت اقرأ بالجرس بالأذن اتسعت لي المعرفة بقدر ما أنا فيه الآن.

ومحمد بن حسين اتسعت له معرفته لأنه قرأ بالأذن، يسمع فيحفظ والجرس كأنه أغنية يحظى بها السمع ويمتلئ بها الوجدان وأمثاله كثير. فهل البصير ابن منظور الذي ألف لسان العرب كان يقرأ بالعين؟ لا بل كانوا يقرؤون له فيحفظ ويكتب هذه المجلدات الواسعة، ويحضرنا غيره... طه حسين مثلاً ما كان يقرأ، ولكن قراءته بالأذن أعطته الجرس وجعلته يتكلم بالجرس ويكتب بالجرس. فأنت حين تقرأ لمثل هؤلاء فأنت تقرؤهم بجرس كأنهم ينغمون لك الحرف وينغمون لك اللفظ، ومحمد بن حسين لا يخرج عن هذا.

أريد أن نتعلم القراءة بالأذن وهناك كلمة لأمين الريحاني الكاتب المسيحي يقول: القراءة الجيدة أن لا يقرأ الإنسان واقفاً وسريعاً فإن القراءة

الواقفة والقراءة السريعة مثلها كالوجبات الخفيفة السريعة "السندوتشات".

إن تكريمي لمحمد بن حسين في هذا المكان هو تكريم أديب من تهامة لأستاذ من اليمامة فقد اجتمعت اليمامة وتهامة في هذا المكان ما فرقها شيء. لقد كان الإسلام جامعها وكانت العروبة جامعها، ثم جرى ما جرى من اختلاف حتى وفق الله عبد العزيز بن عبد الرحمن آل السعود فجمع هذا الكيان الكبير بحيث يجد ابن اليمامة التكريم في تهامة دون أن يكون معه أنصار يحفظونه ودون أن يتعرى من اسمه فينتسب إلى قبيلة أخرى. والفضل في ذلك يعود إلى موحد شمل هذه الأمة وباني هذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز آل سعود غفر الله له فأصبح ابن اليمامة يكرم في تهامة، غير أني أخشى من بعض العنعنات... والتفاخرات أن تؤثر على هذه الوحدة في هذا الكيان الكبير.

والسلام عليكم ورحمة الله...

حفل تكريم سعادة الدكتور راشد المبارك(*)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... بسم الله الرحمن الرحيم. أكمل الدين وأتم النعمة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة. عجيب أن أتكلم عن رجل لم أكن أعرفه، ما عرفته من زمن طويل وهو الذي ينبغي أن أعرفه، ولكني عرفته في جلسة واحدة... ما هي تلك الجلسة وأين؟ تلك الجلسة في الرياض، يوم اجتمعنا ونحن أعضاء مؤسسة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن يرحمه الله. لا أدري بماذا أمالني إليه ما الذي جعلني أحبه ما الذي جعلني أحترمه؟ أتلقائية كانت؟ أم هل هي الكهربية التي هو دارسها ويعرفها جذبتني إليه؟ ذلك لا أعرفه محدداً، وإنما أعرفه مدداً لهذا الحب الذي أكنه له، وهذا الإجلال الذي أحترمه من أجله.

رأيت الوقار، رأيت صمته أكثر من كلامه، وإذا تكلم، تكلم عن سداد رأي وعن صواب فكر، في تلك اللحظة التي لم تدم أكثر من ساعة أو ساعتين عرفت هذا الرجل وكأني أعرفه من قبل، وتزداد المعرفة إجلالاً وتعظيماً إذا كان من الأسرة المباركة أسرة آل مبارك أهل العلم.

ولعلّكم لا تعرفون أن بيني وبينه صلة، صلة خفيت عليَّ وظهرت لي ذلك لأنه من هذه الأسرة المباركة أسرة آل مبارك، وهم على مذهب أهل

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٣) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٨/٦هـ الموافق ١٩٨٩/٣/١٣م.

المدينة، مذهب مالك إمام دار الهجرة. فكيف بي وأنا ابن المدينة لا أحتفي بمن تمذهب بمذهبها؟ وبقي ثابتاً هو وأسرته من قرون كثيرة، يقولون ابن الأحساء... أنا أقول ابن هجر. أحب هذا الاسم لمنطقة الأحساء هجر، أمدتنا بالعلماء ونحن نعيش في مددها، قلة تمر، وبرميل بترول، ثم لعلّي أنشد مختزلاً بيت مهيار: قد جمعت المجد من أطرافه... أنشده باسم من له الحق أن يقول قد جمعت المجد من أطرافه... سؤدد المنتفك السعدون أجداده وسؤدد آل مبارك العلماء، فأي مجد أكثر من هذا المجد أن يكون ذا نسب في السعدون قادة المنتفك عظماء العراق، وكيف لا يكون ذا مجد؟ وهو من آل مبارك العلماء الفضلاء. ما هذا الحشد العلمي الذي يعرفه؟ كيف اتسع له ذهنه؟ كيف اتسع له فكره؟ لكنه توفيق الله أمده بجهد جهيد ليحصل على هذا العلم.

لقد شرفنا كشعب سعودي أن يكون فينا أمثاله والحمد لله أمثاله كثير. الحمد لله الذي أصبحنا بفضله نعرف فينا العلماء من شبابنا والكبار من شبابنا، ولكن راشد المبارك يشرفني أكثر لأنه على خلق، فما أكمل وما أحسن العالم إذا اتسع علمه أن يكون حسن الخلق. وراشد المبارك حسن الخلق. أتراني عرفته من قبل وعرفته الآن؟ نعم... كان غباء الجهل أو لا غباء التجاهل، ولكني حين علمت، علمت المعرفة، معرفة الحب والتقدير والإجلال لراشد المبارك حياه الله وبياه وأقول مرة أخرى: بخ.. بخ لنا بهذا الأستاذ الكبير الكريم الذي ملأ المراكز وما تمركز ليتطاول، وإنما تمركز لننال من طوله، الطول الكثير والخير الكثير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

حفل تكريم الأستاذ أحمد محمد محمود(*)

قال: السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، أكمل الدين، وأتم النعمة، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. قبل أن أبدأ كلمتي عن أحمد محمود أجدني سعيداً بين هؤلاء الأحمديين، أحمد الشامي، أحمد الشيباني، أحمد المبارك، أحمد محمود، وكل منهم اسمه أحمد. الأخ أحمد محمود ما عرفته من قبل، ولكني عرفته بعد فإذا بي أنشد قول العباس بن مرداس:

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد مزيرُ
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
بُغاث الطير أكثرها فراخاً ... وأم الصقر مقلاة نزور
لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يُصرِّفه الصبي بكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوي ... فلا غِيرٌ لديه ولا نكير

أحمد محمود لدي عاطفة نحوه لأنه من أهل شنقيط الذين حفظوا

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٤) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٨/١٣هـ الموافق ١٩٨٩/٣/٢٠م

القرآن. ولكونه أيضاً منا نحن أبناء هذا البلد أكرمهم صحفياً، ولم يكن زحفياً وإن زحف عليه بعض من شكاه أو من تشكى منه، فإذا هو طريد الشكوى. أحمد محمود ليس فيه ورم، عاطفته ليس فيها ورم، ونفسيته ليس فيها ورم، وعقليته ليس فيها ورم. فهذا الاعتدال نفسياً وعقلياً وعاطفياً وجسدياً أكسب هذا الرجل أن يكون معتدلاً في سلوكه.

الغريب أن بعض الذين لا يتوافقون مع بعض لم يَجْفُهُ أحدهم، بل اعتنى به، ولا أقول اقتناه، وإنما اغتنى به، ولا أدري هل تعاطف معالي الشيخ أحمد جمجوم معه يرجع إلى أن آل بيت جمجوم كان بيت الشناقيط. ربما كان ذلك فلنحسن الظن. والآن وقد أسندت إليه مسؤولية رئاسة تحرير جريدة "المسلمون"... فإنني أنصحه ألاَّ ينشر الخلاف، وأن يقلد الإمام أحمد بن حنبل فلا ينشر إلاَّ الإيجابيات، ومع الإيجابيات وقليل من تفنيد السلبيات إذا ما وجد الأمر سيكتب له النجاح، وإني لسعيد بنجاحه، سعيد بهذا الموريتاني المكي المدني العربي السعودي، المدني جريدة، ومواطناً، وبلداً وحرماً، والتهامي أيضاً إدارة، والمسلم بكل إسلامه، محرراً ورئيساً لتحرير جريدة "المسلمون".

أشكره وأحيّيه وإذا قيل لي: من أحمد محمود؟ ولماذا تكرمونه؟ فأنشد البيت الذي قاله الفرزدق في مدح علي زين العابدين رضي الله عنه مع شيء من التحريف:

وليس قولك من هذا بضائره الحرف يعرفه واللوح والقلم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم معالي المهندس عمر قاضي(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه الكرام. ولست الآن ثرثارة في كل نادٍ أخطب، لأن المحتفى به صاحب قيمة وصاحب قيم. قيمة الدكتور، قيمة صاحب المعالي، قيمة المهندس، ذلك شيء آخر... كرمه أهل مكة وكنت أحسب أنه قد كرم هنا من قبل... لهذا سأتكلم عن القيم ولأترك القيمة. القيم هي أن يحظى بأن يكون أميناً للمدينة المنورة، الدار والإيمان دار الهجرة. كيف يمكن أن نقدر لهذه القيم للدكتور عمر قاضي أن يكون أميناً للمدينة المنورة يخلفه ابنها أيضاً الحصين؟

المدينة المنورة يعرفها المكبّون ويحترمونها أكثر من احترامنا لها أهل المدينة. نحن قد نبعث فيها نحن أبناؤها ولكن المكي وكما يقول العامة يركب السبعة وذمتها، لكنه في المدينة يخاف الله ويخشى الله فلا يأتي بزلّةٍ لأن احترام المدينة في أعراقه. ومن الخطأ أن يفرق بين هاتين المدينتين الكريمتين، ومن تكريم الله الذي أهنئه به أن ينقل من المدينة المنورة، المسجد النبوي إلى المسجد الحرام إلى مكة المكرمة ليكون أميناً فيها.

أنا أعرف أخلاقه، أعرف أنه تربية لأسرة كريمة، من أسر الطائف

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٥) الجزء السابع ـ بتاريخ ١٤٠٩/٨/٢٠هـ الموافق ١٩٨٩/٣/٢٧م.

الكريمة، فأسر الطائف يحفظ لها أهل المدينة الذكر الحسن. فعندما رحّل فخري باشا سنة ١٣١٨هـ، ١٨ شخصاً من أعيانها من المدينة وكبرائها وأهلها الأقدمين من بيت البري ومن بيت الدغستاني وغيرهم، إلى الطائف، أَوْصَدَ أهل جدة أبواب بيوتهم في وجوههم استقبلهم أهل الطائف بالترحاب، ومن أولهم بيت القاضي وبيت عرب وغيرهم أنا لم أشاهد ذلك، ولم أعرفه لأنني من مواليد ١٣٢٥هـ، ولكن آباءنا في المدينة وجداتنا كانوا يقصّون لنا هذه الحكاية عن أهل الطائف. هذه قيم نحفظها لآبائه ولأهله من أهل الطائف ومكة.

عندما ذكر فؤاد عمر توفيق أثنِي عليه. وقد ذهب إلى خير ولم يلحق به شر، فمكة قاصمة الظهر. أتعرفون عبد القادر كوشك ما هو الآن؟ خرج من أمانة مكة فإذا هو أمين المدن. أيّ إكبار أكثر وأيّ إنعام من رب مكة، رب البيت الحرام على ابنٍ من أبنائها خدمها. وليس ابن الطائف ولا ابن المدينة ولا ابن الرياض إلاَّ وهو ابن مكة؟ ما دام يصلي إلى قبلتها، ما دامت ترسل القبلة على جبينه، هكذا مكة.

أنا أهنِّئ المحتفى به ليس للتكريم وإنما للإكبار أكثر من التكريم... أهنئه وأهنئ أهل مكة وأهنئ نفسي بأن يكون هو الابن يحمل الأمانة ويؤدي الأمانة. أعانه الله على أمره فليحذر مكة، فمكة عظيمة إذ تكرّم وعظيمة إذ تؤلم. مكة كبيرة كريمة هي الحرم، هي المسجد الحرام، هي الكعبة، أرجو أن يكرمه الله وأن يكرمنا به والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم سعادة الدكتور عبد اللَّه منّـاع(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد.

"ثرثارة في كل نادٍ يخطب" وهذا ما يعيبه أبو الشيماء، أو ما يمدحني به أبو الشيماء... تعودت أن أحتفل بالمحتفل به، لا مسخَّراً من عبد المقصود وإنما مسخَّر منكم أنتم أيها المحتفِلون... واليوم يضاف إلى تسخيركم التسخير الذي فرضه عليّ الصديق الدكتور عبد الله مناع.

لي كلمات ثلاث عن عبد الله منّاع كما تفضل الأخ عبد المقصود... عبد الله منّع مُتْعِب ومُتْعَب... متعِب للذين لا يعرفونه، أما الذين يعرفونه فيرتاحون إليه، ومتعَب من الذين لا يعرفونه ولا يريد ن يعرفهم... هو مثلث العلاقة، صديق لصديقه، خليل لخليله، قليل الأصحاب، لأن المنّاع عقلٌ قبل أن يكون عاطفةً... لهذا فهو ليس متعدد المراحل...، بل هو مرحلة واحدة، التزام واحد، لأن العقل قد يتطور ولا يتغير... أما العاطفة فيحكمها التغيير.

المنّاع كما يقول أهلنا، آباؤنا في المدينة المنورة يده تمري، فما معنى تمري؟.. جاءت كلمة تمري على ألسنة آبائنا وأجدادنا عندما كان الواحد

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٦) الجزء الثامن ـ بتاريخ ١٤١٠/٤/١هـ الموافق ١٩٨٩/١٠/٣٠م.

منهم يمتلك عنزاً، أو بقرة يضع علفها وحشيشها أمامها، ويقف بجوارها حتى تأكل، وكانوا يعتقدون أن هذا الحيوان إذا سَمِن أو كثر ضرعه لم يتم له ذلك بالعلف الذي أكل وإنما بالبركة التي حصل عليها من اليد التي قدمت له ذلك العلف أو بالمرية التي أمرت بها يد المعلف، فيقول والله فلان يده تمري... والمنّاع يد ذلك العلف أو بالمرية التي أمرت بها يد المعلف، فيقول والله فلان يده تمري... والمنّاع يد ممرية... فكم من يد وضعها على بعضنا وعلى بعض الإخوان فأثمروا، لمعوا فيه، لمعوا وتلامعوا منه ولكنهم ومع الأسف تلمّعوا عليه، طبيعة البشر.

هذه المقدمة كتعريف موجز للمنّاع، هو صديقي ولكنه صاحبي، صديقي لأنه يطيق ما أفكر به بمقدار خمسين في المائة وقد لا يطيق الخمسين الثانية فيما أفكر به، أما أنا فمطيق مائة في المائة.

لا أريد أن أعدد من هم أصدقاؤه، ولا من هو خليله، فأمر حليمة ليس بسرّ، ولكن أفرض نفسي الآن وأرجو من أبي الشيماء أن يسمح لي ببعض الطول... أفرض نفسي أستاذاً في جامعة، مشرفاً على رسالة دكتوراه يعدها الدكتور المنّاع لا في الطب فلست من الأطباء، ولكن في الأدب، ولا يخفى أني أيضاً متعلق بالأدب... رسالة الدكتوراه التي أكون بها دكتوراً ممتازاً في الأدب والفكر هي محاضرته وحديثه عن الأستاذ محمد حسن عوّاد؟، فقد برع بها كل البراعة... أعطى للعوّاد حقه بل وسلب من ابن العوّاد بعض الحق فأعطاه لنفسه... المنّاع كان يعبّر عن نفسه بقدر ما كان يعبّر عن العوّاد... فلو مسحنا اسم المحاضر عبد الله منّاع أو المحاضرَ عنه محمد حسن عوّاد، ووضعنا أن المحاضرة عن عبد الله منّاع لكانت المحاضرة منطبقة على عبد الله منّاع، فكل ما قاله وأثنى به

على العوّاد يستأهله العوّاد رحمة الله عليه، بينما المنّاع أهل له وهو صاحبه الحقيقي... لهذا أستطيع أن أستبدّ، وأنتم في مدرج الجامعة بعضكم أساتذة يشاركوني الرأي، وبعضكم من طلبة الجامعة يسمعون، وهذا شرف كبير لنا جميعاً، أستطيع أن أكون المقدّم والأستاذ المشرف على رسالة الدكتوراه هذه، فأطلب منكم منح الدكتور عبد الله منّاع شهادة الدكتوراه في الأدب فهو صاحب فكر وصاحب رأي... فهل تسمحون بإعطائه شهادة الدكتوراه؟ أرجو ممن يطلع على بحثي عن العوّاد أن يطلع عليه فنحن قتلة النجاح، ومن أولئك الذين لا يرون إلا من يرقص... ولهذا قال الأستاذ عزيز ضياء مرة فيما كتب: إننا ننسى من قدم فلا نكتب عنهم، ولقد فتح المنّاع الطريق فكتب عن العوّاد فليتقدم شبابنا للكتابة عن أشياخنا الذين ذهبوا... ليكون لدينا أدب مؤرِّخ ورجال مؤرِّخ لهم... سلامي عليكم، وشكراً لكم، والسلام عليكم ورحمة الله.

حفل تكريم فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، أكمل الدين وأتمَّ النعمة، والصلاة والسلام على نبي الرحمة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ولعلّ بعضكم يستغرب أني قد سُخِّرت لأكرم هذا العالم الكبير، لم أسخِّر من أحد، وإنما سخّرت نفسي لتكريمه. لم أسمع صوته، ولكني عرفت صيته، وذلك لأني إن لم أره رؤية البصيرة، كيف لا أتكلم عن عالم وأشكر هذا العالم وقد احتوته مكة، وحضنته مكة، وأيما إنسان سواء أكان عالماً أو طالب علم أو من عُمّار المسجد بالصلاة حضنته مكة أو احتوته، واسترضته المدينة فلا بد لنا أن نكرمه معتقدين فيه الخير فلولا أن كان خيّراً ورجلاً نظيف القصد لما احتضنته مكة أو استرضته المدينة المنورة مثلاً.

ومن العجيب أن الحديث عن المدينة كأنما هو جمع للتكريم لأخيه شاعر طيبة، وما علي إذا كرمت الأخ العالم أن أكرم معه الأخ الشاعر فالموضوع كله موضوع مكة المكرمة والمدينة المنورة.

الأستاذ الصابوني لم أره بالبصر ولكني رأيته بالبصيرة وهو الآن بجانبي عرفته أكثر، وتعرفت عليه أكثر. من مكارم الأخلاق في هذا الإسلام أن

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٧) الجزء الثامن ـ بتاريخ ١٤١٠/٤/٨هـ الموافق ١٩٨٩/١١/٦م.

يحترم طالب العلم أستاذ العلم، ولعلّي كطالب علم أستأهل هذه الكرامة من هذا الدين حين أحترم أستاذ العلم الأستاذ الصابوني، كما احترمت غيره، وكذلك أحترم بجانبي ابن الخوجة هذا العالم أيضاً.

كما أنا مشرف بمن أحاط بهؤلاء العلماء يسمعون كلمة مني وأعود لأكرر ما قلته سابقاً إنني لم أسمع صوته، ولكني عرفت صيته ليس بالبصر ولكن بالبصيرة، فالتكريم للصابوني ليس إلا غسلاً لفؤادي من كل شيء، فكأنما هذا الصابوني قد غسل فؤادي بالصابون الذي أول ما أُكْتُشِفَ في الشام، وما كنت أعرف أنه حلبي، وعندما عرفت ذلك كبر في عيني فحلب الشهباء كبيرة كبيرة ليس بسيف الدولة ولا بالمتنبي ولا بأبي فراس فحسب وإنما هي كبيرة الآن في نظري بهذا الصابوني، فحلب عظيمة وكل بلاد الشام عظيمة، فاللهمّ اجعلها للخير وأبعدها عن الشر وحرام على العرب أن ينسوا ماضيهم الأبيض ويفترقوا في حاضركم الأسود، والتحية للشيخ المحتفى به.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم معالي الدكتور محمد عبده يماني(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، أكمل الدين وأتم النعمة والصلاة والسلام على نبي الرحمة خاتم الرسل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخواني، لا أريد أن أقول صاحب المعالي، أو صاحب السعادة، وإنما كلنا إخوان... لقب تركه الأتراك... وتعامل به المصريون فتركوه، لقب تركه أهله فتلقفناه، هذه كلمة على الهامش، ولكن الكلمة عن الدكتور محمد عبده يماني ذات مراحل فلو كنت حيواناً بشراً أجتر لما كنت بينكم الآن إنساناً أفتر... فالدكتور محمد عبد يماني هو الذي ترجم له الأخ حسين نجار ترجمته الضيقة المتسعة أو المتسعة التي لا تضيق علينا جميعاً.

الدكتور محمد عبده يماني عرفناه أستاذ جامعة، وكيل جامعة، مدير جامعة، فإذا نحن نعرفه ولا يكاد يعرفنا، لكني أمام هذا الجهل منه لي، أحتزن ولا أختزن، فالاختزان تبعة أخرى، وحينما أصبح وزيراً للإعلام لعلّي في وضع أجتر الكثير لأنه لم يكن لي، فكنت كالغزالة التي خرجت من الغابة تطلب التنفس فلما وجدت الصياد الدكتور محمد عبده يماني فرَّتْ منه إلى داخل الغابة فوجدت الذئب يلتقمها ويأكلها، فقالت الذي ازدريته

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٨) الجزء الثامن ـ بتاريخ ١٤١٠/٤/١٥هـ الموافق ١٩٨٩/١١/١٣م.

خلصني والذي رجوته أهلكني، وما يوم حليمة بسر، اعتزل الوزارة فاغتسل بالحياة فإذا هو الحي بيننا، لم يخزن نفسه في وضع معين، بل خرج على الناس، بين الناس، للناس مع الناس، فإذا هو للبر وللخير، وللعقيدة المسلمة الصحيحة، ومن أجلِّها الحب لرسول الله ﷺ دون إفراط، ودون تفريط. الدكتور محمد عبده يماني اعتزل الوظيفة فغازلته الحياة فإذا هو يغزلها لنا غزلاً باراً مرحماً، ما أكثر الذين رحمهم، وما أكثر الذين أبرّهم؛ لهذا كان في الترجمة تعداد الألقاب والأوسمة لرجل لم يكن موظفاً وإنما وظفته الحياة ليوظف الحياة للناس، من هنا كان الدكتور محمد عبده يماني قد غسل في نفسي كل من لم يكن لي، وأصبح الآن كله لي، وأنا كلي له، لأن رجل البر، رجل الخير يجب أن نحترمه وأن نعتز به... لم يتظاهر بالعجب أو التعاجب وإنما تظاهر للخير وبالخير... لهذا كرمتموه، وأنا بلساني أكرمه، وأراكم ـ هذا الحشد ـ تكرمونه، تلامذة له، أصدقاء له، تحترمونه.

الدكتور محمد عبده يماني طليعة سببها أنه من أسرة متوسطة، لكنَّ أباه أراد أن يعلمه فعلمه فإذا هو للخير وبالخير:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوَّده أبوه

والكلمة الأخيرة هي أن عمل الآباء دعاء للأبناء. ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء: ٩). وفي الآية الثانية: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ (الكهف: ٨٣). فلو لم يكن أبوه رجل عمل خير لما كان هذا الرجل للخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم فضيلة الشيخ عبد الله بن خميس(*)

قال: بسم الله جامع الشمل، الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خاتم الرسل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أليس من الغرابة في هذا العصر الغريب: عصر الفرقة، أن أتكلم وأنا التهامي عن هذا اليمامي؟ بينما في الجاهلية الجهلاء كانت اليمامة مصدر الإيلاف في رحلة الشتاء لإغاثة مكة بالتجارة، وحينما تم نور الإسلام وانتشر وتوحدت كلمة العرب، كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة فإذا اليمامة وتهامة بلد واحد وقد منّ الله علينا فإذا تهامة واليمامة أيضاً بلد واحد وشعب واحد، فليس غريباً ولا بدعاً أن أتكلم وأنا التهامي ولا يجزع مني صاحب تهامة محمد سعيد طيب بل هو سيفرح بذلك، عن هذا اليمامي أريد أن أذكر رجالاً من اليمامة هم: هودة بن علي، وثمامة بن أثال، والرحَّال، هؤلاء الثلاثة، ماذا صنعوا للإسلام؟ وماذا قال عنهم رسول الله ﷺ؟ هودة بن علي رأس من رؤوس اليمامة، من رؤوس بني حذيفة ما أسلم ولكنه أرسل صدقات اليمامة من الحنطة إلى رسول الله ﷺ يعني أنه قلل على أهل مكة ذلك المتاع أي على قريش المشركين، زلّة مني أن أقول أهل مكة وإن كانوا هم صحيح أهل مكة ولكن كان ينبغي لي أن أقول مشركي مكة، أخذ النبي ﷺ بيديه

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (٩٩) الجزء الثامن ـ بتاريخ ١٤١٠/٤/٢٣هـ الموافق ١٩٨٩/١١/٢٠م.

الكريمتين يقلب الحنطة ويقول: هذه صدقات ابن عمي... ابن عمي كيف؟! نعم، كلاهما عدناني، محمد رأس في مضر وهودة بن علي على رأس في ربيعة، وربيعة الفرس ومضر الحمراء أخوان ابنا نزار كلاهما من عدنان، عدنان المكية أصبحت نجدية، عدنان المكية ضاق عليها الحجاز فلم تتسع لها مكة حتى أن الأحابيش شاركوا قريشاً في مكة وكل من حول مكة سواء في السراة في أكثرها وفي الحجاز أكثرهم قحطانيون، ولكن العدنانيين مضر وربيعة أمّوا نجداً فعمروا نجداً، فإذا هم تميم ومزينة وأسد وغطفان وتغلب وبكر ووائل، كل وائل وعنزة وأسد وبنو حذيفة ومن إليهم، إذن فنجدُ الأرض بهذا الاسم المرتفع هي حجازية العرق، حجازية الإنسان، حجازية العربي، حجازية القبائل، تهامية القبائل، فلا بدع وأنا التهامي أن أكرم هذا اليمامي. الآن نترك هودة بن علي الذي لم يسلم وأراد بهذه الحنطة أن يشارك النبي في حكم العرب.

نتركه إلى ثمامة بن الرأب بن أثال، من هو ثمامة بن أثال؟ رجل من بني حذيفة جاء على فرسه يدور حول المدينة المنورة، أمسكت به خيل رسول الله ﷺ فربطه النبي في سارية من سواري المسجد ومرّ عليه أول يوم وقال له: كيف بك يا ثمامة؟ كيف تراني أو كما قال ﷺ، ما أنا صانع بك يا ثمامة اليوم؟ قال ثمامة بشمخة العربي إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تعفُ تعفُ عن شاكر. وفي اليوم الثاني قالها ﷺ، فرد ثمامة إن تقتل تقتل ذا دم وإن تعفُ تعفُ عن شاكر. وفي اليوم الثالث قالها ثم أطلقه فركب فرسه وما غاب طويلاً حتى عاد إلى رسول الله ﷺ يعلن إسلامه، يعلن إيمانه، ليس هذا بالغريب إنما الغريب الأكثر أنه أقسم يمينه أمام رسول الله أن يذهب إلى مكة ينادي في قريش المشركة بأنه قد اسلم، أنه قد آمن فذهب

إلى مكة وأعلن إيمانه وأراد بعض المتحرشين أن يؤذوه فمنعهم كبار القوم، خافوا أن تمنع عنهم ميرة اليمامة، ميرة الشتاء، رحلة الإيلاف في الشتاء، ولكن ثمامة ما كاد يصل إلى اليمامة حتى منع الميرة عن قريش فأجهدها، فإذا هو إرهاص للفتح المبين. وأرسل كل الميرة إلى رسول الله.

أما الرحّال فصاحب، الأخ عبد الله بن خميس يحبه، فقد ارتد مع مسيلمة ولكنه رجع إلى الإسلام، وكان قد قتل زيد بن الخطاب أخا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عن عمر وعن أخيه ورضي الله عن الرحّال، أسلم الرحّال والإسلام يجبّ ما قبله فقال له عمر يوماً: أنا لا أحبك لأنك قتلت أخي زيداً، فقال: وهل ينقص ذلك من عطائي أو من قيمتي شيئاً، قال إنما يبكي على الحب النساء.

هؤلاء الثلاثة من اليمامة في الجاهلية الجهلاء لا فرق بين حجازي ونجدي، واليوم ونحن شعب واحد أخشى من الشلل وأقولها صريحة اللَّهمَّ أبعد عنا كل شلة تمارس الهمس، أكرم الأخ عبد الله بن خميس ليس بهذه الكلمة ولكن بأنه العالم الكبير، وقد نسي الذي قدمه أنه عضو في دارة الملك عبد العزيز، زميل لي في إدارة هذه المؤسسة التي أرأس تحرير مجلتها، والذي هو العون لي والمدد لي في كثير من الأمر.

والعجيب أني مفتون بحديثه في الإذاعة عن الأدب الشعبي، لهذا إذا كان من الحاضرين أساتذة من الجامعة أو من مديري الجامعة، أرجو أن تكون هناك محاضرات في كلية الآداب في كل جامعاتنا عن الأدب الشعبي لأنه أدب لغتنا، أدب شعبنا ولو كان باللهجة العامية فإن فيه من المعاني الجميلة الشيء الكثير.

حفل تكريم معالي الدكتور منصور إبراهيم الحازمي(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ماذا أقول عن الدكتور الحازمي، لم أعرفه تلميذاً وأنا معلم صبيان لأنه يتعلم عليّ فهو مكي وأنا مدني، ولم أعرفه طالباً فما كنت أستاذاً يعلم الطلبة ولكني عرفته كل المعرفة بأنه منصور بن إبراهيم بن عائج الحازمي، لقد قال المتحدث قبلي أن منصوراً منتشر، الانتشار لا يفيد إلا إذا كان المنتشر منتصراً، ومنصور الحازمي في كل ما وضع وفي كل ما تحرك كان ينتصر دائماً، ذلك لأنه مخلص، إخلاصه علمه، إخلاصه كونه ورث ذلك الإخلاص من أبيه إبراهيم بن عائج أنتم لا تعرفون أباه أما أنا فأعرفه... ماذا تعني كلمة الحازمي؟ كلمة الحازمي تعني أنه من هذا البلد، من وادي الصفراء، من بدر. يوماً ما نمّ أحدهم بيني وبينه قائلاً: إنّ منصور يقول: إنك تتعنصر عليه، حزنت ولكني كتبت، كيف أتعنصر عليك وأعراقك على وادي الرمة يمثلها ابن نحيت، وأعراقك على وادي الصفراء يمثلها أبوك

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٠٠) الجزء الثامن ـ بتاريخ ١٤١٠/٤/٢٩هـ الموافق ١٩٨٩/١١/٢٧م.

إبراهيم بن عائج فهو وطني صرف، عائج لم ينصرف عن العلم وإنما كل تصرفه أنه أصبح العالم فينا.. زاملته عضواً في لجنة الجائزة وهو الآن كأنه وزملاءه ينوبون عني في مجلة الدارة فهم أعضاء في تحريرها، وأما أنا فأعجزني عضلي عن أن أكون هناك ولكنهم كانوا هم عضلي ومنصور كان عضلي ونفسي... من أبوه إبراهيم بن عائج؟ أبوه رأس من رؤوس الحوازم... مثل قبائل العرب كلها في الكيان الكبير يوم المؤتمر الإسلامي الأول الذي عقد في مكة، كان يمثل كل القبائل ولا أريد أن أعددها، فكأنه كان يمثل الحجاز كله في ذلك المؤتمر. هو ومن إليه ومن معه كالشريف شرف عدنان وغيره، كانوا عوناً لعبد العزيز وكانوا عوناً لتأسيس هذا الكيان الكبير.

فإبراهيم بن عائج لم يكن نكرة ومنصور لم يكن نكرة وإنما هم كل المعرفة لنا، فأبوه عظيم من عظمائنا، مثل الدور الوطني، لا يريد أن يرجع بنا إلى الوراء وإنما تقدم بنا إلى قدام، ومنصور كذلك لم يرد أن يرجع إلى الوراء فكل ما فعله كان متقدماً به، يتقدم منتشراً ومنتصراً.

منصور الحازمي حزم أمره على أن يكون كبيراً لا متكبراً، فيه كبرياء ولكن يلبس بهذه الكبرياء التواضع، تواضع العلماء، وكبرياء العلماء، فهو من العلماء، لهذا أحييه والكلام كثير ولكني تعودت الاختصار ولا أريد أن أطيل يرحم الله أباه ويكمل عليه حياته ويطيل عمره، ينتشر وينتشر لينتصر وينتصر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله أكمل الدين وأتم النعمة، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأستاذ الكبير العلامة عبد العزيز المسند، فهو مُسْنَد منكم ومُسْنِد لكم، عالم لا ينحصر علمه في كتاب ولا في فقه، وإنما هو ذو روافد كثيرة، من ميزاته أن خلا من التزمت، لا يتزمت ولا يتعنت، أعرفه معرفة الصديق ولكني عرفته مما يذيع جواباً على ما يُسأل عنه، فإذا هو متفتح، يفتح الصدر لسماع ما يفتي به وما يتكلم به، لا يحترف التهريج وإنما حرقته التفريج، يفرج عن النفوس المكروبة بما يجيبه، فهو علم من أعلام هذا البلد، هذا البلد! أي بلد هذا؟ بلد المسجدين وسياجهما، البلد الذي نبغ فيه علماء السنة وعلماء الأئمة. ففي القرنين الأولين كان هذا البلد بمسجدَيه مصدر العلم، ومصدر الفقه، ومصدر السنة سواء كان من أبنائه أعراقاً عربية، أو سواء كان من مواليه، أو سواء كان من الذين هوت أفئدتهم بدعوة إبراهيم إلى هذا البلد الأمين، لا أريد أن أعدد أسماء الأكابر من علمائه الذين مضوا من أمثال سعيد بن المسيب ومالك بن أنس، وجعفر

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٠١) الجزء الثامن ـ بتاريخ ١٤١٠/٥/٦هـ الموافق ١٩٨٩/١٢/٤م.

الصادق وسالم بن عمر، وربيعة الرأي وأمثالهم، في المدينة، أو عطاء بن أبي رباح، وعكرمة، أو الفضيل بن عياض وأمثالهم، وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري كل هؤلاء كانوا نوراً. لهذا حينما عصفت العواصف بالجزيرة قلّ طالبو العلم منها وقلّ الوافد إليها، نفرح الآن بوجود العلماء من أبنائها وما أكثر فرحنا بكل عالم من أبناء هذه الجزيرة سواء كان عثمان الصالح أو من إليه أو من رفاقه الذين سموهم، وعلى مثلهم الذين جاءوا يتمثلون به ويمثلونه.

الأستاذ عبد العزيز المسند، هل هو المُسْنَد أو المُسْنِد؟ أنا لا أريد إلا أن يكون اسم فاعل المُسْنِد لأنه يسندنا بما يعرف، بهذه المعرفة التي هو كبير بها، كبير لنا، وليس كبيراً علينا، فمن ميزة العالم الصادق ألا يكبر عن تلامذته، ألا يستكبر عليهم، وإنما يكون الكبير فيهم، الكبير لهم وهم الكبراء به، لهذا أعطي تحيتي له وتحيتي لكم، وما أنا إلا قاصر عن أن أزيد فلا يحتاج الأستاذ عبد العزيز إلى زيادة فهو الذي يزيد نفسه بما متعه الله من المعرفة وبما متعه الله من حصافة، ومن منزلة كلكم تعرفونها وتقدرون قيمتها، أطال الله بقاءه وحيا الذين جاءوا معه يحيونه، فما أكثر التزامهم وما أحسن لزمتهم كما يقول البدو؛ بدوُنا أهلُنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم الأستاذ محمد عبد اللَّه الحميد(*)

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

ـ إذا كان هناك اعتراض على التأخير، فلا يُحمِّلنا إياه المذيع، ولكني أرى ألاّ اعتراض، فالكثرة الكاثرة من المكرِّمين تشرفنا أكثر وأكثر، لأنها تبين مكانة هذا الرجل المُكرَّم.

ـ أما تكريم هذا المُكرَّم رئيس نادي أبها الذي يضمّني جناحه الآن بجانبي، فقد ضمّني جناحه من قبل، ما طلبت طلباً منه إلا ولـبَّـاه، ما ذكرته بشيء إلا وتذكره، قالوا: من الرجل؟ فقالوا: هو الذي يشرُف به مكانُه ويزداد به شرفاً إمكانه. وهذا المُكرم قد شرفنا حين تمكن من كل الوظائف التي عمل بها، وشرفنا بكل العمل الذي يعمله، إنه الآن يرأس نادي أبها الأدبي، كلمة «أبها» أريد أن أكثر منها، فهي البهاء وكلمة «عسير» سميت «عسيراً» لعسر اجتيازها، لا أنها عسيرة على أهلها، ولا لأنها عسيرة علينا وإلا فهي الحجاز. الأستاذ المكرَّم كنت أقول: ابن حميد ولكن صُحح لي بأنه ابن حُميِّد، سواء كان حُميد أو حميّد فهو محمود السيرة،

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٠٢) الجزء الثامن ـ بتاريخ ١٣/ ٥/ ١٤١٠هـ الموافق ١١/ ١٢/ ١٩٨٩م.

ومحمود المسيرة، لهذا أشارك في تكريمه، عرفته معرفة الصديق، عرفته معرفة الأديب، معرفة الكاتب، معرفة المحاضر، يشرفني أن أقرّ بهذه المعرفة لأني أقسم أني فرحٌ كل الفرح بأن أجد شاباً أو كهلاً من كهولنا يتصدر المجلس ويصبح مكرِّماً، ويصبح علَماً يُشار إليه، من هنا لا أريد أن أبخس نفسي بهذه الروح المتطلعة إلى التكريم والفرحى بالرجال الذين ينشؤون فينا ويصبحون أعلاماً فينا، أكرِّمُ هذا المكرَّم، وبجانبي الأيمن أيضاً نائبه، فهو يستأهل التكريم الصامت، لأنه جاء صامتاً أيضاً لم يُعلن عنه، تكريمكم له ما هو إلا تكريم لنفسيكم ولنفائسكم، تنافسوا بتكريم الرجال، فإنكم تحصلون على طمأنينة النفس، وسكينة الوجدان. نحن في حاجة إلى الرجال أكثر وأكثر.

ـ وهذا رجل أحييه، وأُكرمه، وأشكره، وأرجو له التوفيق في كل ما يسعى إليه، واعذروني، قال: ﷺ «رفقاً بالقوارير»؟.. وأنا أقول لكم: رفقاً بالعجوز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حفل تكريم معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف(*)

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اسم "عبد الله نصيف" جرّني من فراشي، وما جئت إلا متحاملاً على نفسي، لئلا أكون متحاملاً عليه، إن ما ذكره هذا المحاضر يذكرني بما أنشده عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين رحمه الله يوم تقدم إليه ابن قتادة بسيف أبيه، فرازه عمر وقال:

هذي المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادت بعد أبوالا

ولعلّ الدكتور عبد الله نصيف أيضاً يتحقق فيه عجز البيت التالي:

شباب قُنّعٌ لا خير فيهم وبُورك في الشباب الطامحينا

عبد الله نصيف عرفته مديراً للجامعة، ولقد عرفت أباه وعرفت جده، الأفندي محمد نصيف، عندما ذكرت بيوت الضيافة في هذا البلد، كان في هذا البلد في جدة بيت للضيافة، بيت الأفندي نصيف يستضيف كل علماء المسلمين الذين حجّوا والذين جاؤوا، وبيت ماجد الكردي العريان في مكة أيضاً، كانا بيْتَيْ ضيافة، ما كانت هناك فنادق، فقد كان بيت الأفندي نصيف هو بيت الضيافة.

(*) **المصدر**: «الاثنينية» (١٠٦) الجزء الثامن ـ بتاريخ ١٤١٠/٦/٤هـ الموافق ١٩٩٠/١/١م.

لا أحسب الأفندي نصيف جدة قد أكل مرة على مائدته وحده، ولقد كنت في بعض الأيام ضيفاً عليه.

الدكتور عبد الله نصيف ما كنت أعرف أنه يحمل هذه الكثرة من المهام.

من غرس الهمة الكبرى في هذا الشاب؟ أيّ علم هذا؟ أيّ أعمال هذه التي يحتملها هذا الشاب؟ ولكنه الطموح، ولكنها الأصالة.

أريد أن أعتذر إليه بكلمة حاورني فيها وحاورته فيها عن وصف جده عبد الله "بالوشي"... فما عرفتها حين ذلك، وتأولت غيرها، حتى إذا كان عبد الله نصيف جليلاً عندي وكبيراً عندي ما أحببت أن يستمر في جزعه مني، راجعت فإذا هو "الوشي" الزينة، الزخرف، فجده عبد الله كان يُلقَّبُ بالوشي أي: الزخرف أما جده عمر، فما أقل الذين كانوا في منزلته، ولا حاجة إلى التطويل في هذه المنازل فالمنزلة التي يحوزها الآن بعلمه هي أكبر من تلك المنازل، منازل الجاه التي كانت لعمر نصيف أو غيره، منزلة هذا العلم في هذه الرابطة، في الجامعة، في الدراسة.

وعجيب أن يكون عالم الأرض الجيولوجي عالماً ينصر الإسلام والمسلمين ويربط بينهم في الرابطة، رابطة الجامعة الإسلامية، كأنما أرضه المقدسة لم تعطه بترولاً في يده، لم تعطه ذهباً، وإنما أعطته قيمتها، قيمة هذا الدين، هذا الإسلام، فقيمة هذه الأرض حرماً وسياجاً هو إسلامها، دينها، مبادئها، قيمها، أخلاقها، والدكتور عبد الله نصيف قد حاز كل هذه المكارم كرّمه الله.

وأعتذر للذين لم أحضر أمسيات الاحتفال بهم لمرضي، فأنا عجوز وأصبحت طفلاً أحتاج إلى التدليل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فواتح الـــدارة

المقـدمـة

وما أخذت نفسي أشتد نحو طبع افتتاحيات الدارة المجلة، فلم يكن ذلك في حسابي، غير أن بعض الصحاب شجعني على جمعها وطبعها، فإذا أنا أقول هي في المجلة لحساب المجلة عنواناً لما هي فيه.. لما هي به، ولكن جمعها وطبعها إلحاح الذات (الأنا) فإذا هي أكون فيها وبها وهي لي، ليس من التواضع أن أنكر الذاتية، وليس من التكبر أن أتضح بها، فالذاتية ـ ولو كانت عن مركب النقص، ولو وصلت إلى مركب الكمال ـ فيها شيء من الكبرياء، كبرياء الفعل الذي يثبت وجودك، لا كبرياء الغلو على الناس أو التعالي عليهم.

وهي الآن بين يدي القرّاء.. بين من يحترمها يرحمني، وبين راجمها يترجم نفسه عليّ، وما الكاتب إلاّ بين هذين، ولست أعتذر، فلم يكن جمعها يحتاج إلى اعتذار.

محمد حسين زيدان

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

استشـــراف

مولاي صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز.

ملك المملكة العربية السعودية «أيده الله وحفظه»

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فلنعم الوفاء وفاؤك لدينك الإسلام، وأمتك ووطنك، ولقد تجلى هذا الوفاء في احترامك وتمجيدك لتاريخ والدك البطل العظيم المجمع المرحوم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن.

أبوك تاريخ لا سيرة.. تاريخ لأمة العرب كلها، وتاريخ كان وما زال ناشراً وصوَّاناً للعقيدة المسلمة الصحيحة، عقيدة السلف لا مذهب فلان أو فلان، جعل لها القاعدة الرصينة والدعامة المتينة شعبك في الكيان الكبير، نجداً وحجازاً وتهائم، تاريخ كلما وضع الله البركة في عمر السنين وكلما اتضح بالمعرفة الصادقة والعون الوفير عرف كل الناس من المسلمين الذين ذاقوا نعمة الأمن لا يردهم سلب ونهب وخوف في طريق الحج، كما عرف العربي قيمة هذا البطل وما صنع له من حرز حريز وسند مكين أبرزته أنت أيما إبراز.

كما عرف إنسان هذا العالم ما كان يجهل ليعمل بالمعرفة للصداقة. صداقة السلام والسلامة. عرف الجميع قيمة من جمع ومن وحد ومن توحد فكون دولة كريمة على نفسها مكرمة في دنيا الإنسان. فلا تبخل بالتكريم على من صلح أمره من إخوانها، ولا ترضى عن الفاسدين والمفسدين لعقيدتهم وقوميتهم ومصيرهم حتى وفاها الله بالعمل الدائب منك والصبر والوفاء الوقور في سيرتك وحتى أفاء الله الخير الوفير تعمر به الحياة ليعمر به وجدان الأحياء.

فإذا أنت ترفع راية العزة للكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» كما هو حقه تاريخاً وتراثاً وميراثاً وماضياً ولا بد بحتم الأصالة أن يمتد له مستقبل. وإذا أنت تصنع النصر مبشراً به صنعت النصر لأهلك على أعدائك.

فهذه المسيرة لك ومن أجل هذا التاريخ لأبيك رحمه الله مكنت لدارة الملك عبد العزيز أن تصدر لها مجلة ما أسعدها أن يتوج أول عدد منها بكلمة منك عن والدك العظيم لا أحدد لها كيفاً ولا أحرز لها كمًّا، فالأمر منك لك بك، وهب الله لك طول العمر حرزاً حريزاً لأمتك المسلمة وقومك العرب.

حفظ الله الملك وأيده بنصره..

عهـد ووفـاء

وظهرت المجلة «الدارة» ترسل إلى جلالة الشهيد المرحوم الملك فيصل بن عبد العزيز قبل وفاته بساعتين وقبل كل أحد. فلم تحظ بنظرة منه إليها ـ مع أنه مؤسسها الحفيل بأن تكون على محجة بيضاء تنير الطريق لجمع التراث وشرح التاريخ وجلاء الوثائق جلاءً وشرحاً لا يسجل إلا الصواب من عطاء الوثائق ومن كنوز الدفائن، ومن مبادئ الدعوة السلفية.. دعا إليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.. ودعمت نشرها ـ فوجدت الناس في هذه الجزيرة في ظلال التوحيد ـ السيوف بيد الأئمة والملوك من الأسرة السعودية.

لا نبالي أن نضع الوثيقة سجلت فيها المذمة والأكذوبة والخرافة لندحضها بالوثيقة الصادقة والمصدقة.. فقد أشرقت علينا بعزمة عزائم الرجال من أبناء الجامعات لا يبخلون على البحث بجهد ويتطلعون إلى المستقبل على بصيرة، ولا تبخل الدولة عليهم بعون وإعزاز وتقدير ذلك نهج الشهيد.. أقام للعلم مناراً في الجامعات ونوراً في المساجد ورغب إليها أن تقيم برهان التاريخ تزيح الظلام.. مسجلة رهان المؤرخين الذين زحزحوا عن الصدق بإغراء الجزاء على الكذب.

من هنا لا تعلن المجلة الأسف على فوات النظرة إليها.. ما دامت

تسير على نهجه، وإنما هي تعلن عزمها على أن تسير طبق ما عرفت من توجيهاته ورغباته وأمنياته.. توجيهات هي الانتصار على المهاترة بالصمت الوقور والعمل الصادق.. وهيَ أعني الرغبات تطلب إلينا أن نرتفع نحن أبناء هذا الشعب ليكون ثمرة ترفعنا عن الثنايا عملاً لرفعة شأن الدولة والشعب، وأمنيات هي أن نكون دوماً حماة الدين.. هذا الإسلام، صوانين لهذا التراب والأعراق والأمجاد.

أسأل الله أن يتغمد الشهيد برحمته وأن يمنحنا توفيقه لنسير على النهج فنرد مناهل الصواب.

وإن واجب الوفاء ليدعونا لأن يصدر العدد بعد هذا سجلاً تذكارياً خاصاً بما نشر يوماً نحصل عليه ونقوم بإعداده من أبحاث ودراسات عن الشهيد طيب الله ثراه.

مبادئ السعودية في وثيقة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله.

أما بعد.. فلا أجد ما هو أحسن لافتتاحية العدد الثاني من مجلة دارة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ من هذه الوثيقة التي توضح مبادئ السعودية بأسلوب بسيط وعميق، لأن المنبع والمأخذ هو القرآن والسنة.. عماد العقيدة السلفية.. فالسعودية سلطاناً وإماماً وأشياخاً أئمة دعوة.. قد ساروا على نهج قويم من هذه العقيدة السلفية في صداقة منها وصدق في اعتناقها وتنفيذها.

والله ولي التوفيق..

ـ نص الوثيقة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من سعود إلى جناب الأشراف حسين بن ناصر وحسن دهشا وحمزة ومحمد بن حسن وحسين وأحمد ومقبل بن محمد وصالح بن عبد الله أحمد معوض وأحمد علي بن شما وصالح حسين مسلى، سلمهم الله من الآفات واستعملهم بالباقيات الصالحات.

وبعد.. (ألفى) علينا مقبل بن عبد الله، وأشرف على ما نحن عليه وما

ندعو إليه وما نأمر وما ننهي عنه، ويصف لكم من الرأس أكثر من القرطاس إن شاء الله.

ونخبركم أننا متبعون لا «مبتدعون» نعبد الله وحده لا شريك له، ونتبع رسول الله ﷺ فيما يأمر به وينهى عنه، ونقيم الفرائض ونجبر من تحت يدنا على العمل بها وننهى عن الشرك بالله وننهى عن البدع والمحرمات ونقيم الحدود ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونأمر بالعدل والوفاء بالعهود والمكاييل والموازين وبر الوالدين وصلة الأرحام.

هذا صفة ما نحن عليه وما ندعو الناس إليه، فمن أجاب وعمل بما ذكرناه فهو أخونا المسلم حرام الدم والمال، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرناه.

وأنتم أخص الناس باتباع محمد ﷺ، والحق عليكم أكبر منه على غيركم، والإسلام هو عزكم وشرفكم، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠)، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ (الزخرف: ٤٤).

فالمأمول فيكم القيام بالدعوة إلى الله، لأن الدعوة سبيل من اتبعه ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣).

ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الداعين إليه المجاهدين في سبيله لتكون كلمته العليا ودينه الظاهر، وصلَّى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم.

الفيصل في مجالسه

الشهيد الملك فيصل كان من السهل أن تستوعب الكثير عنه ـ تكتب وتكتب فلا يكاد ينضب معينك، وكان من الصعب أن تبرز ما استوعبت لأنه لا يريد الكلمة تقال عنه ـ لأنه العزوف عن ترديد الثناء، ولكني اقتحمت هذه الصعوبة فيما كتبت في حياته، وحجتي في ذلك أنه البطل يستأهل شعبه أن يكون على وعي يعرف به قيمة البطولة والعظمة فيه.

فالبطولة يسرت له ولشعبه ولأمته ولكيانه الكبير.. أن يعظم في ألسنة الدنيا وأن يثق الشعب بالقيادة الحكيمة وأن تأمن الأمة.. تجده نصيراً لها لا يضن عليها بجاه أو مال، وأن يصان كيانه الكبير بالموقف الثابت والإعداد والاستعداد، يصون أمته، ويحفظ أمانته.. حتى لكأن الكيان الكبير الصخرة التي تحطمت حول سياجه المذاهب الهدامة والأفكار المستوردة.. فقد قالها هو: أرجو أن تكون العربية السعودية الصخرة تتحطم على حدودها المذاهب الهدامة والأفكار المدمرة والاعتداءات الشرسة.

إن الشهيد الملك فيصل.. كان الوداعة كاملة في استقباله، والرقة في إقباله.. لكن الوداعة والرقة لم تأخذ من هيبته شيئاً.. كساه الله الهيبة.. صنع بها كل القوة.. لا يتصنعها وإنما صنعها الله له.

إن هيبته كانت سلاح السلام، وصمام الأمن. وعرفت الأمير الملك

أول ما رأيته في المدينة المنورة عائداً من رحلة المفاوضات يسرع بالنتيجة إلى والده العظيم يتقدم إليه بما لديه. وكانت المدينة قد شغلت باستقبال البطل ـ الملك عبد العزيز.. جاء إليها يتفقدها في زيارته الثانية ـ بعد القضاء على الفتنة.. كانت المدينة قد شغلت بالبطل.. فلم يحظ كثير من أهلها بلقاء الأمير. ولكن صديقنا الوالد الشيخ عبد العزيز الخريج رحمه الله.. قد حدثنا طويلاً عن مشاعر الأمير، وعن كثير من أعماله وأخلاقه.. عرفت ذلك بالتلقي حين حرمت اللقاء.

وفي مكة وفي الطائف نراه في أعماله.. نرى الوقار واللمسة الرقيقة، والتوجيه الحصيف.. إنه حاكم يمسك الزمام بيده، ويعطي اللامركزية للرجال الذين كانوا أهلاً للثقة، وكانوا أهلاً لأن يعرفوا قوة الهيبة له والهيمنة منه.. فلا تكاد تلمس شذوذاً في عملهم.. فعلوا الكثير تحت قيادته بالقليل الذي استطاعوا التصرف به.

وكان اللقاء في مدينة الخرج.. جاء إليها في عام ١٣٦٢هـ ـ فذهبت إلى مجلسه ـ فإذا هو يتحدث بإفاضة عن والده العظيم بكل الفخار والتعظيم، ويتحدث عن أخيه الأمير تركي بن عبد العزيز الابن البكر للبطل العظيم ـ حديث المحبة والإكبار، وكان يسمع الحديث الأميران صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد، وصاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن عبد العزيز.

كانا يسألان ويجيب..

سألاه كأنما هما يطلبان الشبيه لعبد العزيز.. فقال كلمته:

من كعبد العزيز؟

عبد العزيز «مطزع الجن» ليس له شبيه فينا حتى يكون في غيرنا. درس تلقيته منه.. تاريخ تعلمته عنه.

ومضت أيام كان لزاماً علي أن تصلني به الجريدة ما دمت قد احترفت الكتابة، وما دامت الجريدة في كثير من أحوالها في نطاق مسؤولية مدير التحرير أو رئيس التحرير ـ حتى إذا تشرفنا بالجلوس إليه.. تعلمنا الصمت، وتعلمنا أكثر حين نراه يسمع ويسمع.. فما أقدره على طاقة السماع.. إذا أعجبه الجيد علق عليه بإيجاز، وإن أسرف بعضنا بما لا يستجيد عف في إغضاء لا يحرج..

فكم من ملاحظة دقيقة ينبس بها في معاريض الكلام.. يحث بها من وجهت إليه..

فقد كنا نجلس بعد مغرب يوم.. فإذا به يقول: «النسبة إلى الكرة.. كروي.. لا كري» ـ كان يعنيني بها.. يعلمني الصواب.. فقبل يومين من هذا التوجيه كنت كتبت كلمة.. ذكرت فيها أن شيخ الإسلام ابن تيمية.. في الرسالة العرشية.. قد نوه بكروية الكون فكتبت.. كرية بدل كروية.. استعذبت الجرس فتجنبت الصواب.. فعرفت أنه قارىء وناقد يتحرى الصواب ليعلمنا الصواب.

وذهبت إلى الولايات المتحدة الأمريكية في زيارة لها ونزلت في روما عامداً لأتشرف بلقائه، وقد كان فيها.. في طريق عودته يتسلم زمام الأمور في بداية الحرب اليمنية.. أوصلني إلى جراند أوتيل الصديق الابن عبد العزيز بن ناصر العبد الله العقيل.. جلست إليه فأخذ يسألني عن البلد والناس ومشاعر الناس.. فقلت كلمة.. «كل بلدك أنت رجاؤها اليوم».

وسردت أسباباً كثيرة لا داعي لشرحها، ولم أكن فيما أخبرته قد زدته

علماً.. فإخوانه الرجال لم يدخروا وسعاً في إبلاغه عن كل شيء فهو يريد أن يعرف ويعرف.. فدأبه ألا يتصرف بجهالة..

وعدت من الولايات المتحدة أسكن جدة.. حريصاً على ألا يفوتني مجلس.

وفي ليلة من تلك الليالي وكنا جماعة من المثقفين على مائدة العشاء.. طرح هذا السؤال: أنتم يا قراء القواميس ما هي الديمقراطية؟

فتكلم واحد وثان وثالث.. كلهم يطرح التعريف الأكاديمي عنها الذي عرفوه من قراءاتهم لتعاريفها عن الغرب.. صاحب التعامل معها كشيء مثالي توصلوا إليه ويفخرون به، وتكلمت أخيراً فقلت:

«إن الديمقراطية ما نحن فيه الآن.. أنا وأمثالي وهذا اللفيف كله على مائدتك، وكلنا من أفراد الشعب نجلس على مائدة العشاء.. يفتح لنا الباب. نأكل معك.. تتحدث إلينا ونتحدث إليك.. هي الديمقراطية.. هذه هي تقاليد الإسلام، وتعاليمه، وهي تقاليد العروبة وسلوكها».

إن الديمقراطية.. كنظام لا يعرفها العرب وليسوا في حاجة إليها.. فإنهم بالإسلام وبأخلاقهم ومزاياهم.. قد مارسوها.. تعلموها فعلموها، وعاشوا دهرهم القوي في التعامل معها.

فأي ديمقراطية تبلغ هذا السلوك الممتاز من المليك له أكثر من مجلس يرتاده الناس بمطالبهم وشكاواهم فلا يصد أحداً.. يسمع من كل من يقف بين يديه.

وهناك ميزة تميز بها.. فلم يكن أذناً سماعة لوشاية أو لشكاية من جانب واحد.. كان يسمع فيتحرى.

لا يصدق الوشاية من أول وهلة.. لا يكسوها الصدق مهما كبر مصدرها.. ولا يرميها بالكذب وإن صغر مصدرها.. التحري والتحقيق هو جالب الصدق وطارد الكذب.

كل هذا جعلني أضع كلمة الفاروق عمر بن الخطاب يصف بها كسرى العرب معاوية بن أبي سفيان.. مفصلة على مقاس المليك.. كأنه هو وابن عمه معاوية على نسق واحد.

قال عمر يصف معاوية:

«ذلك الذي يضحك عند الغضب.. ولا يؤخذ الأمر من فوق رأسه إلا إذا وضعه تحت قدميه».

وفي ليلة أقبلنا على المائدة.. فجلس بجانبي رجل لم يتحمله كرسيه.. فسمعنا صوت الكرسي كأنه قد تكسر تحته، وضحك اثنان بصوت مرتفع.. فتغضن وجه المليك بغضبة رقيقة..

علام تضحكون؟

قالوا الكرسي.. سمعنا صوته.. فقال:

«أنا لم أسمع شيئاً..»..

أدب رقيق.. ما كان ينبغي إلا أن نكون جميعاً في وضع المتأدبين، وقبلها.. جلس وزير عربي من شرق السويس بينه وبين المليك صلة وثيقة وتعارف قديم، وكان هذا الوزير قد جلس يضع رجلاً على رجل قريباً من الملك، ويلعب بالمسبحة.. يفرقع لها صوت..

وتكلم الملك.. يسأل عن فائدة العلم.. بصيغة يشتمُّ منها معنى الإنكار.. كأنه يسحب الوزير سحباً ليتكلم. فقال هذا الوزير: أنت يا

مولاي تسأل عن العلم وعن فوائده ومنافعه.. فقال الملك: أنت جعلتني أسأل. في مجلس تضع رجلاً على رجل، وتفرقع في المسبحة.. فما استفدت من العلم.. وسكت الرجل ولعلّه ذهب فلم أره بعدها!.

لأنه عرف أن زينة العلم في السلوك الزين.

كان ذلك درساً تعلمه الوزير وتأدبنا به.

لقد تحمل في دعوته للتضامن الإسلامي كثيراً من الأقاويل.. ولكنه كان الصخرة التي تحطمت عليها كل الأقاويل.. فكل الذين قالوا المذمة أصبحوا ألسنة الثناء.

إن العرب قوة بما أعطاهم الله.. ولكنها القوة التي لا يبرز تأثيرها إلا بإيمانها.. إسلامها.. إلا بالجماعة المسلمة.. فإن تكن قوة الجماعة المدد بالسلاح والرجال.. فإنها هي القوة كل القوة، بقلوبها يجمعها مسجد حين تسجد وتركع.. تهز الدنيا بالكلمة الناصرة الله أكبر.

لقد عرف الفيصل هذه القوة.. فلم يأخذ منها شيئاً لذاته.. وإنما كانت هبة لأمته العربية. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

لقد لبسته روحانيته.. ما أكبر تواضعه حين يتحدث عن آماله. كأنما هو يرى هذه الآمال حقيقة واقعة من مكلف بتحقيقها.. كان إذا تحدث عن إيمان تشع منه ألفاظ شفافة.. تحدث عن رؤيا رويت له فقال: في ليلة قبل ثلاث سنوات على مائدة الأمير فهد بن عبد العزيز.. فأخذ الملك يتحدث عن هذه الرؤيا له قال وعلى وجهه نور:

لقد جاء أحد الرجال (من الجربا) يطلب مقابلتي فأذنت له فأخذ يحدثني فيقول: لقد منّ الله علي أن أرى رسول الله في العام مرة ـ ﷺ ـ

فرأيته قبل أيام في عامي هذا يقول لي عليه الصلاة والسلام:

(بشر الملك فيصل بالنصر، وأخبره أن يستعد..)..

سمعناه وهو يتحدث ـ تغمده الله برحمته ـ فدعونا له بالخير وسألنا أنفسنا عن الاستعداد وكانت الإجابة في أيام العبور ثم في بقاء المعركة حينما أعلن سلاحه.. سلاح البترول. قلت لجلالته بعد ذلك وبعد العبور:

لقد كنا نسأل عن الاستعداد، نستبعد أن يكون سلاحاً يحمله الجنود فإذا أنت تفاجيء الدنيا بسلاح تدفق من أرضك الطهر ـ سلاح البترول.

وفي الليلة الثالثة والعشرين من شهر شعبان قبل رمضان العبور وقبل أن يزور جيشنا في تبوك رأيت هذه الرؤيا فجفلت أن أقولها له.. ولكني صبح نهارها قلتها لأصدقائي أشهدهم على رؤيتها اليوم..

رأيتني أدخل مكة في ظلة من ظلام.. فإذا أنا بسواد من الناس يقف بينهم الشيخ عادل كردي ابن الشيخ ماجد كردي يتكلم بصوت منخفض فقلت له:

لا أريدك.. أريد أخاك طاهر كردي وقد عرفت عادلاً وإخوته.. إلا طاهراً لم أعرفه وقد مات.. فخرج من ظلة كأنها قبة رجل أبيض طوال بلحية مرسلة بيضاء.. ناصعة البياض.. فهرولت نحوه أقبل صدره، فلما رجعت إلى الوراء أقبل رجل لا أعرفه، لباسه لباس البادية، يتشمغ بشماغ أزرق فأقبل عليّ يعانقني ويقبلني على صدري وهو يجهش بالبكاء.. فنظرت إليه فإذا هو عبد الحكيم عامر.. فجفلت أتأخر فناداني الشيخ طاهر في موقفه المرهب والمطمئن في الوقت نفسه يقول لي: بشره بالنصر.. فإن وراءه رجلكم الملك فيصل ولم تمض أيام حتى كان هو رجل النصر.

ورؤيا أخرى أخبرته بها همساً بيني وبينه أخبرني بها السيد ياسين طه، وأخبرت بها الصديق، محمد عمر توفيق وزير المواصلات قال لي السيد ياسين طه:

آمنت بروحانية الملك فيصل.. واسمع السبب.

حدثتني عجوز لا أسميها، قالت:

لقد رأيت الملك فيصل واقفاً بين المقام والحجر الأسود وإخوانه واقفون بعيداً ينتظرونه، فأقبل رسول الله ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر، فقال له الرسول: مرحباً بالأمين تقدم إلى مقام إبراهيم..

فقال فيصل:

هذا مقام الأنبياء يا رسول الله..

قال:

بارك الله عليك أنت الأمين حارس الحرمين..

وأخبرني السيد ياسين طه أيضاً عن هذه العجوز. وأخبرت الشهيد عن ذلك همساً بيني وبينه..

قالت العجوز:

لقد رأيت فيصلاً يقبل على المدينة فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر يقبل عليهم الشهيد يسلم بكل الأدب فيقول الرسول ﷺ: مرحباً بخادم الحرمين.

والخاتمة هي أن نسأل الله الرحمة له رحمة الشهداء وأن يديم علينا نعمة التوفيق.

تقـديـر

صعب على الإنسان المكلف بأي عمل أن يشير ولو بالرمز إلى ثناء وُجِّه إليه ـ غير أن العمل الأدبي يلزمه ذلك للحرص على إبرازه، والدعاية له طمعاً في انتشاره، والاستفادة منه.

لقد كنت متهيباً من تكليفي أتولى رئاسة تحرير مجلة الدارة خشية ألا أستطيع الخروج بها راضية عن نفسها مرضية عند قارئها، ولكن الحكم بالاحترام لمبادىء الدارة وتاريخ آل سعود لا يعني إلا الحب لهذا الوطن كجزء من الحب لهذا الدين.. دين الإسلام.. عقيدة صافية هي عقيدة السلف.. أحيا معالمه، وأقام دعائمه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، والإمام السلطان محمد بن سعود، وكل واحد من الأسرتين الكريمتين.. توارثها الأبناء فما شذوا عن مخطط الآباء.

هذا الحب ألزمني ألا أهرب من المسؤولية فكان العون من الله، والتوفيق منه سبحانه وتعالى.. هذا العون والتوفيق صنع لنفسي وفي نفسي السكينة والثقة في أن أسير وأسير.. في أدب التلقي من معالي الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ، وفي حذر التوقي من أي خطأ، وفي أمل التطلع إلى ما ترشدني إليه هيئة التحرير، وفي ثقتي بالقلة التي أعانتني على إخراج المجلة.

عبد الله الماجد ومحمد الخياط وعلي العفيصان، ولقد أعطتني المسؤولية الرضا بما تلقيته من ثناء على ما أعطته المجلة.

وتحدثا بالنعمة، وإبرازاً لمعاني السكينة أنشر قائمة بالأسماء الكريمة التي تفضلت شاكرة بهذا الثناء.. فأرسلت بمذكرات موجهة إلى معالي وزير التعليم العالي ورئيس مجلس إدارة الدارة حسب مقام المتفضل بها، وإلى رئيس تحرير المجلة حسب تصور من أرسلها.

فالحمد لله.. أحمده على توفيقه..

ثم لا يسعني إلا الشكر لكل من تفضل فأعان بهذا الثناء عوناً هو أكبر وأثمن من العون المادي.. فالمعاني في لغة الأدب وأدب اللغة لها التأثير الكبير فأحسبه صاحب الجدوى التي قد لا تجود بها المادة.

والله ولي التوفيق.

القمة و . . القاعدة

الدعوة إلى الإسلام شع نورها . . وسطع برهانها من هذه الأرض المقدسة، حين أرسل الله القوي الأمين جبريل أمين الوحي فلا يكون المكان إلا حراء . . ولا يكون الزمان إلا رمضان . . ولا يكون الإنسان النبي الرسول الهادي إلى صراط مستقيم إلا سيدنا محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي المكي العربي . .

فليس بدعاً أن يكون دين التوحيد . . الشغل الشاغل لأهل هذه الأرض، بحرمها ومسجدها وسياجهما في النجود والتهائم والسروات . . فالرسول العظيم منحه الله أن لا يلحق بالرفيق الأعلى حتى يرى العرب في جزيرتهم بعد أن كانوا قبائل مشركة، يجاورهم شذاذ من اليهود ويحيط بهم عرب نصارى . . منحه الله أن يجدهم أمة مسلمة موحدة النهج . . موحدة العقيدة . . فتولى الأمر بعده رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . فكان الفتح العظيم بعد الفتح المبين . . والنصر الكبير بعد النصر المؤزَّر . . فلقد كان الرسول قمة رأساً لقاعدة مسلمة . . وكان الخلفاء على مستوى هذه القمة . . قمة القيادة، تنقاد إليهم قاعدة مسلمة . . فحين تصلح القيادة في وحدة مع القاعدة لا ينهزم الإسلام . . وإنما هو بالقمة والقاعدة معاً يرد العاديات . . ويهدي إلى الصالحات . . فلا قمة بلا قاعدة . . ولا قاعدة بدون قمة . . من هنا كان النجاح . .

وحين انفرط العقد.. وتشعبت الآراء.. كل فريق يدعو إلى سلطان ليس على مستوى القمة.. كما أن الداعين إلى ذلك السلطان ليسوا في تماسك القاعدة.. تبلبل الأمر وتشعبت الطرق فلم يعد السيف هو الفاتح.. بل ولم يعد السيف في قدرة المدافع لكن الإسلام هذا الدين عجيب.. فالمسلمون الذين دخلوا في دين الله أفواجاً بالدعوة المحمدية أولاً.. وبالفتح المسلم ثانياً.. هم أقل عدداً من الملايين المسلمة التي أسلمت بالدعوة المسلمة تدعو إلى سبيل ربك بالموعظة الحسنة.. فانتشار الإسلام بالفتح قد اتسعت به رقعة الأرض.. والإسلام بالدعوة قد تكاثر في تلبية الإسلام الملايين والملايين.. كان هذا الانتشار من فعل الأفراد كأنهم كانوا قاعدة بدون قمة..

وبدأت جزيرة العرب في كثير من بواديها.. وفي الأكثرين من أهل حاضرتها.. يحتاجون إلى إقامة الدعوة فيهم لإقامة الدعوة بهم..

دخلت عليهم خرافات.. وأدخلوا أنفسهم في شوائب تفسد عليهم عقيدة التوحيد.. فلولا أن أئمة نبغوا فيهم.. صانوا الحوزة وحفظوا كثيراً من الناس لكان الأمر صعباً..

لقد انسلخت الجزيرة عن القيام بما هي أهله.. أرهقها انتقال السلطان إلى مواطن أخرى.. وأرهقت نفسها بمن أرادوا أن يكونوا قمماً فيها.. فما مكنوا من وجود قاعدة لهم.. وما أمكنهم أن يدافعوا سلطاناً لا يحب بقاؤه لأنه يحارب انفصالهم، فمكثت الجزيرة مرتعاً للركود وللحركة غير المقيدة تتبع سلطاناً بعد سلطان.. كل ما تناله الاعتزاز باسمها على التيجان.. والابتزاز لقداستها يقتنصه كل سلطان.. ولا يكون الجزاء إلا صدقات وهبات، مما أرخص قيمة الرجال.. ومما تقاعست به همم الرجال..

وجاء دور جديد.. دور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، يدعو إلى العقيدة الصافية، فما استجاب لنصرته إلا آل سعود.. فتكونت بهذه الدعوة قمة صنعت بالوسائل الممكنة ترغيباً وترهيباً.. القاعدة.. والسعودية قمة وقاعدة، تكونت في نجد، فطالت واستطالت حروب السلاطين على هذه الدعوة، على هذه القمة والقاعدة، فتارة ينتصر السلطان العثماني ومن إليه.. وتارة ينهض السعودي بمن معه.. حتى إذا أتم الله النعمة على البطل المرحوم عبد العزيز بن عبد الرحمن فكان القمة ينتصر بالقاعدة لينتشر سلطانه بها.. حتى أصبحت كل الجزيرة قاعدة كان هو قمتها.. فلما توفاه الله بقيت القاعدة بالأسرة المالكة قوية، لا تتخلى عن القاعدة ولا تنفصل القاعدة عنها.. في حوار كان شديداً علي.. وفي حضرة الأمير خالد بن عبد العزيز جلالة الملك الآن ـ سمعت هذه الكلمة من الأمير فيصل بن سعد بن عبد الرحمن.. قال: اسمع، إنا آل سعود حريصون كل الحرص على عقيدة التوحيد.. فلو لم يبق إلا طفل من أسرتنا لقاتل في سبيلها..

سمعت ذلك.. وبرغم ما لحقني من كرب في موضوع آخر أخذتني هزة من المسرة والترحيب..

فالأمر لدي هو أن تكون هذه الأرض على أساس من ماضيها مسلمة حق الإسلام.. داعية للإسلام.. لا تشذ عن ذلك ولا تخشى فيه لومة لائم.. فالإسلام قيمة هذه الأرض.. قيمة إنسانها.. بل وكما قلت: هو دينها كما هو وطنيتها.. دعونا من البترول.. لو لم يكن هذا الإسلام.. ولو لم يكن هذان المسجدان، لكانت الأرض اليانعة من أرضين هذه الدنيا أدعى للسكن فيها والاستقبال لها.. لكنها القبلة.. لكنه الإسلام ميّز هذه الأرض رغم الجفاف ورغم الصحاري.. بل إن هذه الصحاري أصبحت في

مشاعر المسلم جنة بما فيها من معانٍ، لا بما عليها من مبانٍ.

ولكي أصل إلى السبب في هذه المقدمة أحب أن أذكر أهلي وقومي بالمرسوم الملكي الذي صدر يكلف الأمير سلطان بن عبد العزيز برئاسة الدعوة إلى الإسلام.. كأنما القمة أرادت أن تمسك بالقاعدة.. وكأنما هي الدعوة إلى القاعدة أن تكون المسلمة لنفسها والداعية إلى الإسلام بسعيها.

إنا سنكسب كثيراً بهؤلاء الدعاة يدعون إلى سبيل الله شعوباً مسلمة تبصر بأمر دينها.. وشعوباً غير مسلمة تدخل الإسلام.. دين الرحمة لتتخلص من طغيان الضلالة والكهانة والمذاهب الضالة.

لكن لا أريد أن يقتصر الأمر على الدعاة.. بل أقترح أن تنتشر الدعوة في كل بقعة من أرضنا بالمسجد يكون إمامه عالماً يدعو إلى الإسلام.. بالمسجد يبقى جامعة فلا يترك هكذا.. ـ فلدينا علماء كبار سواء كانوا السعوديين أو من الذين تفضلوا فأصبحوا أساتيذ في جامعاتنا.. حبذا لو أن أستاذ العلم المسلم في الجامعات يتفرغ ولو لدرس واحد في المسجد بعد المغرب، لا يقتصر ذلك على المسجدين، بل في كل المساجد.. العلماء كثيرون، فإذا ما تفرغوا لدرس واحد، كان ما ينشرونه من العلم المسلم بين الآباء هو بطريق غير مباشر تعليم للأبناء.. فآباؤنا الأميون الذين كانوا يحضرون دروس المسجد تعلمنا منهم الكثير، فأستاذ الجامعة حين يدرس بالمسجد هو بطريقة غير مباشرة يعطي الدرس لطلابه عن طريق آبائهم.. حين تعمر المساجد بالعلماء نستطيع أن نؤسس القاعدة لنشر الدعوة في كل بقعة من أرضنا لينتشر رجالها في كل بقعة من الأرضين..

وقد تولى هذه الأمانة سمو الأمير سلطان وهو حري أن يقوم بشأنها..

والله ولي التوفيق..

الأرض والأمن والوحدة

المملكة العربية السعودية برزت قوةً لها مكانتها في دنيا العرب وفي مشاعر الأمة الإسلامية من أول يوم عرف العالم فيه قيمة الأمن في الأرض المقدسة.. فتوحيد الجزيرة تحت رعاية الملك عبد العزيز أعطى العرب صورة واضحة عن قيمة الوحدة تنادي بها وتسعى الشعوب العربية بوسائل شتى لتحقيق هذه الوحدة بين شعوبها.. في صورة من الجامعة العربية، في تضامن عربي ـ إلى غير ذلك مما تحقق نجاحه واتضح فشله.. فالوحدة المثال هي ما تحقق على يد البطل المرحوم الملك عبد العزيز طيب الله ثراه.

وقد أتخذت وحدة الجزيرة القيمة كل القيمة بهذا الأمن.. بهذا الثبات لها.. أثبتت به وجودها وثبتت به وجودها وإيجادها وحتى إجادتها.

فالأمن أعطى الدولة القيمة.. فلا قيمة لدولة بلا أمن والوحدة أعطت كل العرب قيمة جديدة، ولا نجاح للعرب إلا باتحادهم على أية صورة.. لكن الصورة الصحيحة هو ما يتحقق بالاختيار.. ما تلزم به ضرورة الانتصار.. لا بما يفرض بقوة الكلام أو بالشعارات.. فوحدة السعودية تجربة رائدة، والأمن فيها برهان يتضح للذين يمارسون سياسة أي دولة على أنه هو القيمة لهذه الدولة.

فالتنمية والعدالة وراحة الإنسان كلها من عطايا الأمن.. أمكن به صون الثروة في الأرض وإخراج الثروة من الأرض، واستثمار الثروة لخير الأرض وعمرانها، وأضافت السعودية قيماً جديدة فلئن كان الأمن والوحدة أساساً فقد جاء المكان أعني الأرض بكل مقدساتها صانعاً قيمة أساسية ولا بأس أن نقول إضافية، فقبل الوحدة والأمن فإن مكانة الأرض هي القيمة وبعد الوحدة والأمن.. أضافت مكانة الأرض قيمة.. غير أن القيمة الحقيقية هو إدراك ما لهذه القيم من قوة.. فحين عرف الملك قيمة أرضه.. قيمة الأمن.. قيمة الوحدة.. صاغ سياسة الدولة على أساس هذه المعرفة وهذا الإدراك.. لا يعارض باتحاد كلمة العرب.. بل يسعى لأن تكون.. لا يتداخل فيما يعكر أمن أي شعب جار له.. أخ في العروبة لأن معرفته لقيمة الأمن حببته أن يصون الأمن في كل الجوار.. في كل الشعوب العربية ومعرفته لمكانة أرضه في قلوب العرب والمسلمين جعلته يصون هذه المعرفة بأن تكون المقدسات مصانة مفتوحة الأبواب لمن يصلي للقبلة.. لمن يتغنى بالعروبة.. لمن يتلو آية من القرآن.

كل هذا إمكان.. كل هذا مكانة.. جعل الدنيا كلها تعرف قدر السعودية فتسعى إليها.. كل يوم تستقبل الرياض ثائراً عظيماً تقديراً لهذه المكانة، وكل هذا مرة أخرى زاد ارتفاعاً بتحرك السعودية إلى المؤتمرات والزيارات والوساطات تشارك كل مؤتمر فيه خير إسلامياً وعربياً، وحتى إنسانياً تتصل بالعالم كل العالم.. توضح الحق العربي وتحارب الباطل الإسرائيلي.

ولا ننسى أن الذي جعل أفريقيا تأتي مختارة في طواعية معززة إلى التضامن مع العرب هو الخط الذي سار عليه المرحوم الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز.

فليس ادعاء لا يقوى على تكذيب الواقع أن نقول هذا القول «إن فيصل هو الأول من قادة العرب الذي مد يده إلى إفريقيا» لا يعنيه ثائر في داخل أي دولة ولا يتخذ موقفاً سالباً ممن رضيه أي شعب إفريقي رئيساً على دولته، صداقة للجميع بصدق مع الجميع.

وجاءت حرب رمضان فإذا الملك فيصل لا يتركها تنتهي بوقف القتال، وإنما تداركها لئلا تنتهي دون جني ثمراتها فأبقاها زمنها الطويل حتى الآن معركة منتصرة بسلاح البترول فعمل عبد العزيز في نهجه القوي السليم وعمل.

الملك خالد بن عبد العزيز

الفيصل في نهجه المستقيم هو عمل الملك خالد بن عبد العزيز بكل القوة وكل الاستقامة، فليس هناك في سياسة الملك خالد ما يشعر بتخطئة ما صنع أبوه وأخوه.. بل كل مجد الملك خالد في أن يكون صديقاً صادقاً مع ما فعله أبوه وأخوه.

ـ إن السعودية لا تريد أن تبسط سلطانها على أحد ولكنها تريد أن يبسط العربي سلطانه على نفسه.

ـ إن السعودية لم تبخل ولن تبخل بما لها من مكانة توضحها للدنيا كلها لتجعل ساسة الدنيا أصدقاءها أعداء لكل طغيان وكل باطل ولكل عنصري.

ـ إن السعودية تصادق من يصادق الحق، وتحارب من يصادق الباطل.

ولا يسعنا إلا أن نسأل الله أن يديم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ووليَّ عهده ميمون النقيبة الأمير فهد بن عبد العزيز وحفظ الأسرة المالكة في وفاق وفي عزة..

الدارة في عهدها التذكاري

تسمية دقيقة خرج بها الذين اخترعوا هذا الاسم لئلا يكون اسمه المهرجان الإسلامي.. فالإسلام الدين هو مهرجان هذه الدنيا، ومهرجان المؤمنين بهذ الدين يوم يبعثون، هو مهرجان إنسان الأرض المسلمة.. كما هو مهرجان الأرض المسلمة.

وجدت قراءة جديدة يقرؤها الغربي بأسلوب مجسد في الأمثلة التي أبرزت بأروع الصور في متاحف لندن ومنشستر.

مهرجان وليد المؤتمر.. فالمؤتمر الإسلامي مهرج لنا الفكر المسلم، ومهرجان العالم الإسلامي يمهرج لنا حضارة المسلم.

ولئن كان قد وجد فيه ـ في زحام الزخرف والدعاية بعض ما تنكره ـ فإن فيه الكثير والكثير، والجميل الجليل، والتحفة والأثر وكل هذا ينبغي ألا نتنكر له.

حين رأيت روعة المصاحف كبرت وأكبرت، فقلت (مهرجونا كل يوم هكذا) كلمة مترفة نطق بها لسان شبع من ترف اللغة الشاعرة.. الحضارية.. قالها إمام كرمه الخليفة العباسي فأعرب عن شكره بالاشتقاق الرائع.. فلئن فقدت الحضارة الإسلامية الإمبراطورية السياسية فهي ما زالت صاحبة السلطان في إمبراطورية اللغة، فاللغة حين تصبح في مجال

اتسع في رقعة الدنيا كلها.. معلماً يبرهن على حضارة إنسانها.. فليست التحفة والأثر والمثال الرائع.. إلا لغة مجسدة تعرب عن إنسان يعرب بلسان مبين.

وحين رأيت القراءة الجديدة في الإنسان الأوروبي لم أشعر بزهو وإنما تعلمت الجديد من الأسلوب في عرض ذخائرنا الفكرية الحضارية على الناس، أراهم جمعاً كبيراً من الإنجليز والسواح يقف الواحد منهم أمام التحف والآثار موقف المتعمق والمتعاطف كأنما هو يزداد ثقافة.. ترى على وجه كل واحد انبهاراً بما يرى من هذه الحضارة حتى إني أراهم وقد شبعوا من النظر وامتلأوا من القراءة المترجمة لهذا الأثر يلتفتون ناحية الشرق كأنما هم يقولون:

هكذا أنت أيها الشرق المسلم تصنع هذه الحضارة في أحقاب التاريخ تعطينا البرهان على أنك الأستاذ المعلم.. لنا نحن الغربيين.

والتفت إلى الصديق المترجم معنا الأستاذ محمد صالح الشوربجي وإلى ابنتي الجامعيتين وهما برفقتي أنشد قول شوقي:

في مهرجان هزت الدنيا به أعطافها واختال فيه المشرق

قراءة جديدة.. يقرؤها الأوروبي والأمريكي على نطاق واسع.. تشبع العالم والمثقف ويدرك الآخرون من غير هؤلاء ما لم يدركوه من قبل.

كتب المستشرق ألمانياً، فرنسياً، بريطانياً إيطالياً، روسياً، أسبانياً.. عن حضارة العالم الإسلامي الكثير والكثير، معروفة أسماؤهم لدى القارئين.. مجهول ما كتبوه لدى الأكثرية من بني الإنسان، فنادر جداً أن قرأ المثقف العربي بعض ما كتبوه ونادر جداً أن قرأ الغربيون ما كتبه المستشرقون فجاء

هذا المهرجان قراءة جديدة.. لا يمتاز بها المثقف وتعطي لغيره ميزة المعرفة، من هنا كان احتفال المجلة بالمهرجان.. تتجاوز عما أنكرناه وتجتاز الطريق واضحة إلى كل ما لم نتنكر له.

فالأوروبيون ـ قد ذقنا منهم الأمرين ـ إما بصورة من التجاهل، أو هي الصور أكثر من الجهل.. فالمهرجان.. هذا المهرجان وليد المؤتمر الإسلامي قد جاء فاضحاً للتجاهل، واضحاً أمام الجهل ليكون من جهل بدأ يتعلم.

والمجلة حين تحفل بهذا كله إنما هي تعطي للقارئ وللآخرين معرفة واضحة عن حضارته وقيمة أرضه وحرية إسلامه ونصاعة إيمانه وإنسانيته وإنسانه.. أفرغت جهدها أن تعتني وأن تقتني فلم تخرج بالمجلة عن تقليدها وإن أخرجت جلها بتقليد جديد.. ومهرجونا كل يوم هكذا.

ولا يسع المجلة إلا أن تعطي لمعالي وزير التعليم العالي كل شكر لأنه صاحب الفكر في ابتعاثي إلى لندن كما هو ـ بعد الله ـ صاحب العون ومالك التوجيه.

الذين عاشوا فترة سابقة، وهم من أسميهم جيل التجربة تارة، أو جيل الحمد تارة أخرى، يشعرون بشيء من شكر النعمة التي أنعم الله بها عليهم.

وحدة الكيان.. في دولة سارت الهوينا في التقدم حتى بلغت تفوقاً يشاد به حين نذكر، ويحمد لها حين نشكر.

بالأمس ندوة للشباب المسلم كأنها من ثمرات التضامن الإسلامي غرس جذوره فأينعت، الملك الشهيد فيصل، ضم برلمان أمر السعودية الدولة، والسعودية الأسرة، والسعودية الشعب، فالكل مسلم على الذروة.. عربي على السنام.

وبالأمس مؤتمر للفقه الإسلامي، يحرص على عودة الشريعة وتطبيق الشرع على أساس من الكتاب والسنة، والفقه الثابت عن الإمام المسلم صان السنة من الكذب.. جمع الصحاح والمسانيد، وأخرجه فقهاً شريعة تعامل.. وأبرز وضوح العقيدة السليمة، توحيد رفع به الإنسان رأسه إلى السماء لا يرخيها على الأرض فوق كرسي اعتراف.. وبالتوبة جعلت الاعتراف لله الواحد المعبود بحق ولا معبود سواه.. وحده الرب خالقاً.. والله إلهاً لا شريك له.

وبالأمس ترفع الجامعات رأسها في أكثر من موطن.. كأن الكيان الكبير قد حزم بحزام العلم من خليجه إلى بحره الأحمر..

جامعة الرياض كلية الطب يتخرج منها عشرتان كاملتان عشرون طبيباً نعرف أسماءهم ونتعرف على سيماهم، فإذا جامعة لندن تثني عليهم ثناء المباجلين بالثناء الأعم لمن كان أهلاً له.

أفليس من نعمة الله أن يشكره واحد مثلي كان في ظنه الواطن أن هذا بعيد الوصول إليه.

ولكن الملك الشهيد.. صاحب الكلمة في سجل جامعة بريطانيا، يوم زارها، وهو فتى، في أول زيارة، فقد كتب في دفتر الزيارة هذه الكلمة: (إني أتمنى أن تكون في بلدي جامعة..).

- تمنى فلم ينم، وإنما هو فعل.. وفعل فإذا هي الجامعات..

إن تفوق السعودية، سارية عبد العزيز الملك البطل.. سيرة العباقرة شملاً جمع.. أرضاً وحد.. عقيدة رسخ.. دولة شيّد.

وسار بالمسيرة فيصل.. حدنا صانه.. به الدولة والأرض ومكانه إلى فوق.. وجامعات.

الملك خالد يسير على النهج في صراط مستقيم.

إنهم الملوك الآباء الراحمون، تجلى عليهم الله بهذا التوفيق.

ولا أنسى ما بذله ولي العهد فهد بن عبد العزيز من نشر المدرسة في كل بادية وحاضرة، فله فضل الوزير الأمير.. له تاريخ في نهضة التعليم.. وله تاريخ في نشر القيم.

نعم.. وكما استهل الدكتور الفدا بالكلمة الوارفة.. أعيد تكرارها (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي..).

مؤتمر الفقه الإسلامي

مؤتمر الفقه الإسلامي ليس بدعاً أن يعقد في الرياض، تحتضنه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو ليس أول مبادرة من الدولة السعودية المسلمة والعربية.. تصنع نفسها من أول يوم من أيامها.. الناجحة بنشر الدعوة السلفية ـ نجاحاً في تشكيل قاعدة على أساس من هذه العقيدة، تقودها إمامة فرضت على نفسها أن تنصر الإسلام وتعود به إلى عقيدة السلف. لأن هذه الإمامة عرفت أنه لا يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وما هو الفقه؟

سيأتي تعريفه لغة بعد، وستأتي الخواطر عنه كذلك.. تشرحه وتوضحه وتضعه أمام الفهم الصحيح فكراً صحيحاً.

إن الإيمان في تعريفه: هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان.

القول باللسان: هو الإسلام في الشهادتين وما بعدها من أركان، واعتقاد الجنان هو رسوخ الإيمان والتصديق به وله ـ أما العمل بالأركان فلا يعني إلا الفقه، فالفقه إذن هو الفقرة الثالثة من تعريف الإيمان ينظم أعماله، يبين أحواله، يسعد مآله، ويرقى بالمسلم إلى عمل نظيف، سواء كان عبادة أو تعاملاً أو عادة، فالإسلام عملاً وديناً لا بد أن يكون مفهوماً بالفقه.

ومن الدقة بمكان أن نظام التشريع الإسلامي لم تكن له التسمية بالنظام أو القانون وما إلى ذلك.. وإنما كانت التسمية الدقيقة هي الفقه، فالنظام والقانون تحديد قد يكون جامداً على نصوص وضعت.. أما الفقه فمستمر في كل حال وكل حادثة.. في كل لحظة نجد الفقيه يصدر الحكم مستمداً من المصدر، وما هو المصدر للفقه: هو الكتاب والسنة فالتعريف الدقيق هكذا.. الكتاب والسنة المصدر للفقه.. تعريف حاصر للمصدر. أما التعريف الآخر: الكتاب والسنة مصدر للفقه.. فإنه يدخل عليه مصادر أخرى، وحتى الاجتهاد كمصدر أو القياس فليس هو الرأي دون دليل مستمد من الكتاب والسنة، فالسرمدية لهذا الدين تعني المرونة في إصدار الأحكام المستمدة من المصدر.

والمذهب في التعريف الصحيح ليس عقيدة المسلم، وإنما هو فتوى الإمام يؤدي بها المسلم أعماله ثم إن الوضع في ذلك هكذا.

العامي لا مذهب له ـ فالمذهب مذهب المفتي إن وجد المسلم يسير نحو الميسرات.. أفتاه بما يعسر لئلا يقع في هذا الميسر.. فينحل أمره وإن وجد المسلم في عسر جاءه المفتي بيسر يخرجه من عسر.

ونأتي بعد بالتتمة التالية عن خواطر التعريف وخواطر الإلزام بالفقه.

فالفقه لغة: هو العلم بالشيء والفهم له، أما في الاصطلاح: فهو العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، أو هو «معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة» على حد تعبير ابن خلدون في مقدمته الشهيرة.

وليس تعبير ابن خلدون إلا تعريفاً لمعنى التشريع من الفقه.. أما التعريف لغة ففي هذه الآية: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى. وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى. وَٱحْلُلْ

عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى. يَفْقَهُواْ قَوْلِى﴾ (طه: ٢٥ ـ ٢٨).

وفي هذه الآية: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء: ٧٨).

كما هو التعريف في هذا الحديث في دعوة رسول الله ـ ﷺ ـ لابن عباس ـ رضي الله عنه: اللَّهم فقهه في الدين وعلمه التأويل، وكما هو في الحديث الآخر: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين.

والتشريع الإسلامي لا يهتم بالجانب الديني من حياة الإنسان فحسب، وإنما هو يوائم بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، ويواجه الحياة على هذه الأرض لكل ما فيها من صور النشاط الإنساني، فإلى جانب تنقية العقيدة والارتفاع بها عن كل الشبهات، يحرص التشريع على تنظيم المعاملات والعلاقات الإنسانية للمجتمع الإسلامي تنظيماً دقيقاً. ولهذا جرى العرف على تقسيم مباحث الفقه إلى عبادات ومعاملات، والحقيقة أن كلمة المعاملات هنا تتسع لتشمل كل المباحث القانونية المعروفة في العصر الحديث بما في ذلك القانون العام والخاص والقانون المدني وقانون العقوبات، بالإضافة إلى المباحث السياسية والاجتماعية.

ولقد استطاعت مبادئ الفقه الإسلامي وأحكامه أن تحكم النشاط البشري للمجتمع المسلم خلال قرون عديدة، وأن ترى قواعد السلوك الرفيع لبني الإنسان ليضمنوا لأنفسهم حسن المحيا والممات.. وحينما توقف المد الإسلامي وأصيب المسلمون بالعقم والجمود وبدأت الحضارة الغربية تقتحم على المسلمين أبوابهم، لم تستطع تلك الحضارة بكل ثقلها أن تنال من جانب العقيدة، ومن ثم ركزت هجومها على الجانب التطبيقي لحياة المسلمين، فمضى أدعياؤها يزعمون أن نظام الحياة الإسلامية هو المتسبب في جمود المسلمين وتخلفهم عن ركب المدنية الحديثة.

«ولما كان الفقه هو الذي يمثل هذه الناحية في حياة المسلمين، كان هو خط الدفاع الأول للإسلام ضد هذه الهجمات المتواصلة من قبل المدنية الغربية» كما يقول الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه «نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي».

ومن هنا كان لا بد لمؤتمر الفقه الإسلامي هذا أن يناقش قضية تطبيق الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وأن يرد الشبهات التي تثار حول تطبيق تلك الشريعة الغراء في عصرنا الحديث، وأن يكشف الأبعاد الحقيقية للغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام.

وفي وقت لا يوجد فيه دولة إسلامية على وجه الأرض تطبق شريعة الإسلام وحدود الله غير المملكة العربية السعودية، يجد المؤتمر نفسه أمام تحد كبير ينبغي أن يتصدى له، ولهذا كان موضوع القضاء في الإسلام وأثر تطبيق الحدود الشرعية في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع من الموضوعات التي فرضت نفسها بإلحاح على هذا المؤتمر الكبير.

وفي عصر تتصارع فيه القوى العالمية وتتعدد فيه المذاهب الاقتصادية بما لها من انعكاسات على الأوضاع السياسية والاجتماعية، يتلفت المسلم حوله فلا يجد غير النظام الربوي يحاصره من كل اتجاه متمثلاً في البنوك وشركات التأمين وغيرها من المؤسسات الاقتصادية الحديثة. ولعلّنا لا نبالغ إذا قلنا إن الإنسان المسلم في أي مجتمع من المجتمعات ـ حتى الإسلامية منها ـ كثيراً ما يجد نفسه مضطراً للتعامل مع بعض هذه الأنظمة من قريب أو بعيد. ومن هنا تبرز أهمية معالجة قضايا الاقتصاد المعاصرة في ضوء التشريع الإسلامي ومدى وفاء الشريعة الإسلامية باحتياجات البشر الاقتصادية، ومن هنا أيضاً كان موضوع «تطبيق النظام الاقتصادي

الإسلامي وأثره في المجتمع» و «المصارف الإسلامية بين النظرية والتطبيق» من موضوعات البحث في هذا المؤتمر.

وإلى جانب تلك الموضوعات الحيوية التي طرحت للبحث والدراسة، اهتم المؤتمر بموضوع الاجتهاد في الشريعة الإسلامية باعتباره باباً ينفذ منه المسلمون لمواجهة مشكلات العصر الحديث. وكذلك حرص المؤتمر على إبراز دور التربية الإسلامية والإعلام في نشر القيم الإسلامية بين أفراد المجتمع. ولهذا طرح تلك الموضوعات ليتناولها المؤتمرون في أبحاثهم.

وبعـــد:

فإن المجتمعات الإسلامية تواجه تحديات خطيرة تفرضها الحياة الحديثة التي تحياها تلك المجتمعات. ومن حسن الحظ أن الحضارة الغربية التي استطاعت أن تتفوق على حضارة المسلمين في مجال العلوم والتكنولوجيا لم تستطع أن تقدم لمجتمعاتها من التشريعات ما يرقى إلى مستوى الفقه الإسلامي الذي يمثل صميم الشريعة الإسلامية. وواجب فقهاء المسلمين الآن أن يواجهوا التطورات الحضارية التي تعيشها الشعوب الإسلامية المختلفة، وأن يقدموا لهذه الشعوب صيغة متكاملة للحياة بأبعادها النفسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية تكون مستوحاة من شريعتهم السمحة الغراء.

مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب

ابتدأت الكلمة في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب بالدوحة عاصمة القطر الشقيق قطر، فقلت:

«لسنا في حاجة اليوم إلى مجد التاريخ أو تاريخ المجد.. ونحتاج اليوم إلى هيبة التاريخ لهيمنة التاريخ وحب التاريخ، ولن نخشى هيبة التاريخ، ولن يكون حبه بانفرادية يؤرخ كل شعب عربي لنفسه، فإن ذلك يعني ازدواج السلوك، فكل عربي في أي بقعة من أرضه.. لا يسترخي أمام ما يطلبه العون، وما تلزم به الحماية عوناً لكل شعب من أي شعب.. حماية أي شعب لأي شعب، فالشعوب العربية أمة واحدة ديناً.. وأرضاً، ولغة ومصالح، ومصائر».

هذا المبدأ ينبغي أن يكون سلوكاً واحداً فإذا ما شذ رجال يكتبون التاريخ.. ليكتبوا عن شعبهم فقط ينفردون بالأمجاد ويتفردون بادعاء التفوق.. فإن ذلك أحسبه شذوذاً عن مطلب الوحدة.. أو هو التعطيل لها.. فلكي لا نكون تحت طغيان الأحداث أصحاب المشاعر المتوحدة، وفي غفوة الأحداث لا نكون إلا أصحاب المشاعر المتفردة.

لكيلا نكون كذلك ينبغي أن يكون تاريخ الأمة العربية واحداً، وقد

حملني هذا الشعور لأن أقول في (سيمنار) جامعة عين شمس بالقاهرة (٧ مايو ١٩٧٧م).

إن الأمة العربية ذات حضارة متشابهة ـ تمتد من القرون السحيقة ـ فالذين نحتوا الجبل من حجر ثمود «مدائن صالح» أو في سلع «البتراء» في الأردن. هم من أعراق أو إخوان الذين بنوا الجبل أهرامات في مصر، في أرض ليس فيها جبل.

وما أعذب هذه المقارنة في القرآن الكريم وما أصدقها ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ (الفجر: ٧).. ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ (الفجر: ٩ ـ ١٠).

فالقرآن علمنا تاريخ هذه الأرض وإنسانها بما ذكرت ثم بما ذكر عن بابل وأصحاب الرس (الأنباط) وبما قص عن ذي القرنين، فذو القرنين ليس هو الإسكندر المقدوني، وإنما هو المصعب بن الحارث اليمني كما ذكر ذلك المقريزي ونشوان اليمني في قصيدته المؤرخة لليمن، نشر ذلك الأستاذ الدكتور معروف الدواليبي في كتابه «دراسات تاريخية عن أصل العرب وحضاراتهم الإنسانية».

فالقرآن أعلن وحدة هذه الأمة ووحدة تاريخها ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢) فحرام على الأمة العربية اليوم أن تكون على لسان مثقفيها رجعة انفرادية إلى الفينيقية والفرعونية وما إلى ذلك بينما كل هؤلاء من هذه الأعراق ـ أعراق هذه الأرض عربية ـ خالصة.

من هنا أخذت هذه المجلة «الدارة» أن يكون عددها الثالث في عامها الثالث مؤرخاً لندوتين هما «ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالدوحة، وندوة

دراسة مصادر تاريخ الجزيرة العربية بجامعة الرياض» الرياض.

ولعلّها تجد فرصة لنشر بعض الأبحاث التي ألقيت في ندوة سيمنار جامعة عين شمس في عدد آخر فكلها حلقات متصلة لتاريخ أمة وحدة.. في أرض واحدة.. لمصير واحد..

الهجـرة المحمـديـة

يواكب إصدار هذا العدد الرابع من مجلة الدارة في عامها الثالث.. شهر الهجرة المحمدية.. محرم الحرام، فلا بد من كلمة تشرف بها المجلة عن الهجرة، إن الهجرة إلى دار الهجرة ليست هجراً لمكة، وإنما عطاء من الله أمر رسوله أن يهاجر إلى المدينة.. الأرض ذات النخل.. كأنما الهجرة قد استهدفت في سبيل النصر غايتين، غاية أن تترك قريشاً تخدع نفسها بأنها استراحت من محمد، وتعطي للرسول العظيم موطن المأوى للنصر في دار أهلها يحبون من هاجر إليها.. يجد المهاجر عند أخيه الأنصاري أخوة الإيمان عند الذين تبوأوا الدار والإيمان.. «الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

استنامت قريش.. يسلم الرسول ﷺ، وأصحابه من أذاها واستقام الأنصار كل يوم يزدادون إيماناً.. كل يوم يزيد إيمانهم، واستفاقت القبائل تنتظر وقد رأت موقف قريش ولترى موقف الرسول ﷺ في المدينة ـ فأحسبني لا أقول خطأ إذا ما قلت إن الهجرة للمدينة توقيفية كانت بوحي، وأن الهجرة هذه كانت توفيقية حالفها التوفيق ذلك أن الله ما أوصى لرسوله بالهجرة إلى هذا المواطن إلا وقد قضت إرادته عز شأنه أن يجعل من قدرته قوة في هذا الموطن.. حصناً يعز الوصول إلى داخله لجيش غازٍ من جنوب وشرق وغرب.

فالخروج إلى أُحد.. والخروج إلى مواجهة جيش الشام في الحرة.. كأن ترك الحرة السور إلى الفضاء ـ هذا الموقع للمدينة استراتيجية يضاف إليه أن المدينة الواحة ذات النخل محوطة بكل القبائل العربية.. في غربها غفار وأسلم وحتى جهينة في شمالها.. جهينة وبعض من غطفان في شرقها غطفان بعبسها وذبيانها من الجنوب بخذاعة ومن التف حولها.. كأنما كل هذه من مشارف الحجاز إلى وديان تهامة، ومن مشارف الحجاز إلى عالية نجد، ومن مشارف الحجاز إلى الأعالي من ساق القراب (السراة).. كلها حول المدينة.. لا تغزوها لأنها مستودع النماء لهم. فأصبح الإسلام يغزوهم بالدعوة.. بالسرايا.. بالغزوات المنتصرة.

هكذا.. كان التوفيق حين حل رسول الله ﷺ في هذا الموقع الحصين.. المحوط بالقبائل العربية، إن الهجرة ما تمت إلا بعد التوثيق في بيعتي العقبة وكان التمام لبيعة العقبة تعديلاً شفهياً من سعد بن معاذ يوم بدر.. أوجب به الجهاد عيناً على الأنصار.. فعهد العقبة الأول أن يدافع عن رسول الله ﷺ إذا حل بينهم، أما خارج المدينة فقد حدده سعد بن معاذ (أتعنينا يا رسول الله.. لو خضت البحر لخضناه معك.. ولو اقتحمت النار لاقتحمناها معك ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك).

بهذه الكلمة قالها سعد بن معاذ أصبح التعديل لعهد العقبة جعل الجهاد على الأنصار فرض عين بينما هو على غيرهم فرض كفاية..

ذلك توفيق الله (إن هو إلا وحي يوحى) ولكن.. وقد نصر الله رسوله في بدر وبفتح مكة قال رسول الله ﷺ لصفوان بن أمية «لا هجرة بعد الفتح» حين أسلم صفوان يوم الجعرانة ورجع الرسول ﷺ إلى المدينة.. هاجر صفوان كأنما هو قد عرف أن تمام الإسلام له بالهجرة.. يريد أن

يستبق إلى أجر سبقه إليه المهاجرون. فلما سلم على رسول الله ﷺ، قال له الرسول ﷺ بكل العطف والرحمة.. بكل الإجلال للسيد المطعم صفوان بن أمية «على من نزلت يا صفوان؟».

قال على العباس بن عبد المطلب، مهاجر نزل عند مهاجر فقال له الرسول ﷺ «عد إلى مكة.. فلا هجرة بعد الفتح»، إني ألمح أن نزول المهاجر على المهاجر كان خلافاً لتعاليم المهاجرين ينزلون على إخوانهم الأنصار فلعلّي لا أسير إلى خطأ أن أعتقد وأستغفر له من أن رسول الله ﷺ أراد ذلك.. فلا ينزل مهاجر على مهاجر، والفقه الصحيح أن في ذلك الإعظام لمكة.. أما وقد فتحت وأسلم كل أهلها فلا هجرة منها.

والله ولي التوفيق..

إحصاء.. و ثَنَاء

قدمت مجلة الدارة جهد السنوات الثلاث السابقة في اثني عشر عدداً.. فحمداً لله على توفيقه ثم شكراً وعرفاناً للذين أمدوا المجلة بالعون ثناء.. ومقالاً.. مادة.. وطباعة. فالثناء حافز، والمقال ذخر، والمادة المال إنجاز، والمطابع إخراج على وجه حسن.

وأخص بالشكر العميق والتقدير الصادق صاحب المعالي وزير التعليم العالي ورئيس مجلس إدارة الدارة، والعاملين معي في المجلة عبد الله الماجد ومحمد الخياط، والأساتذة المتعاونين معنا في الجامعات أو المكتبات، والباحثين في الدارة..

أحيي هؤلاء جميعاً وأشد على أيديهم لبذل جهد أقوى وعطاء أسخى.

ويطيب لي أن أقدم العدد الأول من مجلة الدارة في عامها الرابع تاركاً تقدير ما فيه لكل قارئ وباحث ومحب للتاريخ، وعاشق لهذا البلد.. الكيان الكبير، وعارف بالقيم التي فطر الله عليها الملك عبد العزيز آل سعود تغمده الله برحمته، فوحد هذه الأرض تراباً وإنساناً وأخلاقاً ومبادئ في ظل عقيدة التوحيد.

«إن كلمة التوحيد.. وتوحيد الكلمة دعامتان لهذا الإسلام». وإن المجلة قد لا تعطي الكثير من الموضوعات ولكنها تهتم بالقليل المفيد،

فالعبرة بالكيف لا بالكم، ولا ندعي أننا نوفي الأساتذة المتعاونين معنا حقوقهم كاملة، فعند الله الجزاء الأوفى، وإذا كانت المجلة حقلاً لجهودهم المثمرة فهي في نفس الوقت مرآة تجلت فيها صور العلماء والأساتذة. زاهية لامعة ازدادت بها محبة القراء لهم وثقتهم فيهم بريادتهم لقافلة العلم، وجدارتهم بالتكريم والشكر..

أشبعونا عطاء منكم ولن نستطيع إشباعكم بعطاء منا.. فنحن عاجزون عن إيفائكم ما تستحقون من الثناء والأجر فالمال مهما كان سخياً لا يصلح ثمناً للعلم.

وأسأل الله أن يمدنا بتوفيقه وأن يزيدنا حباً وتعاوناً وإخلاصاً ومودة وصلة قوية أساسها الإيمان بالله وهدفها خدمة هذه المملكة.. أم الإسلام والتاريخ واللغة والإنسان العربي. ففي إحياء تراثها والحفاظ على ميراثها ونشر نفائسها والعناية بما يزيدها تعريفاً.. ففي كل هذا تعريف بأنفسنا وإثبات لوجودنا.

وليس من الفخار أن نشير إلى الأساتذة والمؤسسات العلمية التي أثنت على جهودنا، ولكن هذا حقها، وهذا واجبنا وهم:

ـ رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة.

ـ معهد البحوث والدراسات العربية ـ جامعة الدول العربية.

ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض.

ـ الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

ـ مركز دراسات الشرق الأوسط ـ جامعة عين شمس.

ـ الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي ـ الرباط.

ـ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة.

ـ مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة الكويت.

ـ الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ـ بغداد.

ـ المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالوطن العربي ـ الرباط.

ـ المكتبة الملكية المغربية ـ الرباط.

ـ مجلة العربي ـ الكويت.

ـ الهيئة العامة للآثار ـ صنعاء.

ـ الدكتور عبد الله الركيبي ـ قسم اللغة العربية بجامعة الجزائر.

ـ البروفيسور ويليام ساندز ـ مجلة الشرق الأوسط بواشنطن.

ـ البروفيسور جون كيرك ـ جامعة ماساشوستيس.

ـ البروفيسور هنري فيل ـ جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية.

ـ مركز الدراسات الآسيوية ـ جامعة إلينوي بالولايات المتحدة الأمريكية.

ـ مركز المعلومات العربي ـ سان فرانسيسكو.

ـ مكتبات جامعات ميتشيجان وفرجينيا ـ بالولايات المتحدة الأمريكية.

ـ جامعات القاهرة وعين شمس والمنصورة ـ جمهورية مصر العربية.

ـ الأستاذ أنور الجندي ـ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة.

وفقنا الله جميعاً إلى ما فيه الخير..

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية الرقم: ١/٨٣٦/١/١٧

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التاريخ: ١٣٩٨/٢/١هـ

المشفوعات:

مكتب المدير

الأخ الكريم الأستاذ العلامة/ محمد حسين زيدان المحترم

رئيس تحرير مجلة الدارة

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

اطلعت على ما نشرتم في العدد الرابع من مجلة الدارة في سنتها الثالثة شهر صفر ١٣٩٨هـ من شكر على ما أثنيت به على المجلة، ولئن كان ذلك غيضاً من فيض مما نشعر به نحو المجلة والقائمين عليها فإنهم أهله ومحله. وإن جهودهم وآثارهم ونشاطهم شاهد له.

وأنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن شكري وتقديري، وأنقل إليكم تحيات منسوبي الجامعة، ودعوات الجميع بأن يوفق الله المسؤولين في المجلة ويكلل مساعيهم بالنجاح ويمدهم بعونه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أخوكم

د/عبد الله بن عبد المحسن التركي

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عـرفـان

الحمد لله خلق الإنسان في أحسن تقويم.. صورة وصيرورة ومن أحسن هذا التقويم.. الكلمة هداية وتعبيراً، فالإنسان بالكلمة مقود وقائد، فاللَّهم اجعلنا من الذين يتبعون من الكلام أحسنه.

وأطرح سؤالاً.. فهل أزعم أني قد حققت حين أبرزت ما يمتلكني من عشق.. متعني الله به ـ أحب عقيدتي وأمتي وتاريخ أرضي ـ لا أزعم أني قد حققت كل ذلك. لكني لا أبخس نفسي إن تحدثت بما أنعم الله علي حين أسهمت في إبراز بعض ذلك.

قد يكون كل هذا في بعض ما كتبت، لكن الدارة المجلة قد أعطتني الفرصة لإبراز هذا العشق.. ليس بالكلمة التي أكتب وإنما بالكلمة التي أستكتب.. يكتبها عشاقها من العلماء والباحثين.

فالمجلة الدارة، والدارة المجلة كيان واحد.. أصبحت هذه المجلة الواجهة لها وكانت الدارة الأمان والكنز والرصيد.. ليس باسمها وإنما بنسبتها.. تحمل اسم الرجل العظيم المجمع.. موحد هذه الأرض أعاد لها اعتبارها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود يرحمه الله.

فقد قلنا من قبل إنه في اللحظة التي خرج فيها الإمام عليّ كرم الله وجهه من المدينة إلى الكوفة وما جاء بعد ذلك قد أهدر الاعتبار لهذا

البلد، فبدلاً أن كانت الخلافة بعد النبوة، وإن كان الفتح أصبح عالة ما أكثر ما أساء إليه العائلون حتى رجع إنسان إلى خليط لا يبني حين حرم، وأبي أصيل أبى إلا أن يكون له سلطان ـ فحين حرم سلطان الخلافة والقيادة.. أصبح سلطان المدد لكل الأرضين العربية التي ملأت بيوتها المدر بأبناء بيوت الشعر.

إن الدارة الأمان ووجهها المشرق المجلة حريصة على تنمية هذا العشق واجباً عليها ـ شاكرة أن تقوم به غير فاخرة لأن كل فخرها هو في تنمية عشقها.. فالدارة الأمان والدارة المجلة لن تبرز إلا بالعاشقين الذين متعهم الله بالموهبة وزادها رسوخاً بالتجربة والمدارسة والممارسة.

فالكلمة عندي هي أن قلت الإسلام التوحيد والعروبة وحدة والحضارة واحدة والمصير واحد ـ فمن قتل العشق للأممية العربية والأممية الإسلامية أن نجنح إلى انفرادية التاريخ كل شعب يؤرخ لنفسه.. كل شعب يرى أنه صاحب العراقة مع أن العراقة واحدة، والعرق وأعني بذلك.. عرق النسب وعرق السبب فعرق السبب عقيدة ولغة وأرض ومصير، ولعلّ من حسن الحظ أن تكون قيادة الدارة الأمان والدارة المجلة بيد حفيد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ذلكم رئيس مجلس إدارة الدارة معالي وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ..

أحسبني بعد ذلك قد أرحت وجداني حين أشغلت بهذا العشق أو حين هو شاغلني بهذا العشق.

أحمد الله بذكر الذاكرين وشكر الشاكرين، فهو حسبي ونعم الوكيل.

رَجـــاء . . وَشكـــر . .

وتعودت المجلة أن أبدأ فاتحتها بكلمة ليس الغرض منها أن تكون دليلاً لما نشر، وإنما لأن التقليد يقضي بذلك، فأولى البشائر استجابة الأساتذة الجامعيين من أبنائنا يكتبون البحوث ونرحب كل الترحيب بنشرها . .

ففي هذا العدد بالذات حشد من هذه الكفاءات من أبناء هذا البلد ليثبتوا كجامعيين وأهل اختصاص أنهم قد وطنوا أنفسهم على البحث وقد ارتاحت أنفسهم إلى الثقة بهذه المجلة، فهي بهم ولهم . . وعلى صورة أخرى لا نبرئ أنفسنا من الأخطاء ولعلّنا أكثر احتفالاً بنشر التصويب .

فالرجاء من كل قارئ وجد خطأ أن يبصرنا به ننشره فاخرين غير ذاخرين . . أي شيء من الاحتفاء . . فالحفاوة بالصواب أجدى وأكثر نفعاً للمجلة وللقارئ وللكاتب .

أرجو أن يحتفل الأستاذ الباحث صاحب الاختصاص لهذه الرغبة يستجيب لها . . فأبناء اليوم هم المستقبل وما أحراهم أن يشدوا عزمهم في الحاضر لبناء المستقبل فالمجلة أصبح لها من السمعة في الأوساط الأكاديمية ما يشجع على استمراريتها، أذكر ذلك شاكراً لا فاخراً وقد يكون من بعض الفخر حين يذكر في معنى التحدث بنعمة الله، أعينونا بما لديكم فالعون لنا مظهر أما المخبر فأي عون منكم هو عون لكم كمساهمة في بناء الثقافة .

المجلة حفيظة على التراث

ولعلّي أرسل الشكر لكل الذين أعطوا المجلة فرصة النجاح فبهذا العدد تختتم المجلة عامها الرابع ـ وإن نجاح المجلة (الدارة) لإسهام في نشر الثقافة المتخصصة تعتز بهذا الثراء لديها من مقالات العلماء وبحوث المتخصصين كأنما هم وقد تفضلوا بما يكتبون ـ قد جنبوا هذه المجلة أن تتسول المقال ـ فهو عطاء منهم تأخذه المجلة كأنما كلنا في ميدان واحد نعطي المسؤولية حقها، كواجب علينا، ولا أعني بهذا الضمير الجامع جهاز المجلة، أو جهاز الدارة الأمانة وإنما هو الثناء مزيناً بالشكر لهؤلاء العلماء ـ فكم من رسالة نتلقاها مصحوبة بمقال ـ أو طالبة إرسال المجلة إليها من الجامعات والمراكز الأكاديمية ومعاهد البحوث والدراسات المتخصصة.

والمجلة في هذا العدد ترحب حين تتوج ذاتها بالكلمة المجنحة الهادفة ـ تعلن المبدأ والحفاظ والالتزام ـ هذه الكلمة المجنحة الهادفة نقتطفها من حديث صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ـ أدلى به سموه لجريدة الجزيرة (الخميس ٢١ محرم ١٣٩٩هـ) وهي:

(نرفض أن يدخل نور الكهرباء إلى البيت مقابل أن يخرج من النفس نور العقيدة والإيمان، ونرفض أن تروي المياه ظمأ الكبد العطشى مقابل أن

يخرج منها ري التراث والقيم الأخلاقية ـ فتلك في تقديرنا ليست تقدماً حضارياً، وإنما هي انهيار حضاري).

فإنها كما كتبنا من قبل وعن الحديث كله ميثاق الأمناء وأمن الأوفياء، فسموّه ومن وحي المسؤولية مطمئن كل الاطمئنان إلى ترسيخ الإيمان وإقصاء كل مذهب دخيل ـ يجيء الاطمئنان لسموّه من هذا الحديث (لا يجتمع في هذه الجزيرة دينان) فالبشرى له بهذين الحديثين أيضاً، وبقول مأثور ـ ففي الحديث الصحيح: (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) و(إن الإيمان ليعقل من الحجاز معاقل الأروية من رؤوس الجبال) أما القول المأثور، فقد صدقه الواقع في الفتوحات وفي الموجات المعربة وهو قبائل نجد (صخار الإسلام).

على هذه المبادئ تسير المجلة ـ حفيظة على التراث عزيزة بالميراث.

والله ولي التوفيق..

عود على بدء..

لا أريدها إلا كلمة شاكرة.. أتوجه بالشكر إلى الله على توفيقه.. ثم هو الشكر لكل الذين ساهموا في هذا النجاح للمجلة.. إن هذا هو العدد الأول من السنة الخامسة ـ أضعه بين يدي القارئ سواء من أصحاب التخصيص، أو بين الذين يحتويهم الاطلاع على مجلة متخصصة ـ وكم أود أن أجد بين القارئين ملاحظة على ما ينشر.. أكثر من حبي على تلقي الثناء.

فالتسديد هو فيما يلاحظه القارئ كبير عندي كالتسديد بالثناء كلاهما يشد الأزر فالحب للناس أحسبه مقايضة استحللت بها حب القارئين ليس لشخص وإنما للثقافة.. للتراث.. للمستقبل.. فليس بالكثير على هذا البلد.. كان أول الفجر من تاريخه اقرأ.. أن تكون بين يدي أبنائه الصحيفة والمجلة وأن يقتني الكتاب فأمتكم التي كانت أمية أصبحت بالإسلام الأمة القارئة.. فلفظ قرأتها مشتق من القراءة.. لا كما ادعى بعضهم أنها لفظة حبشية، وتاريخكم حفيل بالذين قرأوا الحضارات وترجموها ومثلوها.. فأخرجوا الأنموذج الحضاري منها.. حتى أصبحت أمة الإسلام باللسان العربي باعثة الحضارة الوسيط.. فحضارتكم.. حضارة الأمة الوسط هي التي جمعت القديم فصنعت للدنيا كلها الحضارة الحديثة. فلولا الصفر

والمعادلات الجبرية لما كانت الفيزياء والكيمياء، ولما كان الصعود إلى الفضاء..

هكذا أنتم، وهكذا نسير بهذه المجلة ولعلّها إن امتد لها عمر أن تتطور إلى جامعة ثقافية علمية.

والله ولي التوفيق..

المـؤتمـر الجغـرافـي

جغرفونا كل يوم هكذا.. هذا مطلب إنساني سار به الإنسان من فجر التاريخ ويسير به إلى دهر التاريخ..

لماذا؟؟.. لأن الجغرافيا كعلم.. كمعرفة.. كثقافة سارت مع الإنسان حين بدأ يعرف ما حوله، ما هو فيه ـ ما هو له.. ما هو عليه..

فمعرفة الغابة والطريق الموصل إلى الكوخ والنهر والنهير والوادي والشجرة والإنبات وعوارض الطبيعة كلها كانت من معرفة الإنسان تعرف عليها حتى إذا عرفها شق طريق الحضارة فهذه المعرفة أعني بها الجغرفة يسميها العرب تقويم البلدان ولا أتحاشى أن أسميها من مقومات الإنسان.

واحتفال المجلة «الدارة» بأن تحتضن بحوث المؤتمر التي أعدها علماء الجغرافيا فزودونا بها في أول مؤتمر دعت إليه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

تحتفل بها المجلة ـ تواكب مسيرة الاحتفال بهذا العلم بلقاء مبارك كمؤتمر عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وهذا الاحتفال يعطينا صورة عناية الدولة بهذه المؤتمرات والندوات لا كمظهر من مظاهر التفوق إنما لتصنع به التفوق فقد كان هذا العلم قبل سنوات طويلة أيام كنا نعيش في فرقة إمارات. وإقطاعيات، وقرى تباعد الاتصال بها كأنما الكلمة

الكريمة في الآية الكريمة ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ (سبأ: ١٨) قد تباعدنا عنها فحين تم لهذا الكيان الكبير أن يكون الوحدة تحت راية التوحيد، وتكونت الدولة حذقت كل ما تصنع.

أن تبقى نوازع القرية وفواصل القبيلة، فإذا بنا نسمي الأشياء بمسمياتها فلا ننفر من كلمة الجغرافيا حتى إني بدأت اشتق منها جغرفوا ونجغرف والجغرفة بدل أن كنا بهذا النفور نسمي العلم (الجغرافيا) بتقويم البلدان.

هكذا اتضحت معطيات المعنى الكريم للدولة المتفوقة وللجامعة الناهضة وللمجتمع الواعي يحتفل بالخير ويعمل للإصلاح لا يسأل عن المصدر (فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها).

ولا أدري هل أزعم أن علم الجغرافيا كان كبير الحظوة أم هو قليلها حين توزع إلى علوم شتى فالجغرافيا الطبيعية والاقتصادية والسياسية والسكانية والفلكية كان هذا تقسيمها في الأول يضمها كتاب واحد فإذا بنا اليوم نراها باختصاصات شتى في موسوعات شتى.

فالجغرافيا الطبيعية ـ أصبح منها علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) ـ علم مستقل، والظواهر على سطح الأرض علم مستقل (الجيومورفولوجيا)، ورسم الخرائط علم مستقل (طبوغرافيا)، والاستراتيجية العسكرية علم مستقل تعني به أكاديميات الحرب، والجغرافيا الاقتصادية علم مستقل عن الإنتاج والتوزيع باسم النشاط الاقتصادي، والجغرافيا الزراعية أصبحت علماً مستقلاً، وجغرافيا الصناعة.. علم مستقل، والنظرة إلى السماء (الجغرافيا الفلكية) علم مستقل ـ فالفلك قد يكون فيما مضى من الحضارة العربية قد بلغ المستوى الأعلى والقرآن الكريم قد علمنا البروج ومسيرة الشمس والليل والنهار والقمر ثم علمنا المصير لهذا كله.. تكوير الشمس ـ انشقاق السماء

انفطارها.. كدرة النجوم.. اشتعال البحر.. انتثار الجبال كالعهن المنفوش ـ كل هذا قد احتواه علم الجغرافيا فإذا هو في ظواهر الفلك علم مستقل.

والأنهار منابعها ـ مصباتها ـ مجراها ـ ومعها الوديان قد تكون داخلة في علم الزراعة.. متداخلة في علم الاقتصاد غير خارجة عن طبقات الأرض.. فكم هو جميل وحافل هذا العلم.. الجغرافيا..

لقد عرف الإنسان كل ذلك.. فما زاد اليوم إلا التفصيل ووضع كل قسم مستقلاً على حدة.

كما ينبغي ألا ننسى جغرفة الأماكن والبلدان التي احتفل بها الجغرافي العربي كياقوت والهمذاني وابن بليهد في صحيح الآثار. إن ياقوت في كتابه قد أعطانا الكثير والكثير من أسماء المدن وما إليها، والهمذاني في صفة جزيرة العرب أعطانا الكثير، وابن بليهد كما قلنا أكثر من مرة جغرف الجزيرة العربية من المعلقات السبع وما إليهم كأنما الشاعر العربي جغرف أرضاً، فجاء الوعي يصنع موسوعة من هذه الجغرفة الشعرية..

ويعجبني تسمية تأبط شراً الشاعر الجاهلي حين يسمي الشمس (أم النجوم) أليس هذا العربي الأعرابي كان مجغرفاً!

وعجيبة أخرى يستأهل بها المجد الإنساني قبل الأقمار الصناعية.

لقد رسم المجغرف الأول الخرائط التي بين أيدينا فحين صعد الإنسان إلى الفضاء ورأي الكرة الأرضية بما لديه من وسائل التكنولوجيا لم يغير هذا الإنسان الذي صعد الفضاء، ولا تلك الآلات أي صورة من هذه الخرائط التي رسمت قبل صعوده للفضاء.

فما أعطونا من معلومات تبين لنا أن قارة أفريقيا ليست هذه الكتلة،

ولا أمريكا الجنوبية، ولم يعطونا أي فكرة مغايرة لما هي عليه قارة آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية.

فأي مجد لمن رسم الخريطة بالتتبع والاستقراء.

فإذا هي لا تختلف عن رؤية العين بالآلات الدقيقة.. هكذا أحتفل بالجغرفة أنشر بعض البحوث عنها في مجلة الدارة في عدد خاص مشاركة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في مسيرتها العلمية، اعترافاً بفضلها ومعوناتها.

ولا تفوتني الكلمة الحامدة لما نجده الآن من هذه الخرائط العربية، فقد تعلمنا الجغرافيا على خرائط باللغة التركية.. نجد فيها.. كلمة وادي الحمض باسم وادي الحمد، ونجد فيها كما هو مشهور على الألسنة الآن الربع الخالي أي جزء من أربعة بينما هي الرَّبْعُ الخالي أي المكان الخالي.

والحمد لله.. أسأله التوفيق..

اعتـــذار

ولم يكن انتكاساً تأخير المجلة، وإنما هي أسباب من نواحٍ عدة لا داعي للاعتذار منها أو الألم.. فالمسؤولية لتكون بين يدي القارئ في وقتها قد حددها القارئ نفسه.. يريدها أن تكون بين يديه، لهذا توالت على المجلة الأسئلة والاستفسارات وكلها تعبر عن حرص واهتمام.. تسألنا عن التأخير كأنما القارئ بهذه المواكبة يرسل سؤالاً تلو سؤال، قد وضع نفسه مسؤولاً عنها.. أكثر من جهاز المجلة، وتلك فرصة نأخذها حظوة للمجلة لدى قارئها ـ فلو انصرف القارئ عن السؤال.. لجاء هذا الانصراف قوة من الأسباب التي أخرتها، ولكن جاء بالقوة التي أظهرتها.

وأحسبني بهذا كله في موقف الاعتذار (ومن نوقش الحساب عذب).

أرجو من القارئ الكريم ألا يكون قارئاً فحسب لأني أدعوه أن يكون الكاتب والناقد والموجه ـ فالتلاحم بين المجلة والقارئ يوجب علينا جميعاً أن نكون على هذا المستوى.

وأسأل الله التوفيق..

عَـــام . . وَعـــام

بصدور هذا العدد تختتم مجلة الدارة عامها الخامس لتبدأ بعون الله وفضله اعتباراً من العدد القادم العام السادس من عمرها فتية نشيطة كالعهد بها، وسوف تظل مجلة الدارة بطابعها الأكاديمي وتطلعاتها العلمية ترجمة أمينة لكل جهود الباحثين والمتخصصين من رجالات الفكر والأدب والتراث.

وبهذه المناسبة نجدد عهدنا بباحثينا ومتخصصينا ليواكبوا تزويدنا بأحدث إنتاجهم وما قدموه ويقدمونه خدمة للعلم والفكر فهي بهم ولهم كما أعلن احتفالي بالنقد والآراء البناءة من القراء الأفاضل تعبيراً عن حبهم للمجلة وحرصهم عليها.

وأسأل الله التوفيق.

الدارة في عامها السادس

وعلى بركة الله تبدأ مجلة الدارة عامها السادس لتؤكد من جديد نهجها التخصصي الذي دأبت عليه منذ صدورها في ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ، والموافق مارس.

فقد أمكنها بفضل الله وعونه أن تصدر عشرين عدداً من بينها أربعة أعداد خاصة واكبت بها مناسبات علمية وتاريخية تهم العرب والمسلمين وحين تبدأ عامها السادس يسرها كل السرور أن توضح لقرائها وعشاقها من المتخصصين أنها بصدد إصدار عددين خاصين الأول عن «الأهمية التاريخية للبحر الأحمر» وسيكون هذا العدد في هذا الوقت بالذات إضافة علمية جديدة لمكتبتنا العربية، أما العدد الثاني فسيكون عن «العمارة الإسلامية» بالتعاون مع ندوة جامعة الملك فيصل عن العمارة الإسلامية وسوف يكون التركيز في هذا العدد على العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية.

وأرجو أن تكون هذه المقدمة دعوة للأساتذة والباحثين المتخصصين للمساهمة المستمرة في دعم مجلتهم «الدارة» شاكرين للجميع عونهم وتأييدهم والله الموفق.

إن البحر الأحمر قد أصبح أخطر مواضع الصراع حين جلب بعض المالكين لسواحله القوى الخارجية تتخذ من سواحله مأمناً لأساطيلها كأنما

هو الخطر من هذه الأساطيل قد جلبوه إلى أنفسهم وإلى جيرانهم، وبعض الخير من الشر ينبثق، فلعلّ من ذلك أن يعرف العرب هذا الخطر فيعدوا أنفسهم بقوة تدفع عنهم الخطر (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

فإن كان بعض القوة رباط الخيل فإن كل القوة للبحر الأحمر رباط الأساطيل، وها أنا حين أكتب هذه المقدمة أسمع البشائر بأسطول سعودي تفتتح له قاعدة الملك عبد العزيز بالجبيل وأرجو أن يكون أسطولنا قوة تضاف إلى قوة أخرى للأساطيل العربية كلها تتعاون في حدود التضامن لا في مجازفة فرض الإمبراطوريات فإن الإمبراطورية العربية أصبحت غير ذات موضوع، وإنما هو التعاون والتضامن. ولعلّي أذكر كم كيف نهج صلاح الدين الأيوبي يصنع أسطولاً في البحر الأحمر حين علم بأن الأمير الصليبي (أرنولد) الذي يسميه تاريخنا أرناط قد هدد بأنه سيغزو الحرمين فأعد صلاح الدين السفن وأقسم أن يقتل أرناط بيده، وقد أجاب الله دعوته حين أقسم فإذا الصليبي أسير يقتله الكردي الكركوكي الدمشقي المصري صلاح الدين كأنما هذه النشأة له وهذا الانتساب يجعله يمثل أمة الإسلام وأمة العرب.

إن هذا الخطر في البحر الأحمر أن أسعى أحصل على هذه المقالات بحوثاً أعدت في ندوة أقيمت في مصر وبحوثاً طلبناها، ولولا الإسراع في أن يصدر هذا العدد خاصاً عن البحر الأحمر لكلفنا الكثير من العلماء أن يزيدوا البحوث بحوثاً وإن لم يكن ذلك اليوم فإن غداً لناظره قريب.

وأسأل الله التوفيق..

البحـر الأحمـر

ولست بصدد أن أكتب بحثاً عن البحر الأحمر فقد أكتفي بهذه البحوث التي نشرت في هذا العدد كتعريف مبسط لمكانته وأهميته فإن تشعبت الأحداث حواليه فقد جعلت له أهمية خاصة مع أنه في كل التاريخ ذو أهمية مما تظهره البحوث المنشورة بعد هذه المقدمة وإنما سأكتب تعريفاً لا تنساق به العاطفة إلى حد لا يعقله عقل، فأصدق التاريخ عقل لا يجور على العاطفة، وعاطفة لا تقصي العقل.

إن البحر الأحمر كان أرضاً براً كأنما هو قد جعل جزيرة العرب أفريقية، بل وعلى الأصح قد جعل من شرق أفريقيا أرضاً عربية. كان براً اتصلت به آسيا بأفريقيا فإذا الانشطار يحدث به هذا الخليج: بحرنا الأحمر، وكأنما برزخ السويس قد كان الإشارة أو العلامة لتلك الصلة فحين كان برزخ السويس لا يعد البحر الأحمر إلا خليجاً عربياً، وحين تم فتح قناة السويس أصبح مضيقاً عربياً، لا يملك أي شبر من سواحله الآسيوية الأفريقية إلا أهله العرب، وإن أخذت الحبشة بعض ساحله، فحين كان خليجاً عربياً لم تكن هناك حدود إقليمية داخل البحر تحدد بالأميال، بل كله كان إقليماً عربياً، ولكن قناة السويس جعلته بحراً ترتفق به التجارة العالمية، فهو ممر للتجارة وليس ملكاً لأحد غير أهله.

دعـم المجلـة

وحين يتحدث المسؤول عن أي عمل يشكر نعمة الله عليه ينبغي ألا تساء به الظنون فلا يوصف بالتنفخ والفخار، ولا تشير إليه الأصابع بأنه حين تحدث عن الشكر إنما أراد أن يستجدي ثناء والعمل الذي أنا مسؤول عنه هو كوني رئيساً لتحرير مجلة الدارة فللَّه الشكر على توفيقه فقد كانت الظنون ألا تنجح وأساءت ظنون أخرى تعجب كيف نجحت بقلة من العاملين بها كانت كثيرة بكثرة العاملين لها فجهاز أمانة الدارة حرص وتفضل معالي رئيس مجلس الإدارة الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ بدعم المجلة بأن جعل جهاز الأمانة كلها جهازاً للمجلة فالحرص مني على ذلك والدعم منه أعطى القلة الكثرة فتخطت بذلك العقابيل وارتفعت عن الإرجاف بالأقاويل ولا أراني اليوم إلا مطمئناً إلى أن تكون أمانة الدارة والمجلة ليست جزءاً مستقلاً عن جزء وإنما كلها مؤسسة واحدة تنتظم أعمالها بمجلس الإدارة ورئيس المجلس والأمين العام للدارة فقد كان كما عرفته وكما هو الآن جديراً بأن يعطي الأمانة والمجلة الكرامة التي تليق به من أسرة وارثة لعقيدة السلف وارفة بما أعطت فلا أخاله بحكم الوراثة لأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب شيخ الإسلام إلا أن يكون صاحب يد لا يأخذ بها إلا ما يكرمه، ولا يعطي بها إلا ما يحفظ الكرامة لأمين يدير مؤسسة اسمها يحمل اسم أشرف الرجال بعصرنا الحديث وأقوى الرجال

وأعظم الرجال الملك البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تغمده الله برحمته.

هذا الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز هو الأخ الصديق الشيخ عبد الملك بن عبد العزيز آل الشيخ أرتفع به لأنه لا ينخفض بإهدار القيمة والقيم.

والله ولي التوفيق..

الدارة بين كتابها وقرائها

والكلمة للقارئ تحمل معنى الاحترام له إعراباً عن الشكر للذين يقرأون المجلة كأنما هم يكتبون الحماسة لها وللكاتبين فيها فالمجلة إذا لم تجد قارئاً لن تجد كاتباً فالقارئ يحمل الصفتين.. صفة المستفيد منها وصفة المفيد لها. صفة الآخذ ومانح العطاء وليس ذلك بالجهد القليل ومن الطرافة بمكان أن تكون حاجة المجلة للقارئ مساوية لحاجتها إلى الكاتب فمن ناحية أخرى يتمتع الكاتب بالصفتين أيضاً صفة أنه كاتبها وأنه قارئها فأي شكر لقارئ ما هو إلا الشكر للكاتب.

فأرجو من الكاتبين سواء الذين واصلوا المجلة بمقالاتهم أو الذين لم يتصلوا بها بعد سواء من أساتذة الجامعات لدينا داخل المملكة عرباً سعوديين أو عرباً أخوة لنا من كل قطر عربي فالمجلة وإن كانت عربية سعودية فإنها العربية للعروبة كلها والإسلامية للمسلمين كلهم ولدى المجلة كفرع في مؤسسة دارة الملك عبد العزيز لديها المترجمون فليس لدى المجلة ما يمنع أن نتقبل مقالاً بلغة غير عربية من إخواننا المسلمين ومن الآخرين المستعربين في الأكاديميات ومن أي مكان فالأممية هي من تراث هذا البلد الأم للعروبة والإسلام لا نشذ عنها. فالدعوة إلى التضامن من أول الخطوات في تحقيقها أن تكون المجلات والصحف والجامعات حافلة بهذا

المبدأ لا ترفض ما يصلح لتقبل كل كلمة أو سعي يتحقق به الهدف فالمجلات والصحف والجامعات وكل وسائل الإعلام والندوات والمؤتمرات كلها مجامع يجتمع فيها المثقفون مباشرة في مواجهة أو غير مباشرة فيما يتبادلون من رسائل يكتبونها ليقرأوها.

إن هذه المجلة بهذا العدد قد أكملت السنة السادسة لتبدأ بعون الله سنتها السابعة مطمئنة لأن تحقق في مسيرتها ما يصبو إليه القائمون عليها وفي مقدمتهم معالي رئيس مجلس الإدارة فضيلة الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي، وأمين عام الدارة، الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ.

فما يجيء منهما من عون للمجلة إنما هو الالتزام والإلزام لا بحكم الهيمنة كعمل إداري وتوجيهي وإنما هو منهما أداء ما توجبه الثقة وما تحتمه الوراثة وما يتمتع به كل من يصون التراث.

إن المجلة تتقدم بهذا الشكر بعد حمد الله على توفيقه والله الهادي إلى سواء السبيل.

الـــدَّارة والتُـــراث

ولعلّ المجلة تشعر بغبطة سواء من الذين كانوا لها كاتبين فيها أو من الذين كانوا بها قارئين لها.

إنها بهذا تدعو كاتبها وقارئها أن يدخرها علامة من علامات التراث لأنه إن لم يبن لبنات في هذا التراث فقد يجيء من يصنع بها بعض ما يتحلى به قسم من التراث.

لأن المجلة تعتقد صادقة أن التراث هو التاريخ وما بقي من أعمال التاريخ إنما هو مصنوع من التراث ليكون أجمل ما يصنعه الرجال هو أن يكون الميراث عنهم تراثاً لكن المؤسف هو أن الانفرادية بالتاريخ استغلوها لتكون هي السبب في هذه الانفرادية بينما هي حتم الأصالة في الأممية فالأمة العربية واحدة تراثنا واحد صناع تاريخها إن ذكروا آحاداً فإنما البطولة فيهم هي المكوّنة للوحدة في قيمة البطل صنع لأمته جزءاً من التاريخ فمن هنا قد تقتحم المجلة بعض العراقيل لتجعل من التراث زاداً للمثقف ولتجعل من المثقف منحة التزود والزيادة لهذا التراث قيمة يصنعها وتقييماً يصنعه. ولعلّها وإن احتفلت برأي ناقد أو مخطئ فإنها تفرح بالنقد وتحتفل بالخطأ يهديها إلى صواب أما بعض ما قد يقال من أنها تاريخية علمية تراثية أكثر فإن ذلك هدفها وهذا ما خطط لها فنسبتها إلى دارة أكاديمية تحتفل بالتراث

والتاريخ تحتم عليها أن تكون على هذا الوضع ولهذه الموضوعات أما التطرية وما إلى ذلك فليطلب في مجلات أخرى. ولو أن بعض الأكاديميين من أساتذة الجامعات ومن إليهم أبدى لنا ملاحظة لاحتفلنا بها ذلك لأنها بهم ولهم ومنهم فالحمد لله على توفيقه وعلى الله قصد السبيل.

عَتـــب

الحمد لله على توفيقه، ولست بصدد أن أذكر شيئاً عن المجلة، ولكني بصدد أن أذكر بها أهلها الكتّاب والباحثين من أبناء ترابها، فهل أصرخ في آذانهم لأقول:

إذا عقك الأدنى الذي أنت حزبه فواعجبا أن سالمتك الأبعاد

أو أصرخ مرة ثانية فأقول:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

فأنا لا أصرخ من عقوق يوجه إلي، وإنما أصرخ من بعض الظلم قد يكون وصل إلى أحدهم كنت الشريك فيه.

قالوا نتصارح هل هو قلة أجر المقال: قولوا لنا لنتصرف مع أني أجلكم عن كل ذلك، أم هو تأخر النشر فهل ترون إذا ما تعهدتم أن ترسلوا المقالات والبحوث أن نكثر من أعداد المجلة فبدلاً من أن تكون أربعة تكون ستة. قولوا لنا لنتصرف.

هذا عتاب محمود عواقبه الحب باعثه، والفخر بكم دافعه والتقدير لكم وازعه والرجاء فيكم هو النافع لنا بل والنافع لكم فلا خير فينا إذا لم يكن كل واحد منا المرجى المأمول فيه.

لدينا كثير من المقالات لغيركم ولكن اليوم لم أجد إلا القليل مما كتبته أقلامكم. دعوة ملحة وأسأل الله أن يتم عليكم نعمة التوفيق، وأن أعيش فترة يشرفني أن كل عدد من مجلة الدارة ملآن ملآن بأقلامكم، وتحية لكل ذرة من ترابكم.

الاحتفال بمرور خمسة وعشرين عاماً على إنشاء جامعة الملك سعود

كلمة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز..

أحمد الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تحصى ومنها نعمة العلم والمعرفة، وأصلي وأسلم على نبيه الكريم، الذي لا ينطق عن الهوى، القائل «أدبني ربي فأحسن تأديبي» والموصوف في محكم التنزيل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

أما بعد، فإنها لنعمة كبرى أن نرى هذا المستوى الرفيع الذي وصلت إليه جامعة الرياض التي هي أولى جامعاتنا ومنبع فخرنا واعتزازنا لأنها تمثل التطور الحقيقي لمملكتنا. فلقد بدأت بعدد ضئيل من الدارسين بلغ واحداً وعشرين طالباً اجتمعوا في كلية واحدة هي كلية الآداب، ثم أصبحت الجامعة الآن مكتظة بما يزيد على سبعة عشر ألف طالب وطالبة في أربع عشرة كلية ومعهداً. وإنه لمما يبعث في النفس الغبطة والثقة أن نرى بلادنا قد ضمت سبع جامعات، تسير كلها في خطى حثيثة نحو الكمال والرفعة، حتى صارت مملكتنا قبلة للعلم والعلماء، وما ذلك إلا بفضل الله ثم بفضل اتباعنا لما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وإنه لمن دواعي الغبطة والسرور أن نجد أبناء هذه الجامعة يتقلدون

المناصب ويضطلعون بأعباء التنمية في أوجه النشاط والمجالات كافة، آخذين على عواتقهم، مع إخوانهم أبناء هذا الوطن، مهام تحقيق أهدافنا في رفاهية المواطن، ورفعة شأن الوطن، وتقوية أركانه على أسس من الإيمان والعلم والعمل المخلص.

ولقد لمسنا عن قرب مدى ما وصلت إليه الجامعة في مجال البحث العلمي، والمشاركة المتطورة في المجالات العلمية في الداخل والخارج، بما يتمشى مع النهضة التي ننشدها لوطننا الحبيب، وبما يوصلنا في تبصر وحكمة إلى الهدف المنشود وهو رفاهية شعبنا ورفع مستواه إلى مصاف الأمم المتقدمة.

إن احتفالنا اليوم، هو احتفال بمسيرة العلم المشرقة في دوحة من دوحات المعرفة، تلك المسيرة التي وضع بذرتها مؤسس هذه المملكة والدنا المغفور له جلالة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه. فتحية للعاملين في هذه الجامعة، وتهنئة على ما قدموه وما تفخر به من عطائهم الطيب ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ (التوبة: ١٠٥).

وفق الله الجميع في مسيرتهم على طريق الخير والنور.

خالد بن عبد العزيز آل سعود

كلمة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

لقد حقق الله الآمال بانتشار العلم على أرفع مستوى، فرأينا الجامعات تنتشر في ربوع بلادنا، وإنه لمن نعم الله الكبرى التي أنعم بها علينا أن أصبحنا اليوم نرى ما وصل إليه صرح من صروح العلم ومنارة من مناراته في بلادنا العزيزة، ونعني به جامعة الرياض، التي كانت أول جامعة أمدتنا بالشباب الواثق بنفسه، المؤمن بربه ثم بوطنه وأمته، المتسلح بسلاح العلم والإيمان.

إن اغتباطي بهذه الخطوات الواسعة التي حققناها في مجال العلم إنما هو نابع من شعوري بأنني أول من تشرف بتولي أول وزارة أنشئت للمعارف في عام ١٣٧٤هـ، فكان من أهم أهدافي آنذاك إنشاء جامعة تكون قبلة للعلوم بأنواعها المختلفة، وركيزة من ركائز البحث العلمي قائمة على أسس من العقيدة الصحيحة، مستجيبة لطموح أبناء هذا البلد، وقد تحقق الهدف ولله الحمد على أفضل مما كنا نؤمل، وما ذلك إلا بفضل الله ثم بفضل الرجال الذين نذروا أنفسهم لتحقيق هذا الهدف، وإن زيادة عدد المتخرجين

في كل عام لهو خير دليل على أن النهضة التعليمية تسير بخطى واسعة لتحقيق المزيد من الرخاء لهذا البلد، وهو رخاء قائم على أسس من التخطيط العلمي السليم، وقد بدا واضحاً في تنوع التخصصات حسب الحاجة إليها في خططنا لتطوير بلادنا وتنميتها.

وإنه مما يدعو إلى الاعتزاز والفخر أن أصبح لدينا اليوم عدد وفير من أعضاء هيئة التدريس السعوديين، يكنون لبلادهم الحب والتقدير، ويبادلونها العطاء بقدر ما بذلت لهم وأعطتهم بسخاء فكانوا أوفياء مخلصين في اجتهادهم، ليصلوا بجامعاتهم إلى المستوى الذي ينافس أرقى الجامعات في العالم.

وإنني لأرجو من الله عز وجل أن نحتفل في السنوات القادمة بجامعاتنا الأخرى، وقد جنينا منها أطيب الثمار، وأعطت عطاء يشد أزر مسيرتنا ويدفع بنا إلى الأمام خطوات نكون فيها القدوة الحسنة في كل مضمار، تحت قيادة وتوجيه مليكنا المفدى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله. وهنيئاً لجامعة الرياض مسؤولين، وأعضاء هيئة تدريس، وطلاباً بما حققوه لهذا الوطن الغالي. زادهم الله تقدماً ونجاحاً. وبالله التوفيق.

فهد بن عبد العزيز آل سعود

تعليق رئيس التحرير

واستقام التاريخ فلا ثغرات ولا فجوات فحين أعلن وزير التعليم العالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ أمر الملك خالد يعيد إلى جامعة الرياض اسمها الأول الذي أطلق عليها يوم أنشئت (جامعة الملك سعود).

ولم يكن ذلك تكلفاً ولا انقياداً غوغائياً وإنما كان كل فرد قد امتلأ وجدانه ليس بالوفاء فحسب ولا باللفتة الحانية فقط. وإنما كان ذلك قراراً يضع الأمر في نصابه يعلن أن الدولة تريد أن يستقيم التاريخ وأن يتوحد الجمع في الأسرة الواحدة الكريمة كأنما القرار صدر به هذا الأمر دعوة لأن تكون في هذا الكيان الكبير مطلباً قومياً ودعامة دينية وترسيخاً تاريخياً.

فالملك سعود يرحمه الله ابن هذه الأسرة المالكة. كان هو الرياض وكانت الرياض هو. كما هي نوازع هذه الأسرة الملكية فالكيان الكبير كله هي وما هي إلا الحفيظة على قيم هذا الكيان الكبير.

إن الملك سعود كان حريصاً على أن تكبر الرياض بالعمران فإذا هو يجد من كل من حوله. ومن كل من معه. العون والرغبة في أن يتوج عمران الرياض بأول جامعة تنشأ في الرياض وكان لزاماً أن يطلق اسم جلالته عليها. صرخة الحق في أن يكون للجامعة اسم تعرف به كما أن تأسيس جامعة الإمام محمد بن سعود صاحب السيف في نصر الدعوة.

صرخة حق تعطي لجد هذه الأسرة حقه في أن يذكر اسمه على مدى التاريخ.

لقد كان الملك سعود شديد الرغبة في أن يتم عمران الرياض فكانت الحلية على هذا البناء ـ الجامعة.

وجاء الدور العظيم للملك فيصل فإذا الجامعات تترى واحدة بعد الأخرى يدعم الجامعة الإسلامية في المدينة، يؤسس جامعة الإمام محمد ابن سعود، يؤسس جامعة البترول والجامعة التي باسمه في الأحساء.

إن الملك فيصل قد وضع الأسس لأن ينشر العلم وكيف صابر فأنشأ مدرسة الثغر والمدرسة الأولى للبنات لقد كان شغوفاً أن تكون جامعة حريصاً على أن تصبح جامعات.

أما الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد فقد كان كثير الاحتفال شديد العناية والرغبة في أن ينشر العلم في كل بقعة من الكيان الكبير فمن حظ هذا البلد أن كان هو الوزير الأول للمعارف فلئن أسس الملك سعود والملك فيصل ما أسَّسا من الجامعات والمدارس فإن الأمير فهداً قد أعطى كل جهده لأن يرتفع البناء ولأن تنشر المستشفيات فلا تجد بقعة في هذا الكيان الكبير إلا وفيها المدرسة من الألف إلى الياء.

وجاء الملك خالد صادق النية حسن الطوية لم يقل لأي خير (لا) فوضع حجر الأساس للجامعة تعانق الرياض الدرعية دعم الجامعات فإذا هو يبرز كريم خلقه وحبه لمكة أن يؤسس فيها جامعة أم القرى. كل هؤلاء لم ينسوا أن أباهم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن يرحمه الله قد أقام لهم الوحدة الأنموذج.

تـوجـــه

وهذا العدد الرابع الخاتمة للسنة السبعة التي عاشتها المجلة. ولم تكن السنون السبع سنوات عجافاً، ولم تكن في الوقت نفسه سنوات سماناً، فقد كانت بين بين. فالخروج من المصاعب يلزم بالاستعداد إذا ما وافته العدّة فمرحباً ببعض ما لقيت المجلة من مواقف صعبة في الطبع والإخراج وما إلى ذلك وإنها لشاكرة أن هوّن عليها ذلك الصعب احتفال الكاتبين والباحثين فقد أشبعوه بما كتبوا حتى إنها عجزت عن التقاعس فالعجز عن العجز قوة وقد لبسته المجلة قوة امتد بها زمنها واشتد به عودها حتى إنها قوية التفاؤل إذا ما دخلت سنتها الثامنة بأن تسير كما سبق لها على صورة أقوى. لا تدخلها سنوات سمان وإنما تمنعها أن تطغى عليها سنوات عجاف.

فليست السنوات السمان والسنوات العجاف من قلة التموين والتمويل وإنما من قلة العناية بها مجلة تخدم غاية هي أن تكون الدارة الكل تؤدي الهدف الذي أسست من أجله.

إن الدارة المجلة جزء من أمانة الدارة الكل قاومت أن أفصلها عنها وأقمتها أن تكون في الرياض، رجوت أن أزيح من نفسي رغبة أن أكون في جدة فالدارة الأمانة مقرها في الرياض وليس لها مقر آخر، والمجلة جزء

منها وأعود إلى السنوات السبع فكم هي من الأسرار في هذا الرقم كأنما هو رقم البركة أو الكمال أو رقم الكثرة، فأي قارئ يتتبع هذا الرقم يجد فيه ما ذكرت حتى إذا أردت أن تضيف رقم ثمانية تقول سبعة وثامنهم كلبهم يجب أن تفصل بين سبع وثمان بالواو بينما لو قلت ستة سابعهم كلبهم فأي سر في اللغة الشارعة أوجب ذلك؟

لا أذكر هذا تظرفاً وإنما هي دعوة لباحث أن يشبع هذا الموضوع في بحث تنشره المجلة.

ولا يسعني إلا أن أحمد الله على توفيقه...

أريد.. وَأريد.. وَأريد..

وما كدت أحمد الله على جزيل ما أفاء علينا من نعمه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (إبراهيم: ٣٤) والنعمة التي أنا بصددها، هي أن هذا العدد هو العدد الأول من السنة الثامنة، ولا أريد أن أطيل، بل أجدني ومن أجل المجلة وكاتبها وقارئها، أطلب أن تتوالى البحوث والمقالات مما عرفت المجلة به، غير أني هذه المرة أحدد المطلب.

أولاً: أريد بحثاً يؤرخ ويجغرف لقوم «عاد» وما جاء في الأسفار أو الأساطير عن «إرم ذت العماد»، وعن «الإعصار» الريح الصرصر التي أهلكهم الله بها، وهل هم من نسل «قحطان» أم من نسل «سام».

ثانياً: كما هو المطلب عن «ثمود» وفي خيالي أن «ثمود» جاءت بعد «عاد»، فهل هي «قحطانية» أم «ثمود» جد مستقل هو وعاد عن قحطان، فإما «لأرفخشد» أو «لسام بن نوح» عليهما السلام.

أرجو أن يؤرخ لهم وتجغرف المنطقة كلها، وهل كان «جون فيلبي» على حق عندما سمى المنطقة (مدين أو أرض الأنبياء) وما علاقة سلع البتراء في الأردن بحجر ثمود، هل الطراز واحد، وأيهما الأقدم؟

ثالثاً: وأريد أن نؤرخ للأنباط أصحاب «الرس» ولبعض الآبار التي لا تزال موجودة في أرضنا العربية، وهل اسم «الرس» في «القصيم»،

و«الرس» في شمال المدينة له ارتباط بالأنباط، فهناك كذبة تنسب الأنباط إلى الفرس، ولا بد من التصحيح، ولعلّي أحفظ قولاً «لابن عباس» رضي الله عنه، أنه قال: (نحن من ولد النبيط)، يعني أنه من ولد «إبراهيم» أبي الأنبياء عليه السلام، فهل كان «الكلدان» هم الأنباط أو قبيل منهم؟

ونحفظ سؤالاً «لخالد بن الوليد» رضي الله عنه، فقد سأل «عبد المسيح» يوم فتح «الحيرة» صلحاً، قال خالد لعبد المسيح:

ـ هل أنتم عرب أم نبيط؟

فقال عبد المسيح:

ـ نحن عرب استنبطنا، وأنباط استعربنا.

وأريد كذلك بحثاً عن «طسم وجديس»، و «زرقاء اليمامة» يعني عن بعض التاريخ من كل التاريخ ليعلم أننا أبناء ماضٍ.

أسئلة أو رغبات أطرحها لعلّي أجد من يستجيب، فليس لدي من الجهد، ولا من حصيلة العلم ما يجعلني واحداً من الذين سألتهم، وحسبي أن أكون قد حققت هذه الرغبة لي ولكم أيضاً.

والله ولي التوفيق..

حَسرَة . . وَحَسرَة . .

وهذا العدد الثاني من السنة الثامنة من «الدارة» فالحمد لله على توفيقه. وأمام الحسرة مرتين ينبغي لمن كان على ثغرة ألا يجفل من الحسرات وأن يقتحم المعوّقات: فالحسرة الأولى قلة الباحثين إن لم تكن على نطاق أوسع في العالم العربي كله فهي على نطاق متسع لدينا. كأنما نحن قد ابتدأنا ولم نبدأ! تلك مرحلة أرجو أن يتم فيها الاستعداد للإعداد. والحسرة الثانية هي قلة القارئين في الأمة العربية كلها كأنما القارئ هو المثبط الأول للباحث.

سألني فتى صيني سمعتك تذكر صن يات صن فهل قرأت عنه؟ قلت: لقد قرأت القليل، فالعربي يوم كان يصنع الحضارة الوسيطة امتدت علاقاته بكل الحضارة القديمة. لم يجف الصين واقترب من الهند وعانق اليونان لكن العربي اليوم فعله ردّ فعل، لا يصدر إلا عن الانفعال، والثقافة التي يقرؤها يعرفها يهضمها، يمثّلها، جلها ليست من صنع العربي للعربي، إلا أن تكون تراثاً، وإنما هي مصنوعة معلبة يتجرعها جرعات من بعض الترجمات أو إذا ما تجلْنز أو تفرنس أو تأمْرك، فلا تجد باحثاً عربياً يصل علاقة التراث الحضاري بالأصول التي أخذها فهضمها فأرسل الحضارة الوسيطة.

لا صلة مع الصين، ولا مع الهند، ولا مع الإغريق. بل إن المحزن

أنه كاد يقطع الصلة بين حاضره الآن وماضيه وقليل عندنا من أخذ الدكتوراه في بحث عن ابن عباس أو عن جابر بن حيان أو عن ابن سينا أو عن المقارنة بين المعري ودانتي، بين نيتشه والمتنبي إلى آخر ما هو أكثر من ذلك وأعمق وأجدى نفعاً، وأكسب للمجد.

من هنا أطرح على الذين أنعم الله عليهم بالشهادات العليا أن يمدونا ببحث عن القبلية في الأمة العربية وهي أشد ما تكون في جزيرتنا: ما عيبها؟ ما مزاياها؟ وهل هي أفضل من الطبقية والإقليمية؟ ولكي أوضح السؤال لم تعد في العالم العربي قبلية وإنما هي الإقليمية والأشد ضرراً من الإقليمية الطبقية ولا أعني الفرق بين الغني والفقير، ولا العربي العرق والعربي الاستعراق، وإنما أعني بذلك ـ في بعض الأقاليم شرق السويس ـ الفرق بين طبقة عليا امتلكت السيادة زمناً طويلاً (بيوتات) وطبقة محتقرة سلَّطوا عليها أن تكون خادمة مسترذلة فأصبحت الطبقة الارستقراطية تنوب بالاتكال على القيمة والمكانة. وابتعدت عن القيم فسخّرت الطبقة المحتقرة فإذا الزمن وفطنة الاستعمار أعطت لهذه الطبقة المحتقرة أن يدخل أبناؤها المدرسة، أن يتقدموا بما تعلموا، فأمسكوا بالزمام يمارسون الانتقام، لا يسألون إلا عن مكانتهم التي أمسكت بزمام السيادة، فاحتقروا السادة انتقاماً فإذا الأمة العربية تلقى أشد الخسارة، ولا بد من الثناء على سلوك الدولة العثمانية في هذا النحو فإنها حين أرادت أن يكون من أبناء العرب ضباط في جيشها لم تأخذ إلا من أبناء البيوتات وأصحاب القيمة. أما فرنسا وإنجلترا فسلكوا غير هذا الطريق، أرجو من الباحثين أن يتوفروا على المقارنة بين العهد القبلي والعهد الإقليمي والعهد الطبقي.

رَسْ . . وَرسْ . .

وَألزمت نفسِي أن أكتُبَ كلمِةً أفتَتِح بِهَا العَدَد وَفي هَذه المّرة سَأتجنّبُ ذِكر المجلّة بكلِمةٍ حَامِدَةٍ شَاكِرةٍ وَإنّما أذكرها كوعَاء ثَقافي أحبُّ لهُ ألاّ يفوتُه شيء مِن روَافد التراث والثقَافة. فالمثقَفُون لدَينَا كثُيرون أرجُو أن أستكثر بِهِم أكاثِر وَأفاخِر لاّ أحِبّ أن تنفرِدِ شِيَبان بِهَذَا اللقب وَالمطلَب الذَي أريدُه هو بحوث متعدّدة و بَحث شَامِلٌ عن الإنسان الذّي سَكن نجد قبْل العدْنانيَّة فهَل أجدُ عِندَ المثقّف بحثاً يشرَح فيه تاريخ طِسم وجِديسِ وَزرقَاء اليمامَة وَهَل سَكن الأنبَاط نجداً وَهمُ أصحابُ الرّس فسمِّيت مَدِينَة الرّس في القصيم باسِمهم أو باسم الآبارُ الّتي حفروها هناك فلا زلَنا ننطقُ اسمَ البئرْ الرِّس بكسر الرّاء المشَددة بَيْنَما الفصحى تنطقها بِفَتح الرّاء المشَدَّدة وعِندَنا في الكيان الكبير رسَان رس القصيم ورَس في شَمال المدينَة جهَلت حدوده وَأين هو؟ وَإن حفظت اسمَه، حفظت ذلِك حِينَ نسبوا بَعض العلويّين مِن الأشرَاف فقالوا الأشراف الرّسيون أرجو مِن أساتذتنا فِي الجامعَات ومِن غيرهِم أن يوَافوا المجَلة بمَا طلبَت وَلا أريدُ أن أزيد.

وَثيقـــة هـامـــة . .

وَمن خط المجَلة حرصُهَا أَلا تنشر مَقالاً نشر في غيرهَا، وَمن تقاليد المجَلّة أن تعنى بالوثائِق؛ فالعنَايَة بالوثيقة قد دعتني أَن أَنشرُ أسمَاء الأبطال الذّين رَافقوا الإمام البطل السّلطان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سُعود هؤلاء الذّين رَافقُوه في اسْترجَاع الرَياض فأسَّسُوا قاعدة هَذا الكيَان الكَبير: «المملكة العربيَّة السّعُوديَّة» فقد كانُوا سيوفاً في يَد المُجمِّع الموحِّد صَانع الوحدة الأنُموذج عبد العزيز، تغمدَه الله برحمته.

إنّ هؤُلاء السبعة والأربَعين أعتبر نشر أسمَائهم في المجَلة وثيقة، حِفظاً للتَاريخ وتقديراً للأستاذ سعد بن عَبد العَزيز الرّويشد الصّديق الذّي تعلّمت منه كثيراً، فقَد كان إذَا تحدَّث تأخذه عاطفَة شامخة كأنّه قد تقمَّص بُطولة هَؤلاء الأبطال، لم يصْنع ذلِك تظَاهراً أَو تظرُّفاً، وإنما صَنع ذلِك حباً لأرضِه، صَوناً لتراثه، عشقاً لما وَصلنا إليه. وَلقد مَضَى وقت على مثلي ـ وقد كلفت برئاسة تحرير المجَلة وكلفت بتتبع تَاريخ البَطل ـ فعرفت بعضاً من هَذه الأسمَاء المجلّلة بغرة النَصر. كانوا خيلاً عَلى غير خيل، وكانُوا قلّة في العدّد كثرة في المدَد، حبّهم لعبد العزيز لم يُفْرَض عليهم وإنما هو حبّ عبد العزيز لهم عَطاء بعطاء. رجَال عَيشهم التّمر، ودَفؤُهم الجَمْر، وفطرتهم أن يطلُبوا النصر حمَاية لعقيدَة، استرجَاعاً لحق، فوجدتني أنشرُ

أسماءَهم في مجَلة الدارة وثيقة يعلمها القاصي والدّاني.

إِنّ سَعد الرويشد كان واحداً من الذين حفظوا فلم يبخل، وأمد الله في عُمره حتّى يجُود، ومضى غيره من العَارفين علمنا منهم بعض ما تناثر في أحاديثهم ويؤلمنا أن مَا يعرفونه لم يُدَوَّن، ولعَل بعضه قد دُوّن وما زال في الخفاء فأرجو ممن عنده مثلما عند سَعد الرويشد عن تاريخ عبد العزيز أن ينشره فليس هُناك معنى للتخفية، ولا مجَال للخوف، فالخوف أن يذهَب بعض العلم الذي يشرف به تاريخنا أمام التلجلج أو باللجَاجة.

أنشر ذلك وثيقة تاريخية رغم أنها نشرت في جريدة الجزيرة في العدد ٣٧٢١ بتاريخ ١٢ صَفر ١٤٠٣هـ الموافق ٢٧ نوفمبر ١٩٨٢م.

أقتصر على نشر الأسماء كما حدّدها الأستاذ سَعد الرويشد، يرحَم الله الجَميع:

١ ـ الأمير محمّد بن عَبد الرّحمن آل فيصَل آل سُعود (توفي بالرياض عَام ١٣٦٤هـ).

٢ ـ الأمير فهد بن جَلوي بن تركي آل سُعود (قتل عام ١٣٢٠هـ في وقعة مع قحطان).

٣ ـ الأمير عَبد العزيز بن جلوي بن تركي آل سعود (قتله ابن عجل صبراً في معقلا الماء المعروف بين الرياض والكويت عام ١٣٢٤هـ).

٤ ـ الأمير عَبد الله بن جلوي بن تركي آل سُعود (توفي في الأحساء عام ١٣٥٤هـ).

٥ ـ الأمير عَبد العَزيز بن مَساعد بن جلوي بن تركي آل سعود (توفي عام ١٣٩٧هـ وهو آخر من توفي من المرافقين) بالرياض.

٦ ـ الأمير عَبد العزيز بن عَبد الله بن تركي آل سُعود (توفي بالأحساء عام ١٣٥٦هـ).

٧ ـ الأمير فهد بن إبراهيم بن مشاري آل سُعود (قتل في وقعة البكيرية عام ١٣٢٢هـ).

٨ ـ الأمير عَبد الله بن سُعود بن صنيتان آل سُعود.

٩ ـ الأمير ناصر بن سُعود بن فرحَان آل سُعود.

١٠ ـ الأمير سُعود بن ناصر بن فرحَان آل سُعود.

١١ ـ فهد بن عَبد العزيز بن معمر (من كبار المعامرة أهل سدوس قتل عام ١٣٤٠هـ بالقرب من بلدة حَائل).

١٢ ـ صَالح بن سبَعان (من أهل الرياض جرح وقت الاحتلال).

١٣ ـ سعيد بن بيشان (من أهل الدرعيّة).

١٤ ـ مطلق بن عجيبان (من أهل الريَاض).

١٥ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن النفيسي (من أهل الرياض جرح وقت الاحتلال).

١٦ ـ مسعود آل مَبروك (من أهل الريَاض).

١٧ ـ سطام أبا الخيل (من قبيلة الجبلان مطير).

١٨ ـ زيد بن محمد بن زيد من أهل الرياض (قتل وقت الاحتلال).

١٩ ـ فهد بن الوبير (من قبيلة العجمان قتل وقت الاحتلال).

٢٠ ـ حزام بن خزام العجالين الدوسري (من أهل الأفلاج).

٢١ ـ ثلاب بن حَمد العجَالين الدوسري (من أهل الأفلاج).

٢٢ ـ عبد الله بن شنار الدوسري (مِن أهل الأفلاج).

٢٣ ـ عبد الله بن عسكر الملقب بالسيّد (من أهل الريَاض).

٢٤ ـ معضد بن خرصَان (من آل شامر آل شايقة العجمان).

٢٥ ـ عبد اللّطيف المعشوقُ الملقب بالشليقي (من أهل الرياض قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ وهو حامل الراية).

٢٦ ـ فهد المعشوق (من أهل الريَاض).

٢٧ ـ محمّد المعشوق الملقب أبو عبيد (من أهل الريَاض).

٢٨ ـ عَبد الله بن صَالح بن مشخص الملقب عويبيل (من أهل الرياض قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ).

٢٩ ـ يوسف بن صالح بن مشخص أخو عويبيل (من أهل الرياض قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ).

٣٠ ـ مسلم بن مجفل السبيعي (من الصملة سبيع قتل في وقعة الطرفية عام ١٣٢٥هـ).

٣١ ـ سعد بن عبد الله بن عبيد (من أهل ملهم).

٣٢ ـ سَعد بن بخيت آل تركي (من أهل الرياض) والده بخيت مولى للأمير تركي ابن الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي.

٣٣ ـ عبد الله بن عثمان الهزاني (من بني هزان أهل الحريق).

٣٤ ـ عبد الله بن حسين بن جريس (من أهل العمارية).

٣٥ ـ ناصر بن عبد الله بن شامان المليحي (من أهل العمارية).

٣٦ ـ محمد بن هزاع (من أهل الدرعية قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ).

٣٧ ـ خليفة بن بديع (من أهل الدرعية).

٣٨ ـ عبد الله بن خنيزان (من أهل الرياض).

٣٩ ـ منصور بن محمد بن حمزة (من أهل الرياض قتل في بلدة ثرمدا في سرية مع عبد الله بن جلوي عام ١٣٢١هـ).

٤٠ ـ منصور بن فريح (من موالي الملك عبد العزيز قتل في البكيرية عام ١٣٢٢هـ).

٤١ ـ محمّد بن شعيل (من أهل الدرعية).

٤٢ ـ مطلق المغيربي (من أهل الرياض).

٤٣ ـ ماجد بن تركي بن مرعيد (من قبيلة الظفير وهو حليف للجمالين سبيع).

٤٤ ـ فرحان آل سُعود (من موالي آل سعود).

٤٥ ـ فيروز آل عبد العزيز (من موالي الملك عبد العزيز).

٤٦ ـ مناور العنزي (من قبيلة عنزة).

٤٧ ـ نافع الحربي (من قبيلة حرب).

أمـــــل . .

وَالمجَلّة إذ تبدَأ عامها التّاسع تضع نفسهَا أمام قارئَها في حلّة جَديدةٍ تسَاير التطوّر وتلبيِّ مَطالب القارئ كاتباً والكاتب قارئاً. فقد أرادوا لها أن تكون مجلّة تعطي ما ينشر كلّ العناية، فاتجهت هيئة التحرير إلى هذا التخطيط الجديد. فهيئة التحرير أصبحت وقد اتخذت صفة الحكَم وحتى سلطانه مدعوة أن تواكب هذا التطور، وأيما مسيرة لعملٍ سَبق له النّجاح ويرجى له نجاح أكثر ينبغي ألا يجمد عَلى صُورةٍ واحدةٍ بل يخوض التجربة بعد الأخرى، فما صَلح يَبقى كأنموذج، ومَا ثبت أنّه غير صَالح يعدل عنه.

من هنا أجدني شاكراً مسيرة المجَلة في أعوامهَا الثّمانية، ولعلّي أضم إلى الشّكر شكراً إذَا ما نجَحت التّجربة وأُطمئن الذين أرادوا لها ذلك كإضَافة نجاح إلى النجاح.

والله من وراء القصد،

وحدة الأثر تعني
وحدّة الأرض والأمة

بسم الله الرحمن الرحيم: وهذه فاتحة العدد (الثاني للسنة التاسعة) أضعها أمام القارئ بعد التحية له عن موضوع وضحه العنوان وأرجو أن يحقق يقيناً بالبرهان.

ولقد كتبت كثيراً أدعو إلى إسقاط انفرادية التاريخ فإذا ما دعا شعب عربي من هذه الأمة الواحدة إلى أنه صاحب حضارة مستقلة تختلف عن حضارة شعب عربي من قومه من أمته. فإنه بهذا الفخار أو بهذا الاستئثار إنما يدعو إلى شعوبية داخل الأمة في وحدة تاريخها وفي وحدة أرضها.

كتبت عن هذا كثيراً ودعاني أن أكتب اليوم ما سمعته من أستاذنا الأثري جمال مختار. الذي عرفته حين سمعته أستاذاً في جامعة الملك سعود. فلقد تحدث في صوت العرب عن (الجعارين) التي وجدت في الحفريات حين تولت الجهة المختصة في جامعة الملك سعود خطواتها الأولى في التفتيش عن الآثار في الدمام، كما صنعت الجميل وقدمت البرهان في حفريات (الفاو) ما كنت إلا واحداً من الحامدين الشاكرين لصنع جامعة الملك سعود، ولما بذله الابن الدكتور عبد الرحمن الأنصاري وما يبذله الابن الدكتور عبد الله المصري وزملاؤه.

إن أستاذنا جمال مختار سمعته يقول: لقد وجدنا (الجعارين) في حفريات الدمام ويفسر وجودها بأنها ما وجدت إلا حينما جلبها التجار ويعني بذلك أنه ينفي وجودها في جزيرة العرب أوثاناً عبدت فهو يراها تحفاً تجارية مع أنها في نظري أعني (الجعارين) لم تكن إلا من وثنية (الفراعين) فالفراعين كما ألَّهوا (البس، والعجل، ألَّهو الجعارين) إن هذا النفي الذي حصر (الجعارين) في مصر وأنها لم تكن في شرق الجزيرة العربية إلا بضاعة. نأخذ منه أمرين: أولهما أن الأستاذ تحاشى أن يصف ساكن الأرض في شرق الجزيرة من أن يكون وثنياً قد ألَّه (الجعارين) وهذه طرفة من التأدب ولكن ما أدعو إليه وهو الأمر الثاني أن يكون التحقيق يثبت منه أن وحدة الأثر سواء أكان ذلك تأليه (الجعارين) أو تأليه (الهر) باسم البس في مصر إنما يدل دلالة واضحة صحيحة على وحدة الأثر: لأن الأرض واحدة والأمة واحدة ولا شك عندي أن (الجعارين) التي وجدوها في حفريات الدمام لم تكن تحفاً ولا بضاعة وإنما كانت وثناً عبدوه في تلك المنطقة.

فهناك ظاهرة من الصابئة عبَاد الكواكب تكاد تنحصر بسبب الحرب التي شنها عليها أبو الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السلام. تكاد تنحصر بأنها لم تكن إلا عبادة سكان ما بين (النهرين) أعني الكلدان قوم إبراهيم عليه السلام.

فيما الواقع أنها كانت عبادة الأرض العربية كلها. سبأ كانوا يسجدون للشمس والفراعين ألّهوا الشمس وساكنو سيناء ألّهو القمر حتى إن اسمها (سيناء) مشتق من القمر، السناء والسنا.

ومكة البيت الحرام التي طهرها الله لعقيدة التوحيد إله واحد لا شريك

له. كان ساكنها يعبد القمر حتى قالوا إن اسم (مكة مركب من كلمتين بالإضافة الأعجمية (ماه ـ كه) أي بيت القمر. فماه بالفارسية كما قالوا لنا تعني القمر وكه تعني البيت أي بيت القمر. كما هي الإضافة في (بعلبك) أي بيت بعل.

إن وحدة التأليه الوثنية كانت واحدة في الأرض العربية والشعوب العربية كلها.

ولقد قلت تأييداً لذلك بما سبق أكثر من مرة: إن الذين نحتوا الجبل قبل خمسة عشر ألف عامٍ في حجر (ثمود) أو في (البتراء) سلع هم آباء وإخوان الذين بنوا الجبلً أهرامات في مصر وهناك لمحة أستملح فيها وأضعها برهاناً على ما قلت. فعاد إرم ذات العماد قد ألهوا الأسد باسم الهر فانتقل الاسم إلى (اليمن) فأهل اليمن لا يعرفون اسم (البس) أو القط وإنما يعرفون كلمة (الهر) ومصر في عهد الفراعين ألّهو (البس) أكاد أزعم أن عبادة (البس) في مصر الفرعونية جاءت وارثة من عبادة عاد للهر واستلمح مرة أخرى حين أذكر أن رأس الأسد من النحاس قد وجد في (الربع الخالي) فإذا هو الآن في متحف لندن يحمل اسم المكان الذي وجد فيه إن الذي وجده هو (جون فلي) فليس من شك أن الفراعين والكنعانيين ـ والفينيقيين قد رحلوا من قرية (بون) في اليمن بين الحديدة وصنعاء عبرها الجيش المصري حينما انسحب من اليمن بعد مؤتمر الخرطوم. إن (بون الألمانية) هي تسمية كنعانية من تركة الحرب البونية بين الكنعانيين وقبائل الجرمان.

إن هذا العرض ليس إلا دعوة للتحقيق والتدقيق عما ذكرت وعما ستجدونه من آثار بعد. ولا أزعم أني قد أتيت بالحقيقة التي لا تخضع

للحوار والتخطئة. فكل ما أردت أن أضع هذا الموضوع بين أيدي أساتذتنا الأثريين، والبراهين على ما قلت كثيرة. وأخيراً إن شعوب الأرض العربية كلها كانت وثنية فأنعم الله عليها بالرسل والأنبياء يهدونها إلى عقيدة التوحيد فليس من الأثر أن ننفي عنهم عبادة الوثن ولو على صورة (الجعارين).

وعلى الله التوفيق..

مَـن هُـم العبـرَانيـون؟

ولعلّي طالب علم أبحث عن الحكمة، فإن وجدتها أتمتع بها والمتعة بالمعرفة أريدها للجميع للمسلم والعربي والإنسان. من هنا تعودت أن أطرح أسئلة عن خواطر ترد عن رؤية الواقع أو عن فكرة خفية على معالمها وحتى لو اتضحت تلك المعالم فليس من المستحسن أن أصدق هذا الوضوح: بل ينبغي أن أضعه أمام القارئ.

إن هذه الدهلزة بسطتها أمام ما أطرحه من أسئلة. كما يأتي:

١ ـ قالوا إن أبناء سام قد اقتسموا الأرض وليست هي إلا جزيرة العرب حول النهرين ووسط الجزيرة واليمن السعيد. حتى الأحقاف والربع الخالي.

وقد درج العرب في تاريخهم الحديث على أن يحددوا جزيرتهم شمالاً من جنوب جبال طورس، والبحر الأحمر وشرقاً أرمينيا وأرض فارس، وجنوباً المحيط الهندي، وغرباً البحر الأحمر وبرزخ السويس. إن هذا التحديد الحديث لعلّه قد وصل إلينا من التحديد القديم.

٢ ـ فأبناء سام قد أطلقت عليهم أسماء ثلاثة حسب تحركهم من أرض الخصب إلى أرض الجدب أو من أرض الجدب إلى أرض الخصب. فقد قالوا إن أبناء سام هم عربيون أو عربيون وعبرانيون وخبيريون.

فالعربي توطن الصحراء والخبيري سكن اليمن السعيدة والعبراني عبر النهر أو هو عبر إلى النهر. هذا هو لب السؤال.

ليست المشكلة أمامي أن أعرف العربي وموطنه، ولا الخبيري وموطنه، ولكن هو ماذا تعنيه كلمة العبراني؟ إن العبرانيين فيما شاع وذاع أنهم اليهود ولا أعتقد أن هذا الاسم لم يطلق عليهم في حياة أبيهم إسرائيل يعقوب عليه السلام. فالذي عبر النهر وحده هو جد يعقوب أبو الأنبياء عليه السلام وما أطلق على نفسه أنه العبراني، فلو كان هذا اللقب من ألقاب إبراهيم عليه السلام لأطلق على إسماعيل وبنيه ما دام قد أطلق على إسحاق وبنيه. وهذا اللقب أيضاً لم يطلق على يعقوب فحين قدم إلى مصر لم يكن معه إلا ستة وثمانون شخصاً وما قالوا عنهم إنهم العبرانيون أو العابرون أنهم أبو يوسف، وإخوة يوسف بنو إسرائيل، جاء بهم من البدو فقد كان يعقوب يرسل من قرية إلى قرية وكان يعقوب وبنوه بدواً أهل عير. فالعير مطية الرّحال.

ولعلّي أزعم أن إطلاق لقب العبرانيين على اليهود قد أضافوه إلى أنفسهم حين عبروا البحر من مصر إلى سينا.

٣ ـ ما دام أني قد حاولت أن أنفي اللقب خاصاً باليهود فإني أحاول أن أثبته للذين عبروا النهر إلى ما حول النهر غرباً وجنوباً. فإذا كان العابرون عبروا النهر. فقد كان هذا اللقب يطلق على الذين عبروا. ويعني أنهم موجة.

فالآشوريون عابرون والهكسوس عابرون فلم يطلق عليهم هذا اللقب. إذاً ففي من ينحصر هذا اللقب؟

لكي نحصر هذا اللقب فيمن سمي به ينبغي أن نرجح قول الذين

أنكروا العبور من أرض الخصب إلى أرض الجدب وجعلوا العبور من أرض الجدب إلى أرض الخصب.

إذاً فالكلدان الذين عمروا ما بين النهرين هم (العبرانيون).

ـ لكن حين انتشر أبناء سام في جزيرة العرب هل كان الخصب محصوراً حول النهر وفي اليمن السعيدة أم أن انتشار أبناء سام في جزيرة العرب كلها يوم كانت الجزيرة كلها خصبة، فقد أدرك بنو سام: فهم نسل نوح بعد الطوفان امتداداً بعيد الزمن في العصر المطير. فانتشار بني سام كان من الخصب إلى الخصب عربيون وعبرانيون وخبيريون حتى إذا بدأ عصر الجفاف تحددت معالم الخصب ومعالم الجدب. ودليلي على أن جزيرة العرب كانت مخصبة هذا الحديث في مسند الإمام أحمد (لن تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً). أي إنها كانت ذات مروج وأنهار وسوف تعود.

فكانت موجات العبور ـ أي الهجرة ـ موجات من الجدب إلى الخصب.

أرجو أن يفهم القارئ أن هذا ليس بحثاً كله الصواب، وإنما هي أسئلة عن خواطر أحببت أن أعالجها راجياً من الدكتور حسن ظاظا والدكتور عبد الرحمن الأنصاري والدكتور عبد الله المصري وغيرهم. أن يواكبوا هذا الموضوع زيادة وإيضاحاً وتصويباً وتخطئة.

الوثيقـة التَـارِيخيَـة

وأخذت أجتر لأكتب افتتاحية هذا العدد، وما كدت أعثر على فكرة حتى وافتني هذه الرسالة الكريمة من صاحب الفضيلة والمعالي رئيس مجلس إدارة دارة الملك عبد العزيز، ووزير التعليم العالي الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ، وقد قرأتها، أو بالأحرى استقرأتها فرجحت نشرها، لا لأضيف بذلك علماً جديداً عن دعوة السلف التي درج خصومها يبتعدون عن تسميتها «الدعوة السلفية»: لأنهم يتحاشون إعلان الحرب على الدعوة السلفية، فتخيروا أن يقولوا «الوهابية» تسمية أرادوها لتكون حربهم على الشخص: يتقولون الأقاويل، كما أنهم فعلوا الأفاعيل.

وإنصافاً للحق أنشر رسالة الشيخ وخطاب الدكتور الشويعر والرسالة الموجهة إلى من تخيرهم إمام الدعوة وسلطان الدعوة من أولي العلم في تونس، كما أن إِمام الدعوة وسلطان الدعوة لم يقتصر على تونس: بل كان السلطان سليمان ملك المغرب قد بلغته الدعوة فأصبح من أنصارها. وقد سجل ذلك الأستاذ الكبير علال الفاسي يرحمه الله في محاضرة ألقاها في مكة المكرمة.

ثم إن الدعوة قد وصلت إلى مصر، فإذا العلاّمة المؤرخ الجبرتي ـ وفي عهد محمد علي الذي كان حرباً على آل سعود وعلى أئمة الدعوة ـ

يكتب في تاريخه هذا اللقب يطلقه على الإمام عبد الله حين سمّاه الشهيد. فلولا أن الجبرتي عرف هذه الدعوة وعرف أن الإمام عبد الله كان مجاهداً في سبيل الإسلام الخالص من الشوائب الطرقية وما إليها، لولا أن الجبرتي كان يعرف ذلك لما أطلق هذا اللقب يصف به الإمام عبد الله بأنّه الشّهيد.

وبرغم كل العراقيل والمعوقات التي تسلطت على هذه الدعوة بقوة السلطان وشراسة الطرقيين، فإن دعوة السلف قد انتشرت، حتى إن الأكابر من علماء المغرب لم يكونوا بعيدين عنها.

والحكيم الكبير جمال الدين الأفغاني وتلميذه الإمام محمد عبده والسيد رشيد رضا وجمال الدين القاسمي، من علماء دمشق، والسلفيون من أهل الحديث في الهند، كلهم كانوا أنصاراً لهذه الدعوة، حتى إن جمال الدين الأفغاني لم يسلم من الملحدين ومن الطرقيين، ومن عسف السلاطين، وإذا هو اليوم يتعرض للذين يكنون الحرب على الدعوة السلفية: لأنهم يخافون سلطان القوة الذي يناصرها الآن، فأخذوا ـ وباسم السنة التي يعلنون ـ يخرجون جمال الدين من الإسلام لأنّه «ماسوني»! مع أن حربه للاستعمار وللطرق، وما جاء في «العروة الوثقى» تثبت أن الرجل كان نصيراً للسلفيين.

من هنا، فإننا نحمد الله تعالى على أن هذا البلد قد توحّد كياناً وعقيدة، كما أن الأمصار المسلمة بدأت تتقارب، كأنما كلهم قد التقوا بأئمة الدعوة السلفية.

إن ساطع الحصري، وعبد الرحمن الرافعي، ومحمد توفيق، كلهم أكبروا ما صنع آل سعود: فقد اعتبروا أن قيام السلطان السعودي ودعوة السلف نهضة إسلامية وقومية، فأشادوا بها كقوميين، وتلك الإشادة رديف

لا نرفضه. فإن هذا البلد كما قلت أكثر من مرة، أعني المملكة العربية السعودية، عربي على الذروة مسلم على السنام. فلئن كانت القوميات تعتز باسماء الأقاليم أو بتسميات أخرى: فإن إقليمية هذا البلد ووطنيته هي الإسلام عربياً، والعروبة مسلمة، فلا إزدواجية، وإنما هو التزاوج، لا ينفك العربي في هذا البلد عن إسلامه، ولا يتخذ الثناء على الإسلام من بعض الشعوبيين موضعاً لمذمة العرب. يكفيهم أن القرآن بلسان عربي مبين، وأن خاتم الرسل سيدنا محمد عربي، وأن الهداية والفتح ما كانا إلا بعز الإسلام وكلمة التوحيد، وعز الإسلام ما كان إلا بسيف ومجاهد كلهم من أبناء هذا البلد: جزيرة العرب.

إن الدعوة السلفية ـ إذا ما دققنا النظر في هذه الرسالة ـ تدل على قوة السعي لنشر الدعوة وعلى قوة العارضة والنية الصادقة. كل ذلك أبى إلاّ أن يبلغ، رغم بعد الشقة وشظف العيش وقلة السلاح، ورغم تكالب الأعداء. لكنه الإيمان ينتصر دائماً بالحرب عليه.

ومن عطاء الحق أن أنشر ذلك كاملاً.

والله من وراء القصد.

التعجيز لاَ العَجز

والحمد لله، فهذا هو العدد الأول من السنة العاشرة. ومن عمر المجلة «الدارة» نزفه إلى القراء، لا نستجدي الثناء، وإنما هو إزجاء الشكر لقارئ كتب، أو لكاتب يقرأ، نرجو أن نضيف إلى القارئ وإلى الكاتب كما ذا كيف من القراء.

فالحرف مكتوباً أو مسموعاً لا حياة له إلا بقارئه، فلئن أعطى له الحياة كاتبه فإن عمره المديد لا يمتد إلا بالقارئ.

ومجلة «الدارة» قد أعطت لقارئها ما ينبغي، ولم تعجز عن عطائها لما يبغي: ذلك ليس من عجز عن العطاء، فكفاءة القادرين ما زالت وفية بالعطاء، ولكنه التعجيز، لم يُفرض عليها من سلطان، ولا من جهاز، ولا من نقص في التجهيز، وإنما هو تعجيز الظروف، وإلا فالدارة الأمانة، والدارة المجلة، والدارة المجلس، ورئيسه لا يبخلون بما لديهم من الوثائق، وبما عندهم من المعرفة، ولكن الباخل هو التأني ومسيرة الهوينا.

وأحسب أن الفرصة قد حانت لتقتحم المجلة بعض العوائق، فعسى أن يجتمع مجلس الإدارة لتعرض عليه المجلة فكرة التوثيق بالوثائق التي لدى الدارة، أمانة ومجلة.

فكثير من حوادث التاريخ، سير الأبطال، وعطاء الأرض، وما إلى ذلك لا يزال في حاجة لا إلى استقرائه، وإنما إلى الاستنباط منه، والفقه، فالحاجة إلى التفهيم كالحاجة إلى الفهم. عسى أن يتم ذلك.

والله ولي التوفيق.

عبد العزيز تاريخ . . لاَ سيرَة

وكان هذا عواناً لسلسلة من المقالات كتبتها عن الإمام السلطان الملك «عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود»، نشرت في جريدة «البلاد» جمعتها في كتاب صغير الحجم تحت اسم «عبد العزيز والكيان الكبير»، ذلك أن البطل في تاريخ الأمة إذا ما اقتصرنا على استقراء السيرة ـ دون أن نفقه المسيرة ـ نستنبط منه تاريخاً صنعه البطل من تاريخ صنعته الأمة، فالبطل السيرة لا نعطيه حقه إذا ما اقتصرنا على ذلك.

إن البطل ـ أي بطل ـ تستجد به أحداث في التاريخ هو صانعها، ولم يصنعها من فراغ، بل إنه استمدها من تاريخ أمته، فالبطل مطلب الأمة، والأمة هي مطلبه.

ويعني ذلك أنها تصنع بقيمها كل القيمة له وهو يصنع بما اعتنق من قيمها وما ليس من قيمة التقييم لشخصه ولأمته، فالتقييم للبطل لا ينحصر في السيرة، وإنما تتسع القيم والقيمة والتقييم ليكتب تاريخاً لهذا البطل كجزء يكمل به تاريخ أمته.

ومضت سنون فإذا هناك أعمال خفيت عليه يزدان بها تاريخ هذا البطل. فشغلي الشاغل هو أن أعرف كل أساليب البطولة من تاريخ هذا البطل، وما كانت هذه البطولة أنه انتصر على طول الخط، بل إن ما أصاب

البطل من هزيمة خرج منها ينتزع النصر من مخالبها هو العمل العظيم، لأن النصر من مخالبها هو العمل العظيم، ولأن النصر حين ينتزع من مخالب الهزيمة يعطينا البرهان على عبقرية البطل، لا يهتز ولا تستبد به الهزيمة، فالمواقف الصعبة لو ضاع فيها رشده لانتهى البطل، ولكن في أصعب المواقف لم يضع منه الرشد، فاسترشد وأرشد وعاد يحول الهزيمة إلى نصر جديد.

ولديّ قائمة وضعتها أضيفها بعد، حين أعيد طبع هذا الكتاب «عبد العزيز والكيان الكبير» انسلخ منه إضافات ـ لم أتنبّه إليها ـ عن أشخاص آخرين حين تركته في يدي من جمع لي المقالات، فإذا المطبعة تشرك آخرين مع البطل، سأعيد طبع هذا الكتاب مضافاً إليه الكثير مما عرفت بعد، سواء من كتب ألفت عنه، أو حفظت من أفواه الرجال.

فمن العظيم في تاريخ هذا البطل أن أفواه الرجال من عارفيه تجد فيه الصورة الكاملة والواضحة لهذا البطل من قصة وقعت، أو كلمة قالها، أو موقف انتصر فيه ولم يسجل، أو موقف صعب خرج منه إلى نصر جديد.

غير أني أريد أن أسرع بالزمن خشية أن تعجزني السنون، أو لا تسعفني الحافظة، حافظة شيخ قد قارب الثمانين، لهذا أذكر الشيء الجديد، ما قرأت من كتب وما سمعت من حديث عنه لا بد أن يكتب ويسجل كبرهان على ما أنعم الله به على عبد العزيز بن عبد الرحمن.

إني أقتحم الحواجز فأسجل هذا التقييم من تاريخ البطل نعمة أنعم الله بها عليه.. الكلمة قصيرة هي. إذ أقولها:

«إن عبد العزيز بن عبد الرحمن قد أنعم عليه حيث لم يكن الثقفي

الذي أهدر قيمة الحرم. يضرب الكعبة بالمنجنيق، كما أن عبد العزيز لم يكن المريَّ الغطفاني الذي أهدر دار الهجرة «المدينة المنورة».

لقد منّ الله على عبد العزيز أنه لم يكن ذاك الثقفي، ولكي لا نبخس الناس أشياءهم فإن الحسين بن علي «رحمه الله»، لم يكن القرشي الذي أعطى الفرصة للثقفي أن يهدر كرامة الحرم، فحين أقبل عبد العزيز خاشعاً استقبلته مكة مرحبة، فإذا هو يطوف ويسعى آمناً في مكة، آمنة به مكة.

أما عن المدينة المنورة، فقد صنع لها السلامة من كل سوء أمر بمطاولة الحصار، حتى مل بعض من حاصرها «فيصل الدويش مثلاً»، وحتى أمدها جيش إبراهيم النشمي كأمر عبد العزيز بالغذاء مطاولته للحصار، كان ذلك من حرمة عبد العزيز للحرمين، فإذا المدينة تستقبل ابنه سمو الأمير «محمد بن عبد العزيز» استقبالاً حسناً. فإذا هو الآمن فيها. الآمنة به.

أعيد هذه الكلمة، لقد منّ الله على عبد العزيز ألا يكون الثقفي أهدر قيمة الحرم، ولم يكن المريَّ أهدر قيمة مأزرِ الإيمان دار الهجرة «المدينة المنورة».

إن هذا جزء من تاريخ الأمة لا أتحرج من ذكره ولا أتملق به، فالشيخ العجوز لا حاجة له إلى الملق لا إلى المداجاة، وإنما حاجته أن يكون صادقاً في عرض التاريخ وفكر التاريخ.

ويرحم الله عبد العزيز بن عبد الرحمن، وأمد الله أبناءه الملوك وإخوة الملوك والأسرة جميعاً بما وعد من حفظ للأبناء جزاءً لتقوى الآباء.

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صدق الله العظيم (النساء: ٩).

إن عبد العزيز تاج تاريخه أنه رد الاعتبار لجزيرة العرب في وحدة الكيان الكبير.

قالوا عن البطل
عبد العزيز بن عبد الرحمن

أول كلمة قالها هو عن نفسه، لم تكن حروفاً قالها لنفسه، وإن أفعم بها ضميره وامتلأ بها وجدانه قال:

لقد فقدنا ما ملكنا بأسباب لا بد أن أحاربها لكي أعيد الإمامة لآل سعود، لكي أسترجع الرياض، حيث يعود لعقيدة السلف نشرها وترسيخها. فلكل ذلك يجب عليّ أن أفعل، وما كان البطل الشاب يزعم لنفسه أنه الإمام في حياة أبيه، ولكن الإمام عبد الرحمن «يرحمه الله» قال الكلمة الثانية، ولم تكن هي حروفاً، وإنما كانت عملاً، كان وارث الإمامة والسلطان، ولكنه نظر فأحسن النظر، وفكر فأحسن التفكير، كأنما أُلهم بذلك إلهاماً، فإذا هو يتوّج ابنه عبد العزيز حين ألقى عليه المسؤولية.

يا ولدي لا شأن لي بالإمامة الآن، سأكون العون لك، فخذ المسؤولية واسترجع ما ضاع منا نحن آل سعود.

وحمل الشاب الأمانة، فبدأ يعمل حتى حالفه التوفيق، فعمل الإمام عبد الرحمن لا يفعله إلا عظيم، لأنه مثل خلق السراة، تجنب أن يقول الـ «أنا» وفعل ما نقوله كلنا اليوم هذا الكيان الكبير «المملكة العربية

السعودية» هي ليست الـ «أنا» وإنما هي الـ «نحن».

وكلمة ثالثة همس بها «راكان بن حثلين» ذلك الفارس، قالها يوم أكرمه الشاب البطل عبد العزيز، يتخلى عن مكانه في مجلس أمير البحرين، يدعو «راكان» أن يجلس، احترام الشاب لمن يستحق التكريم، من حسن التربية وشموخ الرجولة. وأكبرها «راكان».

يقوم للإمام عبد الرحمن:

هذا ولدك.. أبشر.. إنه هو الذي يعيد لكم السلطان تملكون ما ضاع.

والكلمة الرابعة أقدمها بكلمة عن أسبابها، فقد كان الملك عبد العزيز «تغمده الله برحمته» في الطائف ومفاوضات الصلح بينه وبين الإمام يحيى يرحمه الله، تتحرك بسرعة، فعبد الله الوزير يفاوض باسم اليمن، والملك عبد العزيز لا يرفض المفاوضة وكان هناك وفدان عربيان يحركان وساطة الصلح، الوفد الأول مؤلف من الأمير شكيب أرسلان، سيد هاشم الأتاسي، محمد علي علوبة باشا، أمين الحسيني كأنما شكيب يمثل كل العرب، وهاشم الأتاسي يمثل الشام، ومحمد علي علوبة يمثل مصر رغم ابتعاد القصر في مصر، وأمين الحسيني لبس التمثيلين عربياً عن فلسطين، ومسلماً عن المؤتمر الإسلامي.

والوفد الثاني لم يكن رديفًا لهذا الوفد، وإنما كان طليعة يمثل ما كانت تريده دمشق، جميل مردم، وتوفيق الشيشكلي، وفخر البارودي، وبينما المفاوضات تجري في الطائف، قدم إلى المدينة المنورة جميل مردم ورفيقاه، وبحسن المصادفة قد أقام الصيدلاني فوزي الصفدي حفل عشاء في بستان الصافي، وكنت من بين المدعوين، وكان مدير البريد والبرق

(يحيى بك زكريا) يجلس قرب التليفون، كأنما لديه علم عن خبر سيتلقاه، ليخبر جميل مردم ومن إليه، وقبل أن نتناول العشاء رن جرس الهاتف، فتناول السماعة يحيى بك وإذا هو يتهلل ويخبر جميل مردم بصوت جهير.

لقد تم توقيع معاهدة الطائف، وبرز الصلح، سمع جميل مردم، ثم قال لنا:

ـ اسمعوا إن هذا العمل العظيم لا يتحمله ولا يقوم به إلا الرجل العظيم (عبد العزيز بن عبد الرحمن).

وإليكم ما قاله فيصل بن الحسين عن سلطان نجد ـ يوم ذاك ـ عبد العزيز بن عبد الرحمن فلقد احتل «الجنرال غورو» دمشق، وأجلى الملك فيصل بن الحسين عن عرشه، وكنا في يافا «فيصل بن الحسين» وحيدر رستم، وعبد الرحمن الشاهبندر، وتحسين قدري، وجميل مردم.

ـ فقال فيصل بن الحسين:

ـ ماذا ترون أن أفعل؟

ـ قلنا ذاك رأيك وعزمك.

قال:

سأذهب إلى أوروبا، أحاول أن أسترجع ما فقدت فإن لم يحالفني التوفيق، فلن أذهب إلى والدي في مكة، ولكني سأذهب إلى الرياض إلى سلطان نجد عبد العزيز بن عبد الرحمن فهناك الأمل يتحقق به خير كثير للعرب.

هذا الحديث أدلى به جميل مردم، نشرت فحواه أكثر من مرة، أذكره الآن في سياق التمام لكلمة الافتتاحية.

والكلمة الخامسة قالها الأمير شكيب أرسلان، ونشرت في جريدة الشوري التي كان يصدرها في مصر الكاتب الفلسطيني محمد علي الطاهر.

ـ قال شكيب:

لقد عدنا من جزيرة العرب، فتركناها أمانة في عنق هؤلاء الثلاثة عبد العزيز بن عبد الرحمن ملك المملكة العربية السعودية، والإمام يحيى صاحب السلطان في اليمن، وعبد الله بن الوزير.

وثنى الأمير شكيب أرسلان بكلمة أخرى قرأتها في رسالة بعث بها إلى الشيخ محمود شويل في المدينة المنورة قال:

إن عبد العزيز قد حمل الأمانة والمسؤولية، فلن يأتي منه عمل يضر، بل سيكون منه النفع.. إن ثقتي في الملك عبد العزيز لا حدّ لها.

ولعلّي أكون صريحاً، فما كتب الأمير شكيب إلى صديقه محمود شويل عرفه في الآستانة وجرت بينهما مكاتبات، أهمها الدفاع عن صحيح البخاري، كانت الرسائل المتبادلة في أيام الخطوات الأولى عن مفاوضات التنقيب عن البترول وامتيازات البترول.

لقد وثق الشيخ محمود بكلمة شكيب، وكان أكبر ثقة بالملك عبد العزيز، وجاءت الأيام يتحقق فيها وبها ولها صنيع عبد العزيز، تفجرت الأرض ينابيع للخير، وارتفع على الأرض عمران، وانتشر العلم وبرزت أعمال، عمت بها الخدمات في كل مجال.

كتبت هذا تسجيلاً للتاريخ وتبجيلاً للبطل ليس فيه شيء من التدجيل، وإنما فيه شيء من حمدنا نحن جيل التجربة وشكر قارئ اليوم من جيل الشكر.

اليمَـــامَـــة

ومجلة الدارة تصدر في حِجر اليمامة «الرياض». فمن حق المكان الذي تصدر فيه المجلة أن يكون لي كلام عنه.

إن دارة الملك عبد العزيز أصدرت المجلة. وشرفت أن أكون رئيس تحريرها. أباحُوا لي أن تصدر في جدة تخفيفاً عني. فأبيت إلا أن تصدر في الرياض فرعاً من الدارة. دعامة للدارة. ويحملني الكلام عن اليمامة عن قيمة الأرض. أي الوطن. ذلك أني أريد إسقاط المذمة عن قطعة أرض من أرضنا. فالأرض لا تُعاب. وبعيد عنها السباب. فلئن تجني إنسان في أي بقعة من الأرض. فهو الذي يُعاب ويستأهل السباب. ففي إقليم أساء المشركون. وفي آخر أساء المنافقون. وارتد مرتدون. ونبح كاذبون ادّعوا النبوة. لقد ذهبوا بمعابتهم حين نصر الله الحق وأعز الله العرب بإسلامهم. كما اعتز العرب به. أسقطوا ما بينهم من خلاف. وارتفعوا عن الانفرادية القبلية. فإذا الإسلام يعتز بهم، فما من شبر على هذه الأرض، وما من قبيلة من قبائلها، إلا وكان منهم ومنها قادة الجهاد وجنود الجهاد.

فاليمامة يأخذني الكلام عنها على صورتين، الأولى عن رجلين هما: هوزة بن علي، وثمامة بن أثال، حنيفيين يماميين، هوزة بن علي كان منه المدد لرسول الله ﷺ. أرسل الصدقات من حنطة اليمامة وغيرها، فأخذ

رسول الله ﷺ محمد القرشي المضري العدناني يقلب الحنطة بيديه ويقول:

هذه صدقات ابن عمي؛ لأن هوزة بن علي حنيفي وائلي من ربيعة الأخ الأصغر لمضر، فمضر الحمراء، وربيعة الفرس أخوان، تفرع منها الكثير، حين ائتلفوا سادوا، وإذا ما اختلفوا كان واقعهم أليماً. فالحنطة التي أرسلها هوزة بن علي تعني العون منه، يشكره النبي، ومنع هذا العون لقريش ينال منها بعض الشظف؛ لأنه إضعاف لرحلة الشتاء.

والرجل الثاني هو ثمامة بن أثال. جاء منه الموقف العظيم، كان يحوم حول المدينة على فرسه، فأمسك به حراس النبي، فربطوه في سارية، يمر عليه النبي فيقول له:

ـ ما تراني أصنع يا ثمامة.

فيجيب ثمامة:

ـ إن تقتل، تقتل ذا دم، وإن تعف تعف عن شاكر.

وفي رواية أخرى:

ـ إن تمنن، تمنن، على شكر.

وفي مرة ثانية يقول له ﷺ ذلك، فلا يجيب ثمامة إلا إجابته الأولى، وبعد المرة الثالثة منّ عليه رسول الله ﷺ، فركب فرسه لا يغيب طويلاً، يعود إلى مجلس رسول الله يعلن إسلامه، ويقسم أنه ذاهب إلى مكة يجهر بإسلامه، فقال له الرسول:

ـ ما حملك على هذا يا ثمامة، لماذا لم تسلم قبل إطلاقك.

فقال الفارس:

ـ خشيت أن يقال إني ما أسلمت إلا عن خوف.

وسار إلى مكة يعلن إسلامه على الملأ، فأراد بعض الغوغاء أن يشغبوا عليه، فمنعهم الذين يعرفون ثمامة ومكانته بين قومه، ويعرفون ـ أكثر ـ ما لميرة اليمامة لديهم من نفع.

وأقسم ثمامة أن يمنع ميرة اليمامة عن قريش، فأصابهم نقص أعجزهم؛ مما سهل طريق الفتح.. فتح مكة.. الفتح المبين.. فصنيع ثمامة ـ يؤازره قومه حين أطاعوه ـ من الدعامة القوية؛ أسهم بها ثمامة في فتح مكة.

وكانت الردة، كأنما وحدة العرب في ظل الإسلام قد انفرطت في أكثر من مكان، وفي أكثر من قبيل، ولكن الله منّ على عبده أبي بكر الصديق، صاحب الثلاثين شهراً، أعاد للعرب وحدتهم فعادت للإسلام عزته، فإذا الفتح العظيم، بعد الفتح المبين.

ثم: وفي العصر الوسيط يوم تفرق المسلمون تحت زعامات وملوك وطوائف، ضاع من العرب السلاح، وعادوا إلى صحرائهم يحتمون بها، فإذا التاريخ يعود، بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الأئمة لآل سعود، فإذا اليمامة تحتضن دعوة السلف، تصل بنا إلى وحدة الكيان الكبير مما هو معروف، قد يكون الكلام عنه في ظرف آخر؛ حيث تكون الفرصة سانحة، الكلمة عن هذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» وحَّدها البطل الإمام السلطان الملك «عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود».

الفتح انتصار . . والانفتاح انتشار

وأعني بالفتح انتصاراً. هو انتصار الإسلام بالجهاد، أما الانفتاح فانتشاره بالدعوة، وارتفاعه بالحضارة والعدالة.

إن الجهاد كان دفاعاً عن هذا الإسلام في أول مراحله، فالحرب على الشرك كانت في أول أمر هذا الدين دفاعاً، أول ما وجه على المشركين من قريش، فهم الشوكة والصولة، اللتين انتصر عليهما الجهاد بقيادة المجاهدين الأول، والأول من أولي العزم، الرسول النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

فالجهاد قرآن في الوجدان. وإيمان كذلك وتضحية وسيف وفارس مؤمن، ثم تلت مرحلة من مراحل الجهاد شملتها الغزوات والسرايا، وكان كل ذلك موجهاً إلى بعض القبائل العربية التي مازالت على شركها، وتمت هذه المرحلة بالفتح المبين، حين جاء نصر الله ودخل العرب في دين الإسلام أفواجاً.

ومرحلة بعد ذلك لم تكن حرباً على إمبراطورية الفرس وإمبراطورية الرومان، في العراق والشام وفي مصر وحتى في اليمن، فقد أرسل رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام لكسرى خطاباً ولقيصر خطاباً وللمقوقس خطاباً يدعوهم إلى دين الله، فمن هذا الوضع أبدأ، أطرح السؤال والإجابة، فلو إن كسرى استجاب لهذه الدعوة، ولو أن القيصر فعل ذلك،

ولو أن المقوقس شد عزيمته يستجيب، لما كانت القادسية، ولما كانت اليرموك، ولما كانت حرب جهاد لفتح مصر، فلو استجابوا لَمَا كان السيف، وإنما ليكون القرآن ولتعلو على المنابر كلمة التوحيد.

إن الفتح العظيم قد أجلى الفرس والروم عن الأرض العربية، فإذا الإنسان العربي يعتز بكلمة التوحيد، وينتصر بتوحيد الكلمة، لكن هذا الفتح وإن توسع في الأرض سواء في جزيرة العرب أو حولها، فإن الذين دخلوا في الإسلام على كثرتهم وعظمتهم هم في الواقع أقل من الذين أدخلهم المجاهدون، سلاحهم كلمة التوحيد وآيات الكتاب المبين، فالذين أسلموا في الشرق الأقصى في الهند وفي أندونيسيا وفي الصين لم يخضعهم السيف وإنما هم خضعوا لكلمة التوحيد حين استنارت أفئدتهم بالموعظة الحسنة، وبخلق الداعية، لا يمسكون عليه شائبة، فإذا التقوى من الدعاة تقوى بها قلوب المستجيبين من هؤلاء، ملايين ارتفعت أصواتهم على المآذن والمنابر والمحاريب وازدحمت المساجد بالركع السجود، وكذلك المسلمون في أفريقيا، فالجهاد فتح شمالها وأندلسه.. أما الدعوة فهي التي نشرت الإسلام في هذه القارة السمراء.

واليوم نشاهد الواقع، غزو على الأرض المسلمة بالتبشير والتكفير وإفساد التفكير، سلاحها الأشد التقاعس عن الجهاد وتنابذ الزعامات والتمذهب بما يدعو إليه الإلحاد وما تحدث به الفوضى، كما نشاهد الواقع من الناحية الأخرى، إن تعطيل السيف ضد عدوان الغزاة قد واكبه انتشار الإسلام بالدعاة، فما أكثر من يسلم اليوم في قلب القارة الأوروبية والأمريكية، التبشير يستغلون في الأرض المسلمة، والانتصار يعلو في الأرض التي سلحت الغزاة، بل وكانت أول الغزاة.

الفتح العظيم انتصر بالسيف. والانفتاح الأعظم انتصر بالدعوة إلى هذا الدين، ليس هذا بحثاً تاريخياً، وإنما هو لمحة عن الواقع، غير أني أقول الكلمة الأخيرة عن غزو العدو ينشر التبشير والتكفير وإفساد التفكير، فلم يكن انتصاره بالقوة والوسائل التي يمتلكها، وإنما بضعف القوة الذي يملك من استجاب له، وما أحسن الكلمة.. قالها الشيخ حسن البنا يرحمه الله، يوم كانت مصر ثائرة على الاستعمار الإنجليزي، قال: (أخرجوا الإنجليز من قلوبكم، يخرجون من أرضكم).

ضعفنا هو القوة الأولى لعدونا، غير أن التفاؤل في المستقبل قوي، لأن الشعور بهذا الواقع والإعراب عنه وصحوة الشعوب والقيادة الصالحة يتحقق بها التفاؤل نصراً بالسيف على العدو الطاغية، وانتشاراً للدعوة على يد الإخوة الذين يدخلون في دين الإسلام أفواجاً.

والمملكة العربية السعودية وبوحدة هذا الكيان الكبير، وقد تمسكت بعقيدة السلف، كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، لا بد من أنها تعطي التفاؤل معناه ومبناه، إن الإسلام الذي امتد في الصحراء وانتصر بأبناء الصحراء، يتحقق به الأمل، إن أرضنا حصن الإسلام ومعقله أمل.. أسأل الله أن يتحقق بالعمل جهاداً ودعوة وبذلاً وعطاء بلا منّ ولا بطر.

أدب اللغة الشاعرة

لغة العرب، أو اللغة العربية، ما أحسن وصف القرآن لها (بلسان عربي مبين)، فلئن تأقلم العرب كل وأرضه، ولئن اختلفت اللهجات على صورة من العامية؛ فإن اللغة العربية هي الجامع لا تتأقلم، فالقبائل في الجاهلية اختلفت بعض لهجاتها واختلفوا كل قبيل حرباً على قبيل، ولكن الفصحى بقيت لأن القرآن هو الذي أبقى عليها، والكلمة لطه حسين «رحمه الله» قال ما معناه:

ـ لا أخاف على الفصحى فإنها باقية بقاء القرآن.

والقرآن خالد، باقٍ إلى يوم يبعثون، ومعنى ذلك أن اللغة الفصحى باقية إلى يوم يبعثون.

لا يتفاهم العربي مع العربي إلا بها، لا يكتب العربي ولا يقرأ إلا بها، كم هي عظيمة حينما جعلت الفارسي (سيبويه) إماماً بها، وابن المقفع والجاحظ وأبا نواس وابن الرومي طلائع أهل البيان ناثرين وشعراء. فاللغة قبل الأرض تُعَرِّب وتُفصح، والأرض بعد اللغة يستعرق بها التعرب.

ـ لماذا أكتب ذلك؟

أكتب لأني لا أريد للأدب العربي أن يكون لابساً عمامة الجاهلية، ولا عقال العرب في الصحراء، ولا (جاكت) العرب في الأمصار الأخرى.

فالأدب العربي لباسه واحد، لغته شاعرة، حارسها القرآن.

فما قالوا عن شعراء المعلقات إنه أدب نجدي، وإن قالوا إنه أدب جاهلي، وما قالوا عن الشعراء في الحجاز وفي العراق وفي مصر والأندلس والشام واليمن إنه أدب ينسب إلى الإقليم، ما قالوا أدب أندلسي، ولا أدب مصري، ولا عراقي، ولا غير ذلك، وإنما قالوا ونقول: شاعر حجازي، عراقي، أندلسي، مصري.

الشاعر ينسب إلى وطنه، أما الشعر، فلا ينسب إلا إلى لغته، كل أدب الأقاليم أدب اللغة العربية.

كان أول التقسيم للأدب حين قالوا: أدب الجاهليين، أدب المخضرمين، أدب المحدثين، فلم يقولوا عن شعر امرئ القيس إنه شعر أسدي، أو شعر كندي، ولم يقولوا عن شعر عمرو بن كلثوم إنه شعر تغلبي، وهكذا في كل هؤلاء.

ولم يقولوا عن شعر حسان والعذريين إنه شعر حجازي، كما لم يقولوا عن شعر بشار ومن إليه إنه شعر عراقي. كذلك لم يقولوا عن «السموأل» إن شعره يهودي، ولا عن «الأخطل» إن شعره نصراني.

ألم يكف العرب التمذهب اجتماعياً وعقائدياً، حتى بدأوا يتمذهبون بإقليمية الأدب.

إنه الأدب العربي ولا شيء.

رأي أطرحه، ولن أبرحه، وسيأتي زمن الصحوة من هذه الجفوة بين العرب فيعرفون بالصفوة صحة ما أدعو إليه.

انتصار الفصحى، وأممية الأدب العربي.

عبد العزيز في مسيرة التاريخ

لا يمضي وقت قصير أو طويل إلا ويجد المتتبع لسيرته الجديد والعظيم، فالإمام السلطان الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تاريخ لا سيرة لأنه لم يكن لنفسه، ولا لأسرته، بل كان لقومه العرب.. لأمته المسلمة، لأن وحدة هذا الكيان الكبير، المملكة العربية السعودية من سجل التاريخ عربياً ومسلماً.. وهبه الله القلب الكبير، والمواهب المتعددة.. وقد تجلت هذه المواهب حين دفعته إلى أن يتحرك، فإذا هو أحد المجمّعين.. فكان من نعمة الموهبة هذا الكيان الكبير. والجديد الذي أستَلْهِمه من تاريخه هو أني طرحت على نفسي هذا السؤال؟

ـ لماذا انتصر عبد العزيز، وكيف انتصر، وما هي عوامل النصر؟.. فإذا بي أهتدي إلى رأي أطرحه إضافة إلى ما كتبته من قبل، هو أن النصر الذي أنعم الله به عليه قد انتزعه من عوامل الهزيمة.. كيف؟..

ـ لقد ذاق المرارة حين بَعُدت الرياض عنه وابتعد عنها، فكانت هذه المرارة الحافز له أن يتحرك، فانتزع النصر من مخالبها.. فاسترجع الرياض.. بالكم القليل والكيف العظيم.. إخلاصه لما يطلب، وإخلاص الذين معه لتحقيق المطلب..

ـ وجاءه النصر بعد ذلك تباعاً، معركة بعد معركة.. لم يتخاذل إذا

كانت هزيمة، ولم يتبطر إذا كان نصر، فهو بين الحالين، الصبر والحمد، والشكر والفعل.

ـ وكان النصر على أمراء البلدان من قوة صلابته وصدق نيته. ومن تخاذل هؤلاء.. كل أمير بلد يبسط سلطانه على مدينته، فلا جامع بينه وبين أمير آخر، عرفوا أنه سيصل إليهم، يجمع المدينة على سائر المدن، فكل واحد منهم قَصرَ نفسه على ما يملك من سلطان. كانوا متفرقين، فتناولهم واحداً بعد الآخر.. تخاذلوا فلم يجتمعوا، وتفرقوا فلم يتحدوا، فكان ذلك عامل الانتصار للملك عبد العزيز، فلو توحدوا في جيش واحد لصعب الأمر على الملك عبد العزيز.. فالفرقة والتنافر والتناحر بين هؤلاء الخصوم كان من أهم عوامل النصر له عليهم.

ـ ولأفترض أنه لو اجتمع هؤلاء لما كان النصر. ولأضرب أمثلة سبقت في تاريخ العرب، فالمثل الأول أضربه ـ ولله رب العزة والجلال المثل الأعلى.. واهب النعمة والانتصار قبل كل شيء ـ هذا محمد، لم تتحد قبائل العرب الوثنية المشركة. ولم يتصرف اليهود بأية مقاومة ضد هذه الرسالة المحمدية، تفرقت قبائل العرب، ومعهم اليهود، ينتظرون ماذا يحدث في مكة، فكانت هذه الفرقة أجلاً حتمه الله ليكون النصر للإسلام، وليدخل الناس في دين الله أفواجاً..

والمثال الثاني حين لحق رسول الله بالرفيق الأعلى، توفاه الله، وبويع أبو بكر بالخلافة، انقلبت قبائل العرب إلى الردة، فمنهم من ادعى النبوة، ومنهم من منع الزكاة، ومنهم من تخاذل عن الجهاد، فإذا الإسلام على مفترق الطرق، لا بد من الجهاد للنصرة، فنهض بالأمر الإنسان البَكّاء، ضعيف البنية، صادق الإيمان، الصديق أبو بكر، فإذا هو ينتصر وتتوحد

العرب، ويسيرون للفتح العظيم، تم ذلك في ثلاثين شهراً، فلو أن مسيلمة وسجاح، وطليحة، ومالك بن نويرة، أعني لو أن بني حنيفة وتميماً وأسداً وغطفان ومعهم تغلب بقيادة (عقة) لو أن هؤلاء اجتمعوا في جيش واحد بقيادة موحدة، فهل كان يتم النصر لأبي بكر بما تم؟ إن كل واحد من هؤلاء جلس في إقطاعه، يريد الزعامة وحده، فتفرقوا فإذا النصر للإسلام.

وهكذا أتيحت الفرصة، بل كل الفرص للملك عبد العزيز أن ينتصر على كل خصيم وحده، فأتم نعمة الوحدة في هذا الكيان الكبير.

ـ إن الملك عبد العزيز، بعد أن تم له هذا الانتصار، عرف من حوله، وما حوله، وما هو له، وما هو عليه، فأول المعرفة عِلْمُه بمواقف الدول الغربية، عرف أنها حرب على أي تجمع مسلم أو عربي، فرفض أي رأي يدعوه إلى أن يكون خليفة، لأن دول الغرب قد قضت على الخلافة، وحاربت من يدعيها، فصان نفسه عن أن يكون هدفاً لدول الغرب، لأنه يعرف تاريخ إنسان اليوم، فتجنب كل ما يثير عليه المشاكل، فإذا المملكة تسير بخطى واسعة، أسقطت سبة الرجعية التي كان فيها السباب عليها، فإذا هي اليوم شعب تقدمي، ودولة تقدمية على أساس من العقيدة الإسلامية التي تعانق القومية العربية، والتي ترفض كل قومية إقليمية وتحتضن الدول الإسلامية.. وتحنو عليها.. حنو الأم على رضيعها.

أما ما صنعه بنوه الملوك بعده، ويحسب من صنعهم مباشرة، فإنه في حساب التاريخ لا بد من أن يكون في سجل البطل، ولو لم يباشر صنعه.

والتخاذل والفرقة ذكرنا أنها من عوامل انتصار الإسلام على أعدائه، وعلى الردة، كما أنها من عوامل الانتصار للملك عبد العزيز.

أما واقع اليوم، فإن الفرقة بين العرب أعطت لأعدائهم الانتصار

عليهم، فقوة اليهود لا ننكر أنها في السلاح، لكن الأكثر من القوة المسلحة، هو ما أعطاه العرب؛ حين تفرقوا فتفوق اليهود، وأصبحوا قوة تهدد الأمن والسلام، فهل آن للعرب والمسلمين أن يتحدوا ويحققوا الأمل والرجاء؟..

الملك عبد العزيز والمؤتمر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله أكمل الدين وأتم النعمة، والصلاة والسلام على رسول الله نبي الرحمة وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد..

فبوازع الحمد والشكر، تعودت هذه المجلة «الدارة» أن تخرج عدداً خاصاً، تواكب به النشاط الذي تنهض به جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فقد أصدرت عدداً خاصاً عن مؤتمري الفقه والجغرافيا وما أشد أن تلـزم بـه نفسها إلزاماً يحتمه عليها أنها المجلة التي تحمل اسم «الدارة» أعني أن المؤسسة دارة الملك عبد العزيز هي التي تصدر عنها كوجه بارز لهذه المؤسسة.

إن المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز لا بد من أن المجلة ترى من حق التاريخ، ومن الواجب عليها لتاريخ الملك عبد العزيز، أن تصدر عدداً خاصاً يضم ما يمكن نشره من البحوث التي أقرتها اللجان، لأن نشر هذه البحوث كاملة وإن كان لا يخضع للانتقاء فليس بعد قرار المؤتمر انتقاء، وإنما ظروف المجلة تخضعنا، بالاختيار والمسيرة تباعاً بنشر ما لم ينشر، وحرصنا أن يكون محققاً للصفة العالمية بحيث لا تنحصر البحوث في أساتذة معينين.

إن المجلة في نشرها كل ما صدر عن المؤتمر من بحوث مختلفة، إنما تحقق بذلك صفة العالمية لهذا المؤتمر.

وليس من المتسع أن تنشر كل ذلك دفعة واحدة، لأن الحجم كبير جداً والحرص كل الحرص على متابعة النشر في أعداد مقبلة لأن النشر بهذا يكون ممتداً بالمتابعة، ثناء ونقداً، كما هو بالأعداد المتوالية من المجلة، ويعني ذلك أن نحفل بالنقد أكثر من الثناء، لأنه استمرار لحياة المؤتمر، فقد يأتي ناقد ببحث جديد يكمل به بحثاً نشر، أو يعترض على بعض ما نشر ولعلّي بَعْدُ.. ودارة الملك عبد العزيز أصبحت مؤسسة إسلامية باسم «مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية» أن أذكر ما يلي:

١ ـ قد يتغير اسم المجلة، أو تبقى على اسمها منسوبة إلى المؤسسة، ذلك يعود إلى من له الحق في ذلك..

٢ ـ وهذه المؤسسة حين تبدأ عملها بالصورة التي يقررها صاحب الحق، لا بد من أن تحدد أهدافها، فمن ذلك ما أرجو أن يكون من بين هذه الأهداف: إقامة ندوات أو مؤتمرات، كل عام على الأقل.. يدعى إليها المؤرخون.. يشاركون في الندوة أو المؤتمر ببحوث عن تاريخ العرب قبل الإسلام، وعن العرب بعد الإسلام، عن الخلافة، وعن الإمبراطوريات، وعن الطوائف، تُوضَّح أسباب التفوق، وأسباب الضعف، وأدعو ألا يكون مجرد عرض لما كتب من التاريخ، وإنما هو العرض لفقه التاريخ والاستنباط من التاريخ..

٣ ـ وهناك دعوة للعودة يكتب فيها التاريخ جديداً، وهذا فيه إنكار للتراث، أو محاولة للتشكيك فيه.. فتاريخنا كتب فلا حاجة إلى أن يكتب جديداً، وإنما الحاجة إلى الفقه لأسباب الأحداث ونتائجها.. فمثلاً:

ـ إمبراطورية أمية، تاريخها كتب، ولكن من فقه هذا التاريخ أن نحدد أسباب الزوال لها، كما نحدد الدواعي التي أشعلت الشعوبية، فاشتعال القومية العربية في عهد أمية كان مبعث القوة لها أول الأمر، وباعث الضعف لها في نهاية الأمر. كما باعث القوة للشعوبية، تلك القوة الخراسانية التي نصرت العباسيين وأسقطت بني أمية، فالدولة العباسية كنسب في قمة العروبة، ولكنها لم تكن إلا دولة شعوبية انتصرت بقوة الشعوبية، واضمحلت بها القومية العربية.

ـ هكذا تكون الدعوة للباحثين تأتي بحوثهم على هذا الأساس فقهاً واستنباطاً.

٤ ـ كما أن المؤسسة سيتسع لها المجال في طبع الكتاب النادر، والبحث المتفوق، وجمع الوثائق، والتوسع في نشر الوثائق والمخطوطات.. فإن لم يكن في الماضي إعداد لحفظ الوثائق والمخطوطات حتى ذهب أكثرها إلى الغرب، فإن وسائل الصون والحفظ أصبحت متاحة لدينا.. فلنشتر ما سرق منا، لأنه أولى بنا أن نحفظ تراثنا الذي حفظه المستشرق، بشراء أو بأي أسلوب آخر..

وهناك الكثير والكثير مما ستقوم به هذه المؤسسة التي نرجو أن تكون لها آفاق واسعة، وطموحات عديدة، وأعمال مديدة لخدمة الإسلام والمسلمين..

والله ولي التوفيق..

التاريخ المجغرف

وجرى حديث بيني وبين الأخ الدكتور/سامي خماس الصقار، عن معرفة مكان الحدث التاريخي؛ فأكثر تاريخنا الذي كتب واتسعت له الأمهات من تلك الموسوعات، كان مقتصراً على شرح الحوادث لا يجغرفها ـ لا يصف المكان ولا يحدده.

غزوة بدر مثلاً فصّلتها الرواية، وسجلتها كتب السيرة، وحفلت بها موسوعات التاريخ، ولكن أين المكان؟.. أين الوصف للأرض وطبيعتها؟.. وغزوة الأحزاب شأنها شأن بدر.. الخندق.. النسوة على الجبل.. الأحزاب في مجمع الأسيال.. كل هذا تعريف في الغزوة لا يحتاج إلى كتابة جديدة، لكن الحاجة تدعو إلى الجغرافية الجديدة.

بدر في المنحنى لمجرى وادي الصفراء، يسير مغرباً حتى إذا حجزته التضاريس من تلال الرمل والجبل، استمال منحدراً ليستميل مغرباً بعد.. المكان أوحى ـ كموقع «استراتيجي» ـ بالتكتيك لإدارة الحرب، فالحباب بن المنذر كان عسكرياً بمعنى الكلمة، سمع رسول الله ﷺ رأيه، فإذا هو على التل في أعلى الوادي لا يناله هذا السيل، فألزموا المشركين من قريش أن يكونوا في أسفل الوادي، وتأتي رمية الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ينزل المطر غيثاً، أغاث النبي وجيشه، وتعويقاً لقريش؛ لأنها في

أسفل الوادي، تتلبد الأرض تحت البعير والحصان، كأنما الحصان والجمل يتعثران في الطين، يعجز المشرك عن الغارة فإذا هو النصر، القلة تنتشر على أرض صلبة، والكثرة تتعثر على أرض رخوة.. كان هذا التكتيك، وكانت تلك الاستراتيجية رأي البشر، ولكن التوفيق من الله.

ألف بعير، سبعون فرساً.. ألف فارس.. هزموا؛ لأن المكان كان طليعة الهزيمة ولنقل إنه الميدان.. ثلاثمائة وثلاثة عشر فارساً تحت قيادة رسول الله، وفرسان وسبعون بعيراً، أعطاهم المكان الصلب قمة النصر، أفلا يحتاج ذلك إلى جغرفة؟ فالتاريخ لا يتسع فهمه إلا إذا جغرف.

وغزوة الأحزاب.. كانت الحماية في الخندق.. هكذا الرواية.. بينما الحماية أكثر.. كانت بالجبل سلع، كان الرسول وأصحابه غرب سلع، والخندق أمامهم، يحجز الكثرة أن تغير.. فالجبل سلع يصد الصبا.. لأن هذه الغزوة كانت في أيام شاتية، وعندما تهب الصبا من المشرق تتعب وتكره، لكنها ـ أعني الصبا ـ وقد صدها الجبل سلع، كانت من أسباب الراحة للجيش المسلم، وهذا يفسره قوله ﷺ:

(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور).

أما الصبا فكانت جالبة النصر على صورتين، راحة النبي وأصحابه، والكرب الكارب على المشركين؛ لأنهم كانوا في فسيح من الأرض.. في مجمع الأسيال.. بروما البئر التي تجتمع حولها الأسيال.. قناة من الشرق وأبطحان من الجنوب وسط المدينة والعقيق من الجنوب بين الجماء وحرة واقية.

وهبت الصبا تزعج المشركين.. تكفأ قدورهم.. تقلع خيامهم، فإذا هي الراجفة.. حتى إذا أرجفوا وخذلهم اليهود وأجمعوا أمرهم.. يصرفهم

الله بالخندق.. أعجزهم صنع البشر، كما أزعجتهم الصبا.. تدبير الذي أتقن كل شيء..

إن قارئ الحدث لكتب التاريخ لا يعرف الموقع وما جرى للواقعة، لأن الرواية لم تجغرف لها.

وهناك ملاحظة أخرى في تحديد الأيام، فالرواية تقول: خرج الرسول ﷺ إلى بدر، وصل بدراً، استعد للقتال.. ولكن كم هي الأيام.. قبل السابع عشر من رمضان.. متى علم أبو سفيان بنواضح يثرب؟.. متى وصل الخبر إلى مكة؟.. كم يوماً مضى حتى استعد المشركون؟.. وما عدد الأيام.. التي أوصلت الخبر؟ والتي جمعت فيها قريش أمرها.. كم يوماً مضى على نجاة العير.. إذ نجت، وهي غير ذات الشوكة.. وكم يوماً مضى على النفير.. حتى وصل؟.. وهل رسول الله وصل بدراً قبل السابع عشر من رمضان؟.. وكم هي الأيام؟.. وما هو وصف الطريق الذي سلكه رسول الله؟.. وهل هو الطريق الذي سلكته قريش؟.. كل ذلك يحتاج إلى جغرافية وصفاً وتصويراً، وقل مثل هذا في اليرموك، والقادسية والغزوات الأخرى وحتى السرايا، وأنا إلى اليوم.. بح صوتي.. أطالب وزارة الزراعة، والجامعات، وصاحب كل شأن في ذلك، أن يجغرف لنا الوديان والواحات.. فهذا كتاب «صحيح الأخبار» لابن بليهد، ما أحسن أن يجغرف، يطبع بجغرفة الخرائط.. أعرف اسم الوادي ولكني لا أعرف مسيلها الأول، ومجراه بعد، ومصبه، وروافده.. كل شيء أصبح مكشوفاً، وأرض الكيان الكبير قد مسحت من الجو، فجغرفونا لندفع عنا الجهل، بعلم نعرف به كل أرضنا.

ولم يطل الحوار بيني وبين الدكتور سامي، حين زارني في الدارة، إلا

على أبسط صورة مما كتبت، وقد سره مني حين ذكرت شعر سديف مولي بني العباس حين قال:

. . وقتيلاً بجانب المهراس. .

ـ قال:

محمد بن الحسن، النفس الزكية: لا أظن ذلك، فما المقصود إذن؟

ـ قلت: لا. . ولا. . لم يكن حين قتل بجانب المهراس، فقاتله المنصور تولى الخلافة بعد قول سديف بسنوات، مدة أخيه السفاح، إن القتيل بجانب المهراس أكاد أظن أنه (حمزة بن عبد المطلب) فالمهراس داخل أحد، ولعلّي أميل على ثقافة أستاذنا حمد الجاسر. . لعلّي أجد عنده التصويب. . أو التخطئة لأعرف اليقين منه، كما عرف اليقين عن جبل رضوي، وكما عرفت اليقين منه حين أخطأت فصوبني؛ فقد سمعت حسن الكرمي في إذاعة لندن في برنامجه «قول على قول» سألوه عن هذا البيت «لتأبط شراً» وعن الجبل سلع، في قوله:

إن بالشَّعب الذي دون سلع لقتيل دمه ما يطل

الكرمي أجاب: بأنه سلع البتراء في البلقاء (الأردن) وأخذت نفسي أخطئ الكرمي أقول:

إن تأبط شراً. . هذا الهذلي، ما شأنه والبتراء في الأردن، لا بد أنه أراد سلع المدينة وسألت أستاذنا حمد الجاسر عن هذا الذي قلت، فقال الجاسر بجسارة العالم. .

الكرمي أخطأ وأنت أخطأت. . إن تأبط شراً، ذكر سلعه، الجبل في هذيل. . كأنما عندنا السلع المثلث (البتراء ـ المدينة ـ هذيل).

لو كانت لدينا جغرفة لأرضنا، أيضيع اسم رضوي.. وهو أمامه في ينبع.. من معرفته؟.. ولا أعرف أن في هذيل جبلاً اسمه سلع؟

إنني أدعو أساتذة الجغرافيا أن يجغرفوا التاريخ.. الأرض، والوادي، والجبل، والواحات، والعيون والآبار التي حفرت بالإزميل وما أكثرها حزينة، لأنها ما زالت مجهولة لا نعرف مجد من حفرها، وهم من أهل هذه الأرض، ولعلّ مهرجان التراث في الجنادرية ينتصب لهذه الجغرفة.

الدَارَة.. أَول رَوَافِد
مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية

وإذ أكتب عن مؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية فإني أتشرف برؤية واضحة لهذه المؤسسة، وما كان ذلك مني انتسابي إليها كأحد أبنائها، وبالأحرى كأحد خادميها، إنما أكتب عنها عضواً في مجلس أمانة «دارة الملك عبد العزيز» وكرئيس تحرير لمجلتها، لهذا لا أكتب من فراغ، ولا عن تفرغ، فدارة الملك عبد العزيز ومجلتها نواة لمؤسسة الملك عبد العزيز الإسلامية، أو هي بالأحرى الرافد الأول لها، فمؤسسة الملك عبد العزيز جمّاعة، جامعة، تسترفد كل الروافد، لا تفرق ولا تبدد، بل هي تبنى بالتطوير، ولا تهدم بالتغيير، فما من مؤسسة إلا وهي رافد بالاتساق والتنسيق، وحتى الارتفاق.

الجنادرية رافد، والآثار ومعالم العمران في مشروع الرياض بين الأمس واليوم رافد، فالعرض له يعطيه أنه من المؤسسة ولها وبها وعنها، لأن الملك عبد العزيز كل ما في هذا الكيان الكبير هو له ـ وهو به، فالمؤسسة الجديدة إعراب عن الوفاء له، لأنه جاهد فإذا الكيان الكبير «المملكة العربية السعودية» هي بكل شيء.. وقبل أي شيء.. وبأي شيء.. مؤسسة الملك عبد العزيز.

إن مجلة الدارة، ومجلسها وأمانتها، ما هي إلا النواة والرافد.

من هنا أرجو أن تكون الدارة الأمانة والمجلة، قد أعدَّت نفسها لتكون عطاء للمؤسسة، لأنها من عطاء المؤسسة.

كل شبر في هذه الأرض لا بد من أن تحته تاريخاً، وفوق ترابه مجداً، فكان عمل عبد العزيز، الإمام، السلطان، الملك، هو الذي قال للتاريخ: تكلم، وقال للمجد: ارفع رأسك.

يرحم الله الملك عبد العزيز، أقوى سلاح في يديه، الأمن والأمانة في ظل كلمة التوحيد. ويحفظ الله جلالة الملك «فهد بن عبد العزيز» الذي يحافظ ويصون تراث الآباء والأجداد..

المَـــرابـــد

وهي كلمة كتبناها من قبل، عنوانها الموجز يتسع لإطناب يحوي تاريخ أمة العرب، أمة الإسلام، كان عنوان (قواعد الفتح قواعد العلم)، أفليس العرب بإسلامهم فتحاً ومازال؟ ومن كان إسلامهم علماً؟ وإسلامهم على صورة تعبير العصر أرسل للدنيا كلها الحضارة الوسيط في الأمة الوسط، ولم تكن إلا من تراث أمم ورثتها اللغة الشاعرة فأرسلتها إلى كل الدنيا بلسان عربي مبين. فلئن كان المصدر أعجمياً من كل اللغات، فقد أمسكت به اللغة العربية مترجماً ومهندماً واضحاً. ولكن ما هو المصدر؟ أو من هم الذين تصدروا يعلّمون هؤلاء الذين ترجموا، الذين علموا، الذين كانوا أئمة تلامذة أئمة؟

إن المصدر هو: المسجدان والمربدان، المسجد الحرام ومسجد النبي في المدينة المنورة، ومربد البصرة ومربد الكوفة.

ولكن لنسأل: هل تمر البصرة أعطى علم البصرة اسم المربد ليكون القرين في الكوفة بهذا الاسم أم أن حصافة وثقافة الإمام في البصرة والكوفة أخذا اسم المربد من ذلك الاسم، ألا وهو المربد الذي كان ثم أصبح المسجد النبوي. كأنما المربدان في العراق قد استعرقا يرثان المربد في المدينة المنورة؟

وسؤال آخر: هل هناك كاتب حرف اتسعت ثقافته إلا وعليه بصمة المسجدين والمربدين؟ وفطنت بغداد تقيم احتفالاً في ٢١ نوفمبر تحت اسم المربد، كأنما بغداد وهي على حق أعلنت أنها الوارثة والمورثة للمرابد الثلاثة، المدينة، البصرة، الكوفة، وهل كانت بغداد إلا وارثة شع منها نور الحضارة الوسيط، فإذا علم المرابد، أصبح العلم راية رفعتها العروبة على كل معهد، على كل من حفظ العهد، لا ينكر على بغداد أنها كانت مشرق الحضارة، عربية مسلمة، ولقد قال شوقي عاشق الشام، من عشقه للإسلام والعروبة.

لولا دمشق لما كانت طليطلة ولا زهت ببني العباس بغدان

واستدركت على شوقي أقول، لا ناقداً وإنما مستملحاً:

لولا حراء لما كانت دمشقكم:

وليكن النثر بعد، فلولا دمشق لما تم ظهور بغداد، ولولا بغداد لما ثبتت العروبة ثبات الإمبراطورية في دمشق، لأن بغداد ـ كدمشق ـ كانت عاصمة العاصمة، فما من عاصمة في أرض العرب إلا وهي العاصمة لكل العرب.

أمة واحدة من مرابدها انتشر العلم، فكيف نصل إلى الفرقة، نحرق المربد بيد مسلمة وسلاح عربي.

وأخيراً فالمربد في بغداد اليوم هو إعلان الوراثة وعمل التوريث، ليرث العرب ماضيهم عملاً لحاضرهم أملاً لمستقبلهم، فأي أمة لا ترث ماضيها ولا تعمل لحاضرها تخسر مستقبلها.

تحية لمربد بغداد أرسلها حيث عجزت أن أكون هناك، فالتحية إكبار تحمل معنى الاعتذار.

أرضنا صهرت فأبقت على إنسانها

غرقت بين أحلام اليقظة ويقظة التفكير أفكر لأجد موضوعاً أكتبه فاتحة لمجلة الدارة فوجدتني أسأل عن هذه المفارقة بين أرض العرب كلها من الخليج إلى المحيط وبين شبه جزيرة الأناضول، فجزيرة العرب والأناضول، كأنهما جزيرة واحدة الأرض متصلة بالأرض، ولكن ما هي الأسباب التي منحت الأرض العربية أن تقهر غزاتها، لتصهر أنسالهم يصبحون وكأنهم أبناؤها، ينسون لغتهم ويتكلمون لغتها، ويعانقون طبائعها وتقاليدها، بينما الأناضول وقد كانت فيما عرفت أرض الحيثيين، حتى إذا احتل الأرض الرومان لم يبق الحيثيون، فانطبعت أرض الأناضول بطابع الرومان، وما زالت القسطنطينية بما فيها من أثر روماني تدل على أن الرومان كانوا هناك، وأن الحيثيين ذابوا، أما العرب فأذابوا.

وتقدم السلجوقيون كبعض ملوك الطوائف، فإذا هم يجعلون الأرض التي احتلوها وعاصمتها قونية أرضاً تركية ذاب فيها الرومان بغلبة الترك ولغتهم. وساد العثمانيون فإذا هم دولة عاصمتها بورسة يحتلون أرضاً لم يبق فيها روماني، فأصبحت تركية سلطاناً ولغة.

أفليست هذه مفارقة تدعوني أن أطالب من هم أعلم مني، أو من هم أقوى مني بأن يثروا هذا البحث الذي أثرته، لإيضاح الأسباب؟

وسؤال آخر، عن وصول جيش يزيد بن معاوية أيام أبيه إلى أسوار القسطنطينية يحاصرها كما وصل إليها جيش مسلمة بن عبد الملك، كلاهما حاصرها ـ وشهيد الإسلام أبو أيوب الأنصاري شهيد على ذلك. فكيف وصل جيش يزيد وجيش مسلمة عبر الأناضول كلها، يصل إلى الشمال؟ ألم يكن هناك رومانيون قد قاتلوه وقاتلهم فانتصر حتى وصل إلى القسطنطينية؟ أم أن الشعب في الأناضول كان يفتح لهم الطريق ليصلوا إلى القسطنطينية؟ لا بد من الإجابة عن هذا السؤال.

إن أرض العرب غزاها الفرس والرومان والتتار والصليبيون والاستعمار، قهروها حيناً ولكنها ما تقهقرت وإنما هي وبلغتها العربية قهرت وصهرت، فالعراق جار فارس لم يبق فارسياً، واليمن ابتلعت الأحباش والفرس وبقي اليمن يمناً عربياً، والشام طردت الرومان بالفتح المسلم وبتعصب العربي للعربي فما كان الجيش في اليرموك إلا بقيادة رومية وقلة رومية أما الكثرة فعربية. الشام طردت الرومان وطاردت اليهود لأنهم ـ أعني اليهود ـ لم يخضعوا لعملية الصهر، فكانوا قلة مغايرة لطبيعة الأرض وطابع اللغة. فأرضنا العربية كما تصهر فإنها تطرد، ومصر قهرت وصهرت غزاتها والشمال الأفريقي كذلك.

ولعلّ مصطفى كمال قد فطن إلى ذلك، أو استلهمه من واقع الحال لقوة ألمانيا وضعف الأتراك أمام الألمان، فحين أخذت ألمانيا امتياز خط برلين ـ بغداد لم يفطن الاتحاديون إلى ما فطن إليه مصطفى كمال، فقد كتب في مذكراته عن شرط في هذا الامتياز يعطي الألمان من أول الخط إلى آخره ثلاثة كيلو مترات شرق الخط وثلاثة كيلو مترات غرب الخط، أي إنهم أخذوا من الأرض ستة كيلو مترات شرقاً وغرباً على طول الخط كله،

فقال مصطفى كمال: إن هذه الكيلو مترات تستوعب ستة ملايين ألماني لهم حق السكنى بهذا الامتياز، فهذه الملايين الألمانية كافية للقضاء على الجيش التركي، فهل كانت هذه فطنة مصطفى كمال استوعب التاريخ حيث ذاب الحيثيون والرومان بغلبة الترك، ليذوب الترك بغلبة الألمان؟

إنها خواطر أطرحها لأجد من يتوسع، من يخطّئ، من يصوّب!

ضيم الشعُوب. . يَلد العَبقَري

والمتفائلون من كل شعب لا يرهقه الضيم من عدو غاصب أو من تخلف قاهر بالجهل صبه على الشعب. الجهل أو الخلاف أو التمرد على العقيدة أو أي عمل قهر الشعب فتقهقر يعجز عن النهوض، فالمتفائلون هؤلاء يحدوهم الأمل في النهوض ولا يأخذهم التشاؤم إلى القعود فلا تكاد تمضي فترة طالت أم قصرت إلا وينهض نابغة عبقري يرفض الاستكانة للعدم ويستنبط من تاريخ شعبه ومجد أمته الوسيلة تلو الوسيلة، فإذا هو وقد أنهض من حين نهض تترى عليه وسائل النصر كأنما الضيم الذي عاشه شعبه هو الوسيلة الأولى التي انتصر بها أول الأمر على شعبه نفسه، يوقظ النائم ويقيم المقعد حتى إذا تم له جمع الشمل قبيلاً فقبيلاً، مدينة فمدينة يحوز النصر، فإذا هو التقاطع مع الإقطاع والقطيعة ليجد نفسه زعيماً قائداً وليجد شعبه نفسه في الناصر له المجمع لشتاته ليكون الشعب بعد هو المنتصر المهيمن في ظل العقيدة والمبادئ ثم ليجد الشعب نفسه لا يعتمد على الحجر ولا على وسائل القتال ليلفت إلى قيام كيانه شعباً واحداً من أمة واحدة.

ما سبق إنما هو خلاصة موجزة لما كانت عليه المملكة العربية السعودية، فقد عاشت في تفرق الإقطاع وشتات القطيع.

والتاريخ شاهد [وما يوم حليمة بسر] فالضيم الذي ذكرت خرَّج العبقري في صهر القهر، فالإمام السلطان الملك عبد العزيز «رحمه الله» كان ولا شك عبقرياً ولسنا بصدد التعداد لمواقف البطولة أو العبقرية، يكفي أن انتصاراته كانت حصيلة الصبر على الهزيمة فما أكثر معاركها التي انتصر بها وما أكثر الهزيمة أحالتها العبقرية إلى انتصار فقد قلنا من قبل إنه كان «يتغمده الله برحمته» ينتزع النصر من مخالب الهزيمة، كما انتزع غنى الدولة من فقر كانت تعيشه الدولة فالهزائم جلبت النصر، والفقر بحث عن الغنى فإذا هو المجمع الموحد لجزيرة العرب الداعية لوحدة العرب، بل هو المثل لدعوة الوحدة ينادي أمة الإسلام أن تكون مأمورة بهذه الآية:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢)

فالآية هذه جاءت بأسلوب الخبر بينما هي بوازع التربية (إنشاء) إنها الأمر أي كونوا أمة واحدة، فالعبقري عبد العزيز أسس الوحدة النموذج لجزيرة العرب، قتل الخصام وقاتل الوصام.. إن الضيم لأي شعب يلد العبقرية، وقد ولدت جزيرة العرب العبقري عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

اليَوم الوَطني

ويسرني أن أكتب عن اليوم الوطني لأن المصادفة هي باعثة المسرة.. فهذا العدد يحمل اسم الشهر الحرام «شهر المحرم» كما أنه، أعني العدد.. قد واكب زمان صدوره.. زمان اتخذته المملكة العربية السعودية يوماً وطنياً.. فلئن كتبت الصحف المقالات بأسلوب الجريدة فإنه ينبغي للمجلة أن تكتب بأسلوب التجريدة، أعني مواقف الحزم.. مواقف العودة بهذا الوطن إلى شذرات تتضح منه مآثره وتأثره وتأثيره.. فاليوم الوطني لا يعني الذكرى لحاضره بل ينبغي أن تحتفل الذكرى بالتذكير لما له. وبما ليس هو عليه، وإنما على الذين هم «بنوه» وهم «بانوه» فإذا هم وقد أخذوا كل شيء منه، يأخذون بعقوقهم وفرقتهم ما يفخرون به، فإذا هو يسخر بكل من جدف عليه من هؤلاء الآخذين فعطاؤه غير محدود وجحودهم ما زال هو المحدود.

١ ـ بهذا البيت الحرام، في مكة، بوادٍ غير ذي زرع، فإذا مكة لا تقتصر على الوادي، ولا تنحصر بين الجبلين، وإنما يمتد اتساع مكة.. فأول الأمر في الجاهلية اتسعت مكة لمن حولها من العرب، سواء كانوا من الأفئدة التي هوت إليها.. أو من الأفئدة التي توالدت فيها.. فكل الأودية في جزيرة العرب وكل الواحات استجابت لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه

الصلاة والسلام فإذا كل واد وكل واحة تجني منهما مكة كل الثمرات. لهذا ما عرف التاريخ أن مكة ذاقت الجوع، أو إذا ما اشتهى أهلها شيئاً إلا وهم واجدوه.

٢ ـ ومكة الحرم الآمن.. أنعم الله عليها بالحرمتين.. حرمة المكان «مكة»، وحرمة الزمان «الأشهر الحرم». فالعربي حولها يعيش الأمن فيها، لأنها «المكان» و«المكانة» والعربي مرة أخرى يعيش الآمن حولها في الأشهر الحرم.. حرم آمن، وسياج آمن، وإنسان آمن، في المكان، وفي بعض الزمان.. أي في الأشهر الحرم الأربعة.

٣ ـ وأنعم الله على مكة، وعلى من حولها، وعلى من أسلم وجهه لله، بهذا الإسلام نوراً سطع على جبل [حراء] وبرهاناً أعلن فوق الجبل [الصفا].. فالنبوة على حراء والرسالة على الصفا.. والهجرة في حرز الجبل [ثاني اثنين إذ هما في الغار] فالجبل ثور.

٤ ـ ومضت أيام تخاذل بنوها بالفتن، واحترب بنوها في فتنة بعد فتنة، فإذا الآمن حولها لا يحترم حولها. فالأرض حولها في سنوات وسنوات شاعت فيها الفتن.. كأنما حرمة الحرم لم تكن فيهم.. إذ لم يكونوا إلا بها.. وحتى حرمة الزمان.. لم يعتنقوها وإنما تعاقدوا حولها فتانين ومحاربين.

٥ ـ فإذا مكة اليوم حرماً وسياجاً لها يوم وطني، حين توحد سياجها وكل قبائلها وكل حواضرها تحت اسم «المملكة العربية السعودية».. فلقد انفرط الأمن وانتهكت الحرمات فإذا الله رب الكعبة الذي بحوله وبقوته قد منح عربياً في الذروة من عدنان من ربيعة الفرس، اسمه «عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود» جمع الشمل، فلا قطيعة، ولا إقطاع، ولا مقاطعات.

والسؤال.. هل بعد عماية التاريخ وغواية المتحاربين انتشر الأمن في مكة، بيت الأمن وفي كل الأرض حولها.. يحج الناس آمنين ويعيش الناس آمنين؟.. ولقد قلتها أكثر من مرة «إن لعبد العزيز بن عبد الرحمن، وآله من آل سعود، وأهله من كل الذين ناصروه، له في عنق المسلم والعربي دين سداده أن يكونوا الشاكرين الحافظين للأمن.. ولنترك من تعنصر، ومن استكبر يعيش العقوق تقتله القطيعة.. فالحرب على الحرم لا تنحصر داخله، بل قد تكون أكثر جوراً في خارجه من الخارجين عليه»..

وهكذا فذكرى اليوم الوطني نصر على الذين كانوا أهل الهزيمة ولو تمتعوا بنصر أيام. فما هو من جانب الله إلا إمهال لهم.. يأخذهم بعدها أخذ عزيز مقتدر.. ويبقى البيت لأن له رباً يحميه.

التطبيب عِند العَرب

بلادنا العربية طبيعتها:

ـ تميزت بلادنا بطبيعة خاصة انعكست على مسيرتنا الحضارية.

فاتصالاتنا بشعوب كثيرة كالفرس والكلدان والهنود واليونانيين نقلنا عنها وأفدنا منها وبالذات في ميدان الطب.

ـ طريقة الكهنة والعرافين والشعوذة.

ـ طريقة العلاج بالعقاقير.

أشهر الأطباء:

ـ رجب بن تيم الرباب ويسمى ابن حزيم في المثل: «أطبُّ من ابن حزيم».

ـ لقمان بن عاد الملقب بالحكيم وكان يقيم في بلاد الشام، جاء ذكره في القرآن.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ ..﴾ (لقمان: ١٢).. (وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه..).

وَحِكَم لقمان لها صلة قوية بالطب النفسي منها:

«لا تُقلِق نَفسَك بالهموم، ولا تشغل قلبَك بالأحزان.. إياك والطمعَ

وارْضَ بالقضاء، واقنع بما قسم الله لك يصفُ عيشُك وتُسر نفسك وتُستلَذُّ حياتك».

ـ راميان وكوسم طبيبان صيدليان وهما شقيقان توأمان عربيان عاشا في سورية ٣٠٠ ق.م.

ـ زهير بن جناب بن هبل الحميري.

كان الممارس لمهنة الطب يسمونه العرّافة.

وكان عرب الجاهلية يطلقون على العراف «الطبيب».

من أشهرهم في كتب التاريخ:

ـ رباح بن عَجلة ـ عراف اليمامة.

ـ الأبلق الأسدي ـ عراف نجد.

وشاعر اليمامة يمدح عراف اليمامة بقوله:

فقلت لعراف اليمامة داوني فإنك إن دوايتني لطبيب

أما شاعر نجد فيقول:

جعلت لعرافِ اليمامة حكمه وعرافِ نجد إن هما شفياني

وسائل العلاج المعروفة آنذاك:

ـ حرق العقرب ثم استعماله ـ المس بدل الحك.

ـ الغراب والجرح ـ الشبة السوداء

ـ الكي ـ عند ذات الرئة ـ الفِتاق ـ اليرقان ـ عرق النِّسا ـ الحمى.

ـ الكبوس، التراب والاستشفاء برء الساعة، بيت العنكبوت، الجمرة

والجروح، الخميرة والحروق، اللبخة والتهاب اللوزات، الخاطر، الطحال.

تأثير الإسلام.. تحضير العرب..

ـ بعد ظهور الإسلام.. وصف كثير من المؤرخين الطب العربي بأنه الطب الإسلامي.

ـ عند دخول العرب بعض البلاد فاتحين استهوتهم العلوم التي وجدوها ولم يأخذهم الغرور ـ بل أقبلوا على العلم في كل مكان.. وحافظوا على دوره وكرموا أهله.. كما أقبلوا على المخطوطات يجمعونها من كل البلاد. وكانت ترجمةُ هذه المخطوطات هي المصدر الثاني لهم في تعلم الطب.

ـ برز من العرب أبو القاسم الزهراوي الذي ألف موسوعةً طبية تضم ثلاثين مقالاً وكان عُنوانها «التصريف لمن عجز عن التأليف».

وعلي بن عباس المجوسي.

والحارث بن كلدة الثقفي من الطائف.

والنضر بن الحارث وهو ابن خالة النبي ﷺ.

وابن أبي رَمثة التميمي كان طبيباً على عهد رسول الله ﷺ.

والشمردل بن قباب الكعبي من نجران.

وضماد بن ثعلبة الأزدي.

والشفَّاء بنت عبد الله. ورفيدة الطبيبة الجراحة.

وأم عطية الأنصارية.

وأم كعيبة بنت سعد الأسلمي.

وابن نفيس. والأنطاكي ـ وأبو بكر الرازي.

ويؤكد الكثير من المؤرخين أن رسول الله ﷺ حث على حُب العلوم ومنها الطب بقوله:

العلم علمان.. علم الأبدان وعلم الأديان. قدّم الرسول ﷺ علم الطب على علم الدين ليشجع على الإقبال على دراسته.

والرسول الكريم رُوي عنه ما سُجل في كتاب سمي الطب النبوي، فكان ﷺ يداوي نفسَه ويأمر بذلك لمن أصابه مرض من أهله وصحابته.

مقارَنة بَين يَعرب وَعَامر

وقبل أن أبدأ المقارنة، فإني أمهد بما يلي: يخطئ بعض المتكلمين أو المثقفين حين يقولون: (رسالة آدم) كأنهم لم يعلموا أن آدم أبا البشر لم يكن رسولاً وإنما كان نبياً.. أما أول الرسل فنوح عليه وعلى أبيه آدم السلام، ويعني ذلك أن أبناء آدم قبل نوح كانوا المكلفين باتباع الأب وراثة وتقليداً، فالنبوة لآدم امتياز وتكليف.. والنهي عن أكل الشجرة تكليف، والهبوط من الجنة تكليف.. وقتل قابيل لأخيه هابيل عصيان لطاعة التكليف.

فامتد بنو (آدم) إلى عصر (نوح) «عليهما السلام» ولم يبعث فيهم رسول فمنَّ الله على عبده (نوح) أن جعله أول الرسل، ليكون التكليف تبليغاً وأمراً ونهياً لا تقليداً، فإذا قوم نوح لا يؤمنون. عاش فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، صابراً لعلّهم يهتدون، ولما لم يؤمنوا دعا عليهم حين نفد صبره فاستجاب له الله وأعلمه أن العذاب آتٍ، وأرشده أن يصنع سفينة النجاة، لأن قومه الكافرين سيهلكون بالطوفان، فتفجرت ينابيع الأرض، وهطل الماء من السماء، فنجى الله نوحاً والذين آمنوا معه، أولهم أبناؤه الثلاثة: (سام، ويافث، وحام)، وهلك ابنه الرابع لأنه عمل غير صالح، غره الكفر بالعصيان، فلم يعصمه جبل، فكان من الهالكين.

وأخشى ألا أكون على صواب فيما أعتقد إذا سرت مع القائلين بأن الطوفان هو التطور البيولوجي الثالث، تغيرت به بعض المعالم على الأرض، فأغرقت أرضون، وظهرت أرضون عليها بقية من الماء في البحيرات وكان جل الماء في المحيطات والبحار، كما قالوا:

إن الطوفان قد اقتصر على غرب الهملايا، حتى أغرق قارة الأطلنتيك وبقيت أوروبا تحت وطأة الجليد.

وما قالوا لنا عن قارتي أمريكا شيئاً، هل كانتا فلم تغرقا؟ أم أنهما ما كانتا إلا ماء، ثم برزتا على الأرض فيما بعد.

أما شرق الهملايا، فقد قالوا:

إن الصين وما إليها لم يشملها الطوفان، ويعني هذا أنهم وهم الجنس الأصفر ليسوا من ولد نوح، فلا هم ساميون، ولا هم حاميون، ولا هم يافيثيون، وإنما هم المغول من ولد آدم، فلم يلدهم نوح.

واستدلوا باختلاف السحنة واللون والشعر والعيون..

أستعرض هذا لأكتب عن التطور في الحضارة، فبعد الطوفان، تطورت الحضارة وما صنعها وما قام بها إلا أبناء سام بن نوح، فلا أبناء يافث صنعوا حضارة نِدًّا لأبناء سام، ولا أبناء حام كذلك، فسام أنجب أرفخشاد، وأرفخشاد أنجب الأخوين قحطان وشالخ، فإذا هما يفترقان على الأرض الوسط.. أما قحطان فقد أنجب يعرب، وكان الخصب الولود في جزيرة العرب واليمن، وهو من الجزيرة، كان الناشر لأبناء يعرب، والصانع للحضارة.

وأما عابر فقد عبر إلى النهرين، فإذا عابر ويعرب يصبحان الأبوين

لأبناء سام: يعرب جد العرب: عاربة بائدة، وعاربة قحطانية.

أما عابر فهو أبو الكلدان الذين هم الأنباط الذين هم أصحاب الرس.

من هنا نظرت إلى الحضارة فوجدت أن القحطانية بائدة وعاربة، عادية وثمودية، وفرعونية وكنعانية، وحميرية وفينيقية، وسبئية وكندية.. كل هؤلاء القحطانيين أقاموا الحضارة بناء على الأرض، لأن نظرتهم كانت إلى الأرض، ولا عجب فهم وثنيون مستأرضون، حيث عبدوا الحيوان: (الأسد، والهِر، والبس، والعجل، والجعلان).

وقد خالف من القحطانيين الفراعين، فجمعوا بين عبادتهم الموروثة عن القحطانيين وبين عبادة الكلدان التي هي عبادة الكواكب، وذلك لأن حضارتهم ثقافية، فعبدوا الحيوان وعبدوا الكواكب.

أما الكلدان فحضارتهم كانت نظرتهم إلى السماء، تعلقوا بالفلك، حتى ما بنوه كان لرصد الفلك، وهم الصابئة، فعبدوا الكواكب.

هذا الفرق توسعت به حضارة سام من البناية على الأرض، ومن العلم بالفلك، ولعلّ الإغريق أخذوا من الكلدان النظرة إلى السماء، فكل إله توثنوا به كان منسوباً إلى السماء.

هذا رأي لا أزعم أنه كله صواب، بل يسرني أن يكون فيه الخطأ لأثير من هم أعلم مني بالتصويب والتخطئة ليكون البحث مصدراً لتحرير حضارة الساميين، من أن تكون مقتبسة من غيرهم، بينما لم يكن غيرهم بعد الطوفان إلا هم.

وأكاد أزعم أن الإغريق اقتبسوا، ولكن عبقريتهم طورت ما اقتبسوه من حضارة الساميين وكأنهم صانعوها أولاً.

ولعلّ سائلاً يسأل.. كيف زعمت من قبل أن اليهود وهم من الكلدان لا حضارة لهم؟

والجواب هو أن الحضارة إنسان وزمان ومكان، واليهود بنو إسرائيل انفراديون. جمعتهم العصابة والعصبية حين كانوا بدواً ولم يجمعهم مكان ولا امتد لهم في مكان واحد زمان.

ولعلّ معترضاً يسأل عن حضارة العرب الآن، فأقول له:

إنها لم تُعَدّ في ثبت الحضارة لقرب الزمان وقلته، فهي مدنية فائقة ستصبح بعد أجيال الحضارة الآرية اليافيثية، ولا تزال مدينة لحضارة الساميين والإغريق، والأكثر لحضارة الإسلام والعرب.

لقد اقتبسوا اسم الشمس (Sun) من السنة النور، كما اقتبسوا اسم النجم (Star) من تسمية الساميين، فالكلدانيون يسمون الزهرة رمز الجمال، والحب عشتار، كما سماها الكنعانيون والفينيقيون (عشتروت)، والفراعين (هاتور) والعدنانيون تفحصوا فسموها (الزهرة) من الازدهار.

ويقول أستاذنا «معروف الدواليبي» إن (فينوس) وهو اسم الزهرة رمز الجمال مأخوذ عن العرب. فرمز الجمال عند العرب (البنث) أي البنت يوم لم تكن التاء، ففي نظري أن (فينوس) هي البنت، والسين علامة التنوين في اليونانية، والدليل أن (البنت) وهي رمز الجمال.

سمي بها القصر الكبير المنحوت في الجبال في حجر ثمود (مدائن صالح) سموه قصر (البنت) التي هي رمز الجمال.

إنها مكة حَرم آمن

وحاول الطغاة المخدوعون بما عقدوا، أو الكافرون بما اعتقدوا، أن ينالوا من المسجد الحرام من مكة من بكة من الكعبة، فحجزهم الله عنها، بعضهم لم يصل إليها وبعضهم وصل حتى المغمس.. حتى وادي محسّر، أي داخل حدود المسجد الحرام، ذلكم أبرهة.. حبشي جاء من اليمن يقود جيشاً جراراً.. بل قاده حقد فوار، فإذا النار تأكل قلبه، يشد قوته ليهدم الكعبة، ليكون له بيت هناك في مركز مُلكه.. لم يعرف الطريق، فإذا خوّان من العرب هو (أبو رغال) يصبح الدليل له، يسلك بالفيل وأصحابه الطريق، أكلته الخيانة فأكلت تقديسه للبيت فتآكلت عروبته، ماتت نخوته، ليشبع بقيمة وُعد بها، ولعلّه ـ في نفس أبرهة ـ سيكون طعاماً للسيف إذا ما انتصر صاحب الفيل، ولم يعلم صاحب الفيل عن الطير الأبابيل، عن الحجارة من سجيل تهلكه هو وكل جيشه.. إلاّ (حمامة) أم سيد العبيد بلال، أبقاها الله لتلد، هذه العود من الأبنوس.. هذا الأسود.. هذا السؤدد ـ أسود لونه وأبيض قلبه فإذا نور الإيمان في بلال يجعله أفضل من كثير ومن أكثر الذين أسلموا بعده ويأبى الفيل ـ هو من ذلك الشيء الذي يسبح بحمد الله لأن الفيل يعرف الله أكثر من الكافرين الطغاة ـ أن يتجه إلى حيث يريد أبرهة، فعصاه ليتجه حيث أراد الله وإن لم يتحرك، ويقولها عبد المطلب بن هاشم جد محمد عليه الصلاة والسلام «أنا رب إبلي أما البيت

فله رب يحميه» فحمى الله بيته، ولكن أين العرب؟ لماذا لم يحترموا أبرهة، وكلهم يحترم البيت؟ تلك قدرة الله.. إرادته.. أراد سبحانه أن يكون هو الذي يحمي بيته.

ولنسأل عن التوقيت، ألأنَّ محمداً ولد هذا العام؟ ليكون الطير الأبابيل إرهاصاً تعظم به مكانة البيت فلا يضام، وليجد رسول الله قريشاً آمنة تسميه الصادق الأمين حتى إذا أرسل أسلم الصادقون وبقي المشركون على شركهم.

العرب ما تخاذلوا ولا خُذلوا، وإنما الله ثبطهم ليكون النصر من عنده، وليكون هذا النصر آية للذين يؤمنون بالله.

.. وجاء من رجم الكعبة بالمنجنيق، حماه إسلامه وأمره إلى الله، وتولَّى خالد بن عبد الله القسري عاملاً لبني أمية أميراً على مكة، فما استحي من إسلامه، بني لأمه وفي بيته كنيسة لأنها كانت نصرانية.. هجر قول رسول الله ﷺ «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» «لا يجتمع في هذه الجزيرة دينان».

وجاء القرامطة، قرمطي كبير وقرامطة صغار، فخذلوا، ألحدوا فأذاقهم الله العذاب، فالظلم بهذا البيت أو في هذا البيت إلحاد يذوق صاحبه العذاب، والأمثلة كثيرة، وما يوم حليمة بسر.

واليوم، حاول العبث الشعوبيون من الفرس، لا يعلنون الشعوبية، وإنما يتسترون وراء الإسلام، الإسلام يمنع العبث في الحرم يمنع إراقة دم المؤمن، فكيف تطعن سكين مسلمة قلب حاج مسلم، إنها أبرهة جديدة أو قرمطية مستجدة، ولكنه الله يحمي بيته.. أنعم على خادم الحرمين الملك فهد أن يتصدى لهذا العبث، ما تعدى وما تحدى ولكنه تصدى.

الحرم أمن، وأتحدى من يقول إنه بعد اغتيال عثمان بن عفان ذي النورين رضي الله عنه، عمَّ الأمن جزيرة العرب.. حجازاً ونجداً وأعالي السراة وكل التهائم لم يقع أمن إلاّ حين جمع الله هذا الكيان الكبير المملكة العربية السعودية، فالمسلمون وأكثر العرب كانوا مع الملك فهد حين انتصب للعبث وحين قطع العلاقات، قلتها.. عروبتي فرحت وإسلامي حزن، ولكن الإثم على باعث الحزن، الإسلام لا يرضى أن يفترق مسلم عن مسلم، قال ﷺ في حجة الوداع «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم أعناق بعض».

وَاشمخَرتْ اليمَامَة . .

واشمخرت اليمامة، وحجرها الرياض، قبلياً في الجاهلية وإسلامياً في صدر الإسلام، فمنها وممن هم حولها من كل قبائل نجد، كانوا صخار الإسلام، والحفوة التي شقيت بها جزيرة العرب، لم تنل من اليمامة إلاّ حماستها لأن تعود إلى ارتفاعها المسلم وشموخها العربي بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ولسيوف الأئمة من آل سعود.

والحق يحاربه الباطل، فإذا عبد العزيز بن عبد الرحمن يعود إلى اليمامة بالسيف، فإذا هي تعود مشمخرة بالقصيدة وبالوحدة وبالأمن وبنشر العلم.

وأبت اليمامة إلاّ أن تشمخر تؤسس فيها ـ كما الجامعات ـ مكتبة باسم عبد العزيز يؤسسها ابنه ولي العهد عبد الله، جمعت التراث لتصون الميراث حتى إن الكتاب (الإكليل) لمجغرف جزيرة العرب الهمذاني، قد ضاع تناهبته الأيدي من مكتبة صنعاء بيت الهمذاني، فإذا رجل يجمع الإكليل اسمه في أجزاء في أكثر من مكتبة، أخذه الجد، فإذا الاجتهاد يعطيه، ماذا يصنع به؟ قالت مكتبة الملك عبد العزيز هاته. . اشترته ستطبعه إن لم يكن الآن تحت الطبع.

لقد كنت أذم سارق الكتاب يوم تسلط السرّاق على مكتبة عارف

حكمت ومكتبة السلطان محمود والمكتبات الأخرى يسرقون الكتب، كنت أذمهم، لكني الآن أشكرهم، لقد باعوها إلى من صانها.. باعوها في أوروبا.. واشترتها المكتبات، فإذا كل هذه الكتب مصونة في كل مكتبة أوروبية، لأنهم تعصبوا للكتاب من حيث هو كتاب، من حيث هو تراث إنساني، لئن خالف عقائدهم، فإنه يتآلف مع الفكر المثقف الذي تثقف أول الأمر بما وصل إليه عن طريق الأندلس.. عن طريق صقلية.. عن طريق القسطنطينية.. عن طريق بخارى.. عن طريق روما، أخذوا عن كتابنا القيم الحضارية، فهم لم يعرفوا أرسطو وأبقراط وأقليدس إلاّ عن فلاسفتنا.

لهذا، شكرت السارق وأثني على صائن الكتاب، ولو كان لي أن أقترح لطلبت من مؤسسة الملك عبد العزيز أن تنتدب المختار من رجالها يذهب إلى مكتبة الفاتيكان التي جمعت أكثر من خمسين ألف كتاب، حتى صحائف الجلد وعليها الآيات توجد في مكتبة الفاتيكان، لو طلب ذلك منها رسمياً لما رفض البابا هذا الطلب، لا نأخذ الكتاب وإنما نصوره، حتى يصبح الكتاب اثنين في روما وفي حجر اليمامة.

لقد اشمخرت اليمامة بهذه المؤسسة أعني المكتبة، كما اشمخرت بالجامعات، وكل ذلك كما الدولة كلها.. كما الكيان الكبير كله هو مؤسسة الملك عبد العزيز، ولا أنسى الدارة فهي من الرديف وكل الرديف أصبح ريف ثقافة يذوق ثمارها الذين يتثقفون.

وما نسيت أن أكتب عن المؤسسة في المغرب، التي خصص لها هذا العدد من المجلة، فالعدد هذا هو الذي كتب عنها ويكفيني ذلك، كل ما فعلته هو أني استجبت أو أني رأيت أن تصدر الدارة هذا العدد الخاص، وليس بكثير على ابن عبد العزيز الأمير عبد الله ولي العهد، أن تأخذه

الوراثة للعقيدة والوفاء للصداقة أن يبذل ما بذل في سبيل تنظيم العلاقة الثقافية بينما هم أهل ثقافة واحدة، ثقافة اللغة الشاعرة.. لا.. ثقافة القرآن، فقد حفظه المغاربة وفسروه، وكان حبهم لنا نحن المشارقة حباً لا يعلى عليه.

فأول من صدّق شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من أهل الأنصار ما كان إلاّ وهو السلطان سليمان، ولقد تعلمت هذه من الزعيم المغربي الشيخ علاّل الفاسي في محاضرة ألقاها في بستان الزاهر كعضو في رابطة العالم الإسلامي، ولا أدري هل أجدها عند الدارة أو في أي مكتبة أو حتى في الرابطة، فقد لعبت بعض الأيدي ببعض المحاضرات.

فعلاقة المملكة حرماً وسياجاً وصحراء وبيت الشعر وبيت المدر والرجال، علاقتهم وثيقة بالمغرب العربي كله لأنهم كما ذكرت من قبل أهل الثبات والإثبات يحبون هذه الأرض وإنسانها، فليس هم «غلاظ الأكباد» بل هم رقاق القلوب، وراثة الحميرية اليمنية وأخلاق الإسلام، فلئن شعَّ نوره في الحرم وسياجه، فقد انتشرت أنواره من المغرب كله بالفاتحين الذين كانوا من هنا حتى تكوّنوا هناك سواء كانوا الفاتحين الأُول أو كانوا بني هلال وبني سليم.. الفاتحون نشروا الإيمان وموجة نجد ومن لفَّ لفَّه فيها من القبائل، هم الذين عرّبوا، قالها عبد الحميد بن باديس، يوم عابوا بني هلال بأنهم خرجوا، فقال يرحمه الله ـ وهو بربري صنهاجي، لكنه شبع من القرآن ـ قال: لئن قيل إنهم خربوا، فلنقل إنهم عرّبوا.

ولست بهذا أتزيد أو أتسيد، وإنما أستجدي القارئ أن يعرف نفسه.. أن يعرف ما هم العرب، ليعرف من هم العرب.. ولا أريد أن أزيد.

مواقف لعبد الملك بن مَروان

وكاتب التاريخ ينبغي له أن تتجاوز عواطفه مع عقله لئلا تزحف به العاطفة إلى هضم التاريخ أو ينحرف به العقل إلى قتل العاطفة. فبعض ما نقرأ من استقراء التاريخ نجد عقلاً لا يتعاطف أو عاطفة لا تخضع لعقل، فهذا عبد الملك بن مروان ثاني الملوك في الإسلام كما هو وصف المنصور أبي جعفر له، فالمنصور يرى أن الملوك ثلاثة: معاوية بن أبي سفيان، وعبد الملك بن مروان، وهو.

ولم ينحرف المنصور وهو لم يكن لمعاوية، ولم يكن لعبد الملك. ذلك عمل عقله أو تعامل عاطفته لنفسه، غير أنه تناسى الملك الرابع الذي هو أعني المنصور لقبه بصقر قريش. عبد الرحمن الداخل.

سقت هذه المقدمة لأن عبد الملك بن مروان له ثلاثة مواقف تدل على حصافته ليس منها أنه لم يتأخر عن انتشار الفتح العظيم وإنما هي موقفه مع الحَجَّاج من أجل أنس بن مالك رضي الله عن أنس.

وموقفه مع عبد الرحمن بن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من أجل الحجَّاج، وموقفه من أجل صديقه الإمام عامر بن شراحيل الشعبي، فالحجَّاج وفي الكوفة صب الإهانة على سيده رغم أنفه وإن لم يكن هو الملك ألا وهو سيدي خويدم رسول الله ﷺ أنس بن مالك، فسمع عبد

الملك وغضب، وردع الحجاج ردعاً سجل في التاريخ.

فعبد الملك وإن أصبح الملك فما زال فيه الحنين إلى المسجد وأهل المسجد، فالتطبع لا يقتل الطبع، وإن أخذ منه.

وكان الحجاج أول الأمر أو بعد قتله وصلبه لابن الزبير وعدم احترامه لأسماء ذات النطاقين أبقاه عبد الملك أميراً على الحجاز، وإذا الحَجَّاج وهو يكتب التقارير لعبد الملك يثني على واحد من أعيان مكة بل من أعيان قريش اسمه عبد الرحمن بن طلحة، عجب عبد الملك من موقف ابن طلحة كيف أطاع بل كيف استطاع ألا يكون على رأس فتنة، فأرسل إلى الحَجَّاج يقول له: تعال ومعك ابن طلحة، ووصل إلى دمشق، وجلس عند عبد الملك، فإذا هو يصرف الحجَّاج عن المجلس لئلا يكون إلا وهو مع ابن طلحة وحدهما.

وأخذ عبد الملك يخبر عبد الرحمن بن طلحة عن ثناء الحجَّاج عليه، وصداقته له، فإذا ابن طلحة يقول له: كاف هذا موقفي لئلا أنال، لأني لا أريد أن أنال شيئاً ولكني أقول لك إن الحجاج صعب على أهل مكة أن يحكمها، صعب على الحجاز أن يكون الحَجَّاج أميره، سمع عبد الملك وأطرق يعجب بل ويستحسن، وأخذ ينادي الحجَّاج يقول له: لقد صدق حسن ظنك في ابن طلحة، ها هو يستقل عليك حكم الحجاز، ويريد مني أن أوليك ثغوراً هي في حاجة إليك، لقد وليتك حكم العراق.

كان ابن طلحة أخذته خشية أن يثير الحجَّاج عليه، ولكن حصافة عبد الملك سمع بها النصيحة، وما خرب العلاقة بين الاثنين، إنها ثقته في ابن عمه، أو ليس عبد الملك كان قومياً.

أما موقفه مع صاحبه يوم كان عبد الملك حمامة المسجد، فقد أرسل

قيصر الروم يطلب من عبد الملك أن يبعث إليه رجلاً يثق به ليعرف عنه الكثير مما يريد عن الإسلام والعرب وملك الشام، فبعث عبد الملك صديقه الشعبي ذلك الرجل الذي هداه عقله ألا يخوض فتنة، واجتمع عامر بن شراحيل الشعبي مع القيصر، تحدث إليه، أعجب القيصر بما سمع وأعطى الشعبي خطاباً مختوماً إلى عبد الملك، وقرأ عبد الملك الخطاب أمام الشعبي، إذا فيه كلمة من القيصر: (عجبت لأمة فيها مثل هذا الرجل كيف تركوه، وبايعوك أنت ملكاً عليه). وقرأ عبد الملك الكلمة على الشعبي فأخذت الشعبي بعض المخافة أن يبطش به عبد الملك فإذا ابن مروان عبد الملك يقول للشعبي: لقد حسدني عليك، فأغراني أن أنتقم منك، ولست ذلك الغر، فأنت عندي في مكانك الرفيع.

أكتب هذا ولست الكاتب عن نفسي، ولا عن تنفسي وإنما عن نفاسة تاريخ الرجال يوم كان هناك رجال.

اللغة إعراب . . وَالأرض تعريب

واللغة ألفاظ نعرب بها عما نريد، أو هي عطاء المعرفة، نقرأُها نمثلها إذا ما هضمناها، ثم نعرب عنها، في حديث نرسله أو نكتبها على قرطاس، غير أن هذه اللغة الشاعرة والتي هي عنوان العروبة قد لا تحفظ نفسها إذا غابت عن أرضها إن شرّقت أو غربت، ولكن الأرض العربية هي التي تحفظ العروبة لغة وسماتٍ واتجاهاً، كأنما الأرض العربية لها حدُّ معروف، فهي التي تصنع التعريب لإنسانها، والتي هي الصوانة لعروبة إنسانها من عمق عروبتها.

ولقد قلت من قبل لقد شرّق الفتح فلم يعرّبه وإن اهتدى إنسان الأرض لدين الإسلام، وغرب الفتح فعرّب، فإذا غرب السويس هو العربي تفصحت العروبة اللغة بجندي الفتح وتأصلت فصاحة اللغة بموجة بني هلال وسليم، فالذين عابوا بني هلال فقالوا إنهم خرّبوا، رد عليهم بن باديس العربي عروبة حِمير يقول: (لأن قيل إنهم خرّبوا، فلنقل إنهم عرّبوا) فالفاتح الأول والهلالي بعد، عرّبوا اللسان وإنما الأعراق فلم تكن إلا العربي من عروبة الأرض.

فالأرض شرقُها من شرق الفرات والخليج الأزرق وغربها على الشمال الأفريقي على المحيط الأطلسي حول الوطأة الأخيرة لذي القرنين المصعب

الحارس اليمني القحطاني بل الحِميري، ومن حول وطأة عقبة ابن نافع الفهري ويعني القرشي.

ويحتاج الأمر إلى تفصيل نؤكد به التأصيل، فالرومان لم يستطيعوا وقد بسطوا سلطانهم في شمال الجزيرة العربية يعني الشام كلها، كما بسطوا هذا السلطان على جنوب البحر الأبيض من غرب السويس إلى ساحل المحيط، بسطوا هذا السلطان استعماراً واستغلالاً كإمبراطورية عظمى في ذلك الوقت، نداً لإمبراطورية عظمى كذلك ألا وهي إمبراطورية الفرس، غير أن هذا السلطان لم يفرض سلطان الأعجمية على الأرض العربي شامها ومصرها، وكل مغربها، ولم يكن الصوان للعروبة على أرضه هو الإنسان العربي وحده، وإنما هي الأرض العربية لا تقبل إلا عروبتها.

والعراق استغول عليه سلطان الفرس ولكنه بقي عربياً لأن الأرض صوانة لعروبتها، حتى إن العراق الذي كان كلدانياً بابلياً أبت أرضه إلا أن تستحوذ على العابرين هؤلاء من ولد عابر بن شالخ بن أرخفشد بن سام إلا أن تأخذه أخذاً لتجعل من ورائته للسامية تسير به إلى العروبة، فإذا هم الأنباط أصحاب الرس، وإذا هم يرحلون من عراقهم عبر الصحراء فأنجدوا ليكونوا عرباً بعد حين وصلوا إلى وادي القُرى.. يرثون ثمود.. يكملون حضارة ثمود، فإذا هم في البلقاء ينحتون الجبل، فإذا هم في سلع البتراء كأنما حضارتهم في البتراء صورة طبق الأصل من حضارة ثمود (الذين جابوا الصخر بالوَادْ).

ولقد أذابت الأرض العربية لهجهتهم الكلدانية إن بقيت منها ألفاظ: (كأنطى بمعنى أعطى، أو ناطرك بمعنى أنتظرك أو هي الناطور بمعنى الحارس).

ونأتي إلى المغرب أعني غرب السويس فإذا الأرض صانت عروبتها، وما كان الإنسان هو المُعرِّب وإنما هي الأرض، والبرهان على ذلك أن موريتانيا وكل المغرب بقي عربياً أما مالي والسنغال (سنهاجة) وبقيت من أرض أفريقيا انتشر فيه الإنسان العربي ولكنه لم يعرب ناسه، مثل آخر لو أن سيبويه وابن المقفع ومن إليهم لو تعلموا اللغة في فارس أيصبحون أئمة وأحدهم إمام اللغة العربية سيبويه، والآخر إمام العربية ابن المقفع، وقل ذلك على ابن نواس، فالبصرة والكوفة وما إليهما كأرض تأصل بهم اللسان العربي، فليس هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي وإن علم سيبويه بالذي أعطى سيبويه إمامة اللغة.

قد ينطلق لسانه بالتعليم ولكن موهبة التذوق لقانون اللغة واحتراف التدقيق لمفردات اللغة لا أنكر أن التعليم له أثر، ولكن الأرض هي المؤثر الأول..

وهكذا فأرضنا العربية إن توحدت جغرافياً فإنها تبكي الآن حينما تفرقت إقليمياً، ولكن عروبة الأرض ما زالت إمبراطورية، وعروبة اللسان مازال إمبراطورياً، وأرجو ألا أعود إلى هذه الكلمة مرة أخرى ألا وهي: «القومية شعوبية العرب، والشعوبية قومية الفرس».

سيرة بطل

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ. صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. (القاتحة: ١ ـ ٧).

آمين

«الله الله في أصحابي.. لَو أنَفَقَ أحَدكم ثِقل أُحُد ذَهَباً مَا بَلغ مُدّ أحدهم وَلا نصفَهُ»..

(محمّد رَسُول الله)

تقـــديـــم

«أصحابي كالنجوم.. بأيهم.. اقتديتم.. اهتديتم»

(محمد رسول الله)

هذه باقة عطرة من سير صحابة رسول الله ﷺ، الذين نضَّروا وجه التاريخ الإنساني بخلقهم وبطولاتهم ومثلهم، ننشرها اليوم وقد أصبحت أجيالنا الجديدة في كل شبر من عالمنا الإسلامي، في أمسّ الحاجة إلى هذا النور المبين، تمشي به عبر الظلمات الكثيفة التي تكتنفها، وتكتشف على ضوئه زيف الحياة المادية والشعارات البرّاقة التي تلعلع من حولها، وتستعين به لتخطيط حاضرها ومستقبلها.

وإنه لما يحزن القلب أن يعرف شبابنا عن مشاهير الأمم من شرق وغرب، أكثر مما يعرفون عن أبطال أمتهم وصنّاع تاريخهم، الذين أضاءوا الدنيا وغيروا وجه الحياة!!

ـ وإني لأرجو أن يكون هذا الكتاب (سيرة بطل) خطوة في سبيل علاج هذا الوضع المشين. والله المستعان.

محمد حسين زيدان

قُدامَة بن مَظعُون

قدامة بن مظعون.. أخو عثمان بن مظعون، وقد كانا أخوي رسول الله من الرضاعة.. عرف الناس حب الرسول لهما، من حبه عثمان حينما مات عثمان، فقد أثنى عليه وبشر أنه في الجنة.

إنهما فرسا رهان، في القربى والتقوى.. مات عثمان وعاش قدامة، ومن طالت به الحياة طار عنه الخبر الكثير، وسارت بسيرته الفاضلة الرواية.. وإنها لسيرة فيها عبر وعظات.. لهذا اخترت أن يكون هو البطل..

وقدامة «سهمي» من رهط عمرو بن العاص بن وائل.. والعاص بن وائل «الأبتر» لم يؤمن بل كان حرباً على الإسلام، قد بلغ به الكبر والغني مبلغ البطر والتكذيب، أغراه التبختر في الديباج، موشَّى بخيوط الذهب أن يكذب الصادق المصدوق (ﷺ) فلم يأبه قدامة بسيد قومه فآمن هو وأخوه.

كان من السابقين الأولين.. تحدثوا عنه. فقالوا: كان قدامة أحد السابقين الأولين قد هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها. وناهيك بفضل من شهد بدراً.. إنه أحد الذين وضعوا الأسس لنصر الإسلام في أول معركة يطَّرد فيها النصر. ترتفع به رايات الإسلام، له القربى مع عمر ابن الخطاب، فقد تزوج قدامة صفية بنت الخطاب أخت عمر، وتزوج عمر

أخت قدامة، فولدت له حفصة أم المؤمنين، وعبد الله من خيار المؤمنين، فكل منهما خال أبناء الآخر.. إنها قربى ماسَّة.. ولكن هل تنفع القربى هذه مع حاكم مثل عمر؟.. لا.. لا..

وهذا ما يظهر بعد في حياة البطل فقد تحدثوا: إن عبد الله بن عمر قال: ترك خالي عثمان ابن مظعون ابنته في وصاية خالي قدامة. فأحببت أن أتزوجها فمضيت إلى قدامة. أخطبها إليه فكاد يستجيب لي. ولكن المغيرة ابن شعبة كان قد سبق إلى أمها فأرغبها بالمال فكان رأي «الجارية» مع أمها.. وعلم رسول الله ﷺ فبعث إلى قدامة يسأله، فقال قدامة: يا رسول الله إنها ابنة أخي، ولم آل أن اختار لها.. فقال النبي: «هي ثيِّب ولا تنكح إلا بإذنها» فأنتزعها من عبد الله بن عمر وزوجها المغيرة.. لأنها اختارته تبعاً لاختيار أمها، أو لأنه هو الأصلح لها. وتحدثوا عنه فقالوا: إن عمر قد أمَّر قدامة على البحرين.. فقدم الجارود سيد عبد القيس على عمر من البحرين، فقال: يا أمير المؤمنين. إن قدامة شرب فسكر وإني رأيت حداً من حدود الله حقاً عليّ أن أرفعه إليك، فقال عمر: من يشهد معك..؟ قال الجارود: أبو هريرة.. فدعا عمر أبا هريرة وقال له: بم تشهد..؟ قال أبو هريرة: لم أره شرب ولكني رأيته سكران يقيء، فقال عمر: لقد كتب إلى قدامة أن يقدم من البحرين إلى المدينة، فلما وصل.. قال الجارود: أقم على هذا كتاب الله.. فقال عمر: أخصم أنت أم شهيد؟ فقال شهيد.. فقال له عمر: قد أدّيت شهادتك فصمت الجارود. ثم غدا على عمر، ليقول: أقم على هذا حد الله.. فأجابه عمر: ما أراك إلا خصماً وما شهد معك إلا رجل واحد.. فقال الجارود: أنشدك الله.. فقال عمر: لتمسكن لسانك أو لأسوأنك. ولم يسكت الجارود هذه المرة.. بل قال: يا عمر ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك الخمر وتسوءني..

وتكلم أبو هريرة: يا أمير المؤمنين. إن كنت تشك في شهادتنا فأرسل إلى ابنة الوليد فاسألها.. يعني امرأة قدامة.. وأرسل عمر إلى هند بنت الوليد ينشدها.. فأقامت الشهادة على زوجها. وثبت الحق عند عمر، وقال لقدامة: إني حادك.. فقال قدامة: لو شربت كما تقول ما كان لكم أن تحدوني.. فقال عمر: لم؟ قال قدامة: قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ (المائدة: ٩٣) فقال عمر: أخطأت التأويل.. أنت إذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم الله، ثم أقبل عمر على الناس فقال: ما ترون في جلد قدامة؟ فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام مريضاً.. فسكت على ذلك أياماً ثم أصبح وقد عزم على جلده فقال: ما ترون في جلد قدامة. فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام وجعاً. فقال: عمر لأن يلقى الله تحت السياط أحبّ إلي من أن ألقاه وهو في عنقي.. ائتوني بسوط. فأمر به فجلد، فغاضب عمر قدامة وهجره فحج عمر وحج قدامة وهو مغاضب له، فلما قفلا من حجهما ونزل عمر بالسقيا نام، فلما استيقظ من نومه قال: عجلوا بقدامة فوالله لقد أتاني آت في منامي فقال لي: سالم قدامة فإنه أخوك عجلوا علي به، فلما أتوه أبى أن يأتي فأمر به عمر أن يجروه إليه فكلمه واستغفر له. وتصالح الأصدقاء.. ونزع الله الغل ولن يكون بينهما غل.

ولا أريد الكلام عن الفقه في قصة ابنة عثمان: تخيرت غير أن ابن خالها وهو التقي البر الخير، عبد الله بن عمر، فإنها مسألة واضحة لا تغضب عبد الله بن عمر لأنها جاءت كالصريح من أمر رسول الله؟ وجلد عمر قدامة الصهر الصديق، لأن عمر لا يخاف فقد جلد ابنه. إن عمر الحاكم لا تأخذه في الله لومة لائم، وإن كان هذا القريب التقي البر من

الذين شهدوا بدراً. ولو كان عمر ضعيفاً خائراً لا يرقب الله لوجد مخرجاً في عدم الجلد..

الصحاب نصحوا ألا يجلده وهو مريض، وليس هذا بالمخرج، بل هناك مخرج، أليس قدامة شهد بدراً وأهل بدر مغفور لهم ما تقدم وما تأخر من الذنب. كلام النبوة. سمعه عمر في قصة حاطب بن أبي بلتعة.. حادثة تجسس عفا عنها الرسول لأن حاطباً من أهل بدر. أليس في هذا دليل ينفع لعمر لو أراد عمر الخروج من حد قدامة.. يتركه يعمل ما يشاء لأنه من أهل بدر لا.. إن عمر لا يرى هذا يحل المعصية أو يلغي الحد.. الرسول أكرم حاطباً فعذره وعفا عنه، أما عمر فلا. لئلا يتهم أنه يحابي صهره. وهكذا: لئلا يقول أحد الذين يدّعون أنهم المبرءون المطهرون قولاً غير كريم في أحد من البشر قد أتى بمعصية، فإني أحسب أن وقوع هذه الحوادث من الأتقياء الأبرار، إنما كان للعظة والعبرة.. لا يجرئ الناس وإنما ليصونوا ألسنتهم عن إخوانهم الذين وقعوا في معصية.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

مُصْعَبُ بن عُمَيْر

مصعب الخير. ابن عمير العبدري. من هو؟ وكيف كان؟ هو من علية قريش حسباً ونسباً.. السدانة اللواء.. العزة في بيته وفي كنف أبويه ولهما من الغنى والجاه ما يغنيه عن تحمل المشقة في أي سبيل. ولكنها الهداية، ولكنها الروح تسعى لترى الخير والنور.

وصفه بعض أهله.. فقالوا كان مصعب فتى مكة شباباً وجمالاً وسبيباً (جمال الشعر) أي كان هو سبيب الخيل.. كانت أمه (مليئة) أي غنية تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وأرقه وكان أعطر أهل مكة. يلبس الحضرمي من النعال.. أما رسول الله فكان يذكره قائلاً: ما رأيت بمكة أحسن لمة، ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير.. هذه النعمة وهذا الترف خرج منه مصعب بن عمير ليدخل الإسلام، أسلم ورسول الله في دار الأرقم المخزومي وكتم مصعب إسلامه. يخاف غضب أمه، وعلمت بإسلامه من ابن عمه عثمان بن طلحة العبدري، كان مشركاً لم يسلم فأخبر أمه.. فعذبوه.. حبسوه حتى خرج مهاجراً إلى الحبشة في الهجرة الأولى ورجع.. رجع متغير الحال قد حرج.. يعني سمن، فرحمته أمه فلم تلمه ولم تعذبه.

تحدث عمر بن عبد العزيز وكان يومها أميراً على المدينة فقال: أقبل

مصعب بن عمير ذات يوم والنبي جالس في أصحابه وعليه «يعني مصعباً» نمرة وصلها بإهاب قد ردته ثم وصله إليها.. فلما رآه أصحاب النبي نكسوا رؤوسهم رحمة له، وليس عندهم ما يغيرون عنه. فسلم مصعب فرد عليه النبي وأحسن الثناء عليه وقال الرسول: الحمد لله مقلب الدنيا بأهلها. لقد رأيت هذا (يعني مصعباً) وما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويه نعيماً منه ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسوله.

هاجر الهجرتين إلى الحبشة وهاجر إلى المدينة. فهو أول من وصل إليها من أصحاب رسول الله ﷺ، وقد بعثه رسول الله ﷺ سفيراً إلى الأنصار، وقارئاً مقرئاً لهم فجمع بهم أول جمعة في الإسلام. ولما شعر أن الإسلام وطيد الأركان في أرض الهجرة، ذهب إلى مكة وتحدث إلى النبي يشير عليه بالهجرة ويخبره بإلحاح الأنصار.. يستعجلون حضور النبي.

عتبت عليه أمه: كيف تأتي مكة فلا أراك قبل الناس فقال: ما كنت مقدّماً على رسول الله أحداً.

كان لواء الرسول في بدر معه فانتصر، وكان لواء الإسلام في أحد معه، فقتل وهو يحتضنه يدفع عنه المشركين.

أتدرون كيف قتل؟ قتل وهو يقول ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾ (آل عمران: ١٤٤) أجراها الله على لسانه قبل أن تنزل آية في الكتاب الكريم. وكان ثباته به كثبات أبي بكر بها تثبيتاً للمسلمين في يومين حالكين؛ الأول يوم قالها الشيطان في أحد يصرخ في المسلمين يفتّ في عضدهم، أن محمداً قد قتل، فصرخ مصعب وما محمد إلاّ رسول. والثاني.. يوم قال الناس لم

يمت محمد.. دهشة من خبر وفاته ومن هول الصدمة فصرخ فيهم أبو بكر، وما محمد إلا رسول..

وثبت الله المسلمين.. وقتل مصعب في أحد وهو يحتضن لواء الإسلام. وأرادوا دفنه.. كان عليه ثوب إن غطى رأسه كشفت رجلاه وإن غطى رجله كشفت رأسه، فقال رسول الله: غطوا رأسه بثوبه وضعوا على رجله الأذخر.. هذا الذي كان يلبس أحسن الثياب لا يجد ثوباً يكفن فيه.. وهذا ما جعل عبد الرحمن بن عوف يبكي وقد مد بين يديه سماط فيه رغيد العيش، فلما سئل قال: أخشى أنها عجلت لنا، وحكى قصة مصعب لا يجد ثوباً يكفن فيه.

في مطلع عامنا الهجري أضع سيرة هذا البطل لأنه أول من هاجر ومن خير من قاتل حتى استشهد، إنها سيرة كلها نور، لعلّ فيها من الدافع ما يحفز الذين على الأثر.

وقد كمل النور حينماً صلَّى عليه رسول الله وأخذ يتلو هذا النور من القرآن ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

تحسب أنها نزلت فيه، وتحسب أنها نزلت في سعد بن معاذ، ولعلّ الحق أنها ثناء الله عليهما وعلى أمثالهما..

أبو الهَيْثَم بن التَّيهَان

أبو الهيثم بن التيهان، واسمه مالك، حليف لبني عبد الأشهل من الأوس. رهط سعد بن معاذ أو هو منهم، فقد كان يقول: محياي ومماتي لبني عبد الأشهل.

وكان أبو الهيثم يكره الأصنام في الجاهلية ويقول بالتوحيد هو وأسعد ابن زرارة، وكانا من أول من أسلم من الأنصار بمكة، ويجعل في الثمانية النفر الذين آمنوا برسول الله ﷺ بمكة من الأنصار، فأسلموا قبل قومهم. ويجعل أيضاً في الستة النفر الذين يروى أنهم أول من لقي رسول الله ﷺ من الأنصار بمكة، فأسلموا قبل قومهم وقدموا المدينة بذلك وأفشوا بها الإسلام.

وقد شهد أبو الهيثم العقبة مع السبعين من الأنصار وهو أحد النقباء الأثني عشر. وآخى رسول الله ﷺ بين أبي الهيثم بن التيهان وعثمان بن مظعون.. وشهد أبو الهيثم بن التيهان بدراً، وأُحداً، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وبعثه رسول الله إلى خيبر خارصاً فخرص عليهم التمر. وبدأ يعمل بيديه ليعيش هو وزوجته فكان يسنى بنفسه لا دابة عنده وإنما يجرّ الغربَ من بئر في حائطه فيسقي نخلاته.. ومن هنا تبدأ قصة لها مغزى وفضائل، فيها من البطولة والتقوى ما يشير بأحرف من نور، إلى

الخلق العظيم يملأ الدنيا أرجاً يضوع فوحه من سيرة النبي وأصحابه عليه الصلاة والسلام وعليهم رضوان الله.

وخرج النبي العظيم ﷺ من داره وقد ربط على بطنه الحجر من الجوع. وخرج أبو بكر، وخرج عمر.. وقد صنعا بنفسيهما ما صنع رسول الله. وتلاقوا كل يكاد يخفي عن صاحبه ما هو عليه من الشدة لا خشية أن يكلف أخاه بعون. وإنما هي الرحمة لأخيه، لا يريد أن يكلفه مشقة الألم.. كل منهم يألم لألم صاحبه. وقال رسول الله: ما أخرجكما؟ فأشارا إلى ما ربطا على بطنيهما، وأشار رسول الله مثل إشارتهما كأنما هي الأسوة الحسنة به لا يتميز عليهم اليوم بشبع.. وساروا جميعاً إلى حائط أبي الهيثم بن التيهان أمام الباب.. يقرئون أهل البيت السلام، ولم يجبهم أحد، وعاد الرسول عليه السلام مرة ثانية وثالثة واستأنى قليلاً يسمع الإجابة، ونطقت زوج أبي الهيثم: وعليك الصلاة والسلام يا رسول الله. وقال محمد: لماذا لم تردي السلام أول الأمر. فقالت: إنما أحببت أن أستزيد النبي وأذنت بالدخول.. وجاءت برطب فأكلوا.. وحضر أبو الهيثم فسلم وحيّا.. ثم قام كأنما هو «يحترف» لهم يعد طعاماً.. وكانت عنده شويهات يتبلغ بها، يمتحنها. وأدرك الرسول ما يريد.. فقال ـ وتشريع ما يقول ـ «إياك وذات اللبن» وتغذوا.. محمد وأبو بكر وعمر وأبو الهيثم، فهل هناك من هو أعظم وأكرم وأصبر من هؤلاء؟.. وأرادوا الخروج وكأنما المضيف لا يريد أن يخرج الضيوف حباً وسروراً وتبركاً. ونظر النبي إلى أبي الهيثم وقال: إذا جاء السبي فأتنا ليشعره بأنه يعرف حاله ويريد أن يهب له من يعينه. وجاء السبي وذهب أبو الهيثم يستنجز الوعد فقال له الرسول: لم يأتنا إلا هذان العبدان فاختر أحدهما فقال أبو الهيثم: اختر أنت يا رسول الله. فأشار النبي إلى العبدين.. هذا الأتقى، وهذا الأقوى.. فخذ الأتقى.

وذهب المولى مع سيده ونظرت الزوج إلى هذا العبد مع زوجها وأطرقت تفكر ثم رفعت رأسها تقول لزوجها: أصنعت ما صنعت تبغي به عبداً رقيقاً؟ لأنك تريد الجزاء الأوفى من رب السماوات الأعلى، أعتقه.. أعتقه.. وسمع كلام زوجه وأعتق المولى الرقيق ورجع العبد إلى عبد الله ورسوله محمد يخبره القصة وأنه عتق، فاصبح الأخ الحر الصحابي.

وتكلم رسول الله ـ وكلامه شرع ـ «إذا أراد الله بعبد خيراً هيأ له بطانة خير ترشده إلى خير وتهديه إلى عمل صالح».

هكذا جمع هذا الأثر، وإنما هو بمعناه أو كما قال رسول الله، وهكذا كان بطلنا رجل خير ورجل إيمان؛ إنه من الأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان.

أمّ المؤمِنين خَديجَة

لا نجد إلا خديجة مثلاً عالياً نذكر به البنات والأمهات في يومهن الأغر.. يوم افتتاح مدارس لهن، صدر به أمر كريم. ولعلّ بعض المتطرفين لا يحلو له ذلك.. كأنما يجب أن يبقى هذا البلد منقطعاً عن ماضيه. عن أمجاده.. عن أبطاله.. لا.. لا..

كان مسروق الإمام، إذا حدث عن عائشة أم المؤمنين.. يقول: حدثتنا الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ..

هذه السيدة عائشة أم المؤمنين، سعدت بمكانها في بيت الرسول ﷺ فذكرت أم المؤمنين خديجة، كأنما تدل بجمال وشباب، وحظوة، وفضل أب، وصداقة والد..

لكنها نهيت أن تذكر خديجة، فإنها لم تصل إلى مكانها: سابقة إسلام، ومواساة، وسداد رأي، رضي الله عنهما جميعاً.

تحدثت عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأخذتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها. فغضب ثم قال: (لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من

النساء) قالت عائشة: فقلت في نفسي لا اذكرها بعدها بسيئة أبداً.

ومن هي خديجة؟.. إنها أم المؤمنين.. سيدة في مجتمع مكة، قد بلغت من العمر أربعين عاماً. تزوجت رجلين، هما أبو هالة، وعتيق.. وأنجبت أولاداً.. سيدة لها ثراء.. وجاه قد بلغت بهما في قريش وبعقلها الكامل في مكة وبخلقها النظيف بين نساء قومها ورجال قبيلتها المنزلة الكبيرة. إن ذكرت.. ذكرت بالطاهرة. وإن أشاروا إليها.. قالوا بنت خويلد.. يعظمون من شأنها. غريب كل الغرابة أمر هذا المجتمع قبل البعثة كأنما هي إرهاصات النبوة.. كرم.. خلق.. نجدة.. شمم. عزة.. إباء.. الخلق الكريم، كان هذا المجتمع يجري وراءه، حق لحق به قبل الإسلام في أكثر من موقف، وبالإسلام في كل موقف. في هذا المجتمع. في هذا البلد.. بدأت الحيرة.. أناس لا يرضون بما هم عليه.. وأناس يريدون الشيء الجديد فيترقبون.. إنها رسالة السماء يأتي بها رسول يبعث فيهم وتبصر متبصرون فعرفوا عقيدة التوحيد فآمنوا واهتدوا.. وتبصر متبصرون فعرفوا من الحق ما عرف غيرهم، ولكنهم زاغوا عن الإيمان بالرسول، وتمنوا أن يكون الرسول على هواهم ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١) كل هذا يجري بين سمع خديجة وبصرها، تفكر فيه علناً. تحكيه لأصحابها، وتفكر فيه داخل نفسها، تسترجعه مراراً، ومراراً. تحاول أن تهتدي إلى مخرج.

وقد كان المخرج.. في زواجها من محمد بن عبد الله. كثيرة هي الأسباب التي عللوا بها هذا الزواج. وهي كثيرة حقاً. وكلها صحيح.. وسبب واحد منها يكفي لأن تعزم خديجة أمرها.. فترسل غلامها ميسرة يكلم محمداً عن رغبة خديجة: تريدك يا محمد زوجاً لها. إنها تعرفه معرفة

صحيحة. لأنه من قومها بل هو جار لها. هو في شعب بني هاشم وهي في بيوت قومها بني أسد. لا يفصل بين الدارين إلا الشعيب، شعيب وادي جدهما إبراهيم عليه الصلاة والسلام. لعلّها إن نظرت من بيتها رأته في بيت أمه آمنة، ولعلّه إن ذهب إلى أحد أبناء عمومته الأمويين أو إلى أخواله الزهريين رأته وقد صار أمامها. رأت الخير وسمعت عنه الخير، إنها تسمع أن قومها يسمونه الصادق الأمين فأمنته على بضاعة لها يتاجر بها في رحلة الصيف إلى الشام، وعرفت عنه الكثير من الخادم.. يرتفع إلى مرتبة السفير.. بين رسول الله إلى المؤمنين وبين أم المؤمنين.

هو شاب قد بلغ الخامسة والعشرين، وهي قد كبرت حتى بلغت الأربعين، ولكن الله له من وراء ذلك حكمة ظهرت حينما بعث محمد رسولاً من رب العالمين إلى الناس أجمعين. جاءها يقول: زملوني.. زملوني. فطمأنته حتى سكن روع الشر عنه ليظهر للناس روعة النبوة فيه. وقص قصة نزول الوحي.. (اقرأ). فقالت ـ وما أجمل ما قالت ـ: إن الله لن يخزيك.. إنها ما زالت حين قالت تعبد الصنم: فكيف حكمت حكمها هذا؟ حتى جعلت مكارم الأخلاق حجة ترفه بها عن روع النبي. وآمنت خديجة، وأشارت بالرأي الصواب، فكانت سكناً مطمئناً هادئاً، مريحاً، في حياة رسول هذه الأمة.

وتوفيت خديجة، فحزن عليها الرسول. إنها أم المؤمنين وأم البنات والبنين. أليس في خلق خديجة ما هو قدوة لبناتنا، وإنهن في حياتنا اليوم وقد تفتحت لهن أبواب المعرفة في حاجة إلى الاقتداء. والخير كل الخير أن يعرفن عن السيدة المسلمة العربية، من سيرة خديجة وممن هن على طريق خديجة، ولا نريد من ذكر هذا إلا الاتصال بماضينا حباً واقتداء

وأسوة واهتداء، لا تأليها لغير الله ولا إسرافاً كما يفعل الجاهلون وكما ذكر المخرفون.

في بعض ما نسمع من مناقبها أن مشعوذاً ناداها وهي ميتة يستغيث، فوجد تحت رأسه خمسة وثلاثين ريالاً فرنسياً. إن نداء خديجة أم المؤمنين على هذه الصورة تخريف لا يجيزه الإسلام، وشرك ما جاء الإسلام إلا ليزيله.. وخديجة أول من أسلم وأول من أزال الشرك بعد رسول الله فليست هي صرافة تتعامل بريال (ماريا تيريزا). وإنما هي أم المؤمنين وسيدة نساء المسلمين على الإطلاق، بل سيدة النساء من الناس أجمعين لا يفضلها في ذلك إلا مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون. فأحبوها واقتدوا بها رضي الله عنها.

قَيْسُ بن نَشَبَـة

قيس بن نشبة (كسمعة) أحد المبصرين الذين بحثوا عن التوحيد وأنكروا الوثن.. كان يسمى حبر بني سليم لاطلاعه على الأخبار والسير وقصص الناس، والنظر فيما يعبدون. له مكانة في بني سليم.. عم العباس بن كرداس، أو ابن عمه فهو ابن بيتها الرفيع العماد. تجله سليم حتى أنها تبعته حينما دعاها إلى الإسلام. كان رسول الله يسميه حبر بني سليم. تحدثوا عنه فقالوا: جاء قيس بن نشبة السلمي إلى رسول الله ﷺ بعد الخندق فقال: إني رسول من وراء قومي وهم لي مطيعون. وإني سائلك عن مسائل لا يعلمها إلا من يوحي إليه. فسأله عن السموات السبع وسكانها وما طعامهم وما شرابهم؟ والملائكة وعبادتهم وذكر له الأرض وما فيها، فأسلم ورجع إلى قومه فقال يا بني سليم قد سمعت ترجمة الروم وفارس وأشعار العرب والكهان ومقاول حمير، وما كلام محمد يشبه شيئاً من كلامهم فأطيعوني في محمد فإنكم أخواله فإن ظفر تنتفعوا به وتسعدوا، وإن تكن الأخرى فإن العرب لا تقدم عليكم. فقد دخلت عليه وقلبي عليه أقسى من الحجر، فما برحت حتى لان بكلامه. وتحدثوا عنه فقالوا: إن قيساً قدم مكة في الجاهلية، فباع إبلاً له فلواه المشتري حقه أي مَطَلَه فكان يقول:

يا آل فهر كنت في هذا الحرم.

في حرمة البيت وأخلاق الكرم.

أظلم لا يمنع مني من ظلم.

قال: فبلغ ذلك عباس بن مرداس فكتب إليه أبياتاً منها:

وائت البيوت وكن من أهلها مددا تلق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قال: فقام العباس بن عبد المطلب وأخذ له بحقه. وقال: أنا لك جار ما دخلت مكة، فكانت بينه وبين بني هاشم مودة حتى بعث رسول الله ﷺ، فوفد عليه قيس وكان قد قرأ الكتب فذكر قصة إسلامه وأنشد في ذلك شعراً. وقالوا: كان قيس بن نشبة يتأله في الجاهلية، وينظر في الكتب فلما سمع بالنبي ﷺ قدم عليه فقال له: أنت رسول الله؟ قال نعم. قال فانتسب له فقال: أنت شريف في قومك وفي بيت النبوة فما تدعو إليه؟ فعرض عليه أمور الإسلام، وعرّفه ما يأمر به وينهي عنه فقال: ما أمرت إلا بحسن وما نهيت إلا عن قبيح، فأخبرني عن كحل ما هي؟ قال السماء، قال فأخبرني عن محل ما هي؟ قال: الأرض قال فلمن هما؟ قال لله، قال ففي أيهما هو؟ قال: هو فيهما وله الأمر من قبل ومن بعد. قال: أنت صادق واشهد أنك رسول الله. فكان النبي صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم يسميه حبر بني سليم وكان إذا افتقده يقول يا بني سليم أين حبركم؟ فقال قيس بن نشبة:

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لأمانتي ولديني

ذاك امرؤ نازعته قول العدا وعقدت فيه يمينه بيميني

قد كنت آمله وانظر دهره فاللَّه قدر أنه يهديني

أعني ابن آمنة الأمين ومن به أرجو السلامة من عذاب الهون

وهكذا نشأ في العرب رجال لهم علم ولهم فهم، فتشوا عن الخير فوجدوا الخير. إنها إرهاصات النبوة في أمة كانت أهلاً لأن تحمل عبء الرسالة لتقوم بنشر هذا الدين ولتفتح الفتح المبين.

عُتْبَةُ بن غَزْوَان

مازني قيسي. حليف قريش، كان رجلاً طوالاً جميلاً، من السابقين الأولين. هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً.. أحد الأبطال الذين شادوا العراق وفتحوا أرض فارس. فتح الأبلة «مكان البصرة» فأمره عمر عليها. فبصر البصرة واختطها، وبنى بها مسجداً من القصب «أعواد الذرة» ولم يتخذ داراً وإنما كان يسكن خيمة من أكسية.. عظم في النفوس..

كان صديقاً لسعد بن أبي وقاص. وأحد أبطاله ومشيريه لأن عمر أوصاه به: «فإن له من الإسلام مكاناً» خطب عتبة أول خطبته في البصرة. فقال الحمد لله. أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. أمَّا بعد أيها الناس. فإن الدنيا قد ولت حذّاء وآذنت أهلها بوداع، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، ألا وإنكم تاركوها لا محالة، فاتركوها بخير ما بحضرتكم. ألا وأن من العجب أن يؤتى بالحجر الضخم، فيلقى من شفير جهنم فيهوى سبعين عاماً حتى يبلغ قعرها والله لتملأن. ألا وأن من العجيب أن للجنة سبعة أبواب، عرض ما بين جانبي الباب مسيرة خمسين عاماً وأيم الله لتأتين عليها ساعة وهي كظيظة من الزحام. ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ سابع سبعة، ما لنا طعام إلا ورق البشام، وشوك القتاد، حتى قرحت أشداقنا، ولقد التقطت بردة

يومئذ فشققتها بيني وبين سعد بن أبي وقاص. ولقد رأيتنا بعد ذلك وما منا أيها الرهط السبعة إلا أمير على مصر من الأمصار، وأنه لم تكن نبوة إلا تناسخها ملك فأعوذ بالله أن يدركنا ذلك الزمان الذي يكون فيه السلطان ملكاً، وأعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وفي أنفس الناس صغيراً، وستجربون الأمراء بعدنا وتجربون فتعرفون وتنكرون.

ولم يكمل خطبته حتى جاءه كتاب من عمر يقول فيه: «فإن أبا عبد الله الثقفي قد أقتنى خيلاً بالبصرة حين لا يقتنيها أحد.. فإذا جاءك كتابي هذا فأحسن جواره وأعنه على ما استعانك عليه. يشجعه على رباط الخيل عدة الحرب حينذاك. ليكون الرباط على أي صورة وبأي قوة في أي وقت. وأسر عتبة أحد المرازبة، وكان شديداً على المسلمين، فضرب عنقه وأخذ قباءه، ومنطقته فيها الذهب والجوهر. فبعث كل ذلك إلى عمر».

وتلقى الناس رسول عتبة فسألوه عن الحال؟ فقال: يا معشر المسلمين عم تسألون؟ تركت الناس، يهتالون الذهب والفضة، فنشط الناس إلى الغزو. وأرسل عمر إليه الإمداد حتى كثر الرجال عنده. وكان يحسب من عمال سعد. يتلقى الأمر منه إلا ما يبدو من عمر.. يكتب إلى عتبة ابتداء. ووجد عتبة من ذلك. يريد ألا يكون تابعاً لسعد. بل يتبع الخليفة رأساً.. وأستأذن عتبة عمر ليقدم عليه فأذن له، واستخلف المغيرة بن شعبة نائباً عنه، فقدم عتبة على عمر وشكا إليه تسلط سعد، فسكت عنه عمر. فأعاد ذلك عتبة مراراً وأكثر على عمر. وتكلم عمر. فقال وما عليك أن تقر بالإمرة لرجل من قريش له شرف وصحبة مع رسول الله ﷺ.. فقال عتبة: ألست من قريش؟ يعني نفسه، وقد قال رسول الله.. حليف القوم منهم، ولي صحبة مع رسول الله ﷺ قديمة لا تنكر ولا تدفع.

وقال عمر: لا ينكر ذلك من فضلك. فقال عتبة: أما إذا صار الأمر إلى هذا، فوالله لا أرجع إليها أبداً.. فأبى عمر إلا أن يرده إليها. فسمع وأطاع ولكنه مات في الطريق، كأنما برت يمينه فلم يعد إليها. نفوس البشر، ولعلّ المغيرة بن شعبة صاحب أثر في ذلك رضي الله عنه.

وما أحسب إلا أنهم الآن.. يطئون خضراء الجنة، قد نزع الغل من قلوبهم: «ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً» فلا تنكر على البشر الزلات، واسألوا المغفرة. ليكن الوازع من دين.

وعجيب أمر أصحاب محمد.. لكل واحد منهم ميزة، ولكل صحابي منقبة، وفي حياة كل منهم عظة عظيمهم وحقيرهم، سابقهم ومن تبعه، رضي الله عنهم أجمعين.

المِقْـدَادُ بـن عَمْـرو

المقداد بن الأسود.. حليف قريش.. حالف الأسود عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه فكان يقال له المقداد بن الأسود فلما نزل القرآن في آية ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٥) قيل المقداد بن عمرو.

هاجر المقداد إلى أرض الحبشة.. الهجرة الثانية.. فلما رجع منها هاجر إلى المدينة.. ونزل على كلثوم بن الهدم.. وكثير هم الذين نزلوا على هذا الكريم.. جهاد في المال.. يأوي الذين جاهدوا بالسيوف وقد آخى رسول الله ﷺ بين المقداد وجبار بن صخر.. سنَّة النبوة.. تبعث الألفة والمحبة حتى لكأنها أكثر من أخوة النسب.. ومنها أحكام. ومنها عظات. وأقطعه رسول الله في بني جديلة.. دعاه إلى تلك الناحية أبيّ بن كعب ليكون قريباً منه.. حبيباً إلى نفسه.. العالم الكاتب القارئ.. يأوي إليه الفارس الشجاع المؤتمن.. وتُحدَث ابنته كريمة.. قالت: كان أبي يتحدث إنه (كان معي فرس يوم بدر يقال له سبحة) نعم كان فارس رسول الله، وما كان فارس فينا يوم بدر غير المقداد بن عمرو: «وأول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود» وله موقف تمنى كثير من الصحابة أن يكون صاحبه.. موقفه في بدر.. حينما استشار الرسول أصحابه في الحرب.. لقد خرج يبغي غير ذات الشوكة «العير» وأراد الله ذات الشوكة

«النفير» فكان في قتل النفر النافر من قريش المشركة..عزة الإسلام بقريش المؤمنة وبالأنصار الصادقين المؤمنين.. «لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به ذلك أنه أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: يا رسول الله إنا والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى» «فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك».. فرأى أصحاب النبي ﷺ يشرق لذلك ويسره. ما بدأ من نصرة المقداد.. كما سره ما سلف من نصرة سعد بن معاذ (فلو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه.. ولو اقتحمت بنا النار لاقتحمناها.. ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا إليه). فإن الأنصار كانوا المعنيين بالإشارة.. لأن العهد عليهم أن يحموه داخل المدينة.. أما وهو خارجها فلا إلزام ببيعة العقبة.. ولكن بيعة الإيمان ألزم كما حدده وقرره سعد بن معاذ.. حتى أن الجهاد فرض على الأنصاري.

شهد المقداد بدراً واحداً والخندق.. والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.. وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله ﷺ.

وتحدثوا: إن المقداد بن عمرو خطب إلى رجل من قريش. فأبى أن يزوجه.. فعلم النبي ﷺ فقال له: لكني أزوجك ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب.. زوّجه ابنة عمه.. وقريش لا تأنف من زواج الحليف ما دام عربياً صريحاً.. فعبد الله بن جحش حليف.. وهو ابن عمة رسول الله ﷺ.. والمقداد عربي صريح من قضاعة.

وتحدثوا عنه فقالوا: بعنا طعمة المقداد التي أطعمه رسول الله ﷺ بخيبر خمسة عشر وسقا شعيراً من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم (أي الأرض والشجر) بعد موت المقداد. خرج أحد الصحابة.. فإذا

بالمقداد بن الأسود.. على تابوت من توابيت الصيارفة.. قد فضل عنها عظماً (أي أن الكرسي صغير لا يسعه).. فقال له: قد أعذر الله إليك. فقال المقداد: أبت علينا سورة البحوث «الأنفال».. انفروا خفاقاً وثقالاً.

وتحدثت ابنته كريمة تصف أباها فقالت: كان رجلاً طويلاً آدم.. ذا بطن.. كثير شعر الرأس.. يصفف لحيته وهي حسنة.. وليست بالعظيمة ولا بالخفيفة.. أعين. مقرون الحاجبين.. أقنى.

وكيف مات هذا البطل.. خاضها حروباً فلم يقتل.. شرب دهن الخروع فمات.

قالت كريمة ابنته: لقد مات المقداد بالجرف قرب بئر رومة، وحمل على رقاب الرجال حتى دفن بالمدينة بالبقيع.. وصلَّى عليه عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله عنه.. وعمره سبعون عاماً.. فلما دفن أخذ عثمان يثني عليه.. وكان معه الزبير بن العوام.. فقال له:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

* * *

كان الرقيب يوم الشورى يقف على رأس النفر الستة ينتخبون الخليفة في دار المسور بن مخرمة. عيَّنه عمر لذلك (يقف المقداد على رأس كل واحد منهم فإن رأى من يخالف فليشدخ رأسه بالسيف).

سيرة عاطرة لبطل عظيم رضي الله عنه.

سَعْد بن مُعاذ

الحديث عن سعد بن معاذ أهابه.. مثل الحديث عن صديق الأمة الأول أبي بكر الصديق. كلاهما أتهيب التحدث عنهما. كأنما أحسب ما قرأته عنهما قد قرأه الناس جميعاً. يتذوق كل قارئ من سيرتهما العطرة معاني الصدق والتضحية والإيمان. أبو بكر صديق الأمة الأول، وسعد بن معاذ صديقها الثاني.

وبعد، فإن الرسول لم يحب مهاجراً مثلما أحب أبا بكر.. ولم يحب أنصارياً أوسياً مثلما أحب سعد بن معاذ وهذا ما نطقت به ألسنة على ألسنة رواتها من الصحابة الصادقين في السيرة الصادقة. وسأترك الحديث عنه لفعاله، لبطولته، تظهر من خلال الروايات التي نقلت سيرته.

سعد بن معاذ من بني عبد الأشهل من الأوس من الأنصار.. كان سيد الأوس الأول من الأنصار. يقابله القبيل الثاني «الخزرج»: وصفوه بأنه كان رجلاً أبيض، طوالاً، جميلاً، حسن الوجه، أعين، حسن اللحية.. سيما الفحول من الرجال.

وأسلم سعد بن معاذ وأسيد بن الخضير، على يد مصعب بن عمير العبدري، فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل جميعاً رجالاً ونساء، لم تبق دار من دورهم غير مسلمة، ثقة في سعد وبركة الله يُسبغها على قوم سعد. لم

يترك مصعباً وحده بل آواه إليه. هو والنقيب العظيم علم العقبة الأولى أبو أمامة أسعد بن زرارة.. ابن خالة سعد.. سكنا عنده وسكنا إليه.. وأخذ هو وأسيد معاولهما يكسران أصنام بني عبد الأشهل. فلا معنى لوجود الصنم مع وجود (لا إله إلا الله). وآخى الرسول بينه وبين الترب الخدن العظيم. سعد بن أبي وقاص. وقيل بينه وبين أبي عبيدة.. وأنعم وأكرم بأمين الأمة قائد فتوحها، يصبح أخاً لسعد بن معاذ.. أما ورب الحق لو تخير سعد بن معاذ أحدهما لتخير كيف يختار، كان لواء الأوس يوم بدر في يده وشهد أحداً وكان من الذين لم يستزلهم الشيطان ومن الثابتين معه كأخيه سعد ابن أبي وقاص، وشهد الخندق. وقريظة ثم وافاه الأجل.. فكيف؟

قالت عائشة رضي الله عنها: خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس فسمعت وئيد الأرض ورائي، تعني حس الأرض، فالتفت فإذا بسعد بن معاذ ومعه ابن أخيه الحارث ابن أوس يحمل مجنة فجلست إلى الأرض. قالت: فمر سعد وهو يرتجز ويقول:

لبَّث قليلاً يدرك الهيجاء حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: وعليه درع قد خرجت منه أطرافه فأنا أتخوف على أطراف سعد. وكان سعد من أطول الناس وأعطفهم، قالت فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين وفيهم عمر بن الخطاب رحمه الله، وفيهم رجل عليه تسبغة له، تعني المغفر. قالت: فقال لي عمر: ما جاء بك؟ والله إنك لجريئة، وما يؤمنك أن يكون نحور أو بلاء، قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها، قالت: فرفع الرجل التسبغة

عن وجهه فإذا طلحة بن عبد الله، قالت فقال: ويحك يا عمر إنك قد أكثرت منذ اليوم، وأين التحوز أو الفرار إلا إلى الله؟ قالت ورمى سعداً رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم فقال: خذها وأنا ابن العرقة فأصاب أكحله فدعا الله سعد فقال: اللَّهم لا تمتني حتى تشفيني من قريظة، وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية، قالت فأرقأ كلمة، تعني جرحه، وبعث الله تبارك وتعالى الريح على المشركين فكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. فلحق أبو سفيان بمن معه بتهامة، ولحق عيينة بمن معه بنجد، ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيهم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأمر بقبة فضربت على سعد بن معاذ في المسجد، قالت فجاءه جبريل ﷺ وعلى ثناياه النقع فقال: لقد وضعت السلاح؟ فوالله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، أخرج إلى بني قريظة فقاتلهم، قالت فلبس رسول الله ﷺ لأمته وأذّن في الناس بالرحيل، قالت فمر رسول الله ﷺ على بني غنم وهم جيران المسجد فقال لهم: من مر بكم؟ قالوا: مر بنا دحية الكلبي، وكان دحية تشبه لحيته وسنه ووجهه بجبريل عليه السلام، قالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم واشتد البلاء عليهم قيل لهم أنزلوا على حكم رسول الله ﷺ. فقالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، فقال لهم رسول الله: أنزلوا على حكم سعد بن معاذ فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فبعث رسول الله ﷺ إلى سعد فحمل على حمار عليه أكاف من ليف، وحف به قومه فجعلوا يقولون: يا أبا عمرو. حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية، ومن قد علمت ولا يرجع إليهم شيئاً حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لي ألا أبالي في الله لومة لائم. فلما طلع على رسول الله ﷺ قال: قوموا إلى

سيدكم فأنزلوه، فقال عمر: سيدنا الله، فقال: أنزلوه، فأنزلوه. فقال له رسول الله ﷺ: أحكم فيهم، فقال: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم وتقسم أموالهم. فقال رسول الله ﷺ، لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله. قالت: ثم دعا الله سعد فقال اللَّهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها. وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك. قالت: فانفجر كله وقد كان بريء حتى ما يرى منه شيء إلا مثل الخرص، ورجع إلى قبته التي ضرب عليه رسول الله ﷺ.

قالت فحضره رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمر، قالت: فوالذي نفس محمد بيده أني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله رحماء بينهم. قال فقلت: فكيف كان رسول الله يصنع؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ولكنه كان إذا وحد فإنما هو يأخذ بلحيته. فلما ألحد وقف الرسول على قبره وسبَّح ثلاثاً، فارتفع صوت الصحابة يرددون التسبيح وكبر ثلاثاً فارتفع صوتهم يرددون التكبير حتى أرتج البقيع. وقال لهم الرسول: لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا سعد. وتحدثوا عنه فقالوا: إنه نام رسول الله. فلما استيقظ أتاه جبريل يسأل: من رجل من أمتك مات الليلة استبشر بموته أهل السماء. فقال الرسول: لا أعلم، إلا أن سعداً أمسى دنفاً.. وسأل أصحابه عن حال سعد؟ ما فعل سعد؟ فقالوا: قد قبض وجاء قومه فاحتملوه من القبة التي وضعت له في المسجد قرب النبي يمرض فيها، ويعوده الرسول. قالوا: فصلى رسول الله الصبح ثم خرج ومعه أصحابه فبتّ الناس جميعاً، حتى أن شسوع نعالهم لتقطع من أرجلهم، وإن أرديتم لتقع عن عواتقهم. فقال رجل بلى: يا رسول الله. قد بت الناس أي «انقطعوا». فقال الرسول إني أخشى أن تسبقنا الملائكة كما

سبقتنا إلى حنظلة.. يعني إلى غسله كما غسلت حنظلة يوم أُحد. وبكت عليه أمه. فنهاها عمر.. كعادته.. فنهاه الرسول: مهلاً يا عمر فكل باكية مكذبة إلا أم سعد، ما قالت من خير فلم تكذب.

أقدم بالقول الصادق يوم بدر (لو أمرتنا أن نخوض البحر لخضناه ولو اقتحمت بنا النار لاقتحمناها) فأقدم الصحاب بالفعل الصادق. ولم يتأخر هو عن الفعل الصداق. بل كان أول المبارزين.

هذا سعد بن معاذ صديق الأمة الثاني رضي الله عنهم أجمعين.

عَبْد اللَّه بن عَمْرو بْن حَرَام

كان أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة. بل هو أحد النقباء الإثنى عشر الذين بايعوا الرسول على النصرة.. حينما دعاهم إلى الإسلام عند العقبة في منى. فكانت أول عقد وعهد للإسلام.

خزرجي أنصاري.. شهد بدراً واحداً وقتل يوم أُحد شهيداً بعد عامين ونصف من الهجرة. بل إنه أول قتيل من المسلمين في هذه الوقعة. وتحدث ابنه العظيم العالم المحدث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (لما قتل أبي يوم أُحد أتيته وهو مسجى، فجعلت أكشف عن وجهه وأقبله والنبي يراني فلم ينهني).

بر الولد دليل على فضل الوالد، وتكريم الابن برهان على كرامة الأب.

وبكت عليه أخته فاطمة فقال لها النبي ﷺ: «أبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه. ذلك لأنه قتل ليرتفع ذكر الله». وجاءت زوجه فحملته وأخاها على جمل تريد دفنهما في البقيع تجهل ما يؤمر به فنادى منادي النبي (ادفنوا القتلى في مصارعهم).. فردا حتى دفنا في مصرعيهما.. ولا زال هذا المكان يسمى إلى الآن (المصرع) لأن به صرعى أحد من الشهداء. ودفن كل شهيد في مصرعه، يشهد له أنه قتل

في سبيل الأرض تشهد، والرسول الكريم أول الشاهدين.. والملائكة يشهدون.. إنه حينما خرج الصحابة لدفن الشهداء في هذه الغزوة، قال لهم الرسول (زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم، ما من مسلم يكلم (يجرح) في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل دماً.. اللون لون الزعفران والريح ريح المسك.. حض على السلاح يحمل في سبيل العزة.. إذ لا خير في حياة ذليلة.. الجنة تحت ظلال السيوف. وصلَّى عليه رسول الله والحرب مستعرة والمسلمون في نصرهم قبل أن يهزموا. (وكفن في نمرة واحدة لم تغط رجليه، فغطوا رجليه بالحرمل، وإنه لكثير في وادي قناة) وهو ما يعرف اليوم بسبيل سيدنا حمزة. ووقف الرسول على الشهداء يسأل: أيهم كان أكثر أخذاً بالقرآن؟ فإذا أشير إلى رجل قال قدموه في اللحد قبل صاحبه).. تساويا في الشهادة، وقدم أحدهما بالقرآن.. زيادة في الفضل وحث على عمل صالح. ولما حان الدفن قال رسول الله: (ادفنوا عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من الصفاء.. ادفنوا هذين المتحابين في قبر واحد).

وكان ابن عمرو رجلاً أحمر أصلع ليس بالطويل، أما ابن الجموح فقد كان رجلاً طويلاً، فعرفا فدفنا في قبر واحد. وكان قبرهما مما يلي المسيل فدخله السيل فحفر عنهما وعليهما نمرتان.

وكان بطلنا عبد الله بن عمرو قد أصابه جرح في وجهه، فيده على جرحه.. فأميطت يده عن جرحه فانبعث الدم، فردت يده إلى مكانها فسكن الدم، كرامة لشهيد، وإكرام لمؤمن يصدق النقل فنؤمن بالله. أكرم وأعز الصحابي الشهيد ولا أكثر.

حتى قال ابنه جابر (فرأيت أبي في حفرته كأنه نائم وما تغير من حاله

قليل ولا كثير.. فقيل له أفرأيت أكفانه؟ قال: إنما كفن في نمرة خمر بها وجهه (أي غطى) وجعل على رجليه الحرمل، فوجدنا النمرة كما هي والحرمل على رجليه على هيئته.. وبين ذلك ست وأربعون سنة. فشاور جابر الصحابة في أن يطيب بمسك. فأبوا عليه ذلك وقالوا: لا تحدثوا فيهم شيئاً. وحوّلا من ذلك المكان إلى مكان آخر.. تجنباً لقناة العين التي أجراها معاوية.. لقد أخرجوا رطاباً يتثنون.

وحين استشهد بطلنا وجدوا عليه ديناً.. فذهب ابنه جابر إلى رسول الله ﷺ يقول: إن أبي ترك عليه ديناً. وليس عندنا ما يخرج نخله، فلا يبلغ نخله سنتين ما عليه من الدين.. فانطلق معي يا رسول الله لكيلا يفحش على الغرماء.. فمشى الرسول حول بيدر من بيادر التمر. ودعا، ثم جلس عليه وقال: أين غرماؤه؟ فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل الذي أعطاهم.. إكراماً لشهيد ومعجزة من نبي.. وكل من فضل الله.

وليس كل الحياة مادة، إنها الإيمان، والروح، إنها نعمة الله يؤتيها من يشاء من عباده وإن أفضلهم الذين جاهدوا لإعلاء كلمة الحق ونشر دعوة التوحيد. فلقوا مصرعهم، تنكسر عليهم نصال المشركين. وتندق في ايديهم سيوف الإيمان لأنها دقت أعناق الجبارين.. اللَّهم اجعلنا من الذين أنعمت عليهم.

بِـلاَل بـن أبـي رَبَـاح

بلال بن أبي رباح عبد حبشي أمه حمامة. ذكروا أنها واحدة من بنات الأكابر في جيش أبرهة صاحب الفيل. سبتها العرب الذين تقفوا آثار الجيش الغازي الهالك. أباده الله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ (الفيل: ١ ـ ٥) واشتراها خلف أحد بني جمح من قريش، والدامية بنت خلف وأبي بن خلف. وتركها في السراة تخدم في بعض ما يملك هناك. وزوّجها بعد لعبده رباح فأنجب بلالاً. ويا خير من أنجبا إنه بطل هذه السيرة. وأسلم بلال. فكبر على سيده أمية بن خلف أن يصبأ عن دينه غلام، عبد يسفه آلهة أمية.. ويسب هبل، ويوحد الله. وأخذ أمية يعذبه فقد كان من المستضعفين المؤمنين، وكان يعذب حين أسلم ليرجع عن دينه. فما أعطاهم قط كلمة بما يريدون. وكان إذا اشتد عليه العذاب يقول: أحد. أحد. فيضربونه ليقول ما يريدون. فيجيب إن لساني لا يحسنه. لا. إن قلبه لا ينطق به، إن إيمانه منعه.. إنها هداية الله دخلت قلباً. عمرته بالإيمان. فحصنته من الزيغ. ولو كان الجلد والضرب و «السحل» في الرمضاء. وشراه أبو بكر.. مر يوماً من أيام العذاب يطرح فيها بلال في الرمضاء. فدفع ثمن العبد وأعطى بلالاً قيمة السيد.

إن بلالاً أخذه أهله فحطوه وألقوا عليه من البطحاء، وجلد بقرة. وجعلوا يقولون: ربك اللات والعزى، ويقول: أحد. أحد. ووقف الصديق يسأل أمية: إلى متى تعذبون هذا الإنسان؟ وكأنما أرادت كلمة الكفر أن تتحدى فضل الصديق المؤمن.. فقال أمية: اشتره.. واشتراه أبو بكر بسبع أواق، وجاء أبو بكر يركض. لا فرحاً بصدقة، ولا مزهواً بمنة. وإنما هي المسرة بمؤمن يخرج عتيقاً من العذاب. بلال عتيق أبي بكر، وأبو بكر عتيق الرحمن.. لأنه أعتق نفسه من الشرك. ولأنه أعتق ثمانية يعذبون في الله. وأخبر أبو بكر النبي ﷺ فسر بذلك وقال: الشركة يا أبا بكر. الشركة يا أبا بكر. وأجاب أبو بكر، شاكراً الله على توفيقه. قد أعتقته يا رسول الله. وبعدها أصبح عمر يقول: كلما ذكرت الشمائل: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا. وهزئ أبو جهل، وسخر أمية، وعاند آخرون، ولكن إلى يوم فيه عذاب شديد للظالمين. «ما لنا لا ترى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار، اتخذناهم سخريًّا، أم زاغت عنهم الأبصار؟».

يصف القرآن غرور أبي جهل وأمية حينما يكبون في النار، فيسألون عن بلال وعمار وصهيب وخباب.. يعجبون من هؤلاء الفقراء الضعفاء. لا يجدونهم معهم في النار.

أول من أظهر الإسلام سبعة.. رسول الله ﷺ. وأبو بكر وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار وسمية أم عمار. أما رسول الله فمنعه عمه. وأما أبو بكر فمنعه قومه، وأخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد، ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ. فأعطوهم ما سألوا ـ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ـ إلا بلالاً. فلما كان العشي جاء أبو جهل يشتم سمية ويرفسها ثم طعنها فقتلها، فهي أول شهيد في الإسلام. أما بلال فقد

هانت عليه نفسه حتى ملوه، فجعلوا في عنقه حبلاً ثم أمروا صبيانهم أن يشدوه به بين أخشبي مكة. فجعل بلال يقول أحد أحد. وجلا الله الكرب. فهاجر بلال إلى المدينة ونزل على سعد بن خيثمة، فآخى الرسول بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب. أول من أذّن في الإسلام. فأمره رسول الله يوم الفتح أن يؤذن على ظهر الكعبة. فلبى بلال ولم يكن هو الذي فوقها. وإنما هو ذكر الله.

وكم هو سخيف هذا الموقف من الحارث بن هشام. وصفوان بن أمية بن خلف. قبل أن يسلم. فقال أحدهما للآخر ـ ولعلّه الحارث بن هشام ـ انظر إلى هذا الحبشي. وقال الآخر ـ ولعلّه صفوان ـ أن يكرهه الله يغيره. كلمة حق جدير بها بيت الله. ولما توفي رسول الله ﷺ، جاء بلال إلى أبي بكر وقال له: يا خليفة رسول الله إني سمعت رسول الله وهو يقول: (أفضل عمل المؤمن الجهاد في سبيل الله) فقال أبو بكر: ما تشاء يا بلال. فقال بلال: أردت أن أرابط في سبيل الله حتى أموت. فقال أبو بكر: أنشدك الله يا جلال. بحرمتي وحقي. فقد كبرت وضعفت. وأقترب أجلي. فأقام بلال مع أبي بكر حتى توفي أبو بكر. فلما توفي جاء بلال إلى عمر فقال له كما قال لأبي بكر. فرد عليه عمر كما رد عليه أبو بكر. فأبى بلال على عمر ذلك.

ماذا يريد أبو بكر من بلال. هل يريد أن يخدمه. يحطب له. يسقي له. يعمل له. لا. لا. إنه يريد الصديق لا المولى. يريد الصادق، الأخ، المؤمن، يضن به أن يذهب، أنساً به واحتراماً له. وكم كان هذا العبد الحبشي سيداً عظيماً. كان لبلال أخ ينسب نفسه إلى العرب. خطب امرأة من العرب. فذهب إليهم بلال وقال: أنا بلال، وهذا أخي. عبدان من

الحبشة. كنا ضالين فهدانا الله. وكنا رقيقين فأعتقنا الله. إن تنكحونا فالحمد لله وإن تمنعونا فالله أكبر.

وقد قالوا إنه تحدث عن هذا الموضوع مرة أخرى في صورة أخرى:

«أنا بلال وهذا أخي. وهو امرؤ سيئ الخلق والدين. فإن شئتم أن تزوجوه وإن شئتم أن تدعوا فدعوا». فقالوا: من تكن أخاه نزوجه. فزوجوه.

وجاء بنو أبي البكير إلى رسول الله ﷺ يقولون: زوج أختنا فلاناً.. فقال لهم أين أنتم عن بلال. ثم جاءوا مرة أخرى فقالوا قولهم الأول. فقال النبي: أين أنتم عن بلال ثم جاءوا الثالثة. فقال الرسول: أين أنتم عن رجل من أهل الجنة؟ فأطاعوا وأنكحوه. وكان بلال رجلاً آدم. شديد الأدمة. نحيفاً طوالاً، أجناً. له شعر كثير. خفيف العارضين، به شمط كثير لا يغير.

وشهد بلال بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

والتحم القتال في بدر فأخذ بلال يجول بين الصفوف ويقول: أين أمية ـ يعني أمية بن خلف سيده الذي باعه بعد أن عذبه ـ أين أمية؟ لا نجوت إن نجا أمية. ووجده طريحاً وقد احتمى بعبد الرحمن بن عوف ـ كأنما هو أسير له. فلم يسأل بلال. ونازع عبد الرحمن بن عوف عليه حتى قتله. فكان عبد الرحمن المؤمن الأخ، يقول: يرحم الله بلالاً، قتل أسيري.. وحرمني سلبه.

وأما أبي بن خلف فقد قتله النبي يوم أُحد. فلم يقتل بيده واحداً غيره. وأما صفوان بن أمية. فقد أسلم في الجعرّانة. وحسن إسلامه. وكان من خيار الناس وكرام الصحابة وأعيان قريش.

وهكذا انتصر بلال. يجر أمية قتيلاً في معركة نظيفة. وبطولة فارس. وجد القوة فانتصف. أنصفه الله وأحسن إليه. ونزل القرآن يثني على أبي بكر. ويذم أمية. كل ذلك مفسر في سورة الليل. الأتقى أبو بكر. والأشقى أمية. ومن يقرأ سورة الليل يجدها واضحة المعالم. تبين حظ المؤمن المحسن. ومصير الكافر المسيء..

عَـامِـر بـن فُهَيْـرة

مولد في الأزد وفي السراة.. عبد للطفيل بن الحارث. أخو عائشة أم المؤمنين من أمها. صلته بأبي بكر قربته من البيت المسلم. فأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم. يدعو فيها إلى الإسلام. فهو من السابقين الأولين. وعذبه سيده ليرجع عن دينه فلم يرجع وطال العذاب فاشتراه أبو بكر وأعتقه فكان يرعى له منيحة من غنم لأبي بكر.

عجيب حينما تكتب عن سيرة هؤلاء العبيد المعذبين المزدرين السادة الكرمين. فكأنما نكتب عن الصديق أبي بكر رضي الله عنه لا عن بلال أو عامر بن فهيرة. إنهم ثمانية كانوا يعذبون في الله، فأبو بكر وثيق الصلة بهؤلاء، بالنبوة في أول أمرها. وبالإسلام في أبرز مظاهره. أبي بكر رضي الله عنه. وحينما أسلم أبو بكر كان تاجراً غنياً. يملك أربعين ألف درهم بذلها كلها في سبيل الله. يشتري المؤمنين المعذبين فيعتقهم وحين الهجرة لم يبق منها إلا خمسة آلاف درهم. لم يفكر ماذا يترك لعياله؟ لأنه ترك لهم «الله ورسوله» الله يحفظهم ويرزقهم والرسول على هديه ليفرج الله الكرب وتطمئن النفس. وعزم النبي على الهجرة وصحبه أبو بكر (ثاني اثنين إذ هما في الغار) وكان الثالث معهم. يصحبهما ويهاجر معهما عامر بن فهيرة. لم يكن في الغار لأنه كان يسرح بالمنيحة ويغدو بها. يأتي باللبن

يسقي النبي وصاحبه، هما مهاجران. وهو مهاجر وعامل. كأنما هو يرعى حقهما تحت الجبل. ووصل إلى المدينة فنزل على الكريم البر التقي. سعد بن خيثمة. وآخى الرسول بين عامر وبين الحارث بن أوس بن معاذ. وشهد عامر بدراً واحداً وقتل يوم بئر معونة في السنة الرابعة من الهجرة. قتله وإخوانه المغتالون العاقون النابذون لعهد الرسول. واستشهد وعمره أربعون سنة. ومن قتله؟ قتله عامر بن الطُّفيْل علي الأشهر، وقيل جبَّار بن سلمى الكلبي، وسأل عامر بن فهيرة يرفع إلى السماء. رفعته الملائكة. وارت جثته. أنزل عليين.. ذهب علواً في السماء حتى ما يرى. فضل من الله أكرم له مؤمناً صادقاً.. والله ذو الفضل العظيم.

وتحدثوا أن جبار بن سلمى كنعمى وفصحى قاتل عامر: قد أسلم وحسن إسلامه. أتته الهداية حينما رأى جزاء المؤمنين وكرامة المؤمن.. وحينما سطع الضوء قال: فزت. فزت. فاسلم، والإسلام يهدم ما قبله؟.. وهذه قيمة الدين الحق لا يتأثر لقريب ولا يعاتب مهتدياً. عفا الله عنه، حين أسلم وأناب. فهل هناك سعة كهذه؟ الإسلام يجُّب ما قبله، والتوبة تمحو ما قبلها. ما أكرم الإسلام لأهله وعلى أهله. رفع العبيد إلى درجة السادة. وأذل أعناق السادة الطاغين لأنهم كفروا بالحق لما جاءهم. استأذن أبو سفيان وسهيل بن عمرو، على عمر، فلم يأذن لهما، واستأذن بلال وصهيب وسلمان فأذن لهم.. فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم نستأذن فلا يؤذن لنا ويستأذن هؤلاء العبيد فيؤذن لهم.. فقال سهيل: دعيت أول الأمر فلم تجب ودعوا أول الأمر فأجابوا.. إنهم السابقون الأولون قد رفعهم الله درجات ولو كانوا عبيداً.. رضي الله عن ابن فهيرة. ذكرنا بالخيرين ويذكر في الخيرين. رضي الله عنهم أجمعين.

أبُـو طَـلْحَـة

أبو طلحة الأنصاري. يعرف بكنيته هذه، ونسبته.. إذا ذكر انصرف السامع إليه لا يكاد طفل مسلم يقرأ كتاباً في سيرة أو فقه إلا ويسمع له ذكراً. إسمه زيد ومن بني النجار الأنصاريين. (أنا أبو طلحة واسمي زيد. وكل يوم في سلاحي صيد). وله من الولد: عبد الله وعمير «صاحب النفير» تزوج أم سليم بنت ملحان ـ الشهيدة في يوم الصّواري، وكيف تزوجها؟ خطبها أبو طلحة فقالت: ما مثلك من يرد! ولكنك امرؤ كافر وأنا مسلمة لا تحل لي. فإن تسلم فذلك مهري. فأسلم فكان مهرها إسلامه. ولا أدري. أهي الأكرم. أم هو المكرم؟ كريمان تملأ سيرتهما فؤاد المؤمن نوراً وتعجب سيرتهما كل القارئين، يعرفون للعظمة وللبطولة وللصدق.. حقها لا ينكر هذا الحق أحد. وشهد بيعة العقبة مع البيض، وشهد بدراً واحداً والخندق.. والمشاهد كلها. المشاهد كلمة؟ ماذا تعني؟ تعني غزوات النبي، حرب النبي، انتصار النبي. هزيمة أُحد. حصار الخندق. الروع يوم حنين. النصر الكبير يوم بدر. المشاهد كلها؟ يعني أنه أحد الذين أقاموا لنا هذا البناء الضخم، الإسلام، المجد، الفتح. له في عنقنا دين لا يسده إلا الإيمان بالله لأن ذلك هو الأساس في جهاد النبي وصحبه. ومنهم بطلنا. وآخى الرسول بين أبي طلحة والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي صاحب الدار المدرسة الثانية في الإسلام. عجب! ألم أقل لكم: إنه الشبه

من الاثنين. والقرابة بين خلقين والتناسق بين رجلين يجعلهما أخوين؟.. وقد كان أبو طلحة بطلاً عظيماً في أحد. بل هو أحد الأفذاذ فيها.. حمزة، مصعب بن عمير، أبو دجانة. علي، سعد، طلحة، حذيفة بن اليمان، عمر، أبو بكر، أبو حنظلة، أم سليم، أم نسيبة. فاطمة بنت محمد. وغير هؤلاء. وقبلهم الرسول ﷺ، لكل من هؤلاء وغيرهم موقف قد ذكر له، وشهد به، رضي الله عنهم أجمعين.

تحدث أبو طلحة يقول: رفعت رأسي يوم أُحد فجعلت أنظر فما أرى أحداً من القوم إلا يميد «يميل» تحت جحفته من النعاس، وكنت ممن أنزل عليهم النعاس يوم أُحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً.. آية من الله رفع بها عن نفوسهم كرباً عظيماً لينشطوا بعد. لنصر عظيم. لم يكن ساعتها وقد كان بعدها إلى يوم الدين. وكان أبو طلحة جهير الصوت، حسنه «لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل» (ثناء النبي). وفي يوم أُحد كان يرى بين النبي والنبي خلفه يترس به. فكان النبي يرفع رأسه يطل به ليرى أين وقع سهم أبي طلحة. فيرفع أبو طلحة رأسه ويقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا يصيبك سهم. نحري دون نحرك.. وكان أبو طلحة يرى دائماً بين عيني رسول الله ويقول: إني جلد.. فوجهني في حوائجك ومرني بما شئت.

وفي يوم حنين، يوم الروع أفزع الجيش، يرتد مهزوماً. فلم يثبت إلا محمداً ومن معه ولا ينادي العباس إلا «يا للأنصار يا للأنصار» يعني بطلنا وقومه. ويسرع أبو طلحة.. يسمع نداء النبي.. «من قتل قتيلاً فله سلبه» ويسرع أبو طلحة ليعمل.. يجيب النداء (فقتل يومئذ عشرين رجلاً فأخذ أسلابهم) لا يطمع أبو طلحة في الأسلاب فقد أغناه الله، وإنما هو يسلب روح الكافرين ليعز المؤمنين وليكون له فخر اليوم وغداً.

ودخل رسول الله على أبي طلحة يزوره، فرأى ابنه «أبا عمير» حزيناً ـ

وكان إذا رآه يمازحه ـ فقال النبي: «مالي أرى أبا عمير حزيناً؟».. فقال أبو طلحة: «مات يا رسول الله نغيره الذي كان يلعب به» قالوا: فجعل النبي ﷺ يقول: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟».

وقد كان بطلنا لا يتطوع بالصوم في حياة الجهاد. ليبقى قوياً ينهد للحرب كلما دعي لها. فلما توفي الرسول سرد الصوم أربعين عاماً لا يفطر إلا يوم فطر. أو يوم أضحى أو في مرض. وأخرج مسلم وغيره أن النبي لما حلق شعره بمنى فرق شقه الأيمن على أصحابه. الشعرة والشعرتين وأعطى أبا طلحة الشق الأيسر كله، وتحدثوا أنهم أصابوا عند آل آنس بن مالك شيئاً منه.

ولما نزلت الآية ﴿لَن نَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢) قال أبو طلحة لرسول الله: إن أحب أموالي إليّ بئر حاء، وأنها صدقة. أرجو برها وذخرها. فقال النبي: «بخٍ، بخٍ، ذاك مال رابح».

و«بئر حاء» في باب المجيدي سابقاً. يعرفها أهل المدينة. فوزعت أرضها. وبقيت البئر في حفرة منخفضة عن البيوت. وقرأ أبو طلحة قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (التوبة: ٤١) فقال: أمرني ربي. لننفر شيوخاً وشباناً.. جهزوني أي بني. جهزوني. فقال بنوه: قد غزوت مع رسول الله ومع أبي بكر وعمر، فنحن نغزو عنك. فقال: جهزوني. فركب البحر فمات. فلم يجدوا له جزيرة إلا بعد سبعة أيام فدفنوه فيها ولم ينقبر، وهذا يفسر سفر أم سليم زوجه إلى البحر. وفي ذات الصواري. فلعلّها كانت معه. لعلّها كانت معه على ضعف الرواية التي تقول أنه غزا البحر. فإن صحة القول بأن بنت ملحان قتلت يوم ذات الصواري. يصحح أن زوجها أبا طلحة كان معها. ليصدق خبر النبي، إن بنت حرام تستشهد غازية في البحر. رضي الله عنهم أجمعين.

خُبَيْبُ بن عَدِي

من أصحاب الرجيع، وأول من صلب في الإسلام، وأول من سن صلاة ركعتين عند القتل، وقد أستحسن الرسول ﷺ ما صنعه عند القتل من الصلاة ركعتين وقال عنه: (هو رفيقي في الجنة) فقد قدم على رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة بعد أحد رهط من عضل والقارة، وهما قبيلتان من الهون ابن خزيمة بن مدركة، وقالوا: يا رسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك، يعلموننا شرائع الإسلام ويقرئوننا القرآن، ويفقهوننا في الدين، فبعث الرسول ﷺ معهم ستة من أصحابه، من بينهم خبيب فخرجوا معهم حتى إذا كانوا على الرجيع وهو ماء لهُذيْل بناحية الحجاز بين عسفان ومكة على صدر الهداة، غدروا بهم، فاستنصروا هذيلاً فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف قد غشوهم فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم أنا والله ما نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب بكم من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم. فأبى بعض أصحاب خبيب أن يقبلوا من هؤلاء المشركين عهداً وكان من هؤلاء عاصم بن ثابت الذي قال:

ما علتي وأنا جلد نابل ... والقوس فيها وتر عنابل

تزل عن صفحتها المعابل ... الموت حق والحياة باطل

وكل ما حمّ الإله نازل ... بالمرء، والمرء إليه آيل

ثم قاتل مع من أبي عهد المشركين حتى قتلوا، أما حبيب والباقون فقد لانوا ورقوا ورغبوا في الحياة، فمدوا أيديهم فأسروهم وخرجوا بهم إلى مكة ففر عبد الله بن طارق في الطريق في (الظهران) فقتلوه بالحجارة وقبره هناك رحمه الله. وبقي خبيب وزيد بن الدثنة فباعوهما لقريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة، فاشترى خبيباً حجير بن أبي أهاب لعُقبة بن الحارث بن عاقر ليقتله بأبيه، واشترى زيداً صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وسجنوا خبيباً قبل أن يقتلوه عند ماوية مولاة حجير بن أبي أهاب وقد روت هذه بعد أن أسلمت حديثاً عنه وهو في السجن عندها قالت: كان خبيب عندي حبس في بيتي فقد أطلعت عليه يوماً وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرجل، يأكل منه وما أعلم في أرض الله عنباً يؤكل. ولقد قال لي حين حضره القتل: ابعثي إليّ بحديدة أتطهر بها للقتل، فأعطت غلاماً من الحي الموسى فقلت: أدخل بها على هذا الرجل البيت، ثم قالت فوالله ما أن ولى الغلام بها إليه حتى قلت ماذا صنعت!! (أي ندمت) لقد أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام فيكون رجلاً برجل، فلما ناوله الحديدة (الموسى) أخذها من يده ثم قال للغلام: لعمرك أما خافت أمك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة إلي؟ ثم خلي سبيله. ثم خرجوا به في حشد كبير إلى خارج الحرم حتى لا يقتلوه فيه فخرجوا إلى (التنعيم) في الحل خارج مكة ليصلبوه فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين فقالوا: صلِّ. فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ثم أقبل عليهم وقال لهم: لولا أن تظنوا أني إنما طولت جزعاً من الموت لاستكثرت من الصلاة، أو قال لطولت صلاتي، ثم أدار نظره في الواقفين من المشركين الذين جاءوا ليشهدوا قتله فلم ير إلا شامتاً أو إنساناً في يده حجر أو عصا فقال: والله ما أرى إلا وجه عدو ثم قال: (اللَّهم ليس ها

هنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فأقرئ رسولك وأصحابه مني السلام).

وكان الرسول في هذه اللحظة على المنبر (في المدينة) فرد عليه السلام وأخبر أصحابه. وتقدم عقبة بن الحارث وأبو هبرة العبدري وغيرهم ليصلبوه فرفعوه إلى الخشبة فقال:

اللَّهم أنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا ثم دعا عليهم وقال: اللَّهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً. وطلب وهو على الخشبة ممن صلبوه أن يكبوه على وجهه مستقبل القبلة ليقتلوه وهو ساجد فرفضوا ذلك وقد قال يصف حاله:

لقد جمع الأحزاب حولي وألَّبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهمُ مبدي العداوة جاهد ... علي لأني في وثاق بمضبع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع
إلى اللَّه أشكو غربتي ثم كربتي ... وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فذا العرش صبّرْني على ما يراد بي ... فقد بضعوا لحمي وقد يأسوا مطمعي
وقد خيروني الكفر، والموت دونه ... وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت إني لميت ... ولكن حذاري جسم نار ملفع

ثم قال مستهزئاً بمن رفضوا تحويل خشبته نحو الكعبة:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي جنب كان في اللَّه مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

إلى أن قال:

ولست بمبد للعدو تخشعاً ... ولا جزعاً، إني إلى اللَّه مرجعي

ثم قتلوه مستدبر الكعبة فتحولت خشبته حتى صار مستقبل الكعبة.

يقول ابن عباس: ولقد قال بعض المنافقين عنه وعن أصحابه بالرجيع: يا ويح هؤلاء المنافقين فقال ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾ (البقرة: ٢٠٤) إلى أن قال سبحانه في حق من قتلوا في الرجيع: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

ولقد بكاه حسان بن ثابت فكان مما قاله:

ما بال عينك لا ترقى مدامعها ... سحًّا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق
على خبيب فتى الفتيان قد علموا ... لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك اللَّه طيبة ... وجنة الخلد عند الحور في الرفق

رضي الله عنه وأرضاه.

الأرقَـمُ بن أبي الأرْقَـم

الأرقم بن أبي الأرقم يتردد اسمه على الأفواه وتذكره كتب السير. حتى الذين كتبنا عنهم من الصحاب الأبطال جرى ذكره في سيرتهم. فمن هو؟

عجب لمخزومي. يرى الوليد بن المغيرة، سيد مخزوم الوحيد والعدل، وسيد مخزوم، لا يسلم، فلا يسأل عنه ويسلم. وعجب لابن عم أبي جهل، يرى أبا جهل يوم المستضعفين من المسلمين العذاب فلا يأبه به ولا يبالي ويسلم. بل يجعل داره (المدرسة الأولى في الإسلام) وحرز الدعوة وحصن المسلمين الأقلين وفي أقرب مكان من المسجد على الصفا.

إنه الإيمان امتلأ به قلب الأرقم، الذي لا يعرف الطمع في رئاسة مخزوم ولا منافسة بني هاشم، ولا يظهر اللجاجة في خصومة أحد من قريش.. هادئ ساكن، يرسل عقله يفتش عن الحق. سمة من سمات الصديق وخلق من خلق أبي بكر. تجد هذا الخلق في كل الذين سبقوا إلى الإسلام. خلق نظيف، وطبيعة هادئة وإيمان عميق وصبر كريم وثبات راسخ لا يزحزحه العذاب ولا الاضطهاد، وإنما هو الذي زحزح الكفر والعناد وأطاح الجبابرة الفاجرين.

وآمن الأرقم والحق رائده والهداية مطلبه ونصرة محمد النبي الرسول غاية ما يريد، وبالوسيلة التي يستطيع فكان سابع سبعة في الإسلام..

ونظر إليه الرسول فوجد عند هذا الساكن الهادئ العزة والمنعة والحدب والرعاية. كلها تتمثل في نفس الأرقم لا في هيكل المخزومي. والإسلام لم ينتصر بالأجسام الفارعة والأعناق الغليظة، وإنما انتصر وينتصر بالإيمان، في أي نفس سواء أركبت في نفس عمرية على قوام سمهري، أم على جسم نحيف دقيق كابن أم عبد (عبد الله بن مسعود).

ووثق الرسول بالأرقم فجعل داره (أعني الأرقم) مأمن الآمنين بأمن الله، المروعين من المشركين. لم يرعهم أحد بقدر ما أخافهم ابن عم الأرقم، أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ولكنه لم يتخط عتبة الدار لئلا يلحقه عار.. حمية جاهلية تمنع أبا جهل من أن يخفر ذمة ابن عمه، وهو الذي لا ذمة له عند الله.

وأبو جهل لم يروع، ولم يؤذ ويعذب إلا بهذه الإشارات من عمه الوليد بن المغيرة سيد مخزوم.. أبو جهل قد نال باليد فلم تنزل بشأنه الآيات القاصمات، كما نزلت في عمه الوليد الذي كان يؤذي بالإشارة ويعذب باللسان.. فعمل اليد قد أصاب فرداً أو أفراداً. أما عمل اللسان فقد تصدى للمبدأ. تصدى للقرآن «إنْ هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر» فجاء القرآن يفضح ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّآ ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ. فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ. إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ. سَأُصْلِيهِ سَقَرَ. وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ . لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ . لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (المدثر: ١١ ـ ٣٠).

يجمع قريشاً فيثني أول الأمر على ما نزل على محمد. لا يقصد بهذا الثناء على الحق وإنما يريد أن يرجف بقريش ليعرف مكانه فيهم، حتى إذا

صاح صائح منهم (والله لئن صبأ الوليد لتصبأ قريش) أرسل من نابه الأزرق السم النقيع. لا يرتد إلى محمد، ولا يصل إلى الأرقم، ولا يثني سُمَيَّة وعمَّاراً، وإنما هو قد ارتد إليه خزياً في الدنيا والآخرة في لعن الكتاب يتلى إلى يوم الدين.

ولكن الله الرحمن قد أخرج لنا من صلب هذا العتل الزنيم، الفارس البطل، والفاتح العظيم، والمؤمن الكريم، سيف الله أبا سليمان، خالد بن الوليد رضي الله عنه وأرضاه، وجزاه عن هذا الإسلام جنة الخلد يرتع في بحبوحاتها مع رسول الله ومع الذين أنعم الله عليهم والذين قال الله فيهم ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ (الحجر: ٤٧).

وشهد الأرقم بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها. وحينما هاجر إلى المدينة آخى الرسول بينه وبين أبي طلحة الأنصاري. وكانت داره على الصفا، وفيها أسلم عمر.. ومنها خرجوا مكبرين وطافوا بالبيت ظاهرين يؤمهم محمد وعلى الجانبين الفارسان الشجاعان حمزة وعمر. فدعيت دار الأرقم دار الإسلام.

وحتى عمر، الذي أعز الله به الإسلام حينما أسلم، وفي حياة النبي كلها، وفي حياة أبي بكر، وحينما تولاها.. تولاها الخليفة العادل والإمام العظيم والقائد الفاتح والعبقري الذي لم يفر فريه أحد. حتى عمر كان مخزومي الأنفة والخيلاء. والكبرياء ورثها عن مخزوم لأنهم أخواله. ولكنه آمن، فكان الدليل لإخوانه المؤمنين لأن شعار المؤمن العزة على الكافر والمذلة للمؤمن (دخل عليه خباب بن الأرت فقال عمر: أدن مني فإنه ليس أحق بهذا المجلس منك أحد إلا بلالاً، فقال خباب: ولا بلال فقد كانت له فئة تمنعه أما أنا فلم يكن لي أحد يمنعني، وكشف عن ظهره يريه أثر

العذاب) ودار الأرقم أو دار الإسلام تصدق بها الأرقم على ولده (هذا ما قضى به الأرقم في ربعه ما حاز الصفا أنها محرمة بمكانها من الحرم لا تباع ولا تورث.. شهد هشام بن العاص ومولى لهشام بن العاص) ولم تزل هذه الدار صدقة قائمة فيها ولد يسكنون ويؤجرون ويأخذون عليها. حتى كان زمن أبي جعفر المنصور فأخذها في قصة يطول شرحها ومن هذا سميت دار الخيزران باسم امرأة ابنه المهدي وأم الهادي والرشيد.

إن عمل المنصور عمل باطل، جار على وقف لا ينفع فيه أن أحد ولد الأرقم قد باعه إلى المنصور. فما أحرانا أن نغير الباطل ولو بالشراء إن بقي منها اثر نحفظ به دار الإسلام ولو تمتد إلى الشرق على هذه الحوانيت التي بنيت يضيق بها المدخل من المسعى. وإننا لإتمام السيرة، وطلباً للفائدة نكملها بقصة هذه الدار.

تحدث عثمان بن الأرقم فقال: إني لأعلم اليوم الذي وقعت في نفس أبي جعفر، إنه ليسعى بين الصفا والمروة في حجة حجها. ونحن على ظهر الدار في فسطاط فيمر تحتنا لو أشاء أن آخذ قلنسوة عليه لأخذتها وأنه لينظر إلينا من حين يهبط بطن الوادي حتى يصعد إلى الصفا.

ولما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن «النفس الزكية» بالمدينة كان عبد الله بن عثمان بن الأرقم ممن تابعه ولم يخرج معه، فتعلق عليه أبو جعفر بذلك، فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحبسه ويطرحه في حديد ثم بعث رجلاً من أهل الكوفة يقال له شهتب بن عبد رب وكتب معه إلى عامل المدينة. أن يفعل ما يأمره به. فدخل شهتب على عبد الله بن عثمان الحبس وهو شيخ كبير ابن بضع وثمانين سنة، وقد ضجر بالحديد والحبس فقال له: هل لك أن أخلصك مما أنت فيه وتبيعني دار الأرقم؟ فإن أمير

المؤمنين يريدها وعسى إن بعته إياها أن أكلمه فيك فيعفو عنك. قال: إنها صدقة ولكن حقي منها له، ومعي فيها شركاء إخوتي وغيرهم فقال: إنما عليك نفسك. أعطنا حقك وبرئت. فأشهد له بحقه وكتب عليه كتاب شراء على حساب سبعة عشر ألف دينار، ثم تتبع إخوته ففتنتهم كثرة المال فباعوه فصارت لأبي جعفر ولمن أقطعها. ثم صيرها المهدي للخيزران أم موسى وهارون فبنتها وعرفت بها ثم صارت لجعفر بن موسى أمير المؤمنين ثم سكنها أصحاب الشطوى والعون ثم اشترى عامتها أو أكثرها غسان بن عباد من ولد موسى بن جعفر، وقد اشتراها آخرون. حتى كان آخر عهدنا بها أنها كانت دار لمدرسة الحديث. ونرجو أن نرى مكانها مدرسة أو مكتبة تصان بها دار الإسلام.

عَبْدُ اللَّهِ بن أنيس

عبد الله بن أنيس، جهني أنصاري، حليف بني سواد ابن بني سلمة، فأصبح أنصارياً بالحلف، وأنصارياً بالنصرة والعمل الصالح. كان يكنى أبا يحيى من أصحاب العقبة، لم يشهد بدراً، وإنما شهد أُحداً وما بعدها من المشاهد.

هو صاحب «ليلة الجهني» سأل رسول الله ﷺ، فقال: إني شاسع الدار «بعيدها» فمرني بليلة أنزل فيها (يعني) إلى المسجد، يرقب ليلة القدر، فقال رسول الله: أنزل ليلة ثلاث وعشرين.. وهو أحد الذين كسروا آلهة بني سلمة. عرضت له فرصة العظمة، وساعة الشهادة، ودوافع التضحية. حينما نهد ليقتل سفيان بن خالد بن نبيْح الهذلي اللحياني.. أو هو خالد ابن نبيح نفسه.. ذلك أن النبي قد بلغه أن سفيان بن خالد قد نزل بطن عرفة وما والاها في ناس من قومه وغيرهم ـ قد جمع الجموع لرسول الله ﷺ. فبعث عبد الله بن أنيس ليقتل هذا المشرك المؤلب، فقال ابن أنيس: صفه لي يا رسول الله. فقال الرسول: إذا رأيته هبته، وفرقت منه وذكرت الشيطان.. وقال ابن أنيس: وكنت لا أهاب الرجال، واستأذنت رسول الله أن أقول، فأذن لي.. فأخذت سيفي وخرجت اعتزي إليه، فعرفته بنعت رسول الله ﷺ، وهبته فرأيتني أقطر فقلت: صدق الله ورسوله. فقال: من الرجل؟

فقلت: رجل من خزاعة، سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك. قال: أجل إني لأجمع له، فمشيت معه وحدثته. واستحلى حديثي حتى انتهى إلى خبائه، وتفرق عنه أصحابه. حتى إذا هدأ الناس وناموا، اغتررته فقتلته، وأخذت رأسه. ثم دخلت غاراً في الجبل، وضربت العنكبوت علي، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئاً فانصرفوا راجعين. ثم خرجت فكنت أسير الليل وأتوارى بالنهار. حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد فلما رآني قال: أفلح الوجه! قلت: افلح وجهك يا رسول الله! فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري. فدفع إلي عصا وقال: تخصر بهذه في الجنة! فكانت عنده، فلما حضرته الوفاة أوصى أهله أن يدرجوها في كفنه ففعلوا، وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة. وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم.

رحل إلى مصر فهو من أهلها وإليه رحل جابر بن عبد الله يطلب خيراً من حديث رسول الله ﷺ. بطولة فذة. أهي الفدائية، أو جندي الصاعقة، أهو أحد الأفذاذ من «الكماندوس» أسماء اليوم. هي أفعال أمس.. ولم يكونوا واحداً. الزبير كان فدائياً حينما اختطف جثة خبيب. بين أعين أربعين فارساً من قريش كانوا يشربون الخمر، وينظرون إلى من صلبوه على خشبة، خبيب. فاختطفه الزبير من بين أعينهم. ومحمد بن مسلمة، وسلمة بن الأكوع. لهم الفدائية الخارقة.. أزالت الطغاة من طريق الرسالة. رسالة محمد ﷺ. رضي الله عنهم.

عُمَيْرُ بن وَهْب

عمير بن وهب القرشي الجُمحي من رهط أمية بن خلف، معذب بلال وسيده الذي باعه لأبي بكر، وأبي بن خلف المقتول بيد النبي يوم أُحد.

رهط تطلب السيادة ففقدها وتاه بزعيميه فقتل أحدهما في بدر والآخر في أُحد، فلا شك أن عُميراً حينما يجلس إلى صفوان بن أمية فيذكر أن الحديث في مصابهم فيعظم عليهم الأمر وتشتد نفس كل واحد منهما بالغيظ والحنق على رسول الله ﷺ الذي عاب آلهتهم وأفسد عبيدهم عليهم وقتل صناديدهم. وفي ساعة من هذه الساعات يجلس عمير إلى ابن عمه صفوان قبل أن يسلما ـ وقد رجع كل المشركين إلى مكة، تعلو وجوههم حسرة الهزيمة وقترة الخذلان فيقول صفوان: قبح الله العيش بعد قتلى بدر. فيجيب عمير أجل! والله ما في العيش خير بعدهم ولولا دين عليّ لا أجد له قضاء وعيال لا أدع لهم شيئاً لرحلت إلى محمد فقتلته. إن ملأت عيني منه، فإن لي عنده علة أعتل بها عليه.. أقول قدمت من أجل ابني هذا الأسير.. مشرك حانق ومفلس غير واثق وجدها فرصة في نفس صفوان الحزين على قتل أبيه المغتبط من الهزيمة الذي يستطيع أن يرفده إن هو ضرب على النغم الذي تهتز له عواطفه وتسر منه نزعته.

وتكلم صفوان فرحاً فقال: عليّ دينك وعيالك، أسوة بعيالي في النفقة لا يسعني شيء فأعجز عنهم.

وأتفق عمير وصفوان، وحمله صفوان وجهزه وأمر بسيف عمير فصقل وسقي بالسم.. وقال عمير لصفوان: أكتم خبري أياماً. يطمع أنه فائز بما أراد. وما يدري أن دون ذلك عصمة الله. «والله يعصمك من الناس». وقدِم عمير المدينة فنزل عند باب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف وعمد إلى رسول الله.. ولكن هناك عيناً يقظة تنظر إلى هذا القادم المشرك. إنها عين عمر أبي حفص ومعه نفر من الأنصار. وفزع عمر ودخل إلى رسول الله فقال يا رسول الله: لا تأمنه على شيء.. فقال الرسول «أدخله علي» فخرج عمر فأمر أصحابه أن يدخلوه ويحترسوا من عمير فأخذه عمر حتى دخلا على النبي ومع عمير سيفه فأشار رسول الله إلى عمر ابن الخطاب: تأخر عنه. ودنا عمير وقال: عموا صباحاً ـ تحية جاهلية ـ فقال رسول الله: (قد أكرمنا الله عن تحيتك وجعل تحيتنا تحية أهل الجنة.. السلام) فقال عمير كأنما هو يهزأ: إن عهدك بها لحديث! وقال له الرسول: (ما أقدمك يا عمير)؟ قال عمير: قدمت على أسيري عندكم تفادوننا في أسرانا فإنكم العشيرة والأهل. فقال النبي: (ما بال السيف في عنقك)؟ فأجاب عمير: كأنما يمكر ـ قبحها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً؟ إنما نسيته في عنقي حين نزلت، فقال رسول الله أصدقني ما أقدمك يا عمير؟ فقال عمير: ما قدمت إلا في طلب أسيري.. وتكلم النبي «إن هو إلا وحي يوحى»: فما شرطت لصفوان في الحجر؟ ففزع عمير وقال: ماذا شرطت له؟ فقال رسول الله وخاتم النبيين: «تحملت له بقتلي على أن يعول أولادك ويقضي دينك والله حائل بينك وبين ذلك».

فصعق عمير، ودهش الإنسان فنطق كلمة الحق «أشهد أنك رسول الله

وأشهد أن لا إله إلا الله». كنا يا رسول الله نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر كما قلت، لم يطلع عليه أحد، فأخبرك الله به، فالحمد لله الذي ساقني هذا المساق.. ففرح المسلمون، وأول من سر رسول الله، وأن عمر لمن أشد الناس مسرة بهذا الذي أسلم بعد أن كان مشركاً. قد جاء ليقتل الإسلام في شخص نبي الإسلام. وقال له رسول الله: «اجلس يا عمير نواسك» والتفت إلى أصحابه يخاطبهم «علموا أخاكم القرآن» وأطلق له أسيره دون مقابل. وأستأذن عمير رسول الله أن يلحق بقريش فيدعوهم إلى الإسلام لعلّ الله أن يهديهم، فأذن له فلحق بمكة.

أمر تدعو إليه القصة وظروفها. فالمعجزة يرويها عمير لقريش لا شك أنها تمس قلوبهم، فمن رقّ يسلم ومن خشن يفزع فتميد الأرض تحت قدميه. إن عميراً في ذهابه إلى مكة حملة منظمة تبشر بالإسلام وتذيع الرعب بين المشركين وما فعلها عمير إلا بهذا الإحساس، وما أذن الرسول إلا لأن الغاية الصائبة والنية الخيرة.. كانت واضحة من هذه الحملة يقودها عمير: هذا الذي جاء مشركاً ليقتل فعاد إليهم مؤمناً صادق الإيمان، ينشر الإسلام وينتصر به الإسلام ويرتفع بصولته ـ وهو فرد ـ علم التوحيد. وجلس صفوان ينتظر الخبر يفرح به. يأتيه من عمير أو عن عمير وأخذ يقول لقريش: أبشروا بفتح ينسكم واقعة بدر. وأخذ يسأل كل راكب قدم من المدينة هل كان بها من حدث حتى قدم عليهم رجل فقال لهم: قد أسلم عمير ـ فيا خيبة الأمل في النفس المشركة ـ فلعنه المشركون وقال صفوان: عليّ ألا أكلمه أبداً ولا أنفعه بشيء. وقدم عمير عليهم، فدعاهم إلى الإسلام ونصحهم، فاسلم بسببه بشر كثير. عجب. عجب. ما هذا

النور؟ إنها روح النبوة وعظمة الإسلام ودافع الإيمان يصنع هكذا في المؤمنين وبالمؤمنين. كان ضعيفاً خذله الدين، وأفسده الشرك فلما مسته رحمة ربي اضحى قوياً يذهب لقريش وحده وهو يعرف أن ابن عمه سيخذله لأنه لم ينجح في مسعاه الذي أراده ابن عمه.

سأله مرة عمر، هل أنت الذي حزرتنا يوم بدر؟ «يعني قدرت عددنا» فقال عمير: نعم وأنا الذي حرشت بين الناس ولكن جاء الله بالإسلام، وما كنا فيه من الشرك أعظم من ذلك. فقال عمر: صدقت. نعم صدق، فالأساس الشرك وكل بلاء منه.

وهاجر عمير وأدرك أحداً فشهدها وما بعدها وشهد الفتح ولما هرب صفوان بن أمية بن خلف صاحبه في هذه القصة. سعى إليه في مهربه يحمل أمان رسول الله إلى صفوان. فرجع معه صفوان وأسلم فكان من خيار الصحابة ومن أكارم قريش، ولعلّي أكتب سيرته بعد، فهو يستحق رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا أشرك عمير وأشرك صفوان تبعاً لقومهما وعناداً وحزناً، ولكنهما اسلما فكانا من الأخيار. فاللَّهم أهدنا صراطك المستقيم وجنبنا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا واكتبنا عندك من المسلمين.

عِكْرِمَةُ بن أبي جَهْل

عِكرِمة بن أبي جهل، عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي. . والكلام عنه يجر الكلام عن أبيه (أبي الحكم) كما كان يسمونه في الجاهلية وهو أبو جهل كما سماه الإسلام.

تحدث معاوية يوماً فقال في معرض كلامه: عجبت لمخزومي لا يكون تيَّاهاً. ومن أين جاءهم التيه وركبهم الكبر والخيلاء؟ الغني. الجاه. أعنة الخيل. النسب العريق والحسب المعروف والبطولة. كانت لهم الأعنة، أي القيادة قيادة الخيل في أي حرب تخوضها قريش، قادوها في بدر وقادوها في أحد بقيادة أبي سليمان خالد ابن الوليد بن عم عكرمة بطلنا الذي نتحدث عنه اليوم. وكان منهم الوليد بن المغيرة الوحيد، والعدل، يطعم الحاج عاماً وتطعمه قريش عاماً، وتكسو قريش الكعبة عاماً ويكسوها الوليد عاماً.

في مجتمع يرفع من أقدار الصانعين لمثل ذلك ارتفع قدر الوليد بن المغيرة، ومعه ارتفع قدر المخزوميين، ومنهم الذي سار معه جنباً إلى جنب ابن أخيه عمرو بن هشام بن المغيرة أبو جهل والد عكرمة.

وسطع نور محمد ودعا محمد قريشاً إلى التوحيد فاضطرب المشركون لأن التوحيد يقضي على نظامهم الاجتماعي وسيطرتهم، ويطرح الزعامة التي

يعتزّون بها فلا يرى الواحد منهم إلا أخاً للآخرين من الناس أجمعين. فهل يطيق أبو جهل أن يحسب مثل ابن أمتهم «عمار بن ياسر»، ابن الجارية. العبد يساوي السيد الصنديد. لا. لا. لن يطيق هذا أبو جهل.

وأتعب أبو جهل نفسه من وراء عمه الوليد يكيد لمحمد ويؤذي المستضعفين ويؤلب على المسلمين ولم يترك وسيلة إلا سلكها في سبيل الإيذاء والتعذيب. كان ظاهر الخصومة، نال باليد ولم يتورع عن النيل باللسان.. قالها مرة: نحر بنو هاشم فنحرنا وتكرموا فتكرمنا وفعلوا كيت وكيت وفعلنا. حتى إذا تحاذت الركب. قالوا: منا نبي! وقوله هذا ينبئ عن عقلية أبي الحكم، نعم إن الإسلام قد وسم أبا جهل بسمة الجهل والحمق مما هو جدير به على هذه الفكرة الخاطئة. فالمسألة ليست لهاشم ولحساب عبد مناف ولا لمجد قريش، إنما هي لله وحده، للإسلام، للعرب جميعهم، للناس أجمعين. رسالة شاملة كافة تَعُم الدنيا كلها. والبشرية بأسرها.

وخرج النفير في قريش ليدرك العير، وقد قعد لها المسلمون يقطعون عنها الطريق ليأخذوها غنيمة تعجز بفقدها قريش. وخرج أبو جهل في النفير، ونجت العير ـ غير ذات الشوكة ـ وتكلم عتبة بن ربيعة بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ينصح النافرين أن يرجعوا فلا حاجة لهم بالقتال. وأصر أبو جهل على القتال لا يقصد بذلك إلا أن تسمع العرب عن قريش.. أوقدت النار ونحرت الجزر وشربت الخمر.

واحتدم الجمعان ونصر الله المسلمين وقتل أبو جهل، قتله بطل لم يجهز عليه، وركب على صدره يافعان (يفلفصان) نفسه واحتز رأسه رويعي الغنم ابن أم عبد. عبد الله بن مسعود. رجل دقيق الساقين. نحيف

ضعيف، ولكن هكذا أراد الله أن يجندل أبو الحكم بيد الضعفاء. بلال العبد يقتل أمية بن خلف، وابن أم عبد الضعيف يحتز رأس أبي جهل، فيرتقي المرتقى الصعب على حد تعبير التيَّاه المتعجرف!!

والمعركة تقودها قريش ضد الإسلام وضد نبي من قريش، وهذا الاستنتاج من عندي ولا احسبني قرأته لأحد. وبالله عليكم خبروني لو أن قريشاً أجمعت على الإسلام ساعة الدعوة من يومها الأول. فماذا كانت العرب تصنع؟ إني أعتقد أنها سوف ترمي قريشاً عن قوس واحدة وبجيش واحد. ولكن مخالفة قريش وعناد قريش وهنت العرب ومزقت آراءهم وأصبحت الدعوة بحثاً معروضاً. كل يوم يتبعه أناس وعامل الزمن كما أراده الله كان له أثر. ولولا ضيق المجال لأقمت الدليل تلو الدليل على صحة هذه النظرية، ذلك فضل الله ومن كمال تدبيره ويمن تيسيره «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى». كل هذا حدث من أبي جهل، وعن أبي جهل ولأبي جهل، وابنه عكرمة، بطلنا معه. يشاركه الرأي ويشترك معه في الحرب والأذى والنقمة. حتى أنه يوم الفتح كان آخر المحاربين وأول الفارين من وجه ابن عمه خالد بن الوليد سيف الله، هرب من الخندمة إلى اليمن ولحقت به امرأته أم حكيم بنت عمه الحارث بن هشام. أراد أن يركب البحر فاراً من وجه ابن عم كريم. محمد وأخ كريم وابن أخ كريم، وأقنعته أم بنيه فأتت به إلى النبي. فلما اقبل قال رسول الله ﷺ (مرحباً بالراكب المهاجر) فأسلم وحسن إسلامه.

أتدرون ماذا قال النبي حين أسلم عكرمة؟ قال عليه السلام: «إن عكرمة يأتيكم فإذا رأيتموه فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي». وسأل عكرمة رسول الله ألا يسمى بابن أبي جهل، فنهى أصحابه أن يقولوا عكرمة

بن أبي جهل وقال: «لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات». ولولا الشهرة لتأدبت بأدب النبي فلم أضع العنوان باسمه الذي نهى عنه، ولكني أعتذر. بأن انتهى معنى الإيذاء له وهو حي، وقد لحق بالشهداء فلا إيذاء له والناس لا يعرفونه إلا بهذا الاسم (عكرمة بن أبي جهل).

وسأل الرسول أن يعلمه «علمني خير شيء تعلمه حتى أقوله» فقال له النبي ﷺ (شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله). فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا، وأشهد بذلك من حضرني وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي. فاستغفر له رسول الله. وقال عكرمة: والله لا أدع نفقة أنفقتها في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله ولا قتالاً قاتلته إلا قاتلت ضعفه في سبيل الله، وأشهدك يا رسول الله. ظاهرة صادقة في الثابتين على المبادئ. قد يكونون أولاً من الثابتين على ضلالة، فهم أثبت ما يكون على الحق.

وهكذا كان عكرمة.. أسلم وحسن إسلامه واجتهد في العبادة وفاءًا بعهده، وقتل شهيداً في حروب الشام. ولا خلاف في ذلك. ولكن هل قتل في اليرموك؟ أم في أجنادين، أو في مرج الصفر؟ إني أرجح أنه قتل شهيداً في اليرموك.

عبَّأ سيف الله التعبئة العامة لم يشهد العرب مثلها من قبل وكان حظ عكرمة من هذه التعبئة أن يكون ردئاً في خلف الجيش يحمي المؤخرة من عاد يضرب من الظهر. وحملت الروم حملة زحزحت جيش الإسلام، ونظر عكرمة ومعه أبطال من قومه سهيل بن عمرو وعمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور وأمثالهم.. فصرخ عكرمة.. يوفي بعهده. يقاتل ضعف ما قاتل في الكفر «قاتلت الرسول في كل موطن على الكفر» وأفر اليوم وأنا

على الإسلام، من يبايع على الموت؟ وبايعه الأبطال وزحفوا، وقاتل عكرمة فارساً ثم ترجل فقاتل قتالاً شديداً فقتل. فوجد مصاباً ببضع وسبعين من بين طعنة وضربة ورمية. وجندل عكرمة وجندل أبطال بجانبه قاتلوا مثل قتاله.. وطلبوا الماء وهم في النزع فجاءهم كوز ماء فتدافعوه كلما وقع إلى واحد منهم دفعة إلى الثاني.. وقال اسق فلاناً فسهيل يدفع إلى عكرمة وعكرمة يدفع إلى سهيل والحارث ابن هشام يدفع إلى غيره حتى ماتوا ولم يشربوا.. ولكنهم شربوا السلسبيل حينما رتعوا في خضراء الفردوس. وجاء خالد فحمل عكرمة ورفع رأسه على فخذه وقالها كلمة.. «زعم ابن حنْتمة ألا نستشهد» يعني عمر بن الخطاب فحنتمة اسم أم عمر وهي بنت هشام بن المغيرة أي عمة عكرمة وبنت عم خالد أو أنها بنت هاشم ابن المغيرة أي بنت عمهما جميعاً فهم أخوال عمر ابن الخطاب. وكان عمر يقول ذلك لهم، لا دعاء عليهم ولا أمنية يتمناها لهم وإنما يحضهم على القتال لأنه رضي الله عنه يرى الشهادة أعظم القربات فهو أنكر على عثمان ابن مظعون موته على فراشه ولا أدري أي نفس تقوم فيها هذه المعارك بين الضلال والهدى.. بين البطولة في سبيل المجد وبين التضحية في سبيل الإسلام.

الحق أن عكرمة بطل في صراعه مع نفسه. بطل في صراعه مع الباطل وبطل في استشهاده يوم اليرموك أو في أجنادين أو في يوم الصفر. والحق أنه من أسباب النصرة في اليرموك. قيادة عبقرية لمخزومي هو خالد وتضحية فدائية لمخزومي هو عكرمة رضي الله عنهم أجمعين. ولا أدري من هو البطل بعده قد يكون سهيل بن عمرو ففي حياته صور تشرق بنور، وتُعلم عن بطل عظيم!!

سُهَيلُ بن عَمْرو

سهيل بن عمرو.. من ولد عامر بن لؤي. جده عَبدودّ. قرشي عامري. من رهط أمين هذه الأمة أبي عبيدة عامر بن الجراح. كان سهيل أحد الأشراف في قريش، ومن قريش. سيداً كريماً فيهم، يعرف بالعقل والاتزان وذلاقة اللسان.. خطيب قريش. وكلهم خطيب. وكلهم ذو بيان. فلماذا أصبح بعد في قريش خطيبها؟ أصبح كذلك لأن الخطابة ليست اللسان المبين. والكلمة المجنحة، وإنما هي الوضع يتيح للخطيب أن يتكلم وللصحفي أن يكتب. وللمتحدث أن يتحدث. ثم العقل والثقافة.

وسهيل ذو لسان مبين وعقل راجح، وعلى درجة من الثقافة عالية. أتاح له كل ذلك مع حرية التعبير في مجتمع قريش أن يكون الخطيب. وقد ظهر موقفه حينما فشل كل السفراء يوم الحديبية، ونجحت سفارته وهو ينوب عن قريش في مفاوضة النبي لعقد الصلح. ولقد صدق خبر الرسول فقد قال حينما أقبل سهيل مفاوضاً: «لقد سهل لكم من أمركم». ونجحت سفارة سهيل وعُقد الصلح وكان نجاحه لقريش ظاهر الأمر، أما في باطن الأمر وفي مستقبل الأحداث فقد كان نجاحاً للفتح المبين ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ (الفتح: ١).

وسعد سهيل بالحظوة عند قريش حينما أمرت ما عاهد به، وكان حظه في

الإسلام أسعد حينما يقرن اسمه بهذا العهد. وهذا الصلح.. صلح الحديبية جلس يفاوض، يمثل قريشاً والنبي يسمع له. وتقرر أن يكتب العهد وجاء الأمين الكاتب الإمام الفارس أبو الحسن علي بن أبي طالب ليكتب، واجتمع الصحب يسمعون لهذه الشروط. كأنما هي تملي إملاء عليهم من سهيل باسم قريش. وهال الصحابة ذلك وأنكر عمر، وصدق أبو بكر لأنه يعرف أن صنيع محمد في ذلك لا يصدر إلا عن وحي (أن هو إلا وحي يوحى).

وارتاع المسلمون وجزعوا وخشي عليهم النبي أن يحل بهم غضب من معصية.. أمرهم أن ينحروا الهدي فتوقفت السكاكين في أيدي الناحرين.. لم يكن عصياناً ولم يكن إعراضاً وإنما كان منهم ذلك تثبتاً لا يحب أحدهم أن يبدأ قبل أن يبدأ غيره.

وتحدث النبي مع أم المؤمنين أم سلمة العاقلة. المؤمنة. المباركة. فقالت، وما أحسن ما قالت: «قم يا رسول الله وانحر فإن أصحابك إن رأوك قد نحرت الهدي نحروا هديهم». وتهلل وجه النبي يسمع لنصح امرأة لأنها قالت الحق ونحر المسلمون وفرج الله الكرب. وأملى سهيل وناقش وكتب علي، وأصر سهيل أن تمحى لفظة «الرحمن» لأنه لا يعرفها مع أنه يعرفها. ولكنه لا يريدها، إنما يريد باسمك اللَّهم. وأمر النبي علياً أن يمحوها، فأبى علي، فقال له الرسول الأمي: «أرني مكانها» فوضع إصبعه الشريفة عليها يمحوها، وكتب علي «محمد رسول الله» وأبى سهيل إلا أن يكتب «محمد بن عبد الله» وأمضى له الرسول رأيه، وأنكر علي فقال له الرسول: «إنك ستدعى لمثلها فتجيب»، وقد دعي لمثلها ابن أبي طالب أمير المؤمنين حينما أصر عمرو بن العاص يوم دومة الجندل أن تمحى كلمة «أمير المؤمنين» فأقر علي محوها، وكبَّر، وكبر معه الناس.

معجزة من محمد ﷺ. وسهيل لم يشتد في حرب الإسلام علانية ينال

بأذاها القريب والبعيد. وكل أذاه أنه لم يسرع بالإسلام. وأنه صب عذابه على ابنه (سيدنا أبي جندل) أسلم ولده أبو جندل قبله فأخذ سهيل يعذبه فهرب أبو جندل بعد الحديبية يهاجر إلى المدينة وكتب سهيل يطلب ابنه باسم قريش عملاً بمادة من مواد المعاهدة التي عقدت في الحديبية. فأمر النبي أبا جندل أن يرجع ودعا له بتفريج الكرب. ورجع أبو جندل مع حراسه من مشركي قريش، وسجنه أبوه سهيل.. ووضع في رجليه الحديد، ولكنه هرب وقعد مع صاحبه أبي بصير في طريق العير يقطع الأرزاق عن قريش. فاتخذا مع أصحابهما من وادي العيص مقراً لهما، ووادي العيص من شعاب وادي يَنْبُع النخل. لا كما ذكر بعض الغالطين من أنه مكان بين جدة وينبع. كأنما اختلط عليه بالجحفة. أو الرايس.

وشكت قريش أذى هؤلاء. فطلبت فسخ هذه المادة فكل من أسلم يبقى عند رسول الله ولا يرد إليهم. ومن غرائب الصدف أن يكون أبو جندل ولد سهيل بن عمرو هو السبب في نقض معاهدة تصور سهيل أنه أملى شروطها ولم يدر أن الله من وراء القصد. وفوق كل تدبير.

وخرج سهيل مع النفير إلى بدر فلمّا دارت دائرته على قريش كان سهيل أحد الأسرى. أسره ابن الدَخشم فقال يفخر بأسيره:

أسرت سهيلاً فما أبتغي ... أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى ... سهيلاً فتاها إذا تصطلم
ضربت بذي الصفر حتى انثنى ... وأكرهت سيفي على ذي العلم

لما جاء الفداء قدم مكرز بن حفص العامري فساوم في فدائه. وقال: ضعوا رجلي في القيد يأتكم الفداء.. أهي الحمية أم القرابة؟ لا..! إنها

المروءة والنجدة في العربي الفارس وكل العرب كانوا فرساناً ذوي مروءة ونجدة.

وكان سهيل أعلم مشقوق الشفة. فقال عمر بن الخطاب للرسول: يا رسول الله، دعني أنزع ثنيته ويدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً أبداً. فقال النبي: (دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده). وقد كان. فحينما ارتد العرب وهاج أهل مكة إذ سمعوا خبر وفاة النبي فقام سهيل خطيباً يقول: «والله أني لأعلم أن هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها إلى غروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم. يعني أبا سفيان. فإنه ليعلم من هذا الأمر ما أعلم ولكنه قد جثم على صدره حسد بني هاشم» «وأتى من خطبته ما جاء به أبو بكر الصديق بالمدينة». ثبَّت أبو بكر المسلمين بالمدينة وثبَّت سهيل المسلمين في مكة. أليس هذا مقاماً محموداً؟ إنها معجزة محمد. إنها كرامة لصحابي هو سهيل بن عمرو.

وحضر الناس باب عمر أمير المؤمنين وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب ونفر من شيوخ قريش. فخرج آذن عمر يأذن للسابقين أولاً من أهل بدر.. لصُهيْب وبلال وسلمان وخبَّاب وكان عمر يحبهم، يلين كتفه لهم ويكرمهم اقتداء برسول الله. وجزع شيوخ قريش وقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط. إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا. فقال سهيل: أيها القوم إني والله أرى الذي في وجوهكم فإن غضاباً فأغضبوا على أنفسكم. دعي القوم ودعيت فأسرعوا وأبطأت. أما والله لما سبقوكم بما ترون ولا سبيل لكم والله إلا إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فألزموه عسى الله عزّ وجلّ أن يرزقكم شهادة. ثم نفض ثوبه وقام ولحق بالشام.

وفي هذا المعنى وعن هذه الحادثة خبر آخر قالوا: جاء الحارث بن

هشام، وسهيل بن عمرو عند عمر فجلسا وهو بينهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله.. فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر فيقول: ههنا. ويبعد الحارث حتى صارا في آخر الناس فلما خرجا من عند عمر قال الحارث بن هشام لسهيل: ألم ترَ ما صنع بنا؟ فقال له سهيل إنه الرجل. لا لوم عليه. ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا. دعي القوم فأسرعوا، ودعينا فأبطأنا. ورجع الحارث وسهيل إلى عمر. فقالا له يا أمير المؤمنين. قد رأينا ما فعلت بنا اليوم، وعلمنا أنا أوتينا من قبل أنفسنا فهل نستدرك ذلك بشيء نعمله؟ يرد إلينا ما فاتنا من فضل. فقال عمر: لا أعلم إلا هذا الوجه ـ وأشار إلى الشام ـ ينصحهما بالجهاد. فسارا إلى الشام وقتلا شهيدين. وقد سبقت الإشارة إليه في سيرة عكرمة.

وكان سهيل بن عمرو بعد أن أسلم كثير الصلاة والصوم والصدقة. وخرج بأهله جميعاً إلى الشام فقتل هناك وماتوا كلهم في طاعون عمواس، ولم يبق أحد مهم إلا ابنته هند فزوّجها عمر إلى عبد الرحمن بن الحارث. وقال عمر: زوّجوا الشريدة على ابن الشريد. فنشر الله من ذريتهما جمعاً كثيراً. وقد مدحه أمية بن أبي الصَّلْت، وكان سهيل يكنى أبا يزيد:

أبا يزيد رأيت سيفك واسعاً وسجال كفك يستهل ويمطر

ومدحه قيس بن الرقيات حين منع خزاعة من بني بكر بعد الحديبية وكانوا أخواله:

منهم ذو الندى سهيل بن عمرو عصمة الناس حين جب الوفاء
حاط أخواله خزاعة لما كاثرتهم بمكة الأحياء

قتل شهيداً في اليرموك، رضي الله عنه.

الطُّفَيْـلُ بن عَمْروٍ الدَّوْسِي

الطفيل بن عمرو الدوسي ذو النور، من رهط أبي هريرة رضي الله عنهما.

الدعوة إلى الإسلام قائمة، والمعركة مع قريش محتدمة، وقبائل العرب في حجازها ونجدها، في تهامتها ويمنها كل منها يترقب ما تسفر عنه هذه المعركة، هل ينتصر الدين الجديد، أو تنتصر قريش..؟ إنه الانتظار، وإنها المعجزة. محمد لم يغزهم ولم يصل إليهم، وقريش لم تنتصر عليه، والوضع في نظرهم لا يعدو من أن يكون خصومة بين قريش وواحد منها. فليدع الدخول في ذلك. ولكن الهدوء والترقب والانتظار في القبائل لا يعني الهدوء في أفراد من رجال نابغين نابهين في قبائل العرب. يسمعون عما هو حاصل في مكة فلا يحركون.. وتحرك رجال يريدون أن يعرفوا الخبر بأنفسهم ليعرفوا عن هذا الذي يسمعون أكثر مما سمعوا، وليعلموا عما نقل إليهم علم اليقين بمشاهدته ليحكموا حكماً يصدر عن اليقين والمشاهدة، وبطلنا اليوم الطفيل بن عمرو، قدم إلى مكة من أجل ذلك، فلنسمع إليه يحدثنا عن نفسه وكيف أسلم وكيف انتهى أمره.

قال: كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي فقدمت مكة فمشيت إلى رجال من قريش فقالوا: يا طفيل إنك امرؤ شاعر، وسيد مطاع في قومك، وأنا

قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك بعض حديثه فإنما حديثه كالسحر فأحذره أن يدخل عليك وعلى قومك، ما أدخل علينا وعلى قومنا، فإنه يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وأبيه، فوالله ما زالوا يحدثونني وينهونني أن أسمع منه حتى قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا سادّ أذني، فعمدت إلى أذني فحشوتهما كرسفاً ثم غدوت إلى المسجد فإذا برسول الله ﷺ قائم في المسجد فقمت منه قريباً. وأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله فقلت في نفسي: والله إن هذا لمعجز والله إني امرؤ ثبت، ما يخفى علي من الأمور لا حسنها ولا قبيحها والله لأستمعن منه. فإن كان امرؤ مرشداً أخذت منه وإن كان غير ذلك اجتنبته. فقمت بالكرسفة فنزعتها من أذني فألقيتها ثم استمعت له، فلم أسمع كلاماً قط أحسن من كلام يتكلم به، فقلت في نفسي (يا سبحان الله ما سمعت كاليوم لفظاً أحسن منه ولا أجمل) قال: ثم انتظرت رسول الله ﷺ حتى انصرف فاتبعته، فدخلت معه بيته فقلت له يا محمد: إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فأخبرته بالذي قالوا وقد أبى الله فأسمعني منك ما تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق فأعرض على دينك وما تأمر به وما تنهي عنه، قال فعرض عليّ رسول الله ﷺ الإسلام فأسلمت، ثم قلت يا رسول الله: إني أرجع إلى «دوْس»، وأنا فيهم مطاع وأنا داعيهم إلى الإسلام لعلّ الله أن يهديهم فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال «اللَّهم اجعل له آية تعينه على ما ينوي من الخير». فخرجت حتى أشرفت على ثنية أهلي التي تهبطني على حاضرة دوس، وأبي هناك شيخ كبير وامرأتي ووالدتي، فلما علوت الثنية وضع الله بين عيني نوراً كالشهاب يتراآه الحاضر في ظلمة الليل، وأنا لنهبط من الثنية. فقلت: اللَّهم في غير وجهي فإنني أخشى أن يظنوا أنها مثلة لفراق دينهم، فتحول في رأس سوطي فلقد رأيتني

أشير على بعيري إليهم وأنه على رأس سوطي كأنه قنديل معلق فيه حتى قدمت عليهم فأتاني أبي فقلت: إليك عني فلست منك ولست مني، قال وما ذاك يا بني؟ قلت: أسلمت وأتبعت دين محمد. قال: أي بني فإن ديني دينك فاسلم وحسن إسلامه. ثم أتتني صاحبتي فقلت إليك عني فلست منك ولست مني، فقالت: وما ذاك بأبي وأمي قلت: أسلمت وأتبعت دين محمد فلست تحلين لي ولا أحل لك قالت: فديني دينك. قلت: فاعمدي إلى هذه المياه فاغتسلي منها. وتطهَّري وتعالي. قال ففعلت ثم جاءت فاسلمت وحسن إسلامها. ثم دعوت دوسا إلى الإسلام فأبت علي وتعاصت.

ثم قدمت على رسول الله ﷺ مكة فقلت يا رسول الله غلب على دوس الزنا والربا فادع الله عليهم. فقال: «اللَّهم اهد دوساً» ثم رجعت إليهم.. وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقمت بين ظهرانيهم أدعوهم إلى الإسلام حتى استجاب لي منهم من استجاب، وسبقتني بدر وأُحد والخندق مع رسول الله ﷺ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بثمانين أو تسعين أهل بيت من دوس إلى المدينة، فكنت مع رسول الله ﷺ بها حتى فتح الله مكة فقلت يا رسول الله إبعثني إلى ذي الكفين صنم بني عمرو حتى أحرقه، قال: «أجل فأخرج إليه فأحرقه» فخرجت حتى قدمت عليه فجعلت أوقد عليه النار وهو يشتعل بالنار، واسمه ذو الكفين وأنا أقول: يا ذا الكفين لست من عبادكا، ميلادنا أكبر من ميلادكا، إني حشوت النار في فؤادكا.

ثم قدمت على رسول الله ﷺ فاقمت معه حتى قبض.. فلما بعث أبو بكر بعثه إلى مسيلمة الكذاب، خرجت مع المسلمين ومعي ابني عمرو بن الطفيل، حتى إذا كنا ببعض الطريق رأيت رؤيا فقلت لأصحابي إني قد

رأيت رؤيا عبّروها، قالوا: وما رأيت؟ قلت رأيت رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأن امرأة لقيتني وأدخلتني في فرجها، وكان ابني يطلبني طلباً حثيثاً فحيل بيني وبينه، قالوا خيراً، فقلت: أما أنا والله فقد أولتها، أما حلق رأسي فقطعه، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي وأدفن فيها فقد رجوت أن اقتل شهيداً، وأما طلب ابني إياي فلا أراه إلا سيغدو في طلب الشهادة ولا أراه يلحق بي لسفرنا هذا، فقتل الطفيل شهيداً يوم اليمامة، ونجا ابنه ثم قتل باليرموك بعد ذلك في زمن عمر بن الخطاب شهيداً رضي الله عنه..

أب كريم، وولد كريم. أكرمهما الله بالشهادة. ذاك في اليمامة في يوم حاسم. وهذا في اليرموك في يوم حاسم. وهكذا ترجم بطلنا لنفسه بروايته قصة إسلامه، وقصة أعماله واستشهاده. حياة لم تكن طويلة مليئة بالأحداث ولكنها عريضة كل العرض. أسلم هو ودعا قومه إلى الإسلام وصان قومه عن الشرك، وأقام فيهم يحوطهم عن الفساد، وحين استيقن ثباتهم على الإسلام سعى لنفسه يطلب الشهادة في وقت ضيق على المسلمين.. أيام الردة. إن الواحد في ذلك عن كثير، فكأنما هو السبق إلى عمل صالح يضعه في السابقين الأولين وهو منهم إن شاء الله. رضي الله عنه.

ضِرَارُ بن الخطّاب

ضرار بن الخطاب القرشي الفهري.. وليس هو أخ لعمر بن الخطاب، وإنما هي مشاركة في اسم الأب. فعمر عدويّ يجتمع معه في فَهْرِ بن مالك، وفهرَ هو قريش في أحد قولين. والقول الآخر، يؤكد أن النضْر بن كنانة هو قريش.

وبطلنا ضرار انتهت إليه زعامة أبيه الخطاب فتولى رئاسة فهر في زمانه. كان يأخذ المرباع لقومه. وقاد فهرا يوم «الفجار» وهو حريص على ألاّ ينال أحد هذه الرئاسة بما يحط من قدرها أو ما ينقص من قيمتها. يدافع عنها ويدفع، ليثبت جدارته في السيادة. كان فارساً شجاعاً مقداماً وشاعراً فحلاً. يمكن للزعامة بهذه الحرب يشنها على الإسلام مع قريش وباسم قريش. كان فارس قريش وشاعرها، حتى أن ابن الزّبعْري قد عدّ بعده وهو من هو في الشعر. يهجو به الإسلام، ويدافع عن قريش، ويسخر من قريش في بعض مثالبها. وقاده حرصه على زعامة رهطه «فهر» أن يقاتل المسلمين أشد القتال.. فعل في «أُحد» الأفاعيل وكان في «الخندق» أحد الأربعة الذين اقتحموه على المسلمين كأنما يشيرون إلى قريش المشركة.. ألا هكذا فافعلوا؟. كان يقول في عبارة شعرية فاخرة حيناً ونادمة في حين آخر.. كل مفهوم الظرف الذي قيلت فيه. قالها في الجاهلية ففخر وتعاظم، وقالها

في الإسلام: يستغفر ويندم ويتعزى. كان يقول: زوجت عشرة من أصحاب النبي ﷺ بالحور العين.. يعني أنه قتلهم وهم المسلمون فكانوا الشهداء. يتزوجون بالحور العين. وأسلم يوم الفتح فهو من المؤلفة قلوبهم.. وأنشد في ذلك شعره المعروف:

يا نبي الهدى إليك لجا ... حي قريش، ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ... ض وعاداهم إله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو ... م ونودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعداً يريد قاصمة الظهر ... بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ ... رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشيء ... غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت ... عنه هند بالسوءة السواء
إذ تنادى بذل حي قريش ... وابن حرب بدأ من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى ... يا حماة اللواء أهل اللواء
ثم ثابت إليه مننهم الخز ... رج والأوس أنجم الهيجاء
فانهينه فإنه أسد الأسـ ... ـد لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يدير لنا الأمر ... سكوناً، كالحية الصماء

وهو الذي شهر وفاء أم جميل الدوسية في قصة طريفة وذلك أن هشام بن المغيرة «والد أبي جهل» قتل أبا أزيْهر الدوسي «من رهط أبي هريرة» وكان صهر أبي سفيان. فبلغ ذلك قوم الدوسي فوثبوا على ضرار بن الخطاب ليقتلوه فسعى هارباً منهم فدخل بيت أم جميل فعاذ بها، فرآه رجل من طالبيه فلحقه فضربه فلم يصبه، وإنما وقع ذباب السيف على الباب..

وقامت أم جميل في وجوههم. ونادت قومها فمنعوه. ومضت القصة مع الأيام.. فلما تولى عمر بن الخطاب الخلافة ـ وكان ضرار قد قتل ـ ظنت أم جميل أنه أخوه، فأتت تسعى إلى عمر فلما انتسبت وذكرت موقفها عرف عمر القصة، وقال لها: لست بأخيه إلا في الإسلام، وقد عرفنا منتك عليه، فأكرمها وأعطاها، يعدّها من أبناء السبيل. وذكر آخرون أنها أم غيلان الدوسية، ولعلّها هي، اختلفت كنيتها. وفيها قال هذا الشعر:

جزىٰ اللَّه عني أم غيلان صالحاً ونسوتها إذ هن شعث عواطل
وعوفاً جزاه اللَّه خيراً فما ونى وما بردت منه لدى المفاصل

ويعني بعوف ولدها.. ويجوز أن تكنى به. فيختلف الاسم المعروف به.

وقال ضرار يوماً لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما: نحن كنا لقريش خيراً منكم، أدخلناهم الجنة وأوردتموهم النار.. يعني أنه قتل المسلمين وهو مشرك فصاروا الشهداء وأما من قتله المسلمون على الكفر فهو في النار.. كلمة شاعرة.. من شاعر فحل.. قالها لا يفخر بها أمام أبي بكر، وإنما ليتعزى ويندم.

واختلفت الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم أُحد. فمر بهم ضرار بن الخطاب فقالوا: هذا شهدها وهو عالم بها.. فبعثوا إليه فتى منهم فسأله عن ذلك. فقال ضرار: لا أدري من أوسكم، ومن خزرجكم؟ ولكني زوجت يوم أُحد منكم أحد عشر رجلاً من الحور العين.. فخر ضرار وأمتن، وهو يرد على سؤال الفتى. وأوضح بكلمة شاعر أنه فارس أحد وإن كان من المشركين. ترف في التعبير، لا مبالغة في التعبير وصراحة في

الضمير، وانطلاق من الانخذال، من صدق الطوية وصحة في الذوق المتكلم.

خياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام إذا فقهوا.. وقد كان ضرار من الخيرين فقد قتل شهيداً يوم اليمامة، رضي الله عنه.

* * *

سَـلمَـانُ الفَـارسـي

سلمان الفارسي.. أبو عبد الله مولى رسول الله صلَّى الله تعالى عليه وسلم. ويعرف بسلمان الخير.. أصله من فارس من رامهرمز من قرية يقال لها «جيْء» ويقال بل كان أصله من «أصبهان». وكان إذا قيل له: ابن من أنت؟ قال: أنا سلمان ابن الإسلام من بني آدم. وروى سلمان الفارسي قال: كنت من أبناء أساورة فارس. كان يطلب دين الله تعالى ويتبع من يرجو ذلك عنده فدان بالنصرانية وغيرها، وقرأ الكتب في ذلك على مشاق نالته وذلك كله مذكور في خبر إسلامه، تداوله في ذلك بضعة عشر رباً (سيداً) من رب إلى رب حتى أفضى إلى النبي ﷺ، ومن الله عليه بالإسلام.

وروى أن رسول الله ﷺ اشتراه على العتق.. أتى سلمان بصدقة إلى رسول الله ﷺ فقال: هذه صدقة عليك وعلى أصحابك. فقال: يا سلمان.. إنا أهل البيت لا تحل لنا الصدقة.. فرفعها. ثم جاءه من الغد بمثلها فقال هذه هدية. فقال ﷺ لأصحابه كلوا. واشتراه رسول الله ﷺ من قوم من اليهود بكذا.. وكذا درهماً، وعلى أن يغرس لهم، كذا، وكذا من النخيل. يعمل فيها سلمان حتى تدرك، فغرس رسول الله ﷺ النخيل كله إلا نخلة واحدة غرسها عمر، فأطعم النخيل كله إلا تلك النخلة. فقال

رسول الله ﷺ: من غرسها؟ قالوا عمر: فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها بيده فأطعمت ومن عامها.. والحائط الذي غرس له يسمى الآن (الفقير) في العالية (العوالي).

دخل قوم على سلمان وهو أمير على المدائن فرأوه يعمل الخوص فقيل له: تعمل هذا وأنت أمير يجري عليك رزق. فقال: إني أحب أن آكل من عمل يدي.. لقد خرج من دنيا فارس. لا يريدها وهو فرد من العامة فلما عاد إليها لم تبطره الإمارة في بلد كل ما فيها يبطر ويبهر. تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار عند بعض مواليه، ولا يزال فريق من أهلها يعملون من الخوص أشياء كثيرة.

أول مشاهده الخندق. وهو الذي أشار بحفره. فقال أبو سفيان وأصحابه إذ رأوه: هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها.. وقد قيل: إنه شهد بدراً واحداً، إلا أنه كان عبداً يومئذ، والأكثر أن أول مشاهده الخندق. ولم يفته بعد ذلك مشهد مع رسول الله ﷺ. وكان خيراً فاضلاً، حبراً عالماً زاهداً متقشفاً.

كان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان إذا خرج عطاؤه تصدق به ويأكل من عمل يده. وكانت له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها. لا يستظل بسقف وإنما كان يستظل بالجدار والشجر. وقال له رجل: ألا ابني لك بيتاً تسكن فيه؟ فقال: ما لي به حاجة. فما زال به الرجل حتى قال له: إني أعرف البيت الذي يوافقك. قال: فصفه لي: قال ابني لك بيتاً إذا أنت قمت فيه أصاب رأسك سقفه وإن أنت مددت فيه رجليك أصابهما الجدار. قال: نعم. فبنى له بيتاً كذلك، زهد سار عليه هو، أما الإسلام وإن حض

عليه فإنه لا يلزم الجميع به. وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كان الدين عند الثريا لناله سلمان».

وفي رواية أخرى «لناله رجال من فارس» وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لسلمان مجلس من رسول الله ﷺ ينفرد به بالليل حتى كاد يغلبنا على رسول الله ﷺ. وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (أمرني ربي بحب أربعة، وأخبرني أنه سبحانه يحبهم: علي، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان رضي الله تعالى عنهم) قال أبو هريرة: كان سلمان صاحب الكتابين. يعني الإنجيل والفرقان. تحدث عنه علي كرم الله وجهه فقال: علم العلم الأول والآخر، بحر لا ينزف، وهو منا أهل البيت. وقال علي أيضاً: (سلمان الفارسي، مثل لقمان الحكيم). وتحدث عنه كعب الأحبار قال: (سلمان حشي علماً وحكمة).

أتى أبو سفيان على سلمان، وصهيب، وبلال في نفر فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ وأتى النبي ﷺ فأخبره. فقال: يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك جل وعلا. فأتاهم أبو بكر فقال: يا أخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: لا يا أبا بكر يغفر الله لك. ولو قالها غير أبي بكر لغضبوا لأنهم يعرفون أن أبا بكر لم يقلها حمية، وإنما دعا إلى التآلف والمحبة والعفو. وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين أبي الدرداء، فكان إذا نزل الشام نزل على أبي الدرداء.

وروى أبو جحيفة أن سلمان جاء يزور أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة. فقال: ما شأنك؟ قالت إن أخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا. قال فلما جاء أبو الدرداء رحب بسلمان وقرب له طعاماً، قال فقال سلمان:

أطعم. قال: إني صائم. قال: أقسمت عليك ألا ما طعمت إني لست بآكل حتى تطعم قال: وبات سلمان عند أبي الدرداء فلما كان الليل قام أبو الدرداء فحبسه سلمان وقال: يا أبا الدرداء إن لربك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً، وأن لجسمك عليك حقاً. فأعط كل ذي حق حقه، فلما كان وجه الصبح قال: قم الآن. قال فقاما فصليا. ثم خرجا إلى الصلاة فلما صلَّى رسول الله ﷺ قام إليه أبو الدرداء وأخبره بما قال سلمان. فقال رسول الله ﷺ مثل ما قال سلمان. واختلف في وفاته. قيل توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين للهجرة وقيل بل سنة ست وثلاثين في أولها. وقيل توفي في آخر خلافة عمر رضي الله عنه والأول ارجح. ذكر الشعبي أنه توفي في علية لأبي قرة الكندي بالمدائن. ويعد في الكوفيين.

وهذا بطل ليس عربياً وإنما هو فارسي، ينتمي إلى شعب عريق في الحضارة وإلى دولة قوية كانت إمبراطورية كبرى في العالم، لها تاريخ ولها فلسفة، خاضت حروباً في التاريخ تطور معها تاريخ الإنسان ووصلت إلى درجة من الرقي يفخر بها أبناؤها. لقد كان إسلام سلمان انتصاراً على معركة النفس في معارك الفلسفة والدولة، فالمذهب الفلسفي الزرادشتي والعقيدة المانوية ظلت محصورة في فارس، لا هي انحدرت إلى الجنوب لأنهم لم يعوا لها وما أراد أصحابها نشرها، ولا جيرانهم أحبوا اعتقادها.

انحصرت في فارس كأنما أرادوا الامتياز بها على الآخرين، لأنها تراث الإمبراطورية أو سياجها. فأخرها ذلك وفشلت كعقيدة في داخل الإمبراطورية. فالعقيدة الحقة ليست عقيدة الأسرة أو البيت أو الإقطاعية وحتى الإمبراطورية.. إن العقيدة التي تسير في كل مكان ويتقبلها كل إنسان

هي عقيدة الناس جميعاً، يتقبلونها في بساطتها وفي قوة الحق يسطع في تعاليمها ومن قرآنها.. إنها عقيدة الإسلام. لأنها لم تكن عقيدة فرد معين أو أسرة معينة أو قوم دون قوم. يتعالون بها ويمتازون، والإسلام حينما هاجر سلمان من فارس يفتش عن الحق لم يظهر بعد، فسلمان قد عمر طويلاً. لم يعش في الإسلام إلا قليلاً أما المائتان أو أكثر أو اقل، فقد عاشها يجوب الأرض. يسأل عن الحق. لأنه لم يجده في النار. ولا في الظلمة ولا في المانوية كلها.. وجد بصيصاً منه في المسيحية ولكنه مسحها لأنها لم تعد دين الحق. وإنما أصبحت حرفة القساوسة. ووجد شيئاً مما يريد في اليهودية فطرحها. لأنها لم تسر على تعاليم التوراة، وإنما كانت في تعاليم الحاخام وعنصرية اليهود. وحينما سمع بالإسلام ظل عبداً يحرث ليهود سادته في العالية.. فذهب إلى رسول الله محمد فأسلم.. وكيف أسلم هو وأصحابه يقصون القصة ويخبرون الخبر.

لقد كانت التقوى يتقمصها أو تستحوذ عليه. كان خيراً كله مرضياً عنه، رضي الله عنه.

* * *

هِنْدٌ . . أمُّ سَلَمَة

أم المؤمنين هند. أم سلمة بنت أمية. سهيل زاد الراكب ابن المغيرة القرشي المخزومي. عمها الوليد بن المغيرة. الوحيد والعدل، وابن عمها أبو سليمان خالد بن لوليد والحارث بن هشام وعمرو بن هشام من قوم انتهى إليهم العز والسؤدد والشرف في الجاهلية. . هم بنو مخزوم، وهي في الذروة منهم، فأبوها زاد الراكب قاري الضيف ومطعم الجائع، وأهلها كل واحد منهم علم لم يتخلف، شأن واحد منهم في الإسلام عنه في الجاهلية، فهم كما كانوا رؤساء في الجاهلية. كان الواحد رأساً سيداً في الإسلام (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا) وزوجها أبو سلمة ابن عمها ومخزومي مثلها. تزوجها أبو سلمة واسمه عبد الله. . وكأنما الترجمة لها لا تتم ولا تظهر معالمها إلا بالتعرض لجزء غير يسير من سيرة زوجها العظيم الشهيد رضي الله عنه.

أسلما هي وزوجها، وبنو مخزوم بقضها وقضيضها تركب رأسها تعاند الإسلام. عمها الوليد يؤلب ويكيد. وابن عمها ومن معه يصبون الأذى صبًّا على إخوانها في الإسلام وعلى أخيها من الرضاعة المؤمن السابق مولى مخزوم ابن جاريتهم. عمار بن ياسر.

أسلما لا يخافان العزة أن تزول لأنهما يعرفان أنه بإسلامهما تدوم العزة

ويسود السؤدد. أسلما وكأنما يسجلان الفشل الذريع على الكائدين من المشركين من المخزومين والعبشميين والعبدريين والعامريين ويشيران إلى أصحاب محمد: ها نحن أولاء المخزوميون قد أسلمنا كما أسلم قبلنا ابن عمنا الأرقم فلم ينلنا أذى من قومنا. فأسلموا ليزول الأذى بالقوة لا ليتوقف بالمنة من القرابة القريبة إنها لإشارة قاتلة، شطرت المخزوميين إلى شطرين ووزعت عقولهم ونزعت من غلهم الشيء الكثير تحجبهم القرابة والحمية لا يرضون أن ينال قريب لهم بأذى.

وهاجر السابقون إلى الحبشة، فهاجرت هي وزوجها أبو سلمة يفران بدين لأنهما سيرجعان منتصرين لهذا الدين.. الإسلام. ومكثا في الحبشة ما شاء الله أن يمكثا، فولدت له هناك سلمة وعمر ودرة وزينب. ورجعا إلى المدينة بعد أن استتب الأمر بهجرة محمد إليها ونصرة أنصارها له. وخرج الإسلام كله وتخلف النفاق كله وبرز الكفر كله في غزوة أُحد. وخرج في جيش الإسلام المسلم المهاجر البدري أبو سلمة زوجها قد ضل المعركة، فرماه أبو سلمة الجشمي (اسم وافق اسماً) بسهم. فمكث شهراً يداوي جرحه حتى برئ فبعثه رسول الله ﷺ يقود سرية فلما عاد انتقض الجرح فمات شهيداً شأنه كشأن صاحبه في أُحد «مالك بن سيناء» والد أبي سعيد الخدري. جرح في أُحد ومكث أياماً بعدها فمات بجرحه فعد شهيداً. ومثلهما كمثل سعد ابن معاذ جرح بسهم في الخندق ومكث أياماً فمات بجرحه فعد شهيداً رضي الله عنه.

فاعتدت أم سلمة حتى خطبها رسول الله لنفسه وتزوجها فكانت أم المؤمنين. وقبل أن يسأل كيف تزوجها؟ ينبغي أن نسأل كيف هاجرت إلى المدينة وماذا لقيت؟ حبسها قومها عن زوجها وسلطوا عليها الحرمان والفاقة

فلم تجزع وصبرت على بعد الزوج وغربة النفس وجور الأقربين وعذاب الأهلين، ولعلّهم حينما رأوا صبرها استحيوا من أنفتها ولعلّها أغلظت عليهم فمنعتهم مروءتهم ـ وكل عربي ذو مروءة ـ أن تفضحهم بما صنعوا بها من الحرمان فأذنوا لها بالهجرة.. وحدها!! على بعيرها تسوقه في هذه الفلاة ليس معها أحد غير الله، فساق الله لها عربياً قرشياً عبدرياً ذا مروءة. لقيها عثمان بن أبي طلحة العبدري سيد بني شيبة في التنعيم وكان مشركاً لم يسلم بعد. وعجب عثمان لهذه الظعينة تمشي وحدها في حجرها أطفالها فسأل.. من أنت؟ ما شأنك؟ فقالت وقد عرفته عند بنت سهيل بن المغيرة فبماذا أجاب؟ أشعر لو أغمضت عيني لأتخيل جوابه لوجدت أنه قد وضع يديه على رأسه كالمصاب من قبح الفعلة تأتي على يد مخزوم.. ابنة زاد الراكب تسير وحدها؟ ما هذا بالنصف؟ لقد عجز قومك.. ولو كان حاسداً بغيضاً قد خلا من المروءة والنجدة لا يعرف معنى قريش لقريش ومعنى العبدري للمخزومي في حال كرب ويوم كربة، لتركها ليرفع عقيرته في مكة بفضح مخزوم بما صنعت، فلا يدع لها مجد المغيرة ولا عزة مخزوم ولا فخرها بالوليد، ولو كان فظاً شرساً لأرغمها على العودة ولكنه لم يفعل لأنه السيد الكبير الكريم بل اعتزم أمراً أراد به الحفاظ على مجد مخزوم، فلوى زمام ناقته واتجه في اتجاهها وقال سيري لقد عزمت أن أسير معك أجنبك الوحشة وأحميك في الطريق. وسار معها. هو على ناقته قدامها وهي على بعيرها فإذا أناخت أناخ بعيداً عنها يقضي لها حاجتها يصنع ذلك طول الرحلة حتى وصلت قباء فأسلمها إلى الأمن والسكينة، وركب ذلوله عائداً إلى مكة.

وتقول أم سلمة في عرضها لهذه القصة: إنه ما التفت إليها، ما نظر،

ما تكلم بعبث، بل كان الأمين والصائن: شرف السيد وشرف السيدة، كرامة العظيم وكرامة العظيمة.. أفتقولون بعده: إن العرب أجلاف غلاظ غير متحضرين. إنهم وربي لأحق الناس بحمل رسالة الإسلام دين الخلق النظيف نزلت فيهم وعليهم وانتصروا بها وانتصرت بهم فنشروا راية التوحيد كما نشر فيهم دوافع الوحدة.. إنهم لأهل لنشر رسالة محمد فحملوها ونشروها في الخافقين ولأنهم قبلها وبها وبعدها حملوا مكارم الأخلاق. ومصداق ذلك قول الرسول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» فقد كانوا على خلق نظيف زاده الإسلام تماماً وكمالاً.

واطمأنت نفسها بالقرب من الزوج والجوار للنبي والحياة في معترك الأحداث بين الإسلام وقريش في وقعة فاصلة هي (بدر) وقد كان زوجها من أبطالها وفي وقعة محزنة هي (أُحد) كان زوجها من شهدائها.

وكانت وهي الصحابية المسلمة تسمع من رسول الله ﷺ نصحه ووعظه فسمعت منه قوله (إذا أصابتك مصيبة فقولي اللَّهم أعطني أجر مصيبتي واخلفني خيراً منها). وفي حديث آخر حدثها به زوجها أبو سلمة (ما من عبد يصاب بمصيبة فيفزع إلى ما أمره الله به من قول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللَّهم أجرني في مصيبتي وعوضني خيراً منها، إلا آجره الله في مصيبته وكان قمناً أن يعوضه الله خيراً).

فلما مات أبو سلمة تذكرت حديثه عن رسول الله ﷺ فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون.. اللَّهم آجرني في مصيبتي وعوضني خيراً منها. وسألت نفسها هل أعوض خيراً من أبي سلمة؟ ثم وجدت نفسها قد أعاضها خيراً من أبي سلمة. وإنها لترجو أن يكون الله قد آجرها في مصيبتها. وتحدثت أم سلمة مع زوجها فقالت: بلغني أنه ليست امرأة يموت زوجها وهو من

أهل الجنة وهي من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي ولا أتزوج بعدك فقال أبو سلمة: أتطيعنني؟ فقالت أم سلمة ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك. فقال: فإذا مت فتزوجي. ثم قال اللَّهم أرزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها.

فلما مات أبو سلمة قالت: من هذا الفتى الذي هو خير لي من أبي سلمة؟ فلبثت ما لبثت ثم جاء رسول الله ﷺ فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها أو إلى وليها أياً كان فقالت أم سلمة أرد على رسول الله وأتقدم عليه بعيالي. ثم جاء الغد فذكر الخطبة فقلت مثل ذلك ثم قالت لوليها إن عاد رسول الله ﷺ فزوج. فعاد رسول الله ﷺ فتزوجها ودخل رسول الله ﷺ على أم سلمة قبل أن يخطبها يعزيها بأبي سلمة فقال: اللَّهم عز حزنها وأجبر مصيبتها وأبدلها بها خيراً منها.. فعزى الله حزنها وجبر مصيبتها وأبدلها خيراً منها وتزوجها رسول الله ﷺ. وحين انقضت عدتها وقبل أن يذكرها رسول الله ﷺ خطبها أبو بكر فردته ثم خطبها عمر فردته فبعث إليها رسول الله ﷺ برسول وبعد تفكير وروية قالت مرحبا برسول الله ﷺ وبرسوله.. أخبر رسول الله أني امرأة غيري وأني مصبية وأنه ليس أحد من أوليائي شاهداً فبعث إليها رسول الله: أما قولك إني مصبية فإن الله سيكفيك صبيانك، وأما قولك إني غيرى فسأدعو الله أن يذهب غيرتك، وأما الأولياء فليس أحد منهم شاهداً ولا غائباً إلا سيرضاني. فقالت أم سلمة لابنها: يا عمر قم فزوج رسول الله. فقال رسول الله: أما إني لا أنقصك مما أعطيت أختك فلانة ـ رحيين وجرتين ووسادة من أدم حشوها ليف.

وكان رسول الله يأتيها فإذا جاء أخذت زينب فوضعتها في حجرها لترضعها وكان رسول الله ﷺ حيياً كريماً يستحيي فيرجع، فعل ذلك مراراً.. ففطن عمار بن ياسر لما تصنع فاقبل ذات يوم وجاء عمار، وكان أخاً لأم سلمة من الرضاعة.. أرضعتها سيدتنا سمية الجارية مولاة مخزوم وأم عمار. فدخل عمار فانتشط زينب من حجرها وقال: دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله ﷺ. فدخل الرسول بعد ذلك فجعل يقلب بصره في البيت يقول أين زناب؟ ما فعلت زناب. قالت أم سلمة جاء عمار فذهب بها.. أعطاها لمرضع في قباء فبنى رسول الله بأهله ثم قال إن شئت أن أسبع لك سبعت للنساء. ودخلت أيم العرب على سيد المسلمين أول العشاء عروساً وقامت من آخر الليل تطحن.. وأقام الرسول عندها ثلاثاً وقال ليس بك على أهلك هوان إن شئت سبعت لك وسبعت لسائر نسائي وإلا فإنما هي ثلاث ثم أدور.. فلما خرج بعد ثلاث أخذت بثوبه كأنما تمنعه أن يخرج فقال ما شئت، إن شئت أن أزيدك زدتك ثم قاصصتك به بعد اليوم.. ثلاث للثيب وسبع للبكر.

وحينما تم العقد قال النبي ﷺ إني آتيكم الليلة قالت أم سلمة وضعت ثقالي وأخرجت حبات من شعير كانت في جرتي وأخرجت شحماً فعصدته له.. عشاء رسول الله ﷺ. وتحدثت هند بنت الحارث الفراسية قالت: قال رسول الله ﷺ أن لعائشة مني شعبة ما نزلها مني أحد فلما تزوج أم سلمة سئل رسول الله ما فعلت الشعبة؟ فسكت الرسول فعرف أن أم سلمة قد نزلت عنده.. وتحدثت عائشة فقالت لما تزوج الرسول ﷺ أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذكروا لنا من جمالها. فتلطفت لها حتى رأيتها فرأيتها والله أضعاف ما وصفت لي في الحسن والجمال ثم ذكرت ذلك لحفصة ـ وكانتا

يداً واحدة ـ فقالت حفصة لا والله إن هذه إلا الغيرة ما هي كما يقولون فتلطفت لها حفصة حتى رأتها فقالت قد رأيتها ولا والله ما هي كما تقولين ولا قليل وإنها لجميلة فقالت عائشة ورأيتها بعد فكانت لعمري كما قالت حفصة ولكني كنت غيرى.

وتحدث النبي إلى أم سلمة فقال: إني قد أهديت إلى النجاشي أواقي من مسك وحلة وإني لا أراه إلا قد مات ولا أرى الهدية التي أهديت إليه إلا سترد إلي، فإذا ردت إلي فهي لك. ومات النجاشي وردت الهدية إلى النبي فأعطى كل امرأة من نسائه أوقية أوقية من مسك، وأعطى سائره أم سلمة كما أعطاها الحلة. وكانت معه في حجة الوداع فأمرها أن تسرع إلى مكة لتصلي الصبح يوم النحر، وكان يومها فأحب أن توافقه.

وكان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ومعه في ذلك السفر صفية بنت حيي وأم سلمة فأقبل رسول الله ﷺ إلى هودج صفية وهو يظن أنه هودج أم سلمة لأن ذلك اليوم يومها. فجعل رسول الله يتحدث مع صفية فغارت أم سلمة فترك صفية وجاء إلى أم سلمة فقالت: تتحدث مع ابنة اليهودي في يومي وأنت رسول الله. ثم رجعت إلى نفسها وندمت على تلك المكالمة فكانت تستغفر منها وقالت: يا رسول الله أستغفر لي فإنه ما حملني على هذا إلا الغيرة. وماتت أم سلمة في سنة تسع وخمسين وصلَّى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع وعمرها أربع وثمانون سنة.

وليس التعليق على شيء من سيرتها باليسير السهل، ولكنه العجيب الكريم لأنه من أخبارها وما يفهم منها وعنها هي أخت عمار من الرضاعة، ورسول الله أخو زوجها أبي سلمة من الرضاعة دافع قوي. يحمل الرسول على أن يرعى كرامة الأخ في صيانة بنيه، ودافع قوي أن يحمي المؤمنة

المهاجرة من كل ما يؤلم، ومن كل الفاقة. فاقة الأنثى وفاقة العيال. والرضاعة نسب قوي، نزل به قرآن، وقرابة قريبة قد يكون دافع الحب فيها أقوى ـ لقوة معنى الأمومة ـ من النسب.. فدع عنك السفيه المتظرف وهو يقول: ونحن ترضعنا البقر والمعز نشرب لبنها ـ فلماذا لا يحرم نسب تكون البقرة فيه أماً.. فساد في العقيدة وخراب في النفس، فلو أنه قال: لمن شك في ذلك استحي فإنها أختك لكان الخبر، ولكنه تشكك وأطال، فما نال إلا سخرية من قومه المسلمين. الأخلاق ليست على هوى نفس واحدة وإنما هي قانون النفوس جميعها فالشك في حرمة الرضاعة يحمل على التشكيك في حرمة الأم والأخت، فكثير من الجاحدين والفاسقين والمارقين لا يحرمون في سلوكهم أماً ولا أختاً ولا عمة ولا خالة.. سواء من النسب أم من الرضاعة. وهم في دنيا الناس كثيرون..

الرسول يذكر زينب. فيفهم أحدهم أنها بنت أم سلمة، ولم يعلم أنها بنت جحش، فقال الرسول: لا. لو لم تكن ربيبتي لما حلت لي. لأنها بنت أخي من الرضاعة. أفبعد هذا يقول فارغ، ما هي الأخوة من الرضاعة؟ وذكرت عائشة جمال أم سلمة، فلنذكر عقلها ورجاحة حكمها. لعمر الحق أنه لم يسد الفراغ الذي حدث بعد وفاة خديجة إحدى نساء النبي ما سدته أم سلمة. إنها خديجة الثانية. رجاحة عقل ورفعة قدر، وقوة إيمان، وتضحية وبذل.

لها موقف كريم يوم الحديبية.. قالت: قم وانحر يا رسول الله فإن رأوك نحرت نحروا، وفرج كرب ونحر رسول الله، ونحر الناس، ورجعوا بالفتح المبين.. اليوم يوم الحديبية، والمكان تحت شجرة الرضوان إنها الكريمة المؤمنة العظيمة رضي الله عنها.

الغُمَيْصَاءُ بنْتُ مِلْحَان.. أمُّ سُلَيْم

الغُمَيْصاء بنت مِلحان العدوية النجارية الأنصارية. واسمها سهلة، أو رُميلَة، أو أنيقة، أو رميثة. وأحسب أن اسمها سهلة، وهذه ألقاب لها كالغميصاء أو الرميصاء أم أنس بن مالك الإمام الحجة والصحابي العظيم خادم رسول الله.. وأخت أم حرام بنت ملحان زوج عبادة بن الصامت.

ويحسن بي أن أقف هنا وقفة قصيرة أشير إلى خطأ وقعت فيه، جاء في سيرة البطل الكريم «أبو طلحة» الأنصاري، زوج الغميصاء أم سليم، فقد ذكرت أنها هي التي غزت البحر في «ذات الصواري» وهما مني في اسمها المشابه لاسم أختها أم حرام زوج عبادة بن الصامت التي غزت البحر. واستشهدت هناك. وقع هذا الخطأ، ولم أجد من نبه عليه لا نقداً ولا توجيهاً. كأن الناس لا يفهمون ما يقرأون.. شيء محزن لم يمح حزنه في نفسي إلا المسرة بالهداية إلى الصواب من خلال المطالعة.. سامح الله القراء! إن الذي يكتب من سيرة هؤلاء الصحابة، والصحابيات، فيه كثير من صحيح السنة والحديث. وحرام أن يمر الخطأ فيه دون نقد أو توجيه.. فرحة، وحزن.. ثم قبل ذلك الحمد لله على هدايته وتوفيقه.

فأم سليم، صاحبة السيرة اليوم لم تغز في البحر وإنما التي غزت أختها شقيقتها أم حرام. ولعلّنا نترجم لها بعد.

تزوجت أم سليم مالك بن النضر أحد بني النجار، فولدت منه «أنساً» ثم تزوجها أبو طلحة زيد النجاري أيضاً. فولدت له عميراً وعبد الله.. وكيف تزوجت أبا طلحة، وكيف عاشت معه، وما هي حياتها المسلمة؟ هذا ما سيذكر بعد.

أسلمت أم سليم وبايعت ولم يسلم زوجها مالك بن النضر أبو أنس بن مالك. وكان غائباً حين أسلمت. فجاء وقال لها: أصبوت؟؟ فقالت: ما صبوت ولكن آمنت بهذا الرجل «تعني رسول الله» وأخذت تعلن إسلامها تلقن أنس وتشير إليه، قل: لا إله إلا الله. قل أشهد أن محمداً رسول الله، فنطق أنس بكلمة الإسلام لقنته بها أمه. فغضب أبوه. ونهرها يقول: لا تفسدي على ابني.. وتجيب: إني لا أفسده. وخرج مالك زوجها فلقيه عدو له فقتله. فلما بلغها قالت: لا جرم، لا افطم أنس حتى يدع الثدي حباً، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس. فيقول: قد قضيت الذي عليك، فترك الثدي أنس.. وهو يقول: جزى الله أمي عني خيراً لقد أحسنت ولايتي. وخطبها أبو طلحة. ولما يسلم بعد، فماذا قالت؟ قالت له يوماً: أرأيت حجراً تعبده لا يضرك ولا ينفعك، أو خشبة تأتي بها النجار فينجرها لك، هل يضرك؟ هل ينفعك؟

فأتاها أبو طلحة يقول: لقد وقع في قلبي نصحك. فقالت: إن آمنت بمحمد وتبعت دينه تزوجتك فلن يحل لي الزواج بمشرك. فآمن أبو طلحة. وتزوجها وكان إسلامه صداقها، وهل أغلى من ذلك مهراً. وتحدثت إلى أبي طلحة بكلمة اهتز لها وجدانه، قالت: أتعلم أن إلهك الذي تعبد إنما هو شجرة تنبت من الأرض وإنما نجرها حبشي بني فلان؟ فقال أبو طلحة: نعم.. فقالت: أما تستحيي تسجد لخشبة؟ فهل لك أن تشهد أن لا إله إلا

الله وأن محمداً رسول الله، وأزوجك نفسي لا أريد منك صداقاً غيره.. فقال لها دعيني أنظر.. ثم ذهب فنظر، ثم جاء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.. فقالت: يا أنس قم فزوج أبا طلحة. وسعدت بطلحة زوجاً مؤمناً خيراً كريماً. وسعد أبو طلحة بها زوجة مؤمنة كريمة حافظة للعهد.. وسعد أنس بهذا الذي أصبح زوج أم يرعاه ويحميه وسعد أنس أكثر وأكثر حينما التحق بخدمة الرسول.. مكث بضع سنوات يخدم النبي ما قال له لشيء تركه أو لشيء فعله شيئاً، بل كان قوله: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وكان رسول الله يكرمها.. لأنها هي المؤمنة وزوجها المؤمن وابنها المؤمن الخادم الأمين، واحد من أهل البيت..

كان رسول الله يزور أم سليم أحياناً فتدركه الصلاة فيصلي على بساط لها من حصير ينضحه بالماء. وكان يزورها فتتحفه بالشيء تصنعه له فإذا دخل البيت لاعب عميراً ابنها «يا أبا عمير ما فعل النغير» ودخل مرة فقال: يا أم سليم ما شأني أرى أبا عمير خائر النفس، فقالت: يا نبي الله ماتت صعوة (عصفورة) له كان يلعب بها.. فجعل النبي يمسح برأسه ويقول: يا أبا عمير ما فعل النغير؟.. ولم يكن رسول الله يدخل بيتاً غير بيت أم سليم إلا على أزواجه.. فقيل له.. فقال: إني أرحمها، قتل أخوها معي.. وقالت هي: كان رسول الله يقيل في بيتي فكنت أبسط له نطعاً فيقيل فيعرق فكنت آخذ سكاً فأعجنه بعرقه.. وسمعها محمد بن سيرين فقال: فاستوهبتها بعضها من ذلك السك فوهبت لي منه.. فلما مات محمد بن سيرين حنط بذلك السك[1] فقد كان يعجبه أن يحنط الميت بالمسك. وقال[2] رسول الله في بيت أم سليم على نطع فعرق، فاستيقظ الرسول وأم

(١) السك ضرب من الطيب يركب من مسك ورامك فيكون طيباً يحنط به.

(٢) قال: نام في القيلولة.

سليم تمسح العرق فقال: يا أم سليم ما تصنعين؟ قالت: آخذ هذا للبركة التي تخرج منك. ودخل رسول الله على أم سليم بيتها. وفي البيت قربة معلقة فيها ماء، فتناولها فشرب من فيها «فمها» وهو قائم، فأخذتها أم سليم فقطعت فمها فأمسكته عندها! ودخل عليها مرة. فأتته بتمر وسمن.. فقال الرسول: أعيدوا سمنكم في سقائكم وتمركم في وعائكم فإني صائم. ثم قام في ناحية البيت فصلى صلاة مكتوبة. فدعا لأم سليم ولأهل بيتها. فقالت أم سليم: يا رسول الله: إن لي خويصة.. فقال: ما هي؟ قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا له به ثم قال: اللَّهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له.. فإنه لمن أكثر الأنصار ولداً ومالاً. فقد دفن له حتى عهد الحجاج الذي عذبه في البصرة تسعة وعشرين ومائة ولد من صلبه. وبعثت أم سليم ولدها أنس بمكتل (زنبيل) فيه رطب، فلم يجد النبي في بيته وإنما كان عند مولى له خياط يعالج صنعة له، وقد صنع له ثريدة بلحم وقرع، فدعا أنس يأكل معه، ويقول أنس فلما رأيته يعجبه القرع جعلت أدنيه منه، فلما رجعت إلى منزله وضعت المكتل بين يديه فجعل يأكل منه ويقسم حتى أتى على آخره.

وقال الرسول ﷺ: دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فإذا أنا بالغميصاء بنت ملحان، نعم هل جزاء الإحسان إلا الإحسان!! أحسنت بإيمانها، وأحسنت برعايتها لولدها، لزوجها. لرسول الله. وسألها رسول الله: ما لأم سليم لم تحج معنا هذا العام؟ قالت: يا نبي الله كان لزوجي ناضحان، فأما أحدهما فحج عليه، وأما الآخر فتركه يسقي عليه نخله.. فقال النبي: فإذا كان رمضان و شهر الصوم فاعتمري فيه فإن عمرة فيه مثل حجة، أو تقضي مكان حجة.. أو قال: عمرة في رمضان تجزيك عن حجة معي. وكانت أم سليم مع نساء النبي وهن يسوق بهن سواق، فأتى

عليهن النبي فقال: يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير. وكانت في «أُحد» تحمل خنجراً في طيات ثوبها. تسقي الماء وتداوي الجرحى وتدافع عن رسول الله. وفي «الخندق» رآها النبي تحمل الخنجر فسألها ماذا تفعلين به؟ فقالت: أقاتل به الطلقاء. فقال الرسول: لقد كفاك الله ذلك.

ومرض ولدها عمير، وأبو طلحة والده غائب في بعض حيطانه.. فهلك الصبي قبل أن يحضر أبوه. فقامت أم سليم فغسلته وكفنته وحنطته وسجت عليه ثوباً. وقالت لمن معها: لا يكون أحد يخبر أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره.. فجاء أبو طلحة فتطيبت له، وتصنعت له، وجاءت بعشاء.. فقال ما فعل أبو عمير؟ فقالت: تعش فقد فرغ. فتعشى، وأصاب منها ما يصيب الرجل من أهله.. ثم قالت: يا أبا طلحة أرأيت أهل بيت أعاروا أهل بيت عارية فطلبها أصحابها أيردونها أم يحبسونها؟ فقال: بل يردونها عليهم. قالت فاحتسب أبا عمير، فانطلق كما هو إلى النبي فأخبره بقول أم سليم، فقال الرسول: بارك الله لكما في غابر ليلتكما!

وحملت أم سليم ثم ولدت عبد الله، فلما حل اليوم السابع، دعت أنس وقالت: اذهب بهذا الصبي وهذا المكتل وفيه تمر إلى رسول الله حتى يكون هو الذي يحنكه ويسميه.. فأتى به أنس، فمد الرسول رجليه وأضجعه في حجره وأخذ تمرة فلاكها ثم مجها في فم الصبي، فجعل الصبي يتلمظها، فقال النبي: أبت الأنصار إلا حب التمر!

وبارك الله في عبد الله، فولد سبعة بنين كلهم قد حفظ القرآن. ولا أحسبني قد أوفيت أم سليم المباركة وزوجها وبنيها وأخص منهم سيدنا أنس حقهم من التكريم والإجلال.. رضي الله عنهم أجمعين.

مرثد بن أبي مرثد

مرثد بن أبي مرثد. أبوه كناز بن حضن. قيسي مضري.. أسلم هو وأبوه قديماً.. وكانا حليفين لحمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وعم رسول الله ﷺ. وآخى النبي بين مرثد وبين أوْسِ بن الصامت. أخي عبادة بن الصامت. وزوج خولة التي جادلت وسمع الله جدالها من فوق سبع سموات.

كان أبوه أحد الفوارس.. وفارس رسول الله. كالمقداد وكالزبير، فهو صاحب الفرس الثاني يوم بدر.. وشهد ابنه مرثد أُحُداً وقتل يوم الرجيع. كان أحد الستة الذين بعثهم النبي ﷺ إلى عضل والقارة ولحيان ليعلموهم الإسلام، ولكنهم غدروا بهم فقتلوا ثلاثة وأسروا ثلاثة. والأبطال الستة أصحاب الرجيع هم: مرثد بن أبي مرثد، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وخُبيْب بن عدي، وخالد بن البكير، وزيد بن الدثنة، وعبد الله بن طارق حليف بني ظفر.

الغدر من عضل والقارة ولحيان شقاء عليهم ورحمة للأبطال، لم يغدروا بهم وحدهم إنما غدروا بالدين، بالهدى، فاستصرخوا عليهم أي على الستة الأقلين في العدد، الأقوياء بالإيمان هذيلاً، فقتل ثلاثة منهم، استقتلوا. لا يستسلمون لغادر. وهم مرثد بن أبي مرثد وعاصم وخالد،

وأما الثلاثة الآخرون خبيب وعبد الله وزيد فأسروا فباعوهم لقريش، فقتلهم الذين اشتروهم.. ولكل منهم قصة يطول شرحها.. عاصم حمته الدبر، وخبيب سقته الملائكة. أطعمته الملائكة عنباً من الجنة. إنهم الشهداء. وتحدث النبي إلى مرثد بطلنا فقال له: (إن سركم أن تقبل صلاتكم فليؤمكم خياركم. فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم). وقد تكلم الإمام الحجة شيخ المغربيين أبو عمر ابن عبد البر عن سند هذا الحديث لا يوثقه من ناحية سنده. ولكن الثقة في معنى المتن تجعلني أضعه، لأن معناه قويم من صميم الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الخير وتقدم الخيرين.

وكان مرثد من الفدائيين «الكماندوس» يذهب إلى مكة يحمل الأسرى. يهرب إلى المأمن. إلى المدينة. وذهب مرة يقضي هذه المهمة الفدائية، فحنّ لشيء ذكره في مكة. إنه بشر، كان قبل أن يسلم وفي الجاهلية يحب بغياً، اسمها (عِناق) اسم شعري في أمة شاعرة، وكانت صديقة له. وندعه يتحدث عن نفسه. قال: كنت قد وعدت رجلاً أسيراً في مكة أن أحمله إلى المدينة. فجئت حتى انتهيت إلى حائط من حيطان مكة في ليلة قمراء فجاءت عناق، فأبصرت سواد ظلي بجانب الحائط، فلما انتهت إلى غرفتي.. فقالت: مرثد.. قلت: مرثد. قالت: مرحبا وأهلا، هلم فبت عندنا الليلة.. فماذا قال لها مرثد؟.. قال: يا عناق إن الله حرم الزنا.. وغضبت عناق فصرخت تنادي: يا أهل الخباء هذا الذي يحمل الأسرى. فهب القوم يطلبون مرثداً. تبعه ثمانية رجال. وتحدث مرثد فقال: فسلكت الخندق حتى انتهيت إلى كهف فدخلته. انزوى في غار يتخفى غيلة المشركين الذين تبعوه. وقد دلتهم عليه امرأة زانية لم يجب طلبها.. وتحدث مرثد فقال: وجاءوا حتى قاموا على رأسي وأعماهم الله عني ثم

رجعوا. . فلما ذهبوا رجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الأذخر ففككت عنه كبله (قيده المكبل به) ثم جعلت أحمله حتى قدمت المدينة.

فدائي مؤمن. يحمل أخاه. ينقذه من الكفر. من الموت. من العذاب، من الهوان.

الفدائية في عزيمته. هي من الإيمان في قلبه والعفة عن الخنا والزنا من الإيمان. هداية الله أغنت عن الحرام. واسمع بعد ما يقول:

فأتيت رسول الله فقلت يا رسول الله هل أنكح عناق؟ فأمسك رسول الله. فلم يرد عليّ شيئاً، حتى نزلت هذه الآية ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ (النور: ٣).

فقرأها رسول الله علي وقال: «لا تنكحها، لا ينكح الزاني المجلود في حد إلا مثله».

حرم عليه نيلها بالعفة. وحرم الله عليه نكاحها بالمنع والتحريم. أراد أن يطهره الله. ولكن الزانية المسكينة إن تابت وعفت، ووجدت من يسترها الله به فإن له أجراً في ذلك. وإنما الأعمال بالنيات. ولكل وضع، وما جعل الله في الدين من حرج.

الأساس التقوى، ورأس المال إيمان رادع ونية صالحة صادقة.

* * *

عَبْد اللَّه ذو البجَادين

عبد الله ذو البجادين المزني. ابن عبد نهْم. عم عبد الله ابن مفغَل، ينتهي نسبه إلى مزينة. مضري عدناني، ومزينة أخت تميم وهوازن.. نازعت هوازن، ونازعت تميماً كما فعلت قريش. ثم آمن منهم خلق كبير. وخرج فيهم ومنهم ولهذه الأمة أبطال صنعوا لنا بتوفيق من الله الخير وعملوا للفتح والنصر.

أما مزينة فقلّ من نازع منها. كانت خيراً كلها.. لو لم يكن لها إلا النَّعمان ابن مقرن وأخوته.. لكفى مزينة فخراً، وعزّ بهؤلاء الأخوة الستة بنو مقرَن.. كلهم آمن فكان من خير المؤمنين المجاهدين.. والنعمان بن مقرن بطل الفتح في العراق وصاحب نهاوند. والمبكي عليه من عمر. وأين مزينة الآن؟ لقد قللت من عددها الهجرة للفتح فهي من القبائل التي استنفدها الغزو في سبيل الله. فلم يبق منها في نجد والحجاز إلا قليل الآن، في قبيلة حرب الحجازية النجدية. فهم أي بنو فرعي بني سالم والفرع الآخر من حرب هو مسروح. وقد عرفت رجالاً من مزينة فيهم خير ودين يعرفون تاريخها ويفخرون به. ولعلّ ابن نحيت شيخ بني سالم في نجد من هذه القبيلة كما يجيب المزنيون والظواهر والحناينة، لا كما ينفيه غيرهم. سمي ذا البجادين لأنه حين أراد المسير إلى رسول الله ﷺ أعطته أمه بجاداً لها. أي كساء. شقته نصفين فاتزر بواحد منهما وارتدى بالآخر.

وقيل إنما سمي ذا البجادين لأنه كان ينازع على الإسلام فيمنعه قومه من ذلك ويضيقون عليه حتى يتركوه في بجاد ليس عليه غيره. فهرب منهم إلى رسول الله. فلما كان قريباً من المدينة شق بجاده باثنين فاتزر بواحد واشتمل بالآخر. ثم أتى رسول الله ﷺ فقيل له ذو البجادين.

ومن خبره المطول أن أمه سلطت عليه بعض قومه فحجروا عليه طمعاً منها أن يبقى معها ولا يهاجر. ثم أنه هرب إلى المدينة وصنع بالبجاد ما صنع.. شقه نصفين. فسمي ذا البجادين. وتحدث عنه عبد الله ابن مسعود فقال: قمت في جوف الليل وأنا مع رسول الله في غزوة تبوك فرأيت شعلة من نار في ناحية المعسكر فاتبعتها انظر إليها فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر.. وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات.. وإذا هم قد حفروا له ورسول الله في حفرته كأنما هو الذي قام يلحده ـ وأبو بكر وعمر يدليانه إليه هما يدليان والرسول محمد يتلقاه وهو يقول.. يعني النبي: أدليا أخاكما. فدلياه إليه. فلما هيأ لشقه.. أي لحده. قال رسول الله: «اللَّهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه» ولقد قال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة. نعم شهادة قطعت. فيها النجاة، فضل من الله يؤتيه من يشاء.. وهذا الخلق الكريم في النبي. في الصحابيين الكريمين أبي بكر وعمر.. كلهم يحمل صاحبه الذي مات ليدفن بأيديهم.. لم ينذروا الجيش ليأتي كل واحد يحمل الميت. هم الكبار، الكبار جداً. حملوا أخاهم ودفنوه. وهو الكبير أيضاً. استأهل كل هذا التكريم. فكيف لا يبذل أصحاب محمد أرواحهم فداء لنصرة الإسلام، إنه الخلق العظيم في محمد الرسول الأمين، وأنه التأسي من الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر اقتديا بالرسول. وإنه الخوف من الله جعل ابن مسعود يتمنى أنه صاحب الحفرة، لأن القطع بالنجاة بهذا الدعاء من النبي مقام كبير يتمناه الذين يخشون الله. وابن أم عبد منهم. رضي الله عنهم أجمعين.

أَنَسُ بن مَالك

أنس بن مالك العدوي النجاري الأنصاري.. وأمه أم سليم بنت ملحان وهي أم أخيه البراء بن مالك.. وليسا هما من زوجها الصحابي الكريم أبي طلحة زيد الأنصاري الذي ربى أنس وقدمه إلى النبي يخدمه. ترجمنا لأمه وزوجها أبي طلحة زيد الأنصاري في هذه السلسلة من قبل.

وأنس طراز آخر. لم يكن بطلاً فارساً يخوض المعارك كأخيه البراء وإنما كان في قلب المعركة.. بين يدي النبي يخدمه في السفر والحضر. فهو ربيب النبي. له من الكرامة عنده ما استحق به منزلة المخلص الأثير. منزلة كانت لأمه المؤمنة الكريمة البرة الطاهرة، وكانت لأخيه البراء.. ذرية بعضها من بعض. كتب الله لهم الخير وأنالهم الفلاح. فقد تحدث أنس عن نفسه فقال: خدمت رسول الله وأنا ابن ثماني سنين. وقال خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما أمرني بأمر توانيت عنه أو صنعته فلامني.. وإن لامني أحد من أهله قال: دعوه فلو قدر قضى أن يكون لكان.. ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

كان يفخر أنه من الأزد لأن الأنصار أوسهم وخزرجهم من الأزد وبهذا يثبت أن الأزد قحطانيون لا عدنانيون كما هو الراجح الصواب.

قال مرة: لئن لم تكن من الأزد فما نحن من العرب.. أي نحن من الأزد.

وقدم النبي المدينة فأخذ أبو طلحة بيد ربيبه أنس. فانطلق إلى رسول الله فقال له: إن أنس غلام كيس فليخدمك. وقالوا: إن أمه أخذت بيده مقدم النبي. فأتت به رسول الله فقالت: يا رسول الله هذا ابني وهو غلام كاتب. وذهبت به أمه إلى رسول الله فقالت يا رسول الله خويدمك ادع الله له. فدعا له الرسول «اللَّهم أكثر ماله وولده وأطل عمره وأغفر ذنبه». وتحدث أنس عن ذلك فقال: دفنت من صلبي مائة غير اثنين، أو هو قال مائة واثنين وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيتُ حتى سئمت الحياة. وأنا أرجو الرابعة.. كان رسول الله يدعوه «يا بني» خلق النبي العظيم يدعو خادمه، صاحبه، ناشر سننه، فقيه أمته، أنساً يا بني.

وتحدث أنس فقال: قدم رسول الله وأنا ابن عشر سنين، ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثثنني على خدمته فدخل دارنا ذات يوم فحلبنا له من شاة لنا داجن وشرب من ماء بئر في الدار، وأبو بكر عن شماله وأعرابي عن يمينه وعمر ناحيته، فشرب رسول الله فقال عمر: أعط أبا بكر يا رسول الله. فناوله الأعرابي وقال: الأيمن فالأيمن. يعني أن السنة تناول رئيس القوم ثم من على يمينه وفعل ذلك رسول الله. شرب أولاً. وكان الفضل بن العباس وهو شاب صغير على يمينه فأعطاه ثم أعطى أبا بكر الكبير الجليل بعده لأنه كان على يسار النبي.

كان كل ليلة يرى النبي «ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي.. ثم يبكي» وقال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أشبه صلاة برسول الله من ابن أم سليم يعني أنس بن مالك.

وحدث أنس بن مالك بحديث عن رسول الله فقال له رجل: أنت سمعته من رسول الله فقال أنس: ما كل ما نحدثكم به سمعناه من رسول

الله، ولكنا لا يتهم بعضنا بعضاً. وقدم أنس المدينة وقد مات أبو بكر واستخلف عمر فقال لعمر: أرفع يدك أبايعك على ما بايعت عليه صاحبك قبلك على السمع والطاعة ما استطعت. ورفع عمر يده يبايع أنس. يحترم الصحابي الأخ. أما الحجاج بن يوسف الطاغية فحسبه الله. لم يرع حرمة لأنس فخاصمه وأهانه، وعذّبه، وأنس صابر لم يخالف ولم يخالف ولم يخرج على بيعة ولكن هكذا كان. وشكا قيِّم لأنس العطش في أرضه، فقام أنس يصلي ودعا فثارت سحابة غشيت أرضه حتى ملأت صهريجه فأرسل غلامه فقال: انظر أين بلغت هذه. فنظر فإذا هي لم تعد أرضه. وفي رواية أخرى بصورة أخرى، جاء أنس أكار بستان في الصيف فشكا العطش فدعا بماء فتوضأ وصلَّى ثم قال: هل ترى شيئاً؟ فقال: ما أرى شيئاً.. فدخل أنس فصلى ثم قال في الثالثة أو الرابعة: انظر. فقال الأكار: أرى مثل جناح الطير من السحاب، قال فجعل يصلي ويدعو حتى دخل عليه القيم فقال: قد استوت السماء ومطرت. فقال أركب الفرس الذي بعث به بشر بن شفاف. فانظر أين بلغ المطر. فركبه فإذا المطر لم يتجاوز قصور المسيرين، ولا قصر الغضبان. كرامة من الله كرّم بها أنس. استجاب فيها ربه دعاءه لأنها دعوة رسول الله.

وكان نقش خاتمه محمد رسول الله. فكان إذا دخل الخلاء نزعه. كان يلبس أزاراً أصفر. ورئي يضع رجله على الأخرى.. وكان يلبس عمامة خز وجبة خز ومطرف خز، فقالوا له: ما لك تنهانا عن الخز وتلبسه أنت؟ فقال: إن أمراءنا يكسوننا فنحب أن يروه علينا. لم يَر أحد أضنّ بكلامه منه. حتى لكأن مولاه «محمد بن سيرين» قد تأثر به. فقد قالوا: تكلم الحسن «يعني البصري» احتساباً «يعني ابن سيرين». وتحدث أبو غالب

الباهلي فقال: تبعت جنازة عبد الله بن عمير الليثي، فإذا رجل علي برديه وعليه كساء أسود رقيق، وعلى رأسه خرقة تقيه الشمس وإذا قطنتان قد وضعهما على موقي عينيه.. فقلت من هذا الدهقان؟ قالوا: هذا أنس بن مالك.. فزحمت الناس حتى دنوت منه، فلما وضعت الجنازة قام أنس عند رأسه فصلى عليه، فكبر أربع تكبيرات لم يطل ولم يسرع. دونوا كل شيء في سيرته كعالم فقيه تؤخذ عنه السنة. ولم يكن فارساً كأخيه البراء.

دخل على أخيه البراء فوجده يتغنى ويرنم قوسه.. فقال أي شيء هذا؟ فقال البراء: يا أنس أتراني أموت على فراشي موتاً؟ والله لقد قتلت بضعة وتسعين سوى من شاركت فيه. يعني المشركين.

وذهب البراء يقاتل. يدعم فتح الإسلام بفارس كما جلس أنس يملأ العراق فقهاً وعلماً. يشارك صديقه وصفيه ابن مسعود. وضعف عن الصوم فجفن جفانا وأطعم لكل يوم مسكيناً أطعم العدة وزيادة. وتوفي أنس فأوصى أن يغسله مولاه محمد بن سيرين.. وكان ابن سيرين محبوساً في ديْن من بضاعة اشتراها وغبن فيها ولم يردها فتحمل قيمتها. فكلموا الأمير عمر بن يزيد فأخرج من السجن فغسل أنس. وصلَّى الله فلما فرغ رجع إلى السجن، ولم يذهب إلى أهله. ولم يزل محمد بن سيرين الإمام الورع يشكر هذا الصنيع لآل عمر بن يزيد حتى مات.

وجعل في حنوط أنس صرة مسك، وشعر من شعر النبي كان عند أمه من الشعر الذي أخذه أبو طلحة، حينما حلق النبي في حجة الوداع. والمسك كانت أم سليم ـ أم أنس ـ قد عجنته بعرق الرسول جمعته حينما نام عندها في ظهيرة يوم قائظ.

ومات أنس في الطيبين، وعاش في الخيرين. رضي الله عنهم أجمعين.

مخرمَة بن نوفَل

مَخْرَمة بن نوفل القرشي الزهري، فهو من أخوال النبي.. يكنى بأبي صفوان، أو أبي المسوِّر.. فالمسور بن مخرمة الصحابي الجليل. والذي عقد رجال الشورى مؤتمرهم في بيته.. كشيء رتبه خاله عبد الرحمن بن عوف هو ابن مخرمة.. بطلنا اليوم.

وأم مخرمة اسمها رُقيْقة الزهرية مثله. وكانت لدة عبد المطلب بن هاشم.. كان من علية قريش في سنه ومقامه. عاش طويلاً في الجاهلية ثم في الإسلام، له علم بأنساب قريش وأحسابها. يؤخذ عنه ذلك. وأسلم عام الفتح فهو من المؤلفة قلوبهم.. وهو أحد الذين كانوا مع أبي سفيان في عير قريش يوم بدر، فساحلوا بها ونجوا. وكان عالماً بأنصاب الحرم وحدوده، فبعثه عمر هو وسعيد ابن يربوع، وأزهر بن عبد عوف، وحويطب بن عبد العزى فحددوا المعالم وجددوها.

وأعلام الجرم وحدوده حددها الذي رفع القواعد من البيت إبراهيم عليه السلام. علمه جبريل. ثم جددها إسماعيل بعده ثم جددها قُصي؛ بن كلاب. ثم جددها النبي عليه الصلاة والسلام.. ثم إن عمر بعث هؤلاء الأربعة فجددوها. فعلينا أن فعلنا ذلك أن نستعين بأهل العلم لا نترك أمر الحرم وأعلامه إلى من لا يعرف.

وعنه يروى الحديث عن استقاء قريش بشيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم (بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا). ولعلّ عبد المطلب بعد هذا الفضل من الله منّ به عليه قام بالكشف عن زمزم فحفرها.. كما هو في قصتها ومعه ابنه الحارث وعن مخرمة يذكر الحديث.. لما أظهر رسول الله الإسلام أسلم أهل مكة كلهم، حتى أن النبي كان يقرأ السجدة فيسجدون ما يستطيع بعضهم أن يسجد من الزحام.. حتى إذا قدم رؤساء قريش أبو جهل وعمه الوليد وغيرهما ممن هم على شاكلتهما ـ وكانوا بالطائف ـ فقالوا لقريش: تدعون دين آبائكم؟ فكفروا.. قصة عن مخرمة، لعلّه شهد بعض الحائرين المترددين سجدوا مرة فعدها أمراً واقعاً كصفة لزمتهم، أو لعلّه تحدث عما كان يتوقع، لو سلم القوم من أبي جهل وأمثاله. والصحيح أن العلية من قريش خافوا على مقامهم فرفضوا الدعوة الجديدة، فقصة أبي لهم تنبئنا خلاف ما ذكر مخرمة. فأكثر قريش وعلية قريش كلهم عائد أول الأمر فلم يسلم إلا السابقون الأولون. وكان مخرمة من المؤلفة قلوبهم الذين خرجوا مع النبي يوم حنين فأعطاه من الغنائم مثل أقرانه. وقد كانوا أقل من مائة، ذكر مخرمة من بينهم، ومنهم أبو سفيان ومعاوية وحكيم بن حزام وصفوان بن أمية وأمثالهم.

وتحدث ابنه المسوّر بن مخرمة فقال دعاني أبي فقال: يا بني بلغني أن النبي قدمت عليه أقبية وهو يقسمها، فاذهب بنا إليه. فذهبنا فوجدنا النبي في منزله.. فقال مخرمة: يا بني أدع لي النبي.. فأعظمت ذلك.. وقلت: أدعو لك رسول الله؟ فقال: يا بني إنه ليس بجبار. فدعوته فخرج وعليه قباء من ديباج مزّور بالذهب فقال: يا مخرمة خبأناه لك. وأعطاه إياه. فقال مخرمة: ما كنت أراه إذا ما أعطى قريشاً إلا أعطاني مثل عطيتهم.

ومر المسور بأبيه وهو يخاصم رجلاً فقال المسور لأبيه مخرمة: يا أبا صفوان ـ يكنيه بأخيه لا باسمه ـ أنصف الناس. فقال مخرمة: من هذا؟ فقال المسور لأبيه: من ينصحك ولا يغشك؟ قال: مسوّر؟ قال نعم.. فضرب مخرمة يده في ثوبه وقال يخاطب ابنه: اذهب بنا إلى مكة أرك بيت أمي ـ يعني رُقيْقة بنت أبي سيفي ـ وتُرني بيت أمك ـ يعني عاتكة بنت عوف ـ فقال المسوّر: يغفر الله لك يا أبت. شرفي من شرفك. فسكت الأب لنصح الابن وقوة حجته، الابن فرق بين مدرستين: مدرسة الإسلام نشأ فيها المسوّر، ومدرسة الجاهلية تأثر بها مخرمة. لم يستطع أن يخرج من مفاخرها وهو الصحابي الجليل، مثله كمثل عمرو ابن العاص صاحبه يوم العير مع ابنه عبد الله.. اختصم عمرو مع رجل، فصرخ عمرو: يا آل هصيص. قال ابنه عبد الله: أدعوة الجاهلية؟ فسكت عمرو واستعاذ، ثم كفر عنها بعتق رقبة استغفاراً وتقرباً إلى الله.

وحضرت الوفاة مخرمة فبكته بنته.. فقالت: وا ابتاه كان هيناً ليناً.. روح إسلامية.. فأفاق والتفت إلى ابنته يقول لها: من النادبة؟ قالوا: ابنتك.. فقال: تعالي، ما هكذا يُندب مثلي.. قولي: وا أبتاه.. كان شيماً شيظمياً.. كان أبيًّا عصياً.. فخْر جاهلي.. وسمع مخرمة وكان يخاصم معاوية كابنه المسوّر الذي صلح أمره بعد مع معاوية ـ إن معاوية يقول من لسانه تنقصاً.. وإن عبد الرحمن ابن أزهر قال لمعاوية: أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين.. فقال مخرمة: جعلني ابن أزهر يتيماً في حجره يزعم لمعاوية أنه يكفيه إياي؟! يعجب لذلك ويهزأ. وكان ابن بُرصاء الليثي يسمع لمخرمة فقال: إنه عبد الرحمن ابن الأزهر.. يشير إلى مكانه، وقوته وعزته، فرفع مخرمة ـ وكان شيخاً كبيراً ـ عصا في يده فشج ابن برصاء، وقال: «أعداؤنا

في الجاهلية، حسادنا في الإسلام» وكان النبي يكنيه بابنه المسوّر.. سمع وهو يقول له: يا أبا المسور. وعاش مائة وخمس عشرة سنة حتى عمي، ومات سنة أربع وخمسين. رحمه الله ورضي عنهم أجمعين.

* * *

حُذيم بن حنيفَة التمِيمي

حُذيم بن حنيفة من ولد سعد بن زيد مناة من تميم. صحابي أسلم فكان خيراً في المسلمين. وله قصة يروي خبرها عن النبي توضح كيف تكون الوصية ويكون الوقف، والبر بالولد لا يفضل ذكراً على أنثى ولا أخاً على أخيه. وترينا كيف يكون الجور والحيف يضيع ثواب الصدقة ويبطل الوصية «الوصية في الثلث والثلث كثير».

وقصة حذيم فيها شيء من قصة النعمان بن بشير حينما أراد أن يختص ابنه بشيراً فمنعه رسول الله وأبى أن يشهد وفيها شيء من قصة أبي طلحة حينما أراد أن يتبرع وينفق كل ماله فمنعه رسول الله فأوقف بئر حاء «في باب المجيدي الآن» فكانت أول وقف خيري في الإسلام.. ولم يعرف الإسلام هذه الأوقاف التي فيها من الجنف والحيف ما يضر الولد ويوجد بينهم العداوة والبغضاء وما يدفعهم إلى ترك الوقف وإهماله حتى يصير خراباً فإذا وجدت خراباً شاسعاً في البلد عرفت أنه الوقف.

تحدث حنظلة بن حذيم بطلنا اليوم قال: طلب حنيفة والد البطل من ابنه حذيم «أن أجمع بنيك. إني أريد أن أوصي» فجمعهم وقال: يا أبتاه إني قد جمعتهم فهم بين يديك الآن.. فقال حنيفة: إن أول ما أوصي به مائة من الإبل التي كنا نسميها في الجاهلية «المطيبة» صدقة على يتيمي هذا

في حجرته.. واسم اليتيم ضرْس بن قطيفة (ولد حنيفة) وسمع حذيم وصية أبيه فقال له: يا أبتاه إني لأسمع بنيك يقولون: إنما نقر بهذا عين أبينا فإذا مات اقتسمناها وقسمنا له كنصيب بعضنا.. فقال أبوه: أو سمعتهم يقولون ذلك؟ فقال حذيم: نعم.. فقال حنيفة: بيني وبينك رسول الله ﷺ وأكمل حذيم الخبر فقال: فانطلقنا إليه «يعني رسول الله» فإذا هو جالس.. فقال النبي: من هؤلاء المقبلون؟ فقالوا: هذا حنيفة النعم، أكثر الناس بعيراً بالبادية.. فقال الرسول: من هذان حواليه؟ قالوا: أما الذي عن يمينه فابنه حذيم الأكبر، ولا نعرف الذي عن يساره.. فلما جاءوا النبي سلم حنيفة على رسول الله ثم سلم حذيم. فقال النبي: ما رفعك إلينا يا أبا حذيم؟ قال هذا رفعني. وضرب فخذ حذيم يشير إليه.. فقال الرسول: بلى. وتحدث حنيفة إلى الرسول فقال: يا رسول الله إني رجل كثير المال، عندي ألف بعير وأربعون من الخيل سوى أموالي في البيوت فخشيت أن يفجأني الموت أو أمر الله فأردت أن أوصي فأوصيت بمائة من الإبل من التي كنا نسميها المطيبة في الجاهلية صدقة على يتيمي هذا في حجرته.. ونظر حذيم ثم تحدث يروي ما نظر، قال: فرأيت الغضب في وجه رسول الله ﷺ حتى جثا على ركبتيه ثم قال: لا إله إلا الله، إنما الصدقة خمس فإن لا فعشر فإن لا فخمس عشرة فإن لا فعشرون فإن لا فخمس وعشرون فإن لا فثلاثون فإن كثرت فأربعون.. فبادره حنيفة فقال: يا رسول الله إني أنشدك الله: إنها أربعون من التي كنا نسمي المطيبة في الجاهلية، قال: فودعه حنيفة وقال النبي: فأين يتيمك يا أبا حذيم؟.. قال هو ذاك النائم. وكان يشبه المحتلم.. فقال النبي: لعظمت هذه هراوة يتيم. وانصرف حنيفة وبنوه إلى أباعرهم.. وتكلم حذيم فقال: يا رسول الله إن لي بنين كثير منهم ذو لحى ومنهم دون ذلك ـ وروى هذا الخبر حنظلة بن حذيم

أصغرهم ـ فشمت عليه يا رسول الله (يعني الدعاء لحنظلة فقال الرسول لحنظلة: أدنُ يا غلام، فدنوت منه، فوضع يده على رأسي وقال: بارك الله فيك. وسكت حنظلة عن إتمام الخبر، وتكلم رواة آخرون فقالوا: كان حنظلة يرى أنه يؤتى بالرجل الوارم وجهه وبالشاة الوارم ضرعها فيتفل في كفه ثم يضعها على صلعته ثم يقول: باسم الله على أثر يد رسول الله ﷺ ثم يمسح الورم فيذهب.

روح المسلم في حذيم سمع لأبيه، ونصح لأبيه، ولم يستبد بإخوانه، لا بتصرفه لأحد أبنائه ولا بتصرف أبيه لليتيم من أبناء إخوانه وسعى للتقوى يسمع ليحكم الرسول، لم يترك أباه يتصرف بما يجزع إخوانه فيقرونه في حياة الأب لينقضوه بعد الوفاة.

وجاء حكم الرسول قاطعاً.. ثم جاءت دعوة الرسول لابن حذيم حنظلة وفيها الخبر والبركة أكثر من الإبل والخيل والمال. إنها الإيمان والتقوى وبطولة النفوس المؤمنة صهرت بنور الحق. رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

مِرْداسُ بن نُهَيْك

مرداس بن نهيك الفزاري.. وفزارة وعبس وذبيان من ولد بغيض بن غطفان بن قيس عيْلان بن الياس بن مضر، فهو عدناني. وقيس عيلان وبطونها لا يعرف في وقتنا الحاضر أحد ينتسب إليها.. ولعلّ غطفان التي انمحى اسمها أيضاً قد تحولت هوَزان إلى عتيبة.. فالأصل الجذم للطير يقيم الآن على حافة نجد من ناحية المدينة، فهم بنو عبد الله وقد انتشرت منهم قبيلة مطير في نجد اليوم، ولعلّ أسداً قوم طليحة قد اندمجوا فيهم.. شيء لا نجزم به وإنما نرجحه ولعلّ غيري أشد قوة على تحقيقه..

وعبس بعضها اندمج في مطير وبعضها في القبائل الأخرى ولا يزال، من يعرف بهذا الاسم من الذين ينزلون تهامة واليمن.. وقد تناقل قوم أن هيثماً التي تعيش في حرة بغيض بن غطفان.. أخي عبس وذبيان وهيثم التي بين المدينة وخيبر هم بقايا عبس ومن إليها من غطفان، وهذا غير صحيح، ولعلّه يكون اقرب إلى الصحة إن اسم هيثم محرف عن هُذيم بن سعد بن بغيض بن غطفان أخي عبس وذبيان وفزارة، رأي نعرضه، لا نجزم بالصحة فيه، وإنما ليثار، ليدلي من عنده الصواب، لنهتدي به.

وذبيان.. قد دخلت الآن في جهينة «القضاعية القحطانية» بالحلف والجوار والمصاهرة فلن ترجع عدنانية.. ومن ذبيان أناس في تهامة

واليمن.. أما فزارة فلا أعرف أحداً ينتسب إليها اليوم.. إلا أن يكون له وجود لم أعلمه. مع أن فزارة حين سطع نور الإسلام كانت على الذروة في غطفان لا تتقدمها عبس ولا ذبيان.. فقد كان سيدها عيينة ابن حصن بن بدر، الأحمق المطاع الذي ارتفع لقومه ذكر في حرب فاسقة. داحس والغبراء، حرب فاسقة ارتفع ذكر لأبطالها ولكنه الذكر الذي أبطله الإسلام. أما ذكر السيدين العظيمين اللذين سعيا للصلح وبذلا المال.. وهما الحارث ابن عوف وهَرِمُ بن سنان، فقد بقي لهما. عظما بالخير، وعظم من ورائهما ذكر شاعر ملأ الدنيا بالثناء عليهما. هو زهير بن أبي سلمى.. القائل:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

ومرداس صاحب السيرة الآن.. لعلّه لا يبلغ درجة البطل بما صنع لنفسه وإنما استأهل البطولة بما صُنع له، وأنزل الله من أجله قرآناً كريماً. كان رجلاً من عامة المسلمين.. ولعلّه لم ير النبي فتكتب له الصحبة، وإنما اسلم استجابة لداعي قومه.. وأفدهم على النبي ﷺ.. أو لعلّه أسلم على يد النبي ﷺ مع وفد قومه كأحدهم ولم يعرف من أصحاب رسول الله ﷺ.. لقد عرف مرداس وارتفع له ذكر لأنه قتل خطأ.. قتله أسامة بن زيد. فالسيرة كتبت له في الأمهات، وتكتب له الآن في صحيفة سيارة.. لأن قتله الخطأ نزل فيه حكم قرآني كريم. أعلمنا أن الخطيئة لا يترك صاحبها دون عتب أو قود أو جزاء أو لوم.. مهما كان مقامه وكائناً من كان.. ولو كان أسامة بن زيد، الحب ابن الحب.. ذهب أسامة بن زيد وهو من هو منزلة عند رسول الله ﷺ ـ جندياً في سرية يقودها البطل منقذ السرح سلمة بن الأكوع.. وأبو أسامة زيد بن حارثة، حبيب رسول الله ﷺ وصاحبه.. من ذكر اسمه في الكتاب مرتين. مرة مضمراً ومرة ظاهراً..

«ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» هو زيد «ولما قضى زيد منها وطرا..» وأول من أسلم من الموالي أي أنه ثالث مكلف لبى دعوة محمد. خديجة وهو وأبو بكر. أما علي فقد كان صبياً لم يبلغ الحلم حينما آمن بمحمد. وأم أسامة.. أم أيمن، بركة الحبشية. حاضنة الرسول. مربيته. والتي كان يقول لها رسول الله يا أم أيمن.. ويا أماه.. ومن سره أن يتزوج من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن.. فتزوجها زيد فولدت أسامة. هو من هو منزلة في نفس الرسول يعرف ذلك الصحابة. حتى أنهم حينما أرادوا أن يستشفعوا أحداً في المخزومية التي سرقت لم يجدوا غير أسامة الحبيب القريب إلى رسول الله ﷺ.. فلم يشفعه النبي وإنما قال له يعلمه ويعلمهم: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. وذهبت السرية يقودها ابن الأكوع. سلمة ومن رجالها أسامة، فسقطوا على مرداس بطلنا وقد كان خارج الحي يرعى غنماً.. فلقيه أسامة.. فأقبل مرداس على أسامة يقرئه السلام شعار المسلمين أقبل مرداس على أسامة.. وقال السلام عليكم أنا مؤمن. فلم يرد عليه أسامة السلام ولم يصدقه وإنما اخترط سيفه فقتل مرداساً.. ظن أسامة أنه إنما ألقى السلام متمرداً متقياً مدارياً فلم يمهله. وكادت تمضي لا يذكرها أحد ولكن عين الله لا تنام.. ولكن الصحابة لا يكتمون عن الرسول شيئاً جرى منهم أو عليهم.. ولو كان خطأ.. جاء عن أسامة بن زيد.. وهم يعرفون قدر أسامة. فقد كان رسول الله ﷺ يحب أن يبعثه في سراياه، ويحب أن يثني عليه، إن وجد خيراً أكبره وحمد الله وأثنى على أسامة وإن وجد غير ذلك قوّم وأدّب وعلّم.. يريد لحبيبه الغالي أن يكون رجل خير. وبطلاً من أبطال أمته.. وقد كان، وعادت السرية وأخبرت الرسول.. فرفع الرسول عليه الصلاة والسلام رأسه وقال لأسامة: «كيف أنت ولا إله إلا الله».. فقال أسامة: يا رسول الله إنما قالها متعوذاً.. فقال

الرسول: «هلا شققت عن قلبه» فسكت أسامة.. وعرف الخطيئة وجزع. ونزلت آيات الكتاب الكريم من سورة النساء تتلى إلى يوم الدين، وينفذ حكمها إلى يوم يبعثون. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ٩٤). هذا حكم الإسلام في قتل النفس المؤمنة.. لا يحله الله لأحد إلا بحقه المشروع المقرر.. فما بال أقوام لا يرعوون.. يقتلون إخوانهم في سبيل باطل ونزوة طاغية وجبروت ظالم. لقد أخطأ أسامة فأدبه الله وغفر له، إن الذين لا ينالهم أحد بأدب فلهم يوم القيامة أدب من نوع آخر. ما أشده وأقساه. ولا أدري هل هذه سيرة مرداس، أو سيرة أسامة.. بعض ذلك قد كان.. أما الذي هو كائن كله فإنها سيرة النبي. سيرة الإسلام يتضوع أريجها في سيرة هؤلاء. في صوابهم. وأخطائهم. إنها سيرة أمتنا قد ضاع منها شيء كثير وكبير حينما تركت التحلي بالخلق الكريم خلق القرآن.

* * *

مُعَاوِية بن مُعَاوَية المُزَنى

معاوية بن معاوية المزني.. فهو عدناني.. صحابي أسلم فاتقى وآمن وعمل على قدر ما يستطيع وبمقدار ما يعلم. تكتب سيرته لا لأن فيها بطولة صال فيها وجال في حرب ونضال، وإنما لأنه حارب نفسه وهواها فألزمها ما سلك به طريق النجاة. وشيء عجيب من هؤلاء أصحاب محمد، لكل واحد منهم ميزة تميز بها من تقوى ودين وإيمان وبطولة.. بعضها منهم حيث وقعت وأرخت لهم، وكلها من هذا النور المحمدي سطعت به رحمة الله على نبيه وعلى المسلمين أجمعين.

تحدث أنس بن مالك يقول: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك فطلعت الشمس يوماً بنور وشعاع وضياء لم نره قبل ذلك.. فتعجب النبي من شأنها إذ أتاه جبريل يقول: مات معاوية ابن معاوية الليثي. فبعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه.. فقال رسول الله ﷺ: «بم ذاك؟» قال جبريل: بكثرة تلاوته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) فهل لك أن تصلي عليه، فأقبض لك الأرض؟.. وقال النبي: «نعم» فصلى عليه.. ذلك إن جبريل قد وضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت حتى نظرنا إلى المدينة.. ونظروا إلى المدينة فوجدوهم يصلون على معاوية الصحابي الضعيف.. فصلوا عليه مع رسول الله ﷺ.

إنها معجزة نبي، وقدرة الله فلا تعجبوا فبعض ما يصنع في عصركم يقرب ذلك لتصونوا إيمانكم. الإذاعة، التلفزيون، الرادار، الصاروخ، كل هذا صنعه البشر، فخالق البشر لا تحد قدرته. له جلاله وكماله سبحانه. إنه على كل شيء قدير. أكرم نبيه ورحم صاحب رسوله. جزاء جهاد وإيمان. يعلمنا كيف نقرأ هذه السورة التي هي التوحيد كله. نفت الشرك في عقيدة المشركين والولد في عقيدة المسيحيين والشبيه والمقابل في عقيدة مشرك وملحد وشاك، ووصفت الله بالكمال المطلق. إنها ثلث القرآن، أحسن الله لمن قرأها مثل ما أحسن لمعاوية المزني أو الليثي. رضي الله عنهم أجمعين.

عَامِرُ بن عَبْدِ اللَّه بن عَبْدِ القَيْس

عامر بن عبد الله بن عبد القيس عنبري من تميم، روى عن عمر وصحبه واهتدى بهديه، تابعي أترجم له.. لأن الترجمة تحلو بعض الحين للذين لم يكونوا من الأولين، وإنما كانوا الخيار في التالين. يعرف المؤرخ أن هدي محمد معه، وأثر الدين ليس وقفاً على أحد ولا حكراً لأحد.. إنها ميزة الإسلام، للناس كافة فلربما وجد رجل اليوم في أقصى الأرض هو خير من كل الذين في أدنى الأرض لا ينفعهم قربهم من دار مباركة. أو في أرض مباركة كما انتفع هو ببركة الإسلام يتبع هداه. ويسير على تقواه ويعبد الله حق عبادته في مصلاه ولو كان نائباً بعيداً فالقبلة مع المسلم في كل مكان في اتجاهه أينما كان.. حينما يتولى وجهه شطر المسجد الحرام يعبد الله.. التقوى كلها في القلب.

كان عامر يأخذ عطاءه من عمر الفين، فلا يمر بسائل إلا أعطاه. ثم يأتي أهله فيلقيه إليهم فيعدونه فيجدونه لم ينقص منه شيء. وذات مرة كان يمر في رحبة فإذا ذي يظلم، فألقى عامر رداءه ثم قال: لا أرى ذمة الله تخفر وأنا حي؟ فاستنقذه وحينما قال الناس إن عامراً لا يأكل اللحم ولا السمن ولا يصلي في المساجد ولا يتزوج النساء ولا تمس بشرته بشرة أحد. ويقول: إني مثل إبراهيم عند ذلك قال عامر: أما إذا اشتهينا أمرنا

بالشاة فذبحت فأكلنا من لحمها، وأما السمن، فإني آكل ما جاء من ها هنا. يعني الجبل، وأما قولهم إني لا أصلي في المساجد فإني إذا كان يوم الجمعة صليت مع الناس ثم اختار الصلاة بعدها هنا. وأما قولهم إني لا أتزوج النساء؛ فإنما لي نفس واحدة فقد خشيت أن تغلبني، وأما قولهم إني زعمت أني مثل إبراهيم فليس هكذا قلت: إنما قلت إني لأرجو أن يجعلني الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وقد حدث أحدهم أنه كان يصحب عامراً في غزاة وفي ليلة ما، رأى عامراً يقوم ليله ويناجي ربه وإذا به يقول بعد أن فرغ من صلاته: اللَّهم سألتك ثلاثة فأعطيتني اثنتين ومنعتني واحدة. اللَّهم فأعطنيها حتى أعبدك كما أحب وكما أريد. وانفجر الصبح. ثم سأل عامر صاحبه: ألا أراك كنت تراعيني منذ الليلة لهممت بك ورفع صوته، وعندها قال صاحبه: دع هذا عنك يا عامر، والله لتحدثني بهذه الثلاث التي سألتها ربك أو لأخبرن بما تكره مما كنت فيه الليلة، قال ويلك لا تفعل! ولما رأى عامر إصرار صاحبه على معرفة هذه الثلاث اشترط عامر عليه ألا يحدث أحداً بها ما دام عامر حياً. وعندها وعده صاحبه وبدأ عامر يقص، إني سألت ربي أن يذهب عني حب النساء ولم يكن شيء أخوف علي في ديني منهن، فوالله ما أبالي امرأة رأيت أم جدارا. وسألت ربي أن لا أخاف أحداً غيره، فوالله ما أخاف أحداً غيره، وسألت ربي أن يذهب النوم حتى أعبده بالليل والنهار كما أريد فمنعني. وقد سأل عامر ربه أن يهون عليه الطهور في الشتاء فكان يؤتى بالماء له بخار، وسأل ربه يحول بين الشيطان وبين قلبه وهو في الصلاة فلم يقدر على ذلك.

وسئل عامر مرة: ألا تتزوج؟ قال: ما عندي من نشاط وما عندي من

مال أغر أمراة مسلمة. وسئل أيضاً السبب في امتناعه عن الزواج. وكانت حجة السائل ألم يقل لك الله: ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية؟ فقال عامر، وقال أيضاً: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون؟.. وقد وشي به إلى زياد فقيل له إن ها هنا رجلاً يقال له: ما إبراهيم خير منك. فيسكت وقد ترك النساء، فكتب فيه إلى عثمان فكتب أن ائت به إلى الشام على قتب، فلما جاء الكتاب أرسل إلى عامر فقال: أنت الذي قيل لك: ما إبراهيم خير منك فسكت؟ قال أما والله ما سكوتي إلا تعجباً لوددت أني كنت غباراً على قدميه يدخل في الجنة، قال: ولم تركت النساء؟ قال: أما والله ما تركتهن إلا إني قد علمت أنه متى ما تكن لي امرأة فعسى أن يكون ولد، ومتى ما يكون ولد يشعب حب الدنيا قلبي فأحببت التخلي من ذلك. فأجلاه على قتب إلى الشام فلما قدم أنزله معاوية معه «الخضراء» وبعث إليه بجارية فأمرها أن تعلمه ما حاله. فكان يخرج من السحر فلا تراه إلا بعد العتمة، ويبعث إليه معاوية بطعامه فلا يعرض لشيء منه ويجيء معه بكسرة يجعلها في ماء ثم يأكل منها ويشرب من ذلك الماء ثم يقوم فلا يزال ذلك مقامه حتى يسمع النداء ثم يخرج فلا تراه إلى مثلها. فكتب معاوية إلى عثمان يذكر له حاله، فكتب أن أجعله أول داخل وآخر خارج ومر له بعشرة من الرقيق وعشرة من الظَّهر، فلما أتى معاوية الكتاب أرسل إليه فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن آمر لك بعشرة من الرقيق. فقال: إن علي شيطاناً قد غلبني فكيف أجمع عليّ عشرة! قال: وآمر لك بعشرة من الظهر فقال: إن لي لبغلة واحدة وإني لمشفق أن يسألني الله عن فضل ظهرها يوم القيامة، قال وأمرني أن أجعلك أول داخل وآخر خارج، قال: لا أرب لي في ذلك. وكان عامر عندما يخرج للغزو يقف يتوسم الرفاق فإذا رأى رفقة توافقه قال: يا هؤلاء إني أريد أن

أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث خلال فيقولون: ما هي؟ قال: أكون لكم خادماً لا ينازعني أحد منكم الخدمة، وأكون مؤذناً لا ينازعني أحد منكم الآذان، وأنفق عليكم بقدر طاقتي، فإذا قالوا نعم انضم إليهم فإن نازعه أحد منهم شيئاً من ذلك رحل عنهم إلى غيرهم.

وذهب رجل في جماعته يسأل عنه حينما كان بالشام فقيل له: هناك عجوز في مكان كذا تعرف عنه. فذهب إلى العجوز وسألها عنه فقالت: إنه في سفح الجبل يصلي في الليل والنهار فإن أردته فتحيْنه في وقت فطوره قال: فأتيته فسلمت عليه فسألني مسألة رجل عهده بي بالأمس ولم يسألني عن قومه من مات منهم ومن بقي ولم يسمني العشاء، فقلت له: لقد رأيت منك عجباً، فقال عامر وما هو؟ قلت غبت عنا منذ كذا فسألتني مسألة رجل عهده بي الأمس، قال عامر رأيتك صالحاً فعن أي شأنك أسألك؟ قال ولم تسألني عن قومك من مات منهم ومن بقي وقد علمت مكاني منهم. قال عامر ما أسألك عن قوم من مات منهم فقد مات ومن لم يمت فسيموت. قال: ولم تسمني العشاء، قال قد علمت أنك تأكل طعام الأمراء وفي طعامي هذا خشونة أو جشوبة.

وكان عامر في جيش غازياً، فأصابوا جارية من العدو. ووصفت له بجمالها فقال لصحابه: هبوها لي فإني رجل من الرجال. فوهبوها له، وفرحوا بذلك. لعلّها تكون له امرأة تقوم على شأنه فلما دخلت عليه قال لها: اذهبي فأنت حرة لوجه الله. فقال أصحابه له: يا عامر لو شئت أن يعتق بها كذا أو كذا لأعتقت. فقال: أنا أحاسب ربي؟

وتحدث إليه رجل، إنه سمع من آخر أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام. فقال للرسول استغفر لي، فقال: يستغفر لك عامر. وسمع عامر

هذا الحديث.. فبكى وبكى حتى سمع له نشيج.

تابعي ثم عالم.. رأى الخير في التقوى فصان نفسه عن بعض الحلال لئلا يقع في حرام، وحبس نفسه على الغزو والعبادة. قد كفى الناس شره ولم ينله شر يثنيه عن التقوى.. إن هؤلاء يوفقهم الله ليكونوا هداة في الأرض. مثلاً علياً في التقوى والزهد ليتعظ الناس. رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

عَبد اللَّه بن مَسعُود

عبد الله بن أم عبد.. ابن مسعود الهَذَلي المضري.. يكنى أبا عبد الرحمن، حليف قريش لأنه حليف بني زُهْرة أخوال النبي ﷺ.. وأمه أم عبد سعدية هذلية مثله، وجدته لأمه زهرية.. جدها كِلاب.. جد رسول الله ﷺ.

تحدث عن نفسه فقال: كنت غلاماً يافعاً أرعى الغنم.. وكنت أرعى غنماً لعقبة بن أبي مُعيط، فجاء النبي وأبو بكر ـ وقد فرا من المشركين ـ فقالا: يا غلام هل عندك من لبن تسقينا؟ فقلت: إني مؤتمن ولست ساقيكما، فقال النبي: هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل؟ قلت: نعم. فأتيتهما بها فاعتقلها النبي ومسح الضرع ودعا فحفل الضرع ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعرة «كأنها قدح» فاحتلب فيها فشرب وشرب أبو بكر وشربت ثم قال النبي للضرع: أقلص فقلص.. معجزة أكرم الله بها النبي.

وقال ابن مسعود: فأتيت النبي بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول.. فقال الرسول: إنك غلام معلم. فأخذت من فيه سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد.

قد يتبادر إلى الذهن، إن هذا هو سبب إسلامه، فيكون أسلم حين الهجرة وهذا غير صحيح. فلعلّ قصة العنز قبل ذلك فتكون السبب أو أنها

حدثت وهو مسلم. علم عن الهجرة. فأقام يرعى هناك. لأنه أسلم قديماً.. فقد أسلم في السابقين قبل دخول النبي دار الأرقم، والأمانة التي صان بها مال مشرك وطريقة التفاهم التي حصلت تدل على أنه مسلم.. وهو أول من أفشى القرآن في مكة.. جهر به علناً وقريش جلوس في الأندية في المسجد، حتى ضربه أبو جهل وعذبه فلا يبالي يتلو القرآن. وهاجر إلى الحبشة الهجرتين أو الثانية.. كل خير، وأخذ في أرض الحبشة في شيء فرشا دينارين.. أطلق نفسه من عدو وهاجر إلى المدينة فنزل على العالم الحجة الإمام المجتهد معاذ بن جبل.. أو هو نزل على الكريم العظيم سعد بن خيثمة. وآخى الرسول بينه وبين الزبير بن العوّام.. ضعف ابن أم عبد يؤاخي قوة الزبير، حكمة من حكم التآخي تظهر له آثار بعد، حينما تغاضب بطلنا مع عثمان بن عفان وهو خليفة فقد كان الزبير شفيعه ونصيره. وسكن المدينة واقطع الناس الدور فكان ابن مسعود مع بني زهرة أخواله وحليفهم.. فقال بنو زهرة نكب عنا ابن أم عبد. فقال رسول الله ـ وهم أخواله ـ «فلم يبعثني الله إذن؟ إن الله لا يقدس قوماً لا يعطي الضعيف فيهم حقه».. وشهد بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله.. المشاهد كلها.. هذا فخر الفاخرين بالطاعات لم ينله إلا قليل أنعم الله عليهم. رضي الله عنهم.

وفي بدر هو الذي أجهز على أبي جهل.. احتز رأسه بعد أن أثبته ابناً عفراء.. هذا الذي كفر وفخر وأوقد النار وشرب الخمر ليتحدث الناس عنه.. مرغه في التراب طفلان يافعان وقطع رأسه ابن أم عبد النحيف الضعيف. آية الله. قوة الله. «وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى» تصور معي كيف رأت قريش كلها مسلمها ومشركها ابن أم عبد يحمل رأس

الصنديد ويقول: قتلت أبا الحكم: لا شك أنه خبر لا يصدقه أحد ولو لم يروا الرأس بين رجليه. وسئل عن الذين تعنيهم هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ (آل عمران: ١٧٢) فقال: كنا ثمانية عشر رجلاً.

كان صاحب سواد رسول الله.. يعني سره، ووساده، وفراشه.. كان يستر رسول الله إذا اغتسل ويوقظه إذا نام ويمشي معه في الأرض. كان يمشي أمامه بالعصا، فإذا أراد رسول الله أن يقوم ألبسه نعليه ثم مشى بالعصا أمامه حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله. قال له رسول الله: أذنك علي أن ترفع الحجاب، وأن تسمع سوادي حتى أنهاك. فقال أبو موسى الأشعري: لقد رأيت النبي، وما أرى إلا ابن مسعود من أهله. وقال علي: قال رسول الله لو كنت مؤمراً أحداً دون شعور المسلمين لأمرت ابن أم عبد. وتحدث علقمة.. كان عبد الله يشبه بالنبي في هديه ودله وسمته، وكان علقمة يشبه عبد الله.. وسمع حذيفة يقول: إن أشبه الناس هدياً ودلاً وسمتاً بمحمد، عبد الله بن مسعود من حين يخرج إلى أن يرجع لا أدري ما يصنع في بيته.. وقد قال المحفظون من أصحاب محمد: إن ابن أم عبد من أقربهم وسيلة إلى الله.. وكان إذا دخل داره استأنس ورفع كلامه كي يستأنسوا. خلق كريم.. يحدث الأنس في البيت ويزيل كثيراً من أسباب الغضب فحينما يعلم أهل البيت بوصول سيده تكون لهم أو منهم حركة فيها شيء من المسرة وما إلى ذلك، لم ينم الضحى منذ أسلم. وكان يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع، تحدث أحد أصحابه فقال: ما رأيت فقيهاً أقل صوماً من عبد الله ابن مسعود. فقيل له لم لا تصوم؟ فقال: إني اختار الصلاة عن الصوم، فإذا صمت ضعفت عن الصلاة. وسمع علي يقول: أمر النبي ابن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها فنظر أصحابه إلى

حموشة ساقيه فضحكوا منها فقال النبي: «مما تضحكون؟ لَرِجْل عبد الله يوم القيامة في الميزان أثقل من أحد».

وتحدث ابن جوين قال: كنا عند علي فذكرنا بعض قول عبد الله، وأثنى القوم عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً ولا أرفع تعليماً ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعاً من عبد الله بن مسعود. فقال علي: نشدتكم الله إنه لصدق من قلوبكم؟ قالوا: نعم، فقال اللَّهم إني أشهدك اللَّهم إني أقول فيه مثل ما قالوا وأفضل: كان قليل التحدث عن رسول الله.. يتحدث بعلم ويدل ويرشد، ولكن لا يرفع ولا يعزو خشية أن يزل. تحدث ذات يوم بحديث فجري على لسانه.. قال رسول الله فعلاه الكرب حتى رأوا العرق يتحدر من جبهته ثم قال إن شاء الله أما فوق ذاك وأما قريب من ذاك وأما دون ذاك.

كان مهاجره ورباطه في حمص، ولكن عمر حدره إلى الكوفة وكتب إليهم: إني والله الذي لا إله هو قد آثرتكم به على نفسي.. وكان عطاؤه ستة آلاف.. كان من أجود الناس ثوباً ومن أطيب الناس ريحاً. وكان يعرف بالليل إذا مشى بريح الطيب يضوع منه، وكان خاتمه من حديد، ومرض مرضاً فجزع فيه فقيل له: ما رأيناك جزعت في مرض ما جزعت في مرضك هذا. فقال: إنه أخذني وقربني من الغفلة. وحضره الموت فكتب وصيته هكذا يوصي أخاه الزبير بن العوام.. إن حدث به حدث في مرضه هذا. إن مرجع وصيته إلى الله ثم إلى الزبير بن العوام وابنه عبد الله بن الزبير، إنهما في حل مما وليا وقضيا، وإنه لا تتزوج امرأة من بنات عبد الله إلا بإذنهما، لا تحظر عن ذلك زينب، يعني زوجته.. وأوصى أن يكفن في حلة بمائتي درهم.. وقال أدفنوني عند قبر عثمان. وأوصى في

الرقيق عنده: إذا أدى فلان خمسمائة فهو حر. ومات بالمدينة ودفن بالبقيع سنة ٣٢ وهو ابن بضع وستين سنة، وصلَّى عليه عثمان، وكان قد استغفر كل منهما لصاحبه لوحشة وقعت بينهما زالت بعفو منهما جميعاً.. «ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين».

وقال أبو موسى لصاحبه: أتراه ترك بعده مثله؟ فقال: إن قلت ذاك. قلت: إن كان ليدخل إذا حجبنا، ويشهد إذا غبنا.. يعني القرب من محمد، ودخل الزبير على عثمان بعد وفاة عبد الله بن مسعود فقال: أعطني عطاء عبد الله فأهله أحق من بيت المال. فأعطاه خمسة عشر ألف درهم.. وقد كان عثمان حرمه عطاءه سنتين.

وابن مسعود لم يمت فقيراً فقد ترك تسعين ألف درهم ولكن أهله أحق بعطائه، سيرة عطرة. رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

محمَّد بن مَسْلَمَة

محمد بن مسلمة، أنصاري أوسيّ وحليف بني عبد الأشهل الأوسيين.. رهط سيدهم سعد بن معاذ.. وأسلم محمد بن مسلمة بالمدينة على يد مصعب بن عمير، قبل أن يسلم أسَيد بن الحضير وسعد بن معاذ.. سابق في الأنصار وسباق إلى خير. تسمى باسمه محمد قبل أن يسلم، كأنما هي بشارة له بأن يكون من أول الصحاب الذين تسموا باسم الرسول العظيم «سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي».

وآخى الرسول بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح.. وقفة صغيرة ترتاح فيها من لهث أنفاس، من عجب في هذا الاختيار!.. توافق الأخوان في الإسلام يختارهما النبي كل منهما أخ للآخر.. لو شئت أن تجد في الأنصار رجلاً كأبي عبيدة لما وجدت رجلاً منهم يماثله أو يشابهه. سمتاً ووقاراً وأمانة وإيماناً كهذا الذي أخاه محمد بن مسلمة. لقد قلتها من قبل: إن محمداً بطلنا اليوم هو في الأنصار كأبي عبيدة في المهاجرين. فإذا هو أخوه اليوم. هذه أخلاق في ابن مسلمة جعلت عمر يتخذه الوزير المعين والصديق الرشيد، والعدة لكل مهمة، ولما استنجده عمرو بن العاص يطلب منه المدد في فتح مصر أرسل إليه أربعة، كل واحد بألف، أحدهم: محمد بن مسلمة كالزبير بن العوام، كعُبادة بن الصامت، كالمقداد بن الأسود.

ويقول عمر لعمرو: قد أمددتك بأربعة آلاف، عنهم هؤلاء الأربعة:

محمد بن مسلمة ومن معه، فإذا صف الناس للقتال فقدم هؤلاء يستعرضون العدو بعرض صدورهم. بسيوفهم، بهاماتهم العالية.. كل واحد منهم بألف وكل فدائي له في مقام الفداء أعمال عظيمة.

لقد كان محمد بن مسلمة من هامات العرب، أسود طويلاً ضخماً، كعبادة بن الصامت، كالمقداد بن الأسود، عملاق في الجسد وعملاق في الفعال، وعظيم في الرجال. وكلهم ـ ورحمة ربي ـ فارس كريم قد أقام للإسلام مناراً من الفداء والتضحية.. نحبهم من أجله ونحب للناس.. للمسلمين أن يقتدوا بهم في أيام لا ينفع فيها إلا الاقتداء والاهتداء بِهَدْي محمد.. أعني النبي الأمي الرسول العربي، ومن هديه حبّ هؤلاء الذين أقاموا الحق ورفعوا علم التوحيد وسادو بالوحدة في كل الأرض المسلمة. وعلى الذروة منهم محمد بن مسلمة كأبي عبيدة. كسعد بن معاذ وأمثاله من هذا الطراز البكري.. فإن لأبي بكر طرازاً من الرجال على رأسهم سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة وأبو عبيدة بن الجراح.. وأن لعمر طرازاً كأنهم من طينته وأبناء مدرسته كعلي، كخالد، رضي الله عنهم أجمعين.

ومحمد بن مسلمة وقف يسمع لرسول الله وهو يتحدث عن كيد يهود.. نقضوا العهد، وكادوا للإسلام، يبغون فيه الفتنة وفي الناس سماعون لهم يقودهم كعب بن الأشرف وآخرون في خيبر. في المدينة. في وادي القرى.

وتمادى كعب بن الأشرف في أذاه يؤلب العرب. ويقوي قريشاً.. وقريش جاهزة لقبول هذا الإغراء، فقد ارتاحت لعدو يكيد لمحمد لعلّها تنال منه بيد غيرها.. فالقرشي قد فكّر فمنعه تفكيره من أن يدخل في معركة سافرة مع محمد يتعلل بالقرابة والدم والنسب فأعلنوا الموقف السلبي

وارتاحوا لهذا اليهودي يؤلب العرب على الإسلام.. وجدوا في كعب عوناً لهم ووجد كعب فيهم عوناً له.. ومن هنا تظهر خطورة هذا اليهودي.

وقال رسول الله ﷺ: من لكعب بن الأشرف؟.. ونترك البخاري يتكلم في الجامع الصحيح:

ـ قتل كعب بن الأشرف ـ حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله». فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال نعم. قال فأذن لي أن أقول شيئاً. قال قل: فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألناه صدقة، وإنه قد عنانا وإني قد أتيتك استسلفك قال وأيضاً والله لتملنه. قال أنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر وسقا أو وسقين فقلت فيه وسقاً أو وسقين فقال أرى فيه وسقاً أو وسقين فقال نعم أرهنوني قالوا أي شيء تريد قال: أرهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب. قال فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم. فيقال رهن بوسق أو وسقين. هذا عار علينا ولكنا نرهنك للأمة. قال سفيان يعني السلاح. فوعده أن يأتيه. فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم فقالت امرأته أين تخرج هذه الساعة؟ فقال إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. وقال غير عمرو. قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة: إن الكريم لو دعي إلى طعنه بليل لأجاب. قال وأدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، قيل لسفيان سماهما

عمرو. قال سمعت بعضهم. قال عمرو: جاء معه برجلين وقال غير عمرو أبو عيسى بن جبر والحارث بن أوس وعباد ابن بشر قال عمرو: جاء معه برجلين فقال إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه. وقال مرة ما رأيت كاليوم ريحاً أطيب. وقال غير عمرو قال عندي أعطر الناس. قال نعم فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال نعم. فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه.

وكبر الرسول ﷺ حين سمع الخبر وكبر الصحابة وقال الرسول لمحمد بن مسلمة: أفلحت الوجوه وقال محمد بن مسلمة أفلح وجهك يا رسول الله.. وذلك لأن الله قتل عدواً فاجراً بيد أحدهم بطعنة من محمد ابن مسلمة.. أي موقف هذا؟ إنها فدائية وشجاعة حمل إليها وصنعها الإيمان.. هدي محمد في أصحابه الأكرمين وفضل الله عليهم أجمعين. وشهد محمد «بدراً» و «أحداً» و «الخندق» والمشاهد كلها.. كلمة تعجز الفاخرين أن يفخروا بشيء بعدها إن لم يكونوا من أهلها. وكان محمد من الذين ثبتوا يوم «أُحد» فلم يُولّ ولم يستذله الشيطان.

ولم يشهد تبوك من مشاهد الرسول، لماذا تخلف؟ لماذا قعد؟ إن هذا لم يحدث من مثله.. أهو من المتخلفين؟ أم من الذين خلفوا أو من المعذرين؟.. لا. ثم لا. إنه من غير هؤلاء أستخلفه النبي على المدينة أو على بعضها كعلي، فهو وعلي ـ وما أكبر علياً ـ قد تخلفا عن تبوك عن جيش العسرة بأمر النبي يحفظان المدينة، فهما في مهمة لا تقل عن مهمة الحرب.

وتحدث محمد عن نفسه يقول لبنيه ـ وقد كانوا عشرة ـ يا بني سلوني عن مشاهد النبي ومواطنه فإني لم أتخلف عنه في غزوة قط إلا واحدة هي

تبوك، خلفني على المدينة، وسلوني عن سراياه فإنه ليس منها سرية تخفي علي إما أن أكون فيها أو أن أعلمها حين خرجت. ولما خرج رسول الله ﷺ إلى عمرة القضاء بعد الحديبية وانتهى إلى ذي الحليفة قدّم الخيل أمامه، مائة فرس، واستعمل عليها محمد بن مسلمة.

وتوفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عن ابن مسلمة وتولى أبو بكر فكان موضع رضاه فلما تولاها الفاروق أتخذ من ابن مسلمة فارسه. صديقه، وزيره وجعل منه عصا المؤد وسياط الأمير لما له من السبق والتقوى والأمانة يبعثه إلى امرأته منفذاً أمره لا يزيد ولا ينقص، سمة الطاعة وطبيعة التقوى وإلا فلو شاء محمد بن مسلمة أن يزيد أو أن ينقص لفعل فلديه قدرة اللسان وصولة الجنان، ولكنه لم يفعل. أرسله إلى عمرو بن العاص.. «دعني مما ذكرت وإني مرسل إليك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك فمكنه وأعفه من الغلظة عليك». وذهب ابن مسلمة إلى عمرو في الفسطاط فجلس إلى عمرو وعلى مائدته فلم يذق من طعام عمرو.. وتكلم عمرو هل منعك عمر أن تذوق طعامي؟ فقال: لا. ما منعني من طعامك ولكنه لم يأمرني أن آكل منه. وكان محمد قد وضع على المائدة قرصاً من شعير ويتأدم بملح. وجزع عمرو فقال قاتل الله زماناً عملنا فيه لعمر بن الخطاب، لقد رأيت الخطاب وابنه عمر في دروب البطحاء وعليهما شملتان لا تغطيان أرساغهما والعاص بن وائل. يعني أباه يتبختر في الديباج الموشي بالذهب.. وقال محمد بن مسلمة: أما أبوك وأبو عمر ففي النار وأما أنت فلولا ما وليت لعمر لكنت في شعب مكة تحلب شاة قد لا يسرك ما يشخب ضرعها.. فقال عمرو: المجالس بالأمانة. فقال محمد: أما وعمر حي فنعم. كأنما لا يريد أن يضيع على الناس سيرته وسيرة عمر بل وسيرة

الإسلام كله. هذا الذي وقع مما هو عدل عمر. وطاعة عمرو وفطنة محمد. وأناة ابن مسلمة رضي الله عنهم أجمعين.

وأحرق على سعد داره في الكوفة بأمر عمر وبطاعة سعد.. أنكر عمر على سعد بن أبي وقاص أن يجعل له قصراً بالكوفة، فأرسل ابن مسلمة فقدح الزناد وأحرق القصر، ولا أدري أيعجب الناس من صنيع عمر أم من خضوع البطل الفاتح صاحب القادسية، ممصر الأمصار، فارس أحد والمفدى يومها من رسول الله «فداك أبي وأمي يا سعد؟» هذا البطل يخضع فلا يقول كلمة لمحمد بن مسلمة، إنها فضائل قامت في تاريخنا، لا أدري أتعود أو أنها ذهبت مع الذاهبين، إنها لمصيبة نسترجع منها إلى الله ولي الأمر والتدبير.. أن تكون في ضيعة بين الأمم وقد كان ماضينا وفيه ابن مسلمة وأمثاله قادة الأمم.. وقتل عمر وتولاها عثمان بن عفان فجلس محمد بن مسلمة يعين ولا يخالف لأن لديه أمراً من رسول الله.. أعطاه رسول الله سيفاً وقال له: قاتل به المشركين ما قاتلوا فإذا رأيت المسلمين قد أقبل بعضهم على بعض، فأت به «أُحد» وأضربه حتى تقطعه ثم أجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية. وبنص آخر قال: يا محمد بن مسلمة، جاهد بهذا السيف في سبيل الله حتى إذا رأيت من المسلمين فئتين تقتتلان فاضرب به الحجر حتى تكسره ثم كف لسانك ويدك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة.. فلما قتل عثمان وكان من أمر الناس ما كان خرج إلى صخرة في فنائه وضرب الصخرة بسيفه حتى كسره.. ولم يدخل في فتنة كسعد بن أبي وقاص، كعبد الله ابن عمر، رضي الله عنهم.

وقد كان فارس نبي الله عرف بهذا في عهد رسول الله فلما جاءت الفتنة وكسر سيفه الحديد أتخذ سيفاً من خشب قد نحته وسيره في الجفن معلقاً في البيت فلما سئل عنه قال إنما علقته.. أهيب به ذعراً.

ومات محمد بن مسلمة في المدينة في صفر سنة ست وأربعين، وهو ابن سبع وسبعين سنة.. وصلّى عليه عامل المدينة مروان بن الحكم. وفي رواية أن نفراً من أهل الشام دخلوا عليه في بيته فقتلوه لعلّهم تعمدوا أو لعلهم سلطوا.. ولعلّ ذلك قد كان في وقعة الحرة.. ترك الفتنة وقتل شهيداً. رضي الله عنه.

* * *

بَـدْر.. أمُّ الأبطَـال

«سيهزم الجمع ويولون الدبر».. آية كريمة مكية. نزلت وعائشة جارية تلعب.. وسأل عمر حينما سمعها وتلاها.. أي جمع هذا سيهزم؟ ولم يجد الإجابة جاهزة حينما سأل. وسأل غير عمر. فالجمع غير معروف والوقت لم يحن بعد.. وحل الأجل المضروب، وهلّ حين مكتوب، فنبَّأت السيوف المسلمة في يد المؤمنين في بدر، السائلين.. يشهدون الجمع الكثير، والجم الغفير، وصناديد النفر قد انهزموا.. فأضحوا ـ وهم سادة الوادي كما يلقب بعضهم بعضاً ـ أشلاء في وادي الصفراء «في بدر» بعضهم القتيل وبعضهم الأسير، وكلهم المندحر الحزين.. وذهب من بقي منهم فعاش كافراً في ذلة وآمن بقية فأضحوا سادة وقادة بعد الهداية والصلاح.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (الأنفال: ٧).

وآية كريمة تفسر ما تعنيه معركة بدر، وكل ما يراد من بدر تجده في سورة الأنفال كأنما هي الغزوة قد شرحت أتمّ شرح في بيان القرآن الكريم. فالحرب يلمع فيها سيف، ويطعن فيها رمح، ويرمي فيها بنبل، لم تكن في ذاتها في حساب أحد من الفريقين.

قريش خرجت تحمي عيرها بنفيرها. ومحمد خرج يطلب العير. ولا ينظر إلى النفير. أراد غير ذات الشوكة، وأراد الله ذات الشوكة «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى». وقريش تجنبت خوض معركة سافرة وجهاً لوجه مع محمد.. لم تباشرها حينما كان بين ظهرانيها في مكة يدعو إلى التوحيد ويسفه آلهتهم.. لم يشهروا الحرب الساخنة بالحديد، وإنما كانت حرباً باردة، فيها الأذى والتعرض، والكيد. والإعداد لاغتياله ليلة الهجرة.. تجنبوا السلاح صوناً لجماعتهم من الفرقة وإثارة الأحقاد. والنبي عليه الصلاة والسلام تجنب الحرب سافرة مع قريش، فلم يحن وقت إعلانها، فلما هاجر بدأت الحرب الباردة بين الفريقين تسخن، تشتعل بالسرية تلو السرية. يبعثها الرسول يقطع الطريق على قوافل قريش.. فكانت بدر. وقعت الغزوة الفاصلة. فبدر كيوم فاصل حاسم في تاريخ الإسلام.. أمر ظاهر للعيان. لها شأنها الأول الكبير في تقرير النصر للإسلام للحضارة، للإنسانية كلها.. في حينها وما بعد حينها إلى يوم يبعثون.. فلولا رمية من الله في بدر ونصره المؤزر فيها لما كانت اليرموك ولما كانت القادسية، ولم تكن حطين ولا عين جالوت وما كان أبطالها خالداً، وسعداً، وصلاح الدين، والملك المظفر (قطز) ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال: ١٠ ـ ١١).

والمعركة تصنع البطل أو هو البطل يصنع المعركة.. كل ذلك أمر قد يكون في احتمالات الأحداث وأوضاع البشر. أما في معركة بدر فشي

آخر.. فقد صنعها الله.. فكانت أم الأبطال. أم تاريخنا الحربي..

أبطالنا الذين شهدوا بياض السيوف المرصعة في يد المشركين، وشهد العدو في صمتهم ووقارهم الصارخين الرهبة والخوف.. كأنما وجوه أبطالنا في عين عتبة بن ربيعة. وجوه الحيات الأفاعي.. هو قال ذلك. يدعو قومه إلى الرجوع حينما نجت العير.. لم يرجع الذين دعا عليهم النبي بذكر أسمائهم أمام الكعبة.. عتبة وشيبة وأبو جهل وابن أبي معيط.. أرادوا القتال فاخرين أو مكرهين.. فقتلوا..

ورجع الزهريون «رهط سعد بن أبي وقاص» ورجع العدويون «رهط سعد بن أبي وقاص» ورجع العدويون «رهط عمر» فلم يشهدها زهري ولا عدوي.. تخاذل له ما بعده، لأن وجه الحق في هذه المعركة لم يكن بيِّناً لقريش، إنما هو العناد في بعضهم والمجاملة في البعض الآخر.

والمعركة لا بد أن تقع، فقريش أصبحت بعد التحول الذي طرأ على طرق القوافل في حال قلق.. فانتقل إلى أن يسير عبر الحجاز بدلاً من عبوره الشام والعراق.. لأن حرب الدولتين الإمبراطوريتين.. فارس والروم، قد ألزمت رواد التجارة أن يعدلوا عن طريق الشرق عبر الجزيرة إلى طريق الغرب عبرها أيضاً، وقريش كانت العميل الوسيط والرائد المحرك في هذا الطريق.. فالأمن فيه حياتها، وقطعه موتها.. ومحمد قد قطعها وكاد.. فالوضع عند قريش حياة أو موت لمجتمعها فلا بد أن تصون الأمن لطريق قوافلها.

والوضع بالنسبة للإسلام كذلك، فلا بد من القضاء على بؤرة الفساد في رؤوس هؤلاء من قادة قريش.. يقتلون أو يسلمون.. حتى يعم التوحيد العرب، وينتظم الجمع في سلك وحدة تقود إلى خير، وتهدي إلى رشد.

وخرجت العير ذاهبة إلى الشام يحرسها ثلاثون رجلاً. يقودها أبو سفيان وفيهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وندب الرسول أصحابه، فأسرع من اسرع وابطأ خلق كثير. لم يلم أحداً، وفاز بالسبق الذين أنعم الله عليهم فكانوا من أهلها «وما يدريك لعلّ الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

وأرسل أبو سفيان عيونه، فأخبر الخبر، فساحل بالعير ينجو بها، لا يمر على بدر وإنما يمر بين الرايس وبدر. وجاء النفير إلى وادي الصفراء في العدوة القصوى على فم المضيق. مجاز السيل إلى البحر. وسمع أبو سفيان بخروج قومه وبقائهم بعد نجاة العير للحرب.. فقال: واقوماه! هذا عمل عمرو بن هشام. يعني أبا جهل.. كلهم توقع الهزيمة.. عتبة خشيها حتى كأنه ينظر إليها. حتى لقد افترض أن كل واحد من أصحاب محمد وعددهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، سيقتل مثلهم من قريش، فما هو الكسب؟.. وأبو سفيان توقعها وتحسر على قومه.. والذين رجعوا زهريهم وعدويهم توقعوها، وأمية بن خلف خرج إليها مع النفير وهو رجل خائف من حديث حدّثه به صاحبه.. صفيه «سيدنا سعد بن معاذ» خرج سعد معتمراً إلى مكة قبل بدر ونزل ضيفاً على أمية بن خلف وكان صديقه هذا ينزل عند الآخر كلما ذهب أحدهما إلى مكة أو ذهب الآخر إلى المدينة. وتحين خلوّ البيت في ظهيرة فخرج سعد يطوف، فرآه أبو جهل فنهر سعداً وعاتب «سيد الوادي» أمية بن خلف، واعتذر أمية بن خلف ـ لسيد الوادي ـ أبي جهل.. وقال سعد في سياق حديث لأمية: أخبرني رسول الله إنهم قاتلوك. يعني أمية فقال أمية لسعد: لا أعلم! فحلف أمية ألا يخرج منها. فلما صرخ النفير تخاذل أمية وعاتبه أبو جهل فخرج مكرها لا ينزل منزلاً إلا عقل بعيره بجانبه يتحين فرص الفرار.. ولكنه الوعد، ولكنه عذاب

بلال. قد ساقه لحتفه لم يحمه حذر، ولم يشفع له صديق كعبد الرحمن بن عوف فقتله بلال.

هذا شأن المشركين خذلان وخذلان وتخاذل، فلا عجب إن حان بهم الأدبار وحقت عليهم الهزيمة. أما حال المؤمنين فإيمان وصمت ووقار وتضحية وفداء في أكثر من مثل، وفي أكثر من بطل، فلكل واحد منهم موقف لا يشاركه الميزة والبطولة الآخرون.

تحدث علي بن أبي طالب في حديث أذكر أن صاحب تحفة الأنام قد عزاه إلى البزار، أرويه بما أحفظه من معناه فقد مضى على ذلك زمن ليس بالقريب، قال علي لأصحابه: أخبروني عن أشجع الناس؟ فقالوا: أنت.. قال: أنا ما قابلت أحداً إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني عن أشجع الناس. قالوا: لعلّك تعلم غير ما تعلم. فقال: ذلكم أبو بكر. كنا إذا احمرت الحدق وحمي الوطيس لذنا برسول الله فنجد أبا بكر قد ثبت معه.. لقد رأيته يوم بدر قائماً يحمي عريش رسول الله.. ولقد رأيته يدافع عن رسول الله حينما خنقه ابن أبي معيط.. وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. وقال علي بعد ذلك: أتفضلون مؤمن آل فرعون على أبي بكر، والله لساعة من أبي بكر خير من ألف سنة من مؤمن آل فرعون.. ذلك رجل كتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه.

ويعجب المؤرخون من قلة المسلمين (٣١٣) وكثرة قريش (٩٥٠ و١٠٠٠) فكيف انتصر الإسلام ومعهم فرسان. فرس المقداد، وفرس أبي مرثد، وسبعون بعيراً تعاقبوا عليها، ومع قريش مائة فرس، وألف بعير. لا عجب.. هنا المعجزة. ضعف قريش جاءهم من الكثرة، من القوة، وقوة المسلمين جاءت من ضعف عدتهم وقلة عددهم.. والسبب النفوس والمكان. مكان المعركة..

بدر وادي يضيق أكثر وأكثر في منزل قريش ويتسع اكثر وأكبر في منازل المسلمين. رأى الفارس المحنك، صاحب راية في الأنصار يومه.. الحباب بن المنذر: نزلت قريش في مكان على فم المجاز من مخرج السيل إلى البحر يسيح في البيداء الواسعة. كأنما تريد أن تسد الطريق على المسلمين لا يعبرون.. مع أنه عند المسلمين طريق آخر خلفهم.. المكان ضيق.. المطر. ضيق المهرب لا يكفي للكر والفر لمائة فرس وألف بعير، وألف راكب. كلهم صف واحد فكان البراز.. «هذان خصمان اختصموا» فقتل عتبة وشيبة والوليد بن عتبة.. فكانت قاصمة لقريش أفزعتهم حينما رأوا رجلاً من القريتين عظيماً قد قتل «عتبة» وخصمان اختصموا، وهم الستة الذين تبارزوا «حمزة وعلي وعبيدة ابن الحارث، وعتبة وشيبة والوليد» والمكان الضيق قد أنتفع به المسلمون يتصيدون من يريدون فيقتلون ويأسرون وخفة السلاح. وخفة المركب جعلت المسلم فدائياً خفيف الحركة لا يعوقه عائق، وثقل العدة وكثرة القوة أثقلت قريشاً، فأبطأت بهم الحركة، المطر خير على المسلمين يغيثهم به وهو شر على قريش يعطلهم به، ولو أن قريشاً استقرت خارج الوادي تشرف على الساحل وتقيم خارج المجاز، لتغيَّر وجه المعركة.. ولكنه الله صنع كل ذلك.

والأسرى والفداء، كل ذلك عجب.. وأعجب منه أن تفتح مدرسة في المدينة يكون المعلم فيها الأسير القارئ الكاتب لعشرة من صبيانها. إذا ما تعلموا أطلق سراحه.

إنها حياة النبي وأعمال الإسلام وجلال الله.. فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولعلّها عظمة اليوم ـ ١٧ من رمضان ـ ترسلها على جريدة. تفيد ولا تضر. وتخشع منها قلوب مؤمنة في بلد المسلمين المؤمنين.

* * *

أمُّ كُلثوم بنتُ عُقْبَة

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيْط بن أبي عمرو بن أمية.. أموية، عبشمية. أسلمت بمكة وبايعت قبل الهجرة وهي أول من هاجر من النساء بعد أن هاجر رسول الله ﷺ. ورضي الله عنها.

أكبرتها في نفسي، ارتفع قدرها حينما قرأت عنها، فكثير منا لم يسمع عنها، فأحببت أن أكتب سيرتها القصيرة العريضة. ليس فيها بطولة الأعمال وكبير الفعال.. وإنما فيها بطولة الإيمان.. إيمان امرأة وحدها في عائلة ومن قوم كلهم مشرك، وأكثرهم زعماء الحرب على محمد. ويكفي أن نذكر أن أباها هو عقبة بن أبي معيط..

لقد كان عقبة أشد الناس أذى لرسول الله.. يقذفه بالسباب، يلقي عليه الفَرْث وهو يصلي.. يمسكه في المسجد الحرام يخنقه.. كل هذا يفعله أبوها وأهلها وهي ترى.. فتسلم. تؤمن بمحمد. إنه الهدى من الله. وإنه الاستقلال بالذات وبالرأي.. والجرأة في إعلان الحق.. امرأة من قوم العرب فعلت ذلك لا تخاف.. ثم يقال لقد كان العرب لا شيء!. وهل من تعظيم الإسلام أن ينتصر.. ينتشر بلا شيء؟ إنهم شيء.. وشيء كبير، منّ الله عليهم بالهدى.. ليكونوا الشيء الأكبر في بني الإنسان، بالهداية ينشرون.. وبالمعرفة بنور الحق.. بالتوحيد يعتزون. وبالوحدة ينتصرون.. ثم بالتخاذل والفرقة ينهزمون.

قال ابن سعد (رضي الله عنه) في الطبقات: ولم تعلم قرشية خرجت من بين أبويها مسلمة مهاجرة إلى الله ورسوله إلا أم كلثوم بنت عقبة، خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلاً من خزاعة حتى قدمت المدينة، في هدنة الحديبية فخرج في أثرها أخواها الوليد وعمارة ابنا عقبة فقدما المدينة من الغد من يوم قدومها.. وتكلم الوليد يريد أخذها عملاً بشرط الحديبية. يرد إلى المشركين من أسلم من ذكر وأنثى.. وقال أخواها: يا محمد، وَفِىٰ لنا بشرطنا وما عاهدتنا عليه.. وسمعت أم كلثوم بغرض أخويها. فقالت: يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء إلى الضعفاء ما قد علمت. أفتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني ولا صبر لي؟

وسمع الله.. وتكلم الرحمن، ونزلت آيات الكتاب، وحكم القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ (الممتحنة: ١٠ ـ ١١) يعني المرأة تعامل بالمثل.. إن أمسكوا صداقها أمسكنا وإن طلقوا مسلمة أعدنا إليهم صداقها. المال نعوّض عنه. أما النفس المؤمنة فلا نردها.. والله نقض هذا الشرط من شروط الصلح في الحديبية.. ثم جاءت قريش ترجو هي نقضه حينما أعجزها أبو جندل وأبو بصير ومن معهما، وهذا المخرج لهما من صنع الله. من التوفيق يهتدي إليه ذكاء المؤمنين.

وامتحنها رسول الله «والله ما أخرجكن إلا حب الله ورسوله والإسلام

وما خرجتن لزوج أو مال».. وقالت ذلك كما قالته أخوات لها بعدها.. وقال رسول الله لأخويها الوليد وعمارة: قد نقض الله العهد في النساء بما قد علمتاه فانصرفا. لم ترجع معهما.. بقيت في المدينة ولم يكن لها حين هاجرت زوج.. فتزوجها زيْد بن حارثة. الحب. مولى رسول الله. وقتل عنها يوم مؤتة.. ولعلّ زواجها وهي الأموية الفارعة النسب من زيد إنما كان لشيء منها. ولشيء منه، أما منها فهو الإيمان لا تعبأ بهذا الذي يقال. عبد. مولى. إنه المؤمن وكفء لها بإيمانه.. ثم هو كلبي من رؤوس «كلب»، فأصله فارع عزيز، وأما الذي منه فهو الكلاءة من رسول الله تزوجها، صاحبه. صديقه الأثير الحبيب عنده. رجل من أهل بيته، كأنما هو الرسول العظيم قد سأله نفسه عنها يحميها جزاء وفاقاً تكريماً لهجرتها، ولإسلامها.

وقتل عنها زيد شهيداً في مؤتة. فهو صاحب رايتها الأول.. فتزوجها الأسد الإسلامي الزبير بن العوام، فولدت له زينب. وكانت في الزبير شدة على النساء وما أعظم أسماء بنت أبي بكر حينما تذكر كيف كانت تصبر على شدة الزبير.. وكرهت أم كلثوم العيش مع الزبير لشدته وكانت تسأله الطلاق فيأبى عليها. ولكن هذه السيدة الحصيفة استعملت ذكاءها.. صبرت حتى ضربها الطلق. طلق النفساء فألحت عليه وهو يتوضأ للصلاة فطلقها تطليقة.. أراد الخلاص من مشكلة مؤقتة. ثم يراجعها.. ولكنها تعرف ذلك.. فلما خرجت أو كادت وضعت فأنبتَ الطلاق. انتهت العدة بالولادة.. فأدرك الزبير إنسان من أهله، فأخبره أنها وضعت فقال أبو عبد الله: خدعتني خدعها الله! فأتى النبي فذكر ذلك له فقال الرسول: سبق فيها كتاب الله فأخطبها. فقال إنها لا تريد الرجوع. وتزوجت عبد الرحمن بن عوْف فولدت له إبراهيم وحُميْداً، ومات عنها.. فتزوجها عمرو بن العاص

فماتت عنده. لقد كانت سيدة عظيمة خيرة، لها العزة في قومها.. جدها حرب. من أب قاد كنانة يوم الفجار وسيد الوادي بحق.. وجدّها عبد شمس كأخيه الشقيق التوأم هاشم له مكان الصدارة في المجتمع الذي أسسه جدها قصي بن كلاب، فهي ابنة لعبد مناف، أصحاب الصدارة في مكة. وجدها لأبيها أبو عمرو كان يسمى: ذكوان، ويعيبه النسابون أنه لم يكن ابناً لحرب ابن أمية من صلبه. لم يكن شقيقاً لأبي سفيان وإنما هو عبده ألحقه حرب بنسبه وصيَّره ابناً له. ذلك قول العيَّابين من النسابين. أما معاوية فقد شهد أنه ابن حرب. يعني عمه. وبذلك يكون الوليد بن عقبة المؤمر على الكوفة ابن عثمان وأخو صاحبة السيرة اليوم ابن عم لمعاوية وأخ لعثمان ابن عفان من أم.

ولا بأس أن أبيح لنفسي، فأرويها ملحة بين معاوية رضي الله عنه وبين أحد المشيخة من قريش في هذا الموضوع، سأل معاوية بن أبي سفيان بن حرب أحد مشيخة قريش: هل رايت أحداً من علية قريش، وكان معاوية كبير الاعتزاز بقومه. الأمويين. قريش. كنانة. مضر. عدنان. العرب. والأمويون أول من أشعل نار القومية العربية. فلم يكن في دولتهم لغير العربي حول أو سلطان. فقال الشيخ: لقد رأيت عبد المطلب بن هاشم، ورأيت حرب بن أمية.. فقال معاوية صفهما لي؟ فقال الشيخ هذا شيء فعلتموه أنتم أبيض طوالاً كأنما وجهه هالة بدر. يحف به عشرة من بنيه كأنهم أسد غاب. ورأيت حرب بن أمية رجلاً قصيراً دميماً، أعمى يقوده عبده ذكوان.. فقال معاوية: ذلك ابنه أبو عمر وجدّ أم كلثوم هذه؟. فقال الشيخ هذا شيء فعلتموه أنتم يا بني أمية، لا نعرفه، ولا تعرف قريش. لا أدري أتعجب من صراحة الشيخ، أم من سعة الصدر. الحلم في معاوية؟ لا عجب. هذه طريقة العرب في مجالسهم إنها باقية حتى اليوم. فلو أن رجلاً

عني بجمع ما يجري فيها الآن من بديع الكلام ومترف القول وجريء الرأي، لكان العجب، إنهم فرع من أصل، وجميل من الناس أعطاه الله فصاحة اللسان. في القصر. في الكوخ. في بيت الشعر. سواء منهم الأمير الخطير أو الفقير الراعي في رأس جبل.

رضي الله عن أم كلثوم فإنها خير من كثير من أهلها.. فقد ذهب أبوها يلقي جزاءه يوم يبعثون، قتله النبي صبراً مأسوراً ببدر. وأسلم أخوها الوليد، حتى ولاه عثمان بن عفان الكوفة حينما عزل سعداً.. والوليد بن عقبة هو الذي نزلت فيه هذه الآية حينما أرجف ببني المصطلق يقول للنبي شيئاً عنهم، ليس فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات: ٦).

كاد النبي يغزوهم. لأنه سمع لأرجاف الوليد.. وهم بريئون، لم يريدوا شراً.. فبرأهم الله.

وحينما ذهب الوليد بن عقبة إلى الكوفة.. قال له سعد بن أبي وقاص: لا أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس. وسكر الوليد وهو أمير الكوفة، وصلَّى الصبح بالناس أربع ركعات، ثم التفت إلى من وراءه. وفيهم ابن مسعود ابن أم عبد.. وقال لهم الوليد: هل أزيدكم.. فقال ابن مسعود: ما زلنا في زيادة معك منذ اليوم، وعلم عثمان فعزله وجلده في الخمر.

رضي الله عن صحابة الرسول جميعهم، ورحمنا الله بحبهم أجمعين.

* * *

قَـتَـادَة بـنُ النُعْمَـانُ

قتادة بن النعمان.. الأوسي. الظفري. الأنصاري. وهو أخو أبي سعيد الخدري لأمه، وأمهما أنيسة بنت قيس النجارية. وكنيته أبو عبد الله. أبوه اسمه نعمان. أما والد أبي سعيد الخدري فمالك بن سنان. أحد الذين استشهدوا في أحد. أصيب بجراح ونزل إلى المدينة فمكث أياماً توفي بسببها. وقبره في طرف المناخة الغربي، ويغلط بعض الناس فيحسبون أن القبر لمالك بن أنس. ومن الخرافات التي شهدناها خوف الشاميين من ذكر اسمه، واحترامهم له، ولا أدري من أين جاء ذلك؟ وقتادة صحابي سابق شهد «بدراً» وشهد «أُحداً». وهو أول من دخل المدينة بسورة من القرآن يجمعها وهي سورة (مريم) وأصيبت عينه يوم بدر. وقيل يوم أُحد فسالت حدقته على وجنتيه. فأشار بعضهم أن يقطعها. وأشار آخرون أن يتركها مدلاة حتى يستأمروا رسول الله، واستأمروا الرسول، فقال: لا. وأدني قتادة. فوضع راحته على حدقته ثم غمزها.. أدخلها في محجرها فرجعت كما كانت مبصرة مضيئة. لا يدري أي عينيه ذهبت. وتحدثوا أنها كانت أصح عينيه. وسمع عمر بن عبد العزيز أخواله وأعمامه يتحدثون عن ذلك فقال:

تـلـك الـمـكـارم لا قـعـبـان مـن لـبـن شـيـبـا بـمـاء فـعـادا بـعـد أبـوالا

وعمر بن عبد العزيز لا يصف بهذا المعجزة من النبي، وإنما يصف المكرمة. أكرم الله بها الصحابي. وكان يوم حنين من الثابتين الظافرين.

وتحدث قتادة فقال: هاجت السماء فخرج النبي ﷺ لصلاة العشاء فبرقت بارقة. فرأى النبي قتادة بن النعمان فقال له: ما السر يا قتادة؟ فقال قتادة: يا رسول الله. إن شاهد العشاء قليل. فأحببت أن أشهدها.. كأنما يعني أن يكثر به سواد المصلين. في العتمة. وقال له الرسول: فإذا صليت فأت. فلما أتى أعطاه عرجوناً وقال خذ هذا فسيضئ لك. فإذا دخلت البيت ورأيت سواداً في زاويته فاضربه قبل أن يتكلم فإنه شيطان.

وتحدثوا أنه كان في صورة قنفذ. قتله الله بيد قتادة. يضيء له عرجون يابس، وكأنا هما معجزتان خص الله بهما قتادة.. رد الله عينه بعد أن أعماه، وأزاح عنه الشيطان بهذا العرجون يشع منه نور. إنه نور الإيمان وإنهما معجزتان لنبي الإسلام أكرم الله بهما صحابياً جليلاً. رضي الله عنه.

* * *

عَبْـدُ اللَّهِ بْـنُ رَوَاحَـة

عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي يكنى أبا محمد وقد يكنى بأبي رواحة. كان أحد النقباء ليلة العقبة. شهد بدراً وما بعدها.. كما شهد المشاهد كله.. بخ.. بخ.. المشاهد كلها..

ويعني هذا أنه من بناة أمجادنا، من أنصار إسلامنا الأولين الباذلين الأكرمين.. والمشاهد كلها شرف تقطع دونه أعناق الرجال.. وقد قطعت عنقه في مؤتة شهيداً بعد من؟

حمل الراية زيد فأصيب زيد الخير. الحب. ابن الحب. أسامة. حبيب رسول الله. مولاه. ابنه قبل النهي. وأخذها جعفر بن أبي طالب المهاجر الأول. والمناضل الأول. ابن عم رسول الله. صديقه وحبيبه. وأشبه الناس به.. كان جعفر أشبه الناس برسول الله فهو أحد اثني عشر رجلاً من بني عبد المطلب، كلهم يشبه النبي. في الذروة منهم جعفر وأبو سفيان بن الحارث وقثم ابن العباس.

أخذها ذو الجناحين، وقطعت أوصاله وهو يحتضن الراية.. فلما عجز عنها وفاضت روحه إلى بارئها، أخذها البطل الشاعر عبد الله بن رواحة.. قاتل الروم حتى قتل فاستشهد.. نال الأمنية. الحظوة عند الله.

وتلفت الناس يفتشون عمن يأخذ الراية بعد أن قتل هؤلاء.. فأخذها

رجل من الأنصار. لا يريدها لنفسه. وإنما ليضعها في يدي صاحبها المرجى.. وقد وجده، وجده خالداً في تاريخنا، أحد الذين صنعوا أمجادنا ومفاخرنا، وأحد الذين نشروا إسلامنا.. ومن هو؟ هو أبو سليمان سيف الله صاحب الفتوح. قاهر الردة. قائد يومنا الثاني.. اليرموك. خالد بن الوليد. وأخذها خالد فنظم الجيش وكر. وقلب الميمنة ميسرة. والميسرة ميمنة. ليعمي على الروم. وتقهقر فأنقذ الجيش. أنقذ البقية من جيش مؤتة «أخذ الراية زيد فاصيب، وأخذها جعفر فاصيب، وأخذها ابن رواحة فأصيب، ثم حملها سيف من سيوف الله ففتح الله عليه» وأين الفتح؟ في الانسحاب؟ هكذا قال أهل المدينة. قابلوا جيش مؤتة على أطراف المدينة. يحثون في وجههم التراب. ويقولون: إنهم الفُرّار. وقال الرسول: إنهم المكْرار. وأنا ردء لهم.

والانسحاب لإنقاذ الجيش يعد في تاريخ الحرب في العالم اليوم من الأمجاد للقادة. فالانسحاب في «دنكرك» كان عملاً رائعاً.. يحسبه الإنجليز من أسباب انتصارهم في الحرب، وبعده انسحاب رومل في «العلمين» كان عملاً عظيماً أطال مدة الحرب على الحلفاء.

والبطل ابن رواحة. كان أحد الذين نسجوا من البطولة ألواناً.. من الإيمان. فهو في السابقين من الأنصار أحد النقباء. وكان من المبرزين في العلم. ومن النابغين في الشعر. كان شعره نضالاً عن الإسلام ودفاعاً عن رسول الله ﷺ.

آخى الرسول بينه وبين من؟ بين فارسه المقداد بن الأسود.. وكان أحد الذين كتبوا الوحي. وحينما انتصر الإسلام في بدر كان ابن رواحة هو البشير بالنصر إلى عاصمة الإسلام.. مهجر محمد.. المدينة.

وبعثه النبي في سرية من ثلاثين راكباً إلى اليهودي الفاجر. أسير بن رقرام بخيبر. فذهب وعاد منتصراً حينما قتل اليهودي. وكان ابن رواحة إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: تعال نؤمن بربنا ساعة.. وقال الرسول يثني عليه «نعم الرجل عبد الله بن رواحة» وقال في ثناء آخر «إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة» وأي مجالس هذه؟ إنها مجالس الإيمان والصلاة والكلم الطيب.

ودخل ابن رواحة المسجد والنبي يخطب. فسمعوا الرسول يقول: أجلسوه. فجلس البطل مكانه خارجاً من المسجد. فلما فرغ النبي من خطبته قال: زادك الله حرصاً على طواعية الله، وطواعية رسوله.

ومرض ابن رواحة فأغمي عليه. فعاده رسول الله ودعا له بقوله: «اللَّهم إن كان أجله قد حضر فيسرِّه عليه وإن لم يحضر أجله فاشفه». فشفاه الله بعد ذلك.

وتزوج رجل امرأة «عبد الله بن رواحة». فسألها عن صنيعه فقالت: كان إذا أراد الخروج من بيته صلَّى ركعتين وإذا دخل بيته صلَّى ركعتين. وكان أول خارج إلى الغزو.. من الذين ينفرون خفافاً لا يتثاقلون. وكان أول القافلين لا يتأخر عن بيته. وكان سيدنا زيد بن الأرقم ـ أحد أصدقاء عمر الخاصين ـ يتيماً في حجر ابن رواحة. فخرج معه إلى مؤتة فسمعه في الليل يقول:

إذا أدنيتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فأنعمي فخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المؤمنون وخلفوني ... بأرض الشام مشهور الثواء

فبكى زيد. فخفقه بالدرة. وقال ما عليك يا لكع؟ ألا تحب أن يرزقني الله الشهادة. وترجع بين شعبتي الرحل. عجب! كأن الركوب فوق الشداد.. لا يصبح زيد رديفاً حين يموت عبد الله. يكون فرحة كبرى لزيد.. بدوي عربي يعرف معنى السنام والكور. واعتلاء القمة. والاستقلال ولو كان على ظهر بعير.

ونزلت الآية ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ (الشعراء: ٢٢٤) فقال عبد الله: قد علم الله إني منهم. كأنما يستغفر. يطلب الرحمة من ربه وهو العبد المؤمن. ليس من الغواة الفتانين المفتونين. فسمع الله دعاء عبده فأنزل: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

وتحدث ابن رواحة فقال: مررت في مسجد الرسول وهو جالس، عنده ناس من الصحابة في ناحية. فلما رأوني قالوا: يا عبد الله بن رواحة، فجئت، فقال النبي: أجلس ههنا. فجلست بين يديه. فقال: كيف تقول الشعر؟ قلت أنظر في ذلك ثم أقول فقال: عليك بالمشركين. ولم أكن هيأت شيئاً. فنظرت ثم أنشدت:

ثبت اللَّه ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

وأتم قصيدة رائعة. فاقبل النبي بوجهه مبتسماً. وقال: وإياك فثبتك الله. وقد كان ابن رواحة عظيم القدر في الجاهلية والإسلام، يناقض قيس بن الخطيم في حروبهم.

وسمع ينشد بين يدي النبي في عمرة القضاء:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
حتى يزول الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر. يا ابن رواحة. أفي حرم الله وبين يدي رسول الله تقول هذا الشعر؟ فقال الرسول: خل عنه يا عمر. فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل.. وما أجمل هذا البيت من قصيدته الأولى:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

رضي الله عن ابن رواحة، وجعل مثواه في فسيح الجنان.

* * *

مُحَيْصَة بن مَسْعُود

محيصة بن مسعود الأنصاري الخزرجي.. يعد في أهل المدينة.. وكيف أنه الأنصاري من أهلها؟ نعم. إنه كذلك ولكن لأنه لم يتركها إلى الأمصار الأخرى مثل الآخرين من الأنصار والمهاجرين.. فبعضهم شامي أو عراقي، بصراوي أو كوفي.. أو مصري.. كل حسب البلد الذي استقر فيه بعد الفتح.. وكلّ قصد المرابطة في الثغور، يعمرون الأرض ويدبرون أسلوب الحكم ويحمون الإسلام في الأرض المسلمة. يردون عنها عداوة العادين من فلول المنهزمين في إمبراطوريتي فارس والروم. وأكثر من هذا فقد نشروا السنة في الأمصار وأقاموا منار الشريعة، فكان فقه الإسلام، وكانت ثقافة اللغة العربية. كل الصحابة إلى خير، خير فعلوه بأنفسهم. وخير ورثه التابعون وتابعوهم حتى لا تدري أيهم صاحب الفضل؟ هؤلاء الذين سكنوا الأمصار فعمروا وأشادوا وحفظوا وعلموا، أم الذين استقروا في المكتين فكانوا السد يحمون الظهير ويلدون المدد؟ لكل فضل، وفي هذا بحث يتسع لدراسة طبائع هذه الأمة.

وشهد محيصة أحداً والخندق وما بعدها هو وأخوه حويصة الذي أسلم على يده.. لقد اسلم محيصة بطلنا اليوم قبل أخيه الأكبر حويصة. وبعث النبي محيصة إلى أهل فدك (وتسمى الحائط والحويط الآن. وهما واحتان قرب خيبر).

كان أخوه حويصة أكبر سناً منه، ولكن محيصة الأصغر أنجب وأفضل.. هي العقيدة الصافية أثمرت في قلوب الشباب والمستضعفين، فكان منهم جل أصحاب محمد الفاتحين. ذكروا أنه بعد أن قتل محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف اليهودي الشرير قال رسول الله ﷺ (من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه) يأمر النبي بتطهير الأرض المسلمة دار الهجرة. الجزيرة كلها. من دنس اليهود وفتن اليهود ومفاسدهم. فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنيَّة أحد تجار اليهود وقد كان يلابسهم. يخالطهم ويبايعهم، فقتله.. فرأى حويصة الأخ الأكبر عمل أخيه الأصغر فجزع وغضب ولم يكن مسلماً حينذاك. فلقد كان مشركاً لم يسلم بعد. ولكبر سنه ولجزعه من قتل العشير يقتله أخوه. أخذ يضرب أخاه محيصاً ويقول: أي عدو الله قتلته؟ أما والله لرب شحم في بطنك من ماله.. فقال محيصة المؤمن: أما والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك. فقال حويصة ـ كأنما يستنكر هذا الشيء الجديد طرأ على أخيه ـ: لو أمرك بقتلي لقتلتني؟.. فقال محيصة: نعم والله لو أمرني بقتلك لقتلتك. وعجب حويصة أكثر وأكثر. ثم قال: والله إن ديناً بلغ بك هذا العجب؟ ثم أطرق.. ثم سطع نور الهدى على قلب حويصة فاسلم. كان ذلك أول إسلامه على يد أخيه الأصغر. محيصة.. إنها الهداية تتهيأ أسبابها فيشع لها نور على قلب أراد الله له الخير. واهتز محيصة فرحاً وأخذ ينشد:

يلوم ابن أمي لو أمرت بقتله ... لطبقت ذفراه بأبيض قاضب
حسام كلون الملح أخلص صقله ... متى ما أصوبه فليس بكاذب
وما سرني إني قتلتك طائعاً ... وإن لنا ما بين بصرى مآربي

هل كان الأمر بقتل اليهودي أين ما وجدناه خاصاً بذلك الوقت. نعم. ولا. نعم ولقد كان خاصاً في ذلك الوقت. وقد كان اليهود قوة في الحجاز، في المدينة، في خيبر، في القوة الشريرة. وقد كان. قتل كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وابن سنية، وأجليت قينقاع والمضير، وقتل صبراً رجال من قريظة. ثم أكمل عمر الأمر فأجلاهم.. فلم يبق منهم طابور خامس داخل الوطن وبين أفراد الأمة. ولا جيوب تخرج من أحجارها الأفاعي ولا إسفين يدقه عدو. فلما انقضى هذا السبب لم يحرص المسلمون على تعقب اليهودي الذمي بسوء. ولكن الحكم فيه باقٍ إلى اليوم. ونحن أشد ما نكون حاجة إلى تطبيقه الآن. وقد أصبح لليهود شأن في جزيرة العرب وفي الأرض المسلمة. فكلنا محيصة واجب عليه قتل اليهودي أينما ظفر به. بل إن الوضع الآن أشد نكاية من هؤلاء اليهود على الإسلام عن ذي قبل.

وتحدث محيصة فقال: لقد سألت رسول الله عن أجر غلامي الحجام (أبو طبية) هل آخذه؟ فقال النبي (لا تقربه) فلما رددت السؤال قال لي: (أعلف به الناضح، اجعله في كرشه) يعني خذ به علفاً لبعيرك أو أباعرك التي تسنى عليها.

بطولة وظرف وإيمان. وهدى محمد شع نوره على قوم ذوي نفوس قابلة للصقل وعزائم هازمة للباطل وكل ذلك في سبيل الخير، رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

عُمَيْـر بـن سَعْـد

عمير بن سعد، أنصاري من بني عمرو بن عوف، أسلم شاباً وكان حسن الإسلام. ذا عقل راجح وإيمان راسخ حتى لقد لقَّب من أجل ذلك بنسيج وحده. والكلام عنه كما هو الواقع في سيرة كل الصحابة المشهور منهم والعظيم فيهم والآخر الذي لا يعرفه الناس لأنه لم يشتهر، وإنما هو إيضاح وشرح لجزء من حياة النبي ﷺ مع الواحد منهم ليكون تاريخ النبوة كله قد جمع في سيرتهم جميعاً. فما من صحابي إلا ولرسول الله حديث معه أو حديث عنه أو حادثة وقعت للصحابي أثنى عليها النبي أو أنب أو عاتب أو أقر أو عدل. وجاءت الشريعة في تفصيلها وعمومها تفصيلاً واضحاً يظهر من حياة هؤلاء الصحابة وفي سيرتهم التي ملأت بطون الكتب. فالاستقراء الذي تتبعت علمني كيف تتضح سيرة النبي؟ من سيرة البطل الصحابي في كل أطوارها وكجزء من سيرة البطل الأول العظيم محمد بن عبد الله. الخصوص في الواحد من صحابته. عموم فيهم، وعموم لهم حتى لوجدتني أكثر حماسة إلى التفرغ لهذه السيرة علّها تجمع في سيرة واحدة لتكون سيرة الأجزاء في كل، وليكون الكل واضحاً مفصلاً كمرجع تاريخ، وسيرة بطل هو بطل الأبطال محمد النبي الأمي. ومسند فقه ومرجع تشريع، لأنها سيرة الجميع ينفرد بها البطل الواحد لا تجد في سيرته إلا قبساً من نور الرسالة المحمدية والتهذيب النبوي. وعمير بطلنا اليوم المكرم

بهذا اللقب. نسيج وحده كميزة كبيرة امتاز بها ما أحسبها كانت لتعطى إلا للأقيال والملوك ولكنها أعطيت لهذا اليتيم الفقير، نشأ في حجر زوج أم كفله كان له أباً. لأنه قام بعمل عظيم. كان الجلاس بن سويد زوج أم عمير ينفق على عمير ويعنى به فكان شديد الحب له.. وبينهما ثقة متبادلة لا يكتم أحدهما عن الآخر حديثاً يفضي به إليه. الحديث بينهما في مكان هو تبوك في غزوتها. غزوة العسرة. النفاق فيها رفع رأسه، والمعذرون من الأعراب تخلفوا غزوة ظهر فيها المؤمن واضحاً لا لبس فيه. حتى الذين عمي أمرهم أظهر الله شأنهم بالتوبة عليهم. أما المنافقون والمشركون فقطع الله ظهوره. بالسورة الفاضحة. التوبة، براءة. وفي هذه الغزوة تكلم الجلاس فقال: إن كان ما يقوله محمد حقاً فلنحن شر من الحمير. وكان عمير يسمع كلامه فقال له: فأشهد أنه لصادق، وإنك لشر من الحمار. فقال له الجلاس أبوه الذي رباه: أكتمها علي يا بني. وتحير عمير ماذا يصنع أيسكت فيخون النبي؟ يخون الدين. المبدأ أم يتكلم فيفضح الأب؟ وتكلم عمير فقال: لا والله إني لأخشى إن لم أرفعها إلى النبي أن ينزل القرآن وأن أخلط بخطيئة. ولنعم الأب هو لي. وذهب عمير إلى النبي فأخبره. لأن الخيرة والتردد في هذه المواقف قد قطع دابرها بقرآن يحفظه عمير ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ..﴾ (المجادلة: ٢٢) وسمع النبي لعمير ودعا الجلاس المسلم الذي لم يتخلف عن الغزوة وإنما هي نزوة حملته أن يقول الكلمة الكافرة. وسأله النبي عن قوله: ماذا قلت يا جلاس لعمير؟ فحلف أنه ما قال. وغضب على عمير وآلى ألا ينفق عليه. ولكنها الفاضحة في طريقها ينزل بها جبريل على قلب النبي، ومن آياتها ما جاء قاطعاً

فاصلاً فيما قاله الجلاس لعمير ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(التوبة: ٧٤).

وحلف الجلاس وهو لا يدري عماذا ينزل، وسكت الصحاب فلم يتحرك أحد ـ وكذلك كانوا يفعلون إذا نزل الوحي ـ فرفع عن النبي وسري عنه. وتلا الآيات القاطعات. نزلت في هذا الذي حلف كاذباً. إنه بشر أعني الجلاس. وحزن الجلاس وعرف أنه ظلم نفسه فجاء إلى الرسول ليستغفر له فقال يا رسول الله: استغفر لي ربي فإني أتوب إلى الله. وأشهد لقد صدق. يعني عميراً. كذّبه لينجو فلما حاق به العذاب تاب وصدّقه لتكون النجاة بالتوبة والصدق لا بالتكذيب والفرار من الحقائق.

لقد تاب الجلاس وقبل الله توبته مصداقاً للآية ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ﴾ (التوبة: ٧٤) كأنما الله سبحانه وتعالى قد نبأ بأنه سيتوب فأمر بأن تقبل منه. زلة لسان كبرت إن قالها صحابي. ودين رحمة، ونبي رحمة. ورب هو أرحم الراحمين. فأعجب للذين لا يعذرون ثم هم لا يسمعون الكلم الطيب عن أحد ليذيعوه ثناء عليه وتشجيعاً له وإنما يترصدون ويترقبون كلمة الشر يزل بها لسان أو ينبو بها قلم فيشمرون عن عزيمة التشهير وإذاعة الشر لا ليؤدبوا ولا ليردعوا وإنما ليحطوا من أقدار الناس بالتربص وإذاعة السوء.

وصلح الأمر بين عمر والجلاس فكفَّر عن يمينه لأنه رأي خيراً منه سبقه بذلك أبو بكر ذو الفضل والسعة في قصته مع مسطح بن أثاث. ولم يسمع عمير من الجلاس ما يكره بعد ذلك. وكيف يسمع سوءاً وقد محص

للجلاس عمله ووضح أمره فتاب الله عليه بالقرآن.

وماذا صنع الرسول بعمير؟ أدناه إليه وأخذ بإذنه وهو يقول: (وفت أذنك يا غلام وصدقك ربك).

وما زال عمير بعلياء كريماً رفيع الشأن بعد هذا الصنيع دفاعاً عن الحق وذباً عن رسول الله. حتى لقد ولاه عمر إمارة حمص فكان من خير أمراء الأجناد. رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

سُـرَاقَـةُ بـن مَالِـك المُـدلجـى

سراقة بن مالك الكناني المدلجي.. أعرابي يسكن قديْداً بين مكة والمدينة في الطريق «كسويد» منزل ثقيل فيه قوافل إلى دار الهجرة.. وقديد الحاج.. تسير من مكة.. سرف (بكسر الراء) فالجموم فعسْفان، فالدّف.. فأما أن يساحل إلى القضيمة. أو أن يصحر حتى يصل رابغ فالأبواء فالعرج وينسب إليها الشاعر العثماني العرجي فالروحاء بئر الراحة فذو الحليفة آبار على أو الحسي.

ومنزل سراقة في قديد أتاح له فرصة الترصد لهذا الذي تطلب قريش فتجعل له الجعل والجوائز لمن يأتي به. أو يخبر عنه. فسراقة لم يكن من سكان مكة حتى يقتحم بفرسه الغار، كما زل به قلم الأستاذ «محمد مصطفى حمام».. فقد ذكر اسم سراقة الذي تبع أثر النبي ليفوز بجوائز قريش المشركة. وذكر الأستاذ حمام اسم سراقة بن مالك في قصيدة عن الهجرة في عدد الأربعاء ١٣٨١/١/١هـ وبرقم ٧١٤ من هذه الصحيفة فقال ما نصه: «هو سراقة بن مالك الذي أصر على أن يقتحم بفرسه الغار، فغاصت قوائم فرسه في الأرض». والأستاذ حمام ورّطته العجلة في هذا الشرح فقد كتبه والقصيدة تؤخذ من يده للنشر. ولا أدري كيف استساغ أن يقتحم الفرس الغار في أعلى ثور. كأنما هو حجر في بيداء؟.. فهذه

الحمامية وأيام الهجرة دفعتني إلى أن أترجم لسيرة بطلنا سيدنا سراقة بن مالك رضي الله عنه. دافع قوي. فلن يذكر حديث الهجرة إلا ويذكر فيه سراقة. لأنه بطل من أبطالها في معجزة النبي حينما أعجز الله سراقة أن يلحق برسول الله وحينما بشره النبي بالإسلام بوعد كريم. وسراقة أعرابي، شاطر من الشطار. لا يسمع عن جعل جعلته قريش لمن يأتي بمحمد وصاحبه أو بخبر عنهما.. ألا ويركب رأسه قبل أن يسرج فرسه ليركبها ليترصد الطريق بين قديد ورابغ.. يتشامل حيناً ويتيامن حيناً آخر، ويشرق فيصحر، ويغرب فيبحر.. يجري وراء الطريدة كأنه في طراد صيد.. وصيد ثمين. الجعل مغر.. والعقيدة الجاهلية في نفس المشرك الفارس الطاغية، كل ذلك حمل سراقة أن يترصد الأشباح في الليل والنهار ليحظى بجعل مادي، وبعجالة معنوية ترفع له صيتاً في قريش.. هكذا افترض. وكل هذا توهم ولكنها عناية الرحمن. بصر سراقة بالرواحل تحمل محمداً وأبا بكر وعامر بن فهيرة. كلهم فارس على بعير ولكنه فارس على مهر جيد. فلو حمى قتال بينهم وبينه لانتصفوا منه.. ولكنها الحرب شنها الله وحده على هذا الأجير سراقة بن مالك.. أجير هذه الساعة.. تسوخ قوائم المهر في الأرض. لا يستطيع حراكها.. فيصرخ سراقة. أجرني يا محمد. فيدعو محمداً ربه فينطلق المهر.. (يعاود سراقة الطمع فيعود ويغضب الله فتسوخ القوائم في الطين. في الأرض. في الصخر.. لا تلتمس إنها أرض سبخة لينة. هذا يلتمس لجهد البشر أما قدرة الله فتلين الصخر.. ينشق.. يبتلع الفرس وراكبه لو تمادى سراقة في شره.

ويستنجد سراقة. فيجار.. ويعطي عهده لا يرجع إلى غدر.. ولا يخبر قريشاً.. وعرف النبي صدقه. وعرف أن رحمة الله قريب.. قد شع

نورها في قلب سراقة هذه الساعة رأى فيها المعجزة، يسلم بعد عام الفتح فيكون من خيار الأصحاب رضي الله عنهم أجمعين. وتبسم النبي.. وقال: كيف بك يا سراقة إذ لبست سواري كسرى..؟ ماذا يسمع سراقة؟ أمعجزة أخرى؟ أهذا الأعرابي يسكن قديداً تفتح له كنوز كسرى فيلبس سواري الإمبراطور الفارسي شمس المشرق. وعجب سراقة! ولكنه رأى المعجزة قبل لحظات! فلماذا لا يصدق؟ وامتد به أجل حتى أسلم عام الفتح.. وسأل رسول الله سؤال أعرابي يسقي إبله.. قال سراقة يا رسول الله: أرأيت الضالة ترد على حوض إبلي، ألي أجر إن سقيتها.. فقال له الرسول: في الكبد الحراء أجر.. لم يعد سراقة جلفاً غليظ القلب، جافي الطبع. بل عاد رقيقاً مؤمناً ملأت نفسه روح الإسلام. يسأل عن أجر يتطلبه في ضالة يسقيها من إبل غيره.. أكان في الجاهلية يسقيها؟ لا. إنه يضمها إلى إبله ينهبها.. فرق كبير بين روح الإسلام ونزعات الشيطان.

وقتل هلال بن علقمة رستم وأجهز القعقاع بن عمرو وأخوه عاصم على فيلة الفرس وفتحت لسعد بن أبي وقاص ومن إليه فارس.. فأرسل الغنائم إلى عمر ورأى عمر سواري كسرى. فكبَّر وكبر معه الناس.. وقال أين سراقة؟ يسأل عنه عمر ليحقق معجزة النبي أخبر سراقة بفتح فارس، وبأن سراقة يلبس سواري كسرى وهو المهاجر مع صاحبه إلى المدينة لا جيش ولا سلاح. وحضر سراقة فقربه عمر وألبسه السوارين. ولبس سراقة السوارين وهو ينظر إلى تاج كسرى ومنطقته بين يد عمر وقال له عمر: ارفع يديك. فلما مد يديه «وكان سراقة أزب كثير شعر الساعدين» رفع صوته عمر وهو يقول: الله أكبر. الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول: أنا رب الناس.. وألبسه سراقة بن مالك بن جشعم.

أعرابي رجل من بني مدلج.. ورفع عمر بها صوته يعلن للناس المعجزة للنبي.. والكرامة للصحابي، والأتباع منه.. ليس هو أمير المؤمنين الذي يغيِّر من بشارة النبي ووعد النبي، وعهد النبي، إنما هو المطيع.. ويقولون عبد الله بن عمر أسرف في تتبع آثار الرسول. ما أسرف ابن عمر. إنه كأبيه فعمر شديد الحرص على أتباع السنة والعمل بها، والحرص على حفظها. رضي الله عنهما. وسراقة بن مالك شاعر مجود فقد بعث إلى أبي جهل بعد رجوعه من تتبع النبي يوم الهجرة بهذه القطعة الشعرية الرائعة:

أبا حكَم واللَّه لو كنت شاهداً ... لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمداً ... رسول ببرهان فمن ذا يقاومه؟
عليك بكف القوم عنه فإنني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم ... بأن جميع الناس طراً يسالمه

ومات سراقة بن مالك بن جشعم سنة أربع وعشرين في صدر خلافة عثمان وقد قيل إنه مات بعد عثمان رضي الله عنهما. إنه بطل في الأكرمين.

النُعَيْمَانُ بن عَمْرو

نعيمان بن عمرو. أو النعيمان. نجاري أنصاري. أسلم قديماً. فهو من اصحاب العقبة الأخيرة.. كان في الأنصار من أوسطهم نسباً في السابقين منهم إلى الخير والنصرة. وشهد بدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها. فهو من الجهاد على قدم. ومن النصرة على ذروة.. شرف بها بين المسلمين. والسيرة تكتب له الأمور كثيرة.. الجد الصارم في تنفيذ الشريعة على يد رسول الله. والرحمة الواسعة من الله يبلغها رسوله لعباده والنفس المرحة الفياضة في نعيمان، والتقبل الكريم للمزاح من الرسول العظيم ومن اصحابه الكرام.. كان النعيمان مترف النفس حاضر البديهة، شاباً مضحاكاً مزاحاً رغم أنه شهد بدراً ورغم جلالة القدر.

بنو النجار أهله وبنو زهرة القرشيون المهاجرون أصهاره.. فقد تزوج عبد الرحمن بن عوف أخته ومات عنها هي وثلاث نسوة أخريات.. ومنهن أم كلثوم بنت عقبة بن معيط بعد أن طلقها الزبير في قصتها المشهورة والمذكورة في سيرتها من قبل. جلده النبي في الخمر مرة. ومرة. ثم أمر بضربه بالنعال لأنه لم يرتدع عن شرب الخمر. وقال الرسول في آخرهن: إن عاد فاقتلوه. أمر صارم وحزم جازم فهمه عمير الصحابي الجليل على أنه الطرد والخروج عن الله. أوجب قتل هذا إن عاد لشرب الخمر. فقال

عمير: (لعنة الله عليه).. وسمع الرسول اللعنة تصدر من لسان عمير يلعن بها النعيمان. فقال نبي الرحمة: لا. لا تفعل.. إنه يحب الله ورسوله. الكبيرة لا تخرج من الملة. ورحمة الله قريب من المؤمنين. هذا أصل التشريع. وإنه لأقرب ما يكون. وأصدق ما يكون. في رجل شهد بدراً هو النعيمان.

فأعجب للذين يلوون أصداغهم احتقاراً لعاص. وأعجب للذين لا يقبلون التوبة من عبد قبلها الله. فهم يتبعون فاحش القول عن مقترف ذنب أعلن عنه. بينما هم يقترفون ذنوباً أكثر وأكثر لم تعلن عنهم. المذنب أعلن ذنبه ولقي جزاءه. أدركه الحد الجابر. ويغفر الله بعد توبته، أما الذين يكتمون ذنوبهم أو يكتمها لهم الآخرون فهؤلاء يلقون جزاءهم من عالم الغيب والشهادة. فهم أسوأ حالاً.. الحق لو أدركنا عمق المسألة لأشفقنا على الكاتمين المتبجحين على الآخرين. أكثر من إشفاقنا على المذنبين الذين نالهم العقاب. والنعيمان المضحاك المزاح، أو موزع المقالب كما يقول أهل هذا العصر. كان حبيباً إلى اصحاب محمد لأنه كان حبيباً مرضياً عند محمد عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم أجمعين.

كان إذا ما نزل السوق ووجد طعاماً طيباً أعجبه، اشتراه وأرسله إلى رسول الله في صورة هدية منه. فيستطيبه النبي ويأكل منه وأهل بيته. ويأتي البائع إلى النعيمان ليقبض الثمن.. فيقول له: اذهب إلى رسول الله هو له. أكله هو وأهله. فيذهب البائع إلى الرسول ويسأل رسول الله النعيمان ألم تهده لي؟ فيقول: نعم شيء استطبته لك. وأحب أن تأكل منه فأهديته لك وما معي دراهم أدفعها لبائعه فادفع يا رسول الله. فيضحك النبي ويضحك الصحابة. ويؤدي رسول الله قيمة هذه الهدية الإجبارية من هذا الصحابي

الحبيب. إنه أحب رسول الله وأحب له الطيبات ولا يقدر على شرائها فيرسلها على هذه الصورة فيحظى بالحسنيين. نال أمنيته فأكل الرسول من الطيب المهدى ونال هوايته المزاح والإضحاك الذي لا يؤذي. ذهب أبو بكر ومعه جماعة من أصحابه إلى بصرى يبيعون ويشترون. ولعلّهم يستعملون ويدرسون. وكان من أصحابه سويبط بن حرملة على الزاد والنعيمان أحد الرفقة. وجاع النعيمان فاستعطى من أخيه سويبط طعاماً فمنعه. فقال له: ستعرف ما أفعل بك بعد؟ تهدده وتوعده فماذا فعل؟ ذهب إلى جماعة من العرب في السوق وقال لهم: هل لكم في عبد جلد أبيعه لكم؟.. فقالوا: نعم.. فقال: إنه ذو لسان وفصاحة وسيقاومكم ويقول: أنا حر فلا تسمعوا له.. وقطعوا ثمن العبد.. الأخ سويبط. عشر قلائص. قادها النعيمان كأنما المسألة قد وصلت من الجد عنده هذا المبلغ. وجاء الشارون معه فأشار إلى سويبط. هذا هو العبد الذي بعته لكم فخذوه وأمسكوا بسويبط. فقال: أنا حر. أنا سويبط بن حرملة. فلم يسمعوا وقالوا: عندنا الخبر. وجروه يقودونه كما يقودون العبد من عنقه. ولم يضحك النعيمان بل تظاهر بالجد والصرامة. سويبط ممتنع. والذين شروه يجرونه. والنعيمان واقف ينظر لا يحرك ساكناً. وهرع الصحاب إلى قائدهم. فجاء أبو بكر يسرع. فأعلم العرب الشارين الخبر فأطلقوا سويبطاً واستردوا قلائصهم. وضحك أبو بكر وضحك سويبط وضحك النعيمان. وبلغوا الرسول الخبر حينما عادوا. فضحك النبي الكريم وضحك الصحاب من هذه المزحة يصنعها النعيمان. حولاً كاملاً أو أكثر. وجاء وافد إلى رسول الله ربط ناقته عند باب المسجد فرأى بعض الصحابة الناقة عليها سنام قد امتلأ شحماً. وتلمظوا يشتهون لحماً فالتفتوا إلى النعيمان فقالوا له: هل لك في هذه؟ فقد قرمنا إلى اللحم وسيعوضه رسول الله عنها. فقام

النعيمان فنحرها لهم. وأكلوا وشبعوا من لحم الناقة. وخرج الوافد الإعرابي. فرأى ناقته قد نحرت والقوم يشوون ويأكلون ويأخذون، فصاح: واعقراه. واناقتاه. فخرج الرسول يسأل عن الخبر. فعلم من أصحابه.. ونظر يفتش عن النعيمان فلم يجد. هرب النعيمان يجري يخاف العتب والجزاء.. وخرج الرسول يتعقب أثره فدلوه عليه. كان مختبئاً في حفرة. في حائط ضُباعة بنت الزبير بن عبد المطلب. بنت عم رسول الله. سأل الرسول أصحابه أين هو؟ فأشاروا بيدهم إلى مكانه في الحفرة. وألسنتهم تعلن: لم نجده يا رسول الله. وبحثوا عنه. كان في الحفرة قد غطى نفسه بالسعف والجريد.. فأخرج والتراب على رأسه وفي لحيته وعلى وجهه. ووقف بين يدي رسول الله. فأخذ رسول الله برأسه وهو يضحك ويزيل التراب عن وجه النعيمان بيده الطاهرة ويمسح الغبار عن وجه صاحبه. أضحك الصحابة، وأشبعهم من اللحم.. هي من طبع النعيمان. جازت منه وجازت له. ولكنها لا تجوز لغيره على إطلاقها. فكأنما هي خاصة به وله. ودفع النبي قيمة الناقة لصاحبها.

أضحاك النعيمان ليس صغاراً منه وإنما هي النفس الكبيرة تفرغ ذكاءها في متنفس لائق وجميل.. أترى لو نهره الرسول عن واحدة؟ أكان يعود لغيرها. لا. لا. شرعة سمحة ورسول كريم. وصحابة أخيار. ضحكوا مع النعيمان. فليس دين محمد أن يصمت الناس عن الإضحاك اللائق الكريم، وليس في شرعة محمد أن يسرف الناس فيما لا يليق. وسط في كل شيء.

وعاش النعيمان بعد رسول الله عزيزاً كريماً في أصحابه. فهل انتهى عن إضحاكهم. لم ينته. وقد فعلها زمن عثمان ومع عثمان نفسه. ومخرمة بن نوفل شيخ بني زهرة وصهر النعيمان عبد الرحمن بن عوف زوج أخته.

ومخرمة بن نوفل زوج أخت عبد الرحمن. فعبد الرحمن بن عوف خال سيدنا المسور بن مخرمة بن نوفل. جلس الصحابة في المسجد فرأوا مخرمة بن نوفل وقد هرم. بلغ مائة وخمسة عشر عاماً: يقوم من مكانه فلا يبعد. يظن أن المسجد قد انتهى إلى موقفه. هو أعمى لم يقده أحد. فقد يبول في المسجد. فصاح الصحابة ينهون مخرمة عن ذلك. فقام النعيمان وذهب إليه. ليدله على مكان يبول فيه. أفتدرون أي مكان؟ ذهب به قليلاً وأجلسه ليبول في مكان غير مكانه الأول في المسجد أيضاً، فصاح به الناس وأزعجوه فقال: من الفاعل؟ قالوا: النعيمان بن عمرو. فشتم وأعلن أنه سيضربه بعصاه يشج به رأسه إن لقيه. وغاب النعيمان لا يلقى مخرمة أيضاً، ثم عاد. عاد ليفعل أكبر منها. نظر فإذا عثمان بن عفان أمير المؤمنين يصلي في المسجد ـ وكان عثمان لا يلتفت إذا ما قام مصلياً ـ نظر فوجد عثمان. ونظر فوجد مخرمة بن نوفل. فذهب إلى مخرمة وغيَّر صوته. فقال: هل لك في النعيمان. فصاح الشيخ: تذكر عهده. وتذكر فعلة النعيمان. قال مخرمة: نعم أين هو؟ فأخذه النعيمان يقوده إلى مكان عثمان. وقال له: ها هو. ورفع مخرمة عصاه وضرب بها رأس عثمان فشجه. سال دم أمير المؤمنين. شج رأسه مخرمة بمزحة من النعيمان. فصاح الناس: إنه أمير المؤمنين، فجزع مخرمة جزعاً شديداً وقام بنو زهرة. ولكنه عثمان ذو النورين.. قالها كلمة. دعوا النعيمان. دعوا النعيمان إنه شهد بدراً. خلق عثمان وتأسيه بما سبق من رسول الله يقبل إضحاك النعيمان. وجبره لخاطر شيخ قريش وسيد بني زهرة. مخرمة بن نوفل. فأي شيء من الجزاء يفعله عثمان سينال من الشيخ. اشترى بعفوه وصفحه نفوس المسلمين جميعاً في المدينة. الأنصار في رجلهم النعيمان. وقريشاً في رجلها مخرمة. وكأنما استحى من عبد الرحمن بن عوف ومن

المسور بن مخرمة. وعثمان جليل الحياء. جميل الصفح. رضي الله عن عثمان. وعاش النعيمان حتى مات في زمن معاوية. وكأنما أحزنته فتنة، وأجزعه خلاف، فكف عن الضحك والإضحاك.

* * *

مَعْـنُ بـن عَـدِي

معن بن عدي بن الجد بن عجلان. قباعي بلوي. حليف لبني عمرو بن عوف. فهو أنصاري بالجوار والحلف. أسلم في السابقين الأولين من الأنصار وكان من الأخيار. شهد بيعة العقبة وبدراً واحداً والخندق والمشاهد كلها. المشاهد كلها كلما ذكرتها في سيرة الصحابي لا أشعر كيف أذكرها لأني أهتز حباً وإعجاباً بواحد من اصحاب محمد. شهد معه النصرة والهزيمة والكرب والفرج والوحي والعلم والتعليم.

مقام كبير تفضل به الله على هؤلاء الذين أقاموا لنا منار الدين ورفعوا أعلام الفتح ترفرف في الخافقين على أساس من الهدى والمعرفة والخير. وحين وصل المهاجرون إلى المدينة كان من نصيب عدي أن يكون أخاً لزيد بن الخطاب، آخى الرسول بينهما فعاشا لا يفترقان، وقتل كلاهما في ساعة واحدة يوم اليمامة، كأنما أراد له الله أن يكون مع السابقين من أمثاله: أبي حذيفة وسالم وهما من هما رفعة قدر وطيب ذكر. وليس هو بأقل شأناً منهما وليس زيد بن الخطاب أخو عمر بالأقل. كل أصحاب محمد الأجل. رضي الله عنهم أجمعين.

وكأنما آل نفيل ثم آل الخطاب يحبون اسم زيد فهناك زيد بن عمرو بن نفيل، المبصر عم عمر بن الخطاب. وزيد بن الخطاب أخو عمر. وزيد بن

عمر بن الخطاب من زوجة أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب. وأمها فاطمة بنت محمد عليه الصلاة والسلام.

ومعن بن عدي هو أخو عاصم بن عدي وقد تحدث مالك بن أنس عن الزهري عن سالم عن أبيه عبد الملك بن عمر قال: بكى الناس على رسول الله ﷺ حين مات وقالوا: والله لوددنا أنا متنا قبله، أنا نخشى أن نفتن بعده. فقال معن بن عدي: لكني والله ما أحب أن أموت قبله لأصدقه ميتاً كما صدقته حياً.

وعاش معن بعد رسول الله يحقق بإيمانه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ (آل عمران: ١٤٤) قرآن كريم ثبَّت الله به أبا بكر وثبت الله بأبي بكر المسلمين. وأما معن فقد كان كأبي بكر ثبَّته الله بها من أول لحظة وقبل أن يسمعها من أبي بكر.

إيمان عميق في قلة من أصحاب محمد. كان به النصر وكان به الفتح. فما بالنا نحن الكثرة الكاثرة لا يكون على أيدينا صيانة ما بأيدينا تركه لنا معن وأصحابه.. إنه الغثاء كغثاء السيل. أدركنا الوهن.. وما الوهن إلا حب الدنيا وكراهية الآخرة. لم يدرك «معناً» الوهن فذهب هو وأخوه زيد يركضان تحت راية خالد ويصولان كالبراء بن مالك ويستشهدان كأبي حذيفة ومولاه سالم ليقتل مسيلمة ولتهزم ردة ولتفشل نبوة كاذبة ولتعلو كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كلمة التوحيد كادت تذهب بعد أجيال فنهْد لها رجال دعوة فاستجد لها سلطان ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) وأن الذكر ليحفظ بأمثال معن بن عدي يسيرون على النهج ولا تخدعهم مظاهر فيها النفاق ومنها الشقاق. هم الذين ساروا ويسيرون على الجادة. كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. فاللَّهم نصرك وتأييدك واللَّهم هديك وتوفيقك.

كُلثُـوم بـن الهَـدْم

كلثوم بن الهدم شيخ من شيوخ الأنصار من بني عمرو ابن عوف. علت به السن حين بعث رسول الله. كان في الطليعة من الأنصار والسابقين إلى الإسلام منهم. وقد أسلم قبل أن يهاجر النبي إلى المدينة. جاءه الذين بايعوا عند العقبة فصدّق وآمن، وحفظ العهد. يرعى مصعب الخير جاء إلى المدينة يعلِّمه كما يعلم قومه شرائع الإسلام. ويحمس سالم مولى أبي حذيفة يصلي بهم إماماً وهو المولى المسكين. والأنصار ليس بكثير منهم أن يكون فيهم مثل كلثوم بن الهدم. فقد اهتدوا إلى خير في بيعتي العقبة. كانوا ينتظرون أن يتوج عليهم ملك، فوضع الله على رأس كل واحد منهم تاجاً من الفضيلة والإيمان. فضل الله زادهم به رفعة في الدنيا وثواباً في الآخرة. وهل هي صدفة أن يكون الأنصار من أهل المدينة وأن تكون الهجرة إلى المدينة، وأن يكون الفتح والنصر من المدينة؟ لا. لم يكن ذلك صدفة وإنما هو الوحي، وإنما هي قدرة الله وإرادته فأمر النبي أن يسعى أيام منى ليجد هؤلاء المؤمنين الأنصار، وأمره أن يهاجر ليعز الله دينه بهؤلاء الأنصار.

وآمن الأنصار، فكانوا الطليعة في بدر، وكانوا الفوارس في أحد، والصابرين في الخندق. والقانعين المطيعين الباكين يوم حنين.. ورجع

الناس بالشاة والبعير، وآبوا منتصرين برسول الله يلحق بالرفيق الأعلى في أرضه الطيبة ليصبحوا بعد أن زالت غمة فتنة لأبي بكر كما كانوا لمحمد، وليصبحوا بعد مع عمر كما كانوا مع أبي بكر ولعثمان وعلي كما كانوا من قبل. حتى ولم تمض ثلاثون عاماً فإذا هم يصابون في فتنة عمياء متأول يقوده فاسق حرمة صحبة ولا حرمة جوار، ولا سبق فضل.. ولم يكتف ذلك الجيش بالحرب يهزم فيها الأنصار وأبناء الأنصار. بل أباح المدينة ثلاثة أيام. وفيها رجال كسعيد بن المسيِّب ومن إليه حتى أن حمامة المسجد عبد الملك بن مروان قد بكى من هذه الفعلة الشنعاء. ولكنه حينما تولاها فعل أشنع منها مع العائد بالبيت «عبد الله بن الزبير» ولم ينقص فضل أنصاري لم يحفظه الآخرون لأن هذا القدر قد حفظه الله ثم حفظه الأولون. ولما قدم النبي المدينة ونزل في قباء. نزل على كلثوم بن الهدم في بيته وضيفاً عليه. كان نومه وراحته في دار كلثوم بن الهدم. وكان مقامه لتعليم المسلمين في دار سعد بن خيثم. أقام رسول الله ﷺ في بيت كلثوم بن الهدم وفي بني عمرو بن عوف أربعة أيام: الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس. فأسس في هذه المدة مسجدهم القائم الآن (مسجد قباء) «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهِّرين».

وفي صبيحة الجمعة خرج الرسول من قباء يقصد المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في بطن الوادي. ولما وصل المدينة نزل على أنصاري آخر من طراز كبير. كبير جداً، خالد أبي أيوب الأنصاري. ولا تعجب فالأنصار قد تبوءوا الدار والإيمان.. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: ٩) وكلثوم بن الهدم وقد علت به

السن لم يدرك مشاهد رسول الله لأنه مات ولم تمض أيام على استقرار النبي في المدينة. ومات قبل السيد النقيب شيخ الأنصار أبي أمامة أسعد بن زرارة. ثم توفي بعد أسعد بن زرارة. وإنما تركا بعدهما رجالاً أدوا الأمانة وأعانوا على النصرة. نزلت فيهم آيات الكتاب ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

وللأنصار ميزة على كل المسلمين حتى المهاجرين منهم. ذلك أن الجهاد فرض كفاية على المسلمين كلهم. أما على الأنصار ففرض عين. عهد البيعة في العقبتين ومعجزة النبوة. أرادها الله لينصر بها دينه. رضي الله عنهم أجمعين.

عُكَّاشَة بن مُحْصَن

عكاشة بن محصن الأسدي. نزل مكة وحالف بني أمية. فهو قرشي أموي بالولاء والحلف. ولكنه كان ذا عقل وفضل. لم يخضع للمخاصمين من بني أمية، والمعاندين الأقوياء منهم بل أسلم في السابقين. فهو من الأمويين الذين بادروا للإسلام رغم عناد عتبة بن ربيعة وحرب أبي سفيان. شأنه في ذلك شأن أبي حذيفة بن عتبة. وخالد بن سعيد بن العاص، وعثمان بن عفان. وأم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان، وزوجها حليف بني أمية الآخر عبيد الله بن جحش ابن عمة رسول الله.

وهاجر إلى المدينة، وكان من فضلاء الصحابة، رفيع القدر بينهم، وقد شهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً. انكسر السيف في يده فلم يتركه رسول الله أعزل. فأعطاه ﷺ عرجوناً أو عوداً. فانقلب في يده سيفاً يلمع. يقتل به المشركين ويحمي به المؤمنين. وشهد أُحداً والخندق وحنيناً وسائر المشاهد. وذلك فضل من الله عظيم. وحديث صحيح وكريم يجري على ألسنة المسلمين خاصتهم وعامتهم «سبقك بها عكاشة» يكاد هذا الحديث أن يكون هو الحديث الآخر «إنما الأعمال بالنيات» أشهر الأحاديث تجري على ألسنة المسلمين فما هي قصة هذا الحديث؟ تحدث عكاشة. قال إنه سمع رسول الله يقول: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بدون حساب» وقال

عكاشة يا رسول الله «ادع الله أن يجعلني منهم» فقال النبي: «أنت منهم» ودعا له فقام رجل آخر فقال كما قال عكاشة: ادع الله لي أن يجعلني منهم. فقال النبي: «سبقك بها عكاشة».

أدب النبي، خاطب محروماً بالمعاريض من القول وصدق النبي، خاطب مؤمناً بصريح من القول. وكما اشتهر هذا الحديث فقد اشتهر اسم صاحبه. ففي كل بلد مسلم تجد من المسلمين من يسمى بهذا الاسم. وحتى لفظة «عكاش» بتشديد الكاف أو عكاشة، بالتشديد ايضاً. إعلان للاسم وهو بعض ما روي في تصحيح اسمه. وعاش عكاشة بعد النبي وقتل في خلافة أبي بكر يوم «بزاخة» قتله طليحة بن خويلد الأسدي الذي ارتد وادعى النبوة. فذهب عكاشة إليه يحاربه في لواء مسلم من ألوية أبي بكر. فقتله طليحة يوم قتل ثابت بن أقرم. رضي الله عنهما. ورضي الله عن طليحة تاب وأسلم وحسن إسلامه. وكان من أبطالنا في القادسية، وإعلامنا في فتح فارس لم يخن عهداً بعدها. وجاهد في كل مشهد. شهد له بذلك سعد بن أبي وقاص، وأكرمه من أجل ذلك عمر بن الخطاب، رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

مَنْظُورُ بن زِبَّان

منظور بن زبان، مازني، فزاري.. غطفاني من قيس عيلان، عدناني. وصحابي.. زل زلة. أنكرها النبي فأرسل من يقتله فلم يلحقه، ثم يأتي أبو بكر فيرسل إليه لينفذ الحكم وعمر يشهد أن منظوراً لم تلحقه سرية الرسول ولم يصبه أبو بكر باذى، أما لأنه لم يصل إليه وأما لأنه قنع بحجة منه ففرق بينه وبين زوجة امرأة أبيه. وعمر يشهد هذا كله، فيجلبه حتى يقوم الحق. وعبد الرحمن بن عوف له بطولة النجدة في هذا الموقف. وطلحة بن عبيد الله له بطولة المروءة. لا يترك المرأة بل إنه ليتزوجها، لا يسأل كيف نكحها ابن زوجها. والحسن بن علي السبط، يتزوج بنتهما. ولداها من نكاح فاسد فلا يرى في ذلك عيباً، لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى. فما هي الزلة؟ وكيف زل؟ امرأة أبيه مليْكة. مات عنها أبوه ولم تلد.. فتزوجها.. فنكحها كأحد أنكحة الجاهلية. وقعت في الإسلام منها أربعة فرّق الرسول بين الأزواج من هذا النكاح الفاسد. وكان أحدها زواج «منظور» بامرأة أبيه «مليكة».

وزل منظور زلته. نكح امرأة أبيه. أتخذها زوجاً له. يعاشرها. فنزل قرآن حكيم ينهي عن ذلك ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾ (النساء: ٢٢) سمع الرسول بفعلة منظور، فأرسل سرية إليه

لقتله. تحدث البراء ابن عازب فقال: لقيت خالي ومعه الراية فقلت: إلى أين؟ فقال: بعثني رسول الله إلى رجل تزوج امرأة أبيه.. أن أضرب عنقه. هذا الرجل هو المنظور بن زبان. سرية الرسول تسير لتنال قتله على فعل منكر. لا على كفر أو ردة. إنها لم تخرجه عن الملة. ولم تلحقه سرية الرسول. فلما تولى أبو بكر الخلافة طلبهما: منظوراً ومليكة فوجدهما. وجدهما في البحرين والبحرين ليست هي الجزر في خليجنا العربي فقط. إنما هي المنطقة كلها هجر وساحلها من كاظمة حتى نجران. الإحساء كله. والساحل كله.. والكويت جزء من البحرين حتى كاظمه ووادي السباع. كانت كلها ولاية العلاء بن الحضرمي.. والكويت لم تذكر جزءاً من العراق. لا في فتوح العراق ولا أمصار العراق، إنما هي أدنى البحرين إلى المصرين الكوفة والبصرة.

ووجدهما أبو بكر في البحرين فأقدمهما المدينة وفرق بينهما كأنما أبو بكر قد عرف جهلهما فقبل التوبة واكتفى بالتفريق. ولكن عمر وما أدراك ما عمر جاء بمنظور يريد قتله.. فالنبي أرسل سرية لقتله فلم تجده، أما وقد وجد فليقتله.. هذا خلق عمر.. ولكن منظوراً حلف بالله أنه ما علم أن الله حرم ذلك ففرق بينهما الشديد العادل عمر، وقبل التوبة منه. وعاش منظور يسمع ما هجاه به الشعراء. فلقد هجاه الوليد بن سعد بن الحمام المري بقوله من أبيات:

بئس الخليقة للآباء قد علموا في الأمهات أبا زبان منظور

وتحدث آخرون فقالوا: إن منظوراً كان سيد قومه، طال به حمل أمه به فسمي منظوراً من أجل ذلك.

تزوج منظور امرأة أبيه واسمها «مليكة» بنت خارجة المزنية، فولدت له

هاشماً وعبد الجبار وخولة من نكاح فاسد، فلم يلحق هؤلاء أذى بجريمة الأب التي تاب منها، ولم تزل معه حتى فرق بينهما عمر. حلف أربعين يميناً فقنع الفاروق.. حبسه إلى العصر ثم أطلقه. حلف أنه لا يعرف أن هذا حرام. وقال له عمر: «لولا أنك حلفت لضربت عنقك». ودرأ الحد بشبهة الجهل. ويقين التصديق بيمين هي: (حلف بالله) جل علاه. وزاد عمر يؤنبه: «أتنكح امرأة أبيك وهي أمك؟ أو ما علمت أن هذا نكاح المقت؟».

وفارقها منظور فاشتد عليه وجده بها، فرآها يوماً تمشي في الطريق فأنشد:

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر إذا منعت مني مليكة والخمر
فإن تك قد أمست بعيداً مزارها فحي ابنة المري ما طلع الفجر

وقال مرة أخرى:

لعمر أبي دين يفرق بيننا وبينك قسراً أنه لعظيم

فبلغ ذلك عمر، فطلبه ليعاقبه فهرب. وطلقت المرأة وبقيت وحيدة. فهل يسكت عمر؟ ويسكت الأبطال الكرام من أصحاب محمد؟

لقد قال عبد الرحمن بن عوف السيد الوجيه: أنا أكفلها. ويجيب عمر.. وأخذها إلى بيت من بيوته سمي باسمها وعرف به زمناً طويلاً. ولم يكتف الصحاب بذلك. بل عزم طلحة بن عبيد الله السيد العظيم فتزوجها، صانها، أكرمها.. أهي الشهرة أم هو الجمال.. لا.. ولكنها المروءة في أبي محمد سيد تيم. شيخ الأجواد طلحة. لم يلتفت لأنها نكحت قبله، ونكاح فاسد.

وكانت مليكة تكنى أم خولة باسم ابنتها من نكاح فاسد. وجاء دور بطولي كريم قام به السبط سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي. خطب خولة من نفسها لأنها ملكت أمرها في غياب أبيها فتزوجها الحسن. وسمع أبوها منظور بن زبان فقال: «أمثلي يفتأت عليه في ابنته؟».. فقدم المدينة مسرها فركز راية سوداء في مسجد رسول الله. فلم يبق قيسي إلا دخل تحتها حمية ونخوة، يحمون سيداً من شيوخهم ولو كان منظور بن زبان. وعلم الحسن بما صنع أبو زوجته فقال له: «شأنك بها».. فأخذها أبوها وخرج. فلما كان بقباء جعلت خولة تندب الحسن وتبكيه وتقول: «يا أبت، الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة..». فقال أبوها: «تلبثي، اصبري قليلاً. فإن كان له حاجة بك فسيلحقنا». فأقام في قباء ذلك اليوم فلحقهما الحسن ومعه أخوه الحسين وأبناء عمه عبد الله بن جعفر والحبر عبد الله بن عباس.. بخ.. بخ.. ماذا يصنع منظور وهؤلاء الهواشم العباسي منهم والعلوي والجعفري يلحقون به من أجل خولة. وكلموه فردها.. رضي.. ورجع بها الحسن زوجاً له. لم يتنطع الحسن ولم يتزمت.. خلق كريم.

وخولة هذه صاحبة القصة، حمت النَّوار زوجة الفرزدق. وشفعت لها عند ابن الزبير فشفعها. حكم على الفرزدق للنوار. وفي هذه يقول الفرزدق:

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

* * *

عَاصِم بن أبي الأقلح

عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح واسمه قيس، أنصاري من الأوس الأكرمين.. رهط سعد بن معاذ صديق الأمة الثاني. ويكنى عاصم بأبي سلمان. أسلم في السابقين من قومه الذين تبوءوا الدار والإيمان. جاهدوا في الله حق جهاده. وكما أوجب على نفسه.. فالجهاد فرض كفاية على أمة المسلمين، إلا الأنصار فإنه فرض عين عليهم.. عهد العقبة، وبيعة النقباء، وضريبة الإيواء ومعنى النصرة.. بهذا كانوا من الأنصار، وعاصم واحد منهم. شهد بدراً حتى إذا عاد منتصراً بالإسلام وعاد الإسلام منتصراً به وبالأبطال من قومه ومن إخوانه المناضلين، أرسله الرسول ﷺ يقود سرية فقتل فيها شهيداً.

قتل شهيداً يوم الرجيع، فحمته الدبر، ثم حمله السيل لئلا يمس جزءاً منه كافر مشرك. وسرية الرجيع أرسلها رسول الله ﷺ عيناً له تأتيه بخبر قريش المشركة وأمَّر على هذه السرية «سيدنا عاصماً». وانطلقت السرية لغرضها حتى كانوا ببعض الطريق بين عسَفان ومكة.. نزلوا يستريحون، فرأتهم عيون مشركة من بني لحيان من هذيل لا يزال هذا اسمهم إلى الآن. وتبعهم بنو لحيان في قريب من مائة راجل رام، يقتصون آثارهم حتى لحقوا بهم. ورآهم عاصم بن ثابت فلجأ هو وأصحابه إلى فَدْفَدْ يحتمون ويرمون

عن أنفسهم، ولكن الكثرة من لحيان قد أحاطت بهم، وقالوا له: «لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا فلا نقتل منكم رجلاً». فقال عاصم بن ثابت: «أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللَّهم فأخبر عنا رسولك». واستحر القتال، أصحاب عاصم يرمون، والمشركون يرمون حتى قتلوا عاصماً مع سبعة نفر من خيرة أصحاب محمد.. وبقي من السرية زيد بن الدثنّة، وخبيْب بن عدي (ترجمنا له من قبل)، ورجل آخر لم يسعني الوقت أن أفتش عن اسمه (ثم ظهر لنا أنه عبد الله بن طارق).

وأعطت لحيان العهد والميثاق أن ينزل الثلاثة إليهم فلما استمكنوا منهم حلوا أوتار قسيهم، فربطوهم. فقال الرجل الثالث الذي كان معهما: هذا أول الغدر. وأبى أن يصحبهم فجروه.. فأبى أن يتبعهم.. وقال لهم: إن لي في هؤلاء أسوة ـ يشير إلى السبعة الذين قتلوا ـ فقتلوه ثمة.

وانطلق المشركون بخبيب بن عدي وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة لقريش المشركة، تنتقم منهما أخذاً بثأر من قتل من قريش في بدر. وقد قتلا في مكة في خبر يطول.. فيه من الكرامة لخبيب وزيد ما يزيدنا إيماناً بالله وحباً لرسول الله وثناء على أصحابه الذين صدقوا العهد ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣).

وبعثت قريش إلى عاصم القتيل الشهيد ليؤتوا بشيء من جسده ليحرقوه تشفياً، لأنه قتل يوم بدر صنديداً من عظمائهم، ولكن الله قد حفظ عاصماً فلم ينالوا شيئاً من جسده.. بعث الله مثل الظلمة من الدبر (الدبابير) فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء. فلما أعجزهم قالوا: إن الدبر ستذهب إذا جاء الليل. يريدون أن ينتظروا حتى تنام الدبر فينالوا رأس

عاصم أو جسده. ولكنهم نسوا أن الله هو العاصم الحافظ.. وهل انحصر جند الله في الدبر؟ إن لله جنوداً لا يراها هؤلاء المشركون. ولما جاء الليل بعث الله عزّ وجل مطراً جاء بسيل فحمل عاصماً فلم يجدوه. حال الله بينهم وبينه. ومن يحرسه الله لن يتخطفه أحد.

ومكث رسول الله ﷺ مدة شهر يلعن رعلاً وذكوان وبني لحيان لأنهم غدروا بسريته، ولأنهم قتلوا عاصماً، ولأنهم عرضوا خبيباً وزيداً لعذاب عظيم وانتقام مشين من القتل والصلب.

حمل السيل جسد عاصم وحمل الفارس الفدائي حواري رسول الله الزبير بن العوام جثة خبيب من فوق خشبة الصلب.. والذين صلبوه في سكر وعربدة. سكر الجهل وعربدة الشراب الحرام.

وقال حسان بن ثابت:

لعمرك قد شابت هذيل بن مدرك أحاديث كانت في خبيب وعاصم
أحاديث لحيان أضلوا بقبحها ولحيان ركابون شتى الجرائم

تزوج عمر بن الخطاب ابنة عاصم بن أبي الأقلح واسمها «عاصية»، أبدلها النبي ﷺ باسم إسلامي نظيف فسماها «جميلة»، وأنجب منها، عاصماً الصحابي الكريم، لم يكن شقيقاً لعبد الله بن عمر، ولكنه كان نعم المحتذى به، والصديق له.

جاءه رجل يوماً فقال له: إن فلاناً سب أخاك عبد الله، فقال عاصم: إني وأخي عبد الله لا نسب الناس.

أدب عمر، ورثاه من أبوين كريمين. عبد الله بن عمر خالاه عثمان بن مظعون، وقدامة بن مظعون وهما من هما قدم إسلام، وصدق إيمان، ونظافة خلق.

وجدّ عاصم بن عمر، عاصم بن أبي الأقلح بطلنا اليوم، وهو من هو بطولة وإيماناً وتصديقاً وتضحية.

وأنجب عاصم بن عمر ابنة تزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم فأنجبت عمر بن عبد العزيز. وناهيك به خليفة راشداً عُدّ خامس الخلفاء الراشدين، وبقية السلف الصالحين. لم يرث من آبائه المروانيين الأعياص الأمويين العبشميين، وإنما ورث خلق عمر وإيمان عمر وعدالة عمر، زادها حلية وكمالاً بما ورث من جده لأمه عاصم بن أبي الأقلح.

ذرية بعضها من بعض.. والله يهدي من يشاء. رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

مَعقِل بن سِنَان

معقل بن سنان غطفاني أشجعي، أبو زيد أو أبو محمد.. وفد على النبي يقدم قومه فأقطعه قطيعة: أرضاً يعيش عليها، ويرعى نعمه فيها.. وهو ونعيم بن مسعود الأشجعي سيدا قومهما.. كان لواء قومه معه يوم الفتح ويوم حنين.. فهو من قادة السرايا على عهد رسول الله ﷺ. كان موصوفاً بالجمال الباهر. تغنى به كثيرون..

أعوذ برب الناس من شر معقل إذا معقل راح البقيع مرجلا

وسمع عمر أنهم يتغنون بجماله فخشي الفتنة، فنفاه إلى البصرة.. فقد ذكروا أن عمر سمع أن امرأة كانت تنشد هذا البيت.

عجيب لعمر.. فعلها مع اثنين: مع تابعي شاب «نصر بن حجَّاج»، وفعلها مع صحابي كبير «معقل بن سنان».

وهل الفتنة لا تكون منهما إلا لنساء المدينة؟.. إنها لكل النساء. ولكن عمر يريد الوقار في مهجر محمد ـ المدينة ـ كما يريده في مكة المكرمة.. يريد وقاراً وتقوى لا يحب العبث فيهما.

وبعد عمر رجع إلى المدينة حتى بويع يزيد بن معاوية، فذهب إليه يحمل بيعة طيبة ليزيد، أخذها منهم أميرها الوليد بن عتبة أو من عقبة لا

أدري أيهما الأصح. وذهب معقل ببيعة أهل المدينة فلقي قائد جيش الحرة، قد بعثه يزيد لقتال أهلها ليبايعوه. وجلس إلى مسلم فأنس به مسلم وحادثه، فأمنه معقل، وقال له إني قدمت على هذا الرجل ـ يعني يزيد ـ فوجدته يشرب الخمر وينكح الحرام، فلم يبق شيئاً في نفسه حتى قاله لمسلم. وأردف يقول له: «أكتم علي».. فقال مسلم: «افعل.. لكن على عهد الله وميثاقه، لا تمكنني ولي عليك قدرة إلا ضربت الذي فيه عيناك..». رجل دولة لا يعرف ما قطع من عهد، إنه لن يحترم إلا يزيد، وما عليه من العهد والمواثيق.

وانتصر مسلم بن عقبة في وقعة الحرة.. وطلب معقلاً. فأتوا به فأمر بضرب عنقه صبراً.

أشهد أن مسلم بن عقبة كان جباراً في الأرض. لم يحفظ ذمة صحابي ولا عهد أبناء الأنصار، ولا حرمة الجوار.

ألا تلكم الأنصار تبكي سراتها وأشجع تبكي معقل بن سنان

يرحم الله الجميع، فقد قدموا على رب واسع المغفرة.

كَعْبُ بن سُور

كعب بن سور الأزدي. والأزد قحطانيون. كان مسلماً على عهد النبي ﷺ. أسلم على يد الوافدين من قومه، ولم ير رسول الله. حبسه حابس. فلعلّه استأنى. لا يذهب إلى المدينة ليرى رسول الله فلم يدرك ذلك، فهو معدود في كبار التابعين.

وقد سكن المدينة وكان من أصدقاء عمر، يجلس إليه ويسمع له، فتأدب بأدبه وسار على نهجه. وبعثه عمر قاضياً على البصرة بعد أن مصرت لتكون ثغراً من ثغور المرابطين، لا يحجبهم عن الجزيرة العربية وعن الخلافة مانع من نهر أو بحر، ولا يمنعهم عن مواصلة الفتح وإرسال الإمداد مانع آخر.

والخبر العجيب الذي دعا عمر أن يبعث كعباً قاضياً على البصرة هو قصة يبين منها ذكاء كعب، وإشفاق عمر ويقظته، واحترام المرأة لنفسها تضن بكرامتها فلا تصبر على أذى، ولا تسكت على ما يحملها على باطل أو يرهق نفسها بالصبر عما تدعو إليه طبيعة الجنس وغريزة الأم.

امرأة فاضلة تركها زوجها لا يعطيها حقها، لأنه قد شغل بالعبادة. فهرعت إلى عمر تشكو رجلها.. لا ليضام، ولا ليمنع، وإنما ليعلَّم وينصح، فيستقيم أمر الزوج مع امرأته.

والقصة هذا نصها: ذكروا أن كعب بن سور كان جالساً عند عمر بن الخطاب ـ وهو الخليفة المرهوب ـ فجاءت امرأة فقالت: «ما رأيت قط رجلاً أفضل من زوجي. إنه ليبيت ليله قائماً، ونهاره صائماً. في اليوم الحار ما يفطر».. وسمع منها عمر فاستغفر لها، وأثنى عليها. وقال يجيبها: «مثلك أثنى بالخير». فاستحيت المرأة وقامت راجعة، فقال كعب بن سور: يا أمير المؤمنين هلا أعديت المرأة على زوجها؟ إذ جاءتك تستعديك؟. فقال عمر: أكذلك أرادت؟. قال كعب: نعم. فقال عمر: ردوا على المرأة. فلما حضرت رق لها عمر وهش وبش. وقال: «لا بأس بالحق أن تقوليه، إن هذا يزعم أنك جئت تشكين رجلك يتجنب فراشك». فقالت المرأة: «أجل. إني امرأة شابة، وإني ابتغي ما يبتغي النساء». وسكت عمر، ثم أرسل إلى زوجها فجاء، فقال عمر لكعب: اقض بينهما. فقال كعب: أمير المؤمنين أحق بأن يقضي بينهما. فقال عمر: عزمت عليك لتقضين بينهما، فإنك فهمت من أمرهما ما لم أفهم..

وقضى كعب.. وبماذا قضى؟

قال كعب: فإني أرى أن لها يوماً من أربعة أيام. كأنما زوجها له أربع نسوة. فإذا لم يكن لها غيرها فإني أقضي له بثلاثة أيام ولياليهن يتعبد فيهن ولها يوم وليلة.

فقال عمر: والله ما رأيك الأول بأعجب من الآخر ـ يعني أن عمر عجب من فطنة كعب ثم من صحة حكم كعب ـ اذهب فأنت قاضٍ على أهل البصرة.

واستقام أمر كعب في قضاء البصرة طوال أيام عمر وطول مدة خلافة عثمان. حتى أن عثمان أمر أبا موسى الصحابي الفقيه أن يقضي كعب بن سور بين الناس، ولم يعزله علي حينما تولى الخلافة.

حتى كان يوم الجمل. فلما اجتمع الناس بالخريبة خارج البصرة واصطفوا للقتال، خرج كعب بن سور وبيده المصحف ينشره على الناس ليشهدوه، وجال بين الصفين يناشد الناس الله في دمائهم، ولكنهم كانوا بعرض فتنة لم ينفع فيها نصح كعب، ولا سفارة القعقاع بن عمرو، ولا تريَّث علي، ولا رجوع الزبير، ولا تردد عائشة. فأنشب الغوغاء القتال فأصاب كعباً سهم غريب من يد طائشة فقتله. قتل والمصحف في عنقه. بيده عصا وعليه برنس، وهو آخذ بخطام الجمل رحمه الله.

وقد رويت هذه القصة ـ أعني قصة الزوجة ـ في حوار شعري، لا نجزم بصحة وقوعها، وإنما نسوقه خبراً طريفاً.

تحدثوا أن المرأة قالت:

يا أيها القاضي الفقيه أرشده ... ألهىٰ خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تعبده ... نهاره وليله ما يرقده
ولست في أمر النساء أحمده ... فأقض القضا يا كعب لا تردده

فقال الزوج:

إني امرؤ قد شفني ما قد نزل ... في سورة النور وفي السبع الطول
وفي الحواميم الشفا وفي النمل ... فردها عني وعن سوء الجدل

فقال كعب:

إن السعيد بالقضايا من فصل ... ومن قضى بالحق حقاً وعدل
إن لها حقاً عليك يا بعل ... من أربع واحدة لمن عقل
اقض لها ذلك ودع عنك العلل

ثم قال له: «أيها الرجل، إن لك أن تتزوج من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام ولامرأتك هذه من أربع ليال ليلة، فلا تصلّ في ليلتها إلا الفريضة». فبعثه عمر قاضياً على البصرة.

وهذه القصة هي القصة التي مضت في صورة أخرى زوّقها الرواة. ينفعنا منها الجوهر ولا يضيرنا العرض.

رضي الله عنه.

عُمَيْـر بـن الحُمَـام

عمير بن الحمام (بضم المهملة وتخفيف الميم) بن الجموح. الأنصاري السلمي، أسلم في السابقين من قومه الأنصار. أول قتلانا وشهدائنا في بدر، فإنه حين اصطف المسلمون للحرب وعلموا أنها ذات الشوكة قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» فقال عمير بن الحمام أحد بني سلمة: وفي يده تمرات يأكل منها ـ «بخ. بخ. فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء». فقذف التمر من يده وأخذ سيفه وقاتل حتى قتل وهو يقول:

ركضا إلى اللَّه بغير زاد

إلا التقي وعمل المعاد

والصبر في اللَّه على الجهاد.

وكان أول قتيل قتل في سبيل الله في الحرب يوم بدر. الذين شهدوا بدراً وعاشوا بعدها ومنهم من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لهم المقام الكريم، تفضل الله عليهم بالمغفرة.. فكيف بهذا الذي شهد بدراً وقتل شهيداً فيها..

إنه فضل الله، وإنها معجزة النبوة جاءت بالهداية، وصنعت الهداية في

القلوب. هذا التاريخ العريض والفتح المبين. أولستم معي في أن الفتح المبين، فتح مكة، في يقين النص وصادق الخبر، فلماذا لا يكون الفتح المبين أساسه فتح مكة وأعظم ما فيه، لأن فتحها قد قطع دابر الشرك في الجزيرة، فوحد الله قلوب العرب والمسلمين وهم كل من وجد وعاصر هذا الفتح، فكان بهم الفتح العظيم الثاني بعد فتح مكة، ألا وهو فتح الدنيا كلها، تعلو في كل بقعة منها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

والفتح العظيم سواء فتح مكة أم ما بعدها من وحدة وانتصار لم يأت إلا عن إيمان وتضحية وشجاعة في قلوب الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، في طليعتهم هذا الذي قضى نحبه: عمير بن الحمام.

وقد روى هذا الحديث بوجه آخر، أخرجه مسلم: إن رسول الله ﷺ قال لجيشه القليل العدد: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال عمير بن الحمام الأنصاري: «يا رسول الله. جنة عرضها السموات والأرض؟» قال: «نعم». قال رسول الله ﷺ: «ما يحملك على قول بخ. بخ؟» قال عمير: «رجاء أن أكون من أهلها». فقال رسول الله: «فإنك من أهلها». فأخرج تمرات من قرنه يأكل منها، ثم قال: «لئن أنا حييت حتى آكل تمراً إنها لحياة طويلة».. فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل. وقاتل عمير بن الحمام من المشركين يوم بدر هو خالد بن الأعلم.

هذه سيرة بطلنا، وأنها لجزء من سيرة النبي ﷺ. وكأنها الكل في سيرة الإسلام العطرة، فلم يكن هذا المثل الكريم وقفاً على عمير وأمثاله، وإنما وجد ليكون القدوة الحسنة في يوم قريب: يوم يخرج الله أناساً يقاتلون عن دينه ووطن إسلامه، سواء كانوا اليهود وأعوان اليهود أو المنحرفين عن الملَّة والدين.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).. والذكر لم يحفظ قراطيس في المكتبات والمحافظ، وإنما بقلوب الرجال وإيمان المؤمنين وعمل العاملين يرتفع بهذا صوت ويؤمن قلب وتعمل قوة، وأنا بهذا الحرم الآن لأول المسؤولين.. فاللَّهم هدايتك وتوفيقك..

* * *

قَيْسُ بن عَاصِم

قيس بن عاصم المنقري التميمي. أبو طلحة، أو أبو علي على الأشهر. قدم في وفد قومه بني تميم على رسول الله ﷺ فأسلم في السنة التاسعة.. وبنو تميم كانت لهم صولة في الجاهلية، وظلت هذه الصولة في الإسلام في الصدر الأول. كانت تميم صاحبة الشأن في مكة قبل خزاعة، وقبل قصي، ثم طاب لها العيش في نجد، وانساحت من نجد إلى العراق. وقد نبغ فيها رجال أخيار وقادة أفذاذ في الجاهلية والإسلام «حاجب بن زرارة، والزبرقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم، والأحنف بن قيس، والقعقاع بن عمر وأخوه عاصم»، ثم شاعراها، شاعر مضر: جرير والفرزدق. فتميم مضرية عدنانية من ولد الياس بن مضر.

وقد اشتهر منها أناس لم يكونوا إلى الخير كسجاح وعمرو بن جرموز. تلك ادعت النبوة وهذا قتل الزبير. ومربد البصرة والكوفة قد عمرتهما تميم باللغة والشعر ولقد كان حظهم في الفتح عظيماً إلى حد بعيد. ولا أحسبني أكون قد بالغت إذا قلت: إن القادسية وليلة الهرير لم ننتصر فيها ولم نحطم عرش الأكاسرة إلا بسيوف تميم. بسيفين قطعا خراطيم الفيلة. سيف القعقاع بن عمرو، وعاصم بن عمرو. وكان أبا بكر قد نظر بفراسة المؤمن إلى القعقاع حينما قال فيه إذ أرسله مدداً إلى جيش العراق بمفرده ورأى

الإنكار في أعين أصحابه. يطلب منه المدد لجيش العراق فيرسل لهم واحداً (القعقاع). لقد قال لهم: «إن جيشاً فيه هذا لا يغلب».

ورأى رسول الله قيساً فقال: هذا سيد أهل الوبر. فقد كان رضي الله عنه عاقلاً حليماً. ولقد سئل الأحنف ابن قيس الحليم العظيم: ممن تعلمت الحلم؟.. فقال: من قيس بن عاصم.. رأيته يوماً قاعداً في فناء داره محتبياً بحمائل سيفه، يحدث قومه إذ أتى برجل مكتوف، وآخر مقتول. فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك. قال الأحنف: فوالله ما حلّ حبوته، ولا قطع كلامه. فلما أتمّ التفت إلى ابن أخيه، فقال: يا ابن أخي بئس ما فعلت، أثِمْت بربك، وقطعت رحمك، وقتلت ابن عمك، ورميت نفسك بسهمك، قم.. ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فوار أخاك. وحل كتاف ابن عمك، وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها فإنها غريبة.

وقيس بن عاصم كان في الجاهلية من ذوي المروءة والعقل، ولقد كان مثله كثيرين. حرم على نفسه الخمر في الجاهلية، شربها مرة فسكر حتى أنه غمز عكنة ابنته، وسب أبويها. وأعطى الخمار كثيراً من ماله. فلما أفاق وأخبر بذلك حرمها على نفسه، وذمها بشعر:

رأيت الخمر صالحة وفيها ... خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله اشربها صحيحاً ... ولا أشفي بها ابداً سقيما
ولا أعطي بها ثمنا حياتي ... ولا أدعو لها ابداً نديما
فإن الخمر تفضح شاربيها ... وتجنيهم بها الأمر العظيما

ومن جيد قوله:

إلى امرؤ لا يعتري خلقي ... دنس يفنده ولا افن

من منقر في بيت مكرمة والغصن ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقول قائلهم بيض الوجوه أعفة لسن
لا يفطنون لعيب جارهمو وهمو لحسن جواره فطن

ولما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال: «يا بنيَّ احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني، إذا مت فسوّدوا كباركم، ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونون عليهم. وعليك بإصلاح المال فإنه منبهة للكريم، ويستغنى به عن اللئيم. وإياكم ومسألة الناس فإنها آخر كسب الرجل. ولقد كانت تميم تعظم قيساً لأنها تعظم كبراءها».

. . أقبل مرة أحد سادتها من بني عمرو بن الأهتم على المربد. فقام الرجال من تميم يحيون ويقولون: أقبل سيدكم ونظر فلم يجد السادة الكبار من قومه كالأحنف بن قيس ومن إليه. فذكر ما يصيب قومه من فقد السادة الكبار. فقال:

خلت الديار وسدت غير مسود ومن البلاء تفقدي للسؤدد

عمدها لها قومه وتناقلها الرواة. ثناء من عظيم وتواضعاً من كريم وبكاء من ابن صادق بار. وقد أوصى قيس بن عاصم عند موته فقال: إذا أنا مت فلا تنوحوا علي. فإن رسول الله ﷺ لم يُنَحُ عليه.

ولما شيعوه إلى قبره قال عبدة بن الطبيب:

عليك سلام اللَّه قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما
تحية من أوليته منك نعمة إذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وكثير من الناس يحسبون قيساً ليس صحابياً مع أنه صحابي جليل، رضي الله تعالى عنه، وأن لتميم أدواراً في تاريخنا كلها عظمة ومجد، وأن لها دوراً يأتي بعد حيثما نكون أقسى هذه الأمة على الدجال.

رضي الله عن الخيرين وهدى الله الآخرين.

* * *

فاطِمة بنتُ عُتْبَة

فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف خالة معاوية بن أبي سفيان، وأخت أبي حذيفة، رضي الله عنهم. أمها صفية بنت أمية بن حارثة من سليم، أسلمت وبايعت وكأنما هي قد سارت على هدي أخيها أبي حذيفة ولم تسر على ضلال وعناد قومها الأمويين العبشميين أمثال أبيها عتبة بن ربيعة وعمها شيبة، وأخيها الوليد طليعة القتلى من المشركين يوم أُحد، قتلهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بنو عبد المطلب الهاشميين.

ومن العجب أن كلاً من القاتلين والمقتولين من أرومة واحدة وهم بنو عبد مناف، فهاشم جد القاتلين، وعبد شمس جد المقتولين. إخوان توأمان شقيقان. ولكنها معركة الإيمان لا تسأل عن قريب ولا تقصي البعيد.

وأبوها عتبة أحد الأفراد القلائل من مشيخة قريش.. عرف بالعقل والحلم حتى أن الذين أنكروا أن تكون الرسالة لمحمد ﷺ، وتمنوا أن تكون لرجل من القريتين عظيم، كان أحدهما عتبة بن ربيعة جد معاوية بن أبي سفيان لأمه، وابن عم أبيه، فهي من عراقة الأصل والنسب في المكان الأرفع.

تزوجها قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف فولدت له الوليد، وهشاماً، وأمية، وآمنة، وعتبة، ومسلماً. ومن أزواجها عبد الله بن عامر وسالم مولى أخيها أبي حذيفة، وعقيل بن أبي طالب.

والعظة في عمل أخيها أبي حذيفة وفي قبولها ما صنع لها أبو حذيفة. لم يقل إنها بنت عتبة، ولم تقل هي ذلك فتزوجت من المولى المؤمن «سالم».. ولعلّه بعد أن أستشهد سالم يوم اليمامة تزوجها عقيل بن أبي طالب. وفي ذلك خبر طريف يدل على معانٍ تكاد لا تتفق مع أهداف أبي حذيفة. خطبها عقيل ـ وكانت كثيرة المال ـ فقالت: «أتزوج بك على أن تضمن لي وأنفق عليك»، فكان إذا دخل عليها قالت: ولعلّها تكايده ـ «أين عتبة بن ربيعة، أين شيبة ابن ربيعة؟» تقول ذلك وعقيل بن أبي طالب ليس أقل منها فخراً بنسب، فهو ابن عمها، ومثلها من بني عبد مناف.. ولكن هكذا كانت. ودخل يوماً عليها وهو برم من حال في نفسه. فقالت: «أين عتبة بن ربيعة، أين شيبة بن ربيعة؟» فقال لها: «على يسارك إذا دخلت النار» فغضبت وشدت عليها ثيابها وقالت: «لا يجمع رأسي ورأسك شيء». ثم أتت عثمان وهو ابن عمها أموي عبشمي. فبعث عثمان إلى معاوية وابن عباس: الأول ابن أختها والثاني ابن عم زوجها، وتحدث إليهما عثمان، فقال ابن عباس: «واللَّه لأفرقن بينهما، وقال معاوية: ما كنت لأفرق بين شيخين من بني عبد مناف».

ابن عباس أراد أن يرفع عن كاهل ابن عمه ما هو فيه.. ومعاوية أراد أن يحفظ على بني عبد مناف القيمة والقدر. وذهب معاوية وابن عباس فوجداهما. عقيلاً وفاطمة. قد شدا عليهما أثوابهما. فاصلحا أمرهما. لأن عثمان كان قد خولهما ـ معاوية وابن عباس ـ الرأي. فقال عثمان: إن تجمعا فاجمعا وإن تفرقا ففرقا.

رضي الله عنهما أجمعين.

* * *

عَاتِكة بنتُ زَيْد العَدَوِيَّــة

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل. أي أنها بنت عم عمر ابن الخطاب. وأخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة. وأبوها زيد بن عمرو، وعم عمر. كان من المبصرين في الجاهلية الذين انكروا عبادة الأصنام وحرّموا على أنفسهم ما يذبح للصنم، وعبدوا الله على ملة إبراهيم. مثل ورقة بن نوفل. إلا أن ورقة تنصَّر فمات على نصرانيته في الفترة من الوحي، بين (أقرأ) و (المدّثَّر)، وذهب إلى ربه مبشرًّا بنجاته. ولعلّه لو عاش ـ وقد آمن بنزول الوحي على محمد ـ لآمن به بشيراً ونذيراً.

أما زيد فلم يتنصّر ولم يتهوّد. وإنما عاش يتعبد على ملة إبراهيم. فمات مبشراً بنجاته قبل النبوة. وعاتكة بنت زيد أسلمت قديماً. فبايعت وهاجرت. فهي من المسلمات المؤمنات المهاجرات. وقد كانت عاتكة بنت زيد تحب عبد الله بن أبي بكر الصديق. وكان يحبها وتحبه. فجعل لها طائفة من ماله على ألا تتزوج بعده. أعطاها بعض أرضه لئلا تتزوج، ومات عنها عبد الله بن أبي بكر. أصيب يوم الطائف بسهم فتبتَّلت وعزمت ألا تتزوج، وجاء الرجال يخطبونها فكانت تأبى وفاء للشرط. وأراد عمر أن يتزوجها ـ وهو ابن عمها ـ فقال عمر لوليها، ولعلّه أخوها سعيد: اذكرني

لها. فذكره لها فأبت عمر أيضاً. فقال عمر. زوّجنيها ـ ولا ندري كيف تم ذلك وهي تملك أمر نفسها، فلعلّ في القصة بعض الأسباب، ولعلّ فيها تخريج فقهي، تناوله الفقهاء. لا ندري عنه. فاستجاب وليها فزوجه إياها. فأتاها عمر. فدخل عليها. فعاركها ـ إنها زوجته، إنها حلاله حتى غلبها على نفسها فنكحها. فلما فرغ قال: «اف. اف. اف. افاف بها» ثم خرج من عندها وتركها لا يأتيها. فأرسلت إليه مولاة لها أن تعال فإني سأتهيأ لك.

وتحدثوا: إنه حينما تزوجها عمر بن الخطاب، أرسلت إليها عائشة أم المؤمنين، لأنها أخت عبد الله زوجها الأول. أرسلت إليها تقول: ردي علينا أرضنا. ومن الطريف المعجب في تمام هذا الخبر، أن عاتكة كانت قد قالت حينما مات عبد الله بن أبي بكر:

وآليت لا تنفك نفسي حزينة عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فردّدته عائشة على نحو آخر تقول بعد أن تزوجت عاتكة عمر:

وآليت لا تنفك عيني قريرة عليك ولا ينفك جلدي أصفرا

ردي علينا أرضنا.

ومما يروي أن ربيعة بن أمية جاء إلى عمر بن الخطاب وأبو بكر حي، وهو الخليفة وكانت عاتكة متبتلة لم تتزوج عمر في حياة أبي بكر. فقال أمية لعمر: رأيت في المنام كأن أبا بكر هلك. فكنت بعده فبعثت إلى هذه المرأة المتبتلة (عاتكة) فنكحتها. فدخلت عليك عروساً بها.. وعلى بابك جله قرط. فقال عمر: بفيك الحجر. بل يبقيه الله ويمتنا به. ولا سبيل إلى هذه المرأة.

وتوفي أبو بكر، وتولى الخلافة بعده عمر فأرسل إلى عاتكة وتزوجها. فكان مما قاله لها: إنك قد حرمت على نفسك ما أحل الله. فردي المال إلى أهله وأنكحي.

وعلم ربيعة بما صنع عمر. تزوج عاتكة. فجاء يستأذن على عمر وهو عروس بها، وكأنما عمر قد تذكَّر الرؤيا. فقال: اللَّهم لا تنعم به علينا. فأذن له. ودخل ربيعة ينظر. فرأى جلة القرط على بابه. ونعمت عين ربيعة. وكانت رؤيته حقاً.

وتحدثوا أن عاتكة كانت تقبِّل عمر وهو صائم فلم ينهها، وفي رواية أخرى: كانت تقبِّل رأس عمر وهو صائم فلم ينهها. وتحدثوا أن عاتكة كانت تستأذن عمر إذا خرجت من المسجد. فكان عمر يقول لها إذا استأذنته إلى المسجد: قد عرفت هواي في الجلوس. أي جلوسها في البيت. لا يحب لها أن تخرج إلى المسجد. وكانت تقول له: لا ادع استئذانك. وكان عمر لا يحبسها إذا استأذنته. طعن عمر وهي في المسجد. وهي امرأته التي جلس لها في عتمة الليل. يعترض طريقها كأنه غريب. وهي خارجة من المسجد. يرغبها في عدم الخروج. وهي القائلة (لقد كان ذلك يوم كان الناس ناساً).

رضي الله تعالى عنهم أجمعين، فكم في سيرتهم من عبرة وعظة.. اللَّهم اجعلنا على الطريق السوي والنهج الصائب.

* * *

أسمَاء . . ذاتُ النِّطَاقَيْن

أسماء بنت أبي بكر الصديق . . ذات النطاقين. وأمها قتيْلة العامرية. فهي ليست شقيقة لعائشة. بل هي أختها لأبيها. أسلمت قديماً قبل الهجرة. وبايعت رسول الله. فكان لها ذكر جميل. وصبر أجمل. وإيمان كامل.

عاصرت النبوة من أول يوم. وتبعت أباها في أول ساعة فلئن خفي أمر هجرة النبي على الكثيرين، فلم يخفى عليها. ولم يخش منها. كانت أحد القلائل الذين يعلمون عن الهجرة. وساعدوا عليها. كأنما حملت السر العظيم. عن العمل العظيم. يأتي على يد رسول أمين. هجرته إلى المدينة ومعه صاحبه أبوها. أبو بكر. ومعهما مولى أبي بكر، عامر بن فهيرة. ولكأن آل أبي بكر: هو وابنته ومولاه قد شغلوا بالهجرة وعملوا لها حتى وصلت إلى ذروة النجاح فلها ولأبيها منة في عُنق كل مسلم على ما أحسنا من نية، وما صنعا من صالح، وما قدما لأمة محمد من خير. كان الفضل فيه قبل كل ذلك لله وحده الذي أرسل محمداً رحمة للعالمين.

وهي ذات النطاقين. فقد أخذت نطاقها ليلة الهجرة. فشقته اثنين. فجعلت واحداً لسفرة رسول الله والآخر عصاماً لقربته. ليلة خرج رسول الله وأبو بكر إلى الغار. فسميت ذات النطاقين.

تزوجها الزبير بن العوام. ابن عمة رسول الله، وحواريه. فولدت له

عبد الله، وعُروة، والمنذر، وعاصماً، وخديجة الكبرى وأم الحسن، وعائشة.

تحدثوا أن أسماء قالت: صنعت سفرة النبي في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة، فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلت لأبي بكر (تعني أباها): ما أجد شيئاً أربطه به إلا نطاقي. فقال أبو بكر: شقيه باثنين. فاربطي بواحد السقاء، وبالآخر السفرة. ففعلت. فلذلك سميت ذات النطاقين. وحينما كان ابنها عبد الله يقاتل جند الحجاج، كانوا يصيحون به، يُعيِّرونه: يا ابن ذات النطاقين. فقال ابن الزبير لهم: تلك شكاة ظاهر عنك عارها. وسمعت أسماء بما عَيَّر به ابنها. فقالت له: عيَّروك بي؟ قال: نعم. قالت: فهو والله الحق.

وتحدثت أسماء عن نفسها. قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض غير فرسه. فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته وأسوسه، وأدق النوى لناضحه، وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه، وأعجن.. ولم أكن أحسن أن أخبز، فكان يخبز لي جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق. وكنت أنقل النوى على رأسي من أرض الزبير (وهي معروفة الآن بعد أحد وعلى وادي الحمض في أول الغابة) التي أقطعه إياها رسول الله. وهي على ثلثي فرسخ (أي أكثر من ٨ كيلومتر)، فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ومعه نفر من أصحابه، فدعا لي وقال لراحلته: أخ. أخ. ليحملني خلفه. فاستحييت أن أسير مع الرجال. وذكرت الزبير وغيرته ـ وكان أغير الناس ـ فعرف رسول الله أني قد استحييت فمضى. وجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله وعلى رأسي النوى، ومعه نفر من أصحابه.

فأناخ لأركب معه. فاستحييت وعرفت غيرتك. فقال الزبير: والله

لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه.

وقفة قصيرة ندقق فيها النظر فيما تحدثت به أسماء عن نفسها. لم يكن الفقر في بعلها الزبير مانعاً لها من أن تكون السيدة الكريمة تعين زوجها على وضع من المعرفة فيه هذه الصورة من التكريم. والتضحية هي الأساس الأول في إزالته إلى وضع أحسن. لو لم يكن يتبدل الحال من فقر إلى غنى. فإنه بسبب السعادة والرضا بهذا الحال. تسعد به النفوس الكبيرة المطمئنة القانعة. تعمل في صبر وإيمان، وقناعة واطمئنان.

ولقد تبدل الحال، فأصبح الزبير، وأصبحت أسماء في نعمة الغنى، وبدل الكريم. والنبي محمد لماذا أناخ لها؟ أمن أجل أنها زوج ابن عمته؟ أم من أجل أبي بكر؟ قد يكون كل ذلك. ولكن ما أفهمه. ما أحسه. ما أعتقده. هو أنه أراد إكرامها. هي لنفسها. لذاته. لإيمانها. وإن كان أبو بكر والزبير جديرين من محمد عليه الصلاة والسلام بالتكريم والرحمة.

وتحدثوا أن الزبير كان شديداً عليها. فأتت أباها فشكت ذلك إليه. فقال أبو بكر أبوها: يا بنيتي اصبري. فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تتزوج بعده جمع بينهما في الجنة.

وجاءت أسماء إلى النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله ليس في بيتي شيء إلا ما أدخل علي الزبير. فهل علي جناح أن ارضخ مما دخل علي؟ فقال رسول الله: أرضخي ما استطعت. ولا توكي فيوكي الله عليك.

وكان في عنق أسماء ورم، فجاءت إلى النبي ﷺ وأخذ يمسحها ويقول: اللَّهم عافها من فحشه وأذاه. وكانت أسماء تقول لبناتها وأهلها: أنفقوا، وأنفقن، وتصدَقن، ولا تنتظرن الفضل فإنكن إن انتظرتن الزيادة لم تفضلن شيئاً، وأن تصدقتن لم تجدن فقده. وقد كانت امرأة سخية النفس.

نعم هي سخية النفس، سخت بنطاقها، سخت بحياتها، بجهدها، بعرقها. سخت بابنها، ولكنها لم تسخ بكرامتها وإيمانها.

فكيف لا تسخو وقد أغناها الله بالمال؟ قدمت عليها أمها قتيْلة ولم تكن في عصمة أبي بكر لأنه كان قد طلقها في الجاهلية. قدمت أمها عليها ومعها هدايا من زبيب، وسمن، وقرظ. فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها إلى بيتها. وأرسلت إلى عائشة أختها تقول لها: سلي رسول الله ﷺ عن ذلك. فقال الرسول: لتدخلها وتقبل هديتها. وأنزل الله تعالى ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ إلى قوله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الممتحنة: ٨ ـ ٩).

وقدم ابنها المنذر من العراق.. أرسل إليها بكسوة من ثياب مروية وقومية. رقاق عناق وذلك بعدما كف بصرها فلمستها بيدها ثم قالت: أف. ردوا عليه كسوته. فشق ذلك على المنذر فخاطبها.. يا أمه.. إنه لا يشف. (أي لا تظهر معالم الجسم لضيقها) فهدأ المنذر فاشترى لها ثياباً أخرى تصلح لها فقبلتها. وقالت: مثل هذا فأكسني.

وكانت أسماء بنت أبي بكر مع زوجها الزبير يشهدان اليرموك، فسمعت تقول لزوجها: يا أبا عبد الله. إن كان الرجل من العدو ليمر يسعى فتصيب قدمه عروة أطناب حبائي فيسقط على وجهه ميتاً. ما أصابه سلاح. لم يقتله سلاح تراه أسماء. وإنما قتله الله بسلاح من عنده لينصر هذا الدين في يوم فتح عظيم. يوم اليرموك. اتخذت أسماء خنجراً كانت تجعله تحت رأسها حينما فسد الأمر في المدينة زمن سعيد بن العاص. تتقي به اللصوص. وكانوا قد استعروا بالمدينة. ودخل الحجاج على أسماء بعد قتله ولدها عبد الله فقال لها: إن ابنك الحد في هذا البيت. وإن الله أذاقه من عذاب أليم.

وفعل. وفعل. فقالت له أسماء: كذبت كان برًّا بالوالدين، صوّاماً قواماً. ولكن والله لقد أخبرنا رسول الله أنه سيخرج من ثقيف كذَابان. الآخر منهما شر من الأول. وهو مبير. الأول كان الحجاج، والمبير كان المختار الثقفي.

وقد أوصت عند موتها: جمروا ثيابي على المشجب، وحنطوني. ولا تذروا علي من ثيابي شيئاً.

وماتت رضي الله عنها بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بليال. وكان قتله يوم الثلاثاء (١٧ من جمادي الأولى سنة ٧٣هـ) رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

عُمَيْـر بـن سَعْـد

هذه سيرة لبطل كريم. أحب أن يشاركنا بها الأستاذ «عبد الحكيم عابدين» فأطعنا شاكرين لا نريد أن نستأثر بخير ولا نستبد بباب. وحمداً لله على باب نجد المستجيدين له كثيراً، والمرحبين به جمعاً. حتى أنهم ليرجون الأجر بالمشاركة فيه. الأجر من الله. لا من مخلوق. وخيراً فعل الشيخ، والشر لم نفعل والله ولي التوفيق.

* * *

مؤمن قلما ألمَّت كتب السيرة بالحديث عنه.. واسم أكاد أحصي بالآحاد من ملأ به سمعه، أو روى بالحديث عنه مشاعره، ورجل يتوارى ذكره عندما تندى المجالس بمكارم لرجال، وإن كان منهم في القمة، وبطل لا يشرق في صحائف التاريخ ولو أنه هو وحده تاريخ بطولة ومصباح أمامة.. ذلك لأنه ممن كبرت نفوسهم على الدنيا فتخففوا من متاعها والسمعة فيها، وسمت هممهم واستشرفت إلى محبة الله الصادقة. فكان تفسيراً حياً لقول رسول الله عليه أفضل الصلوات: «إن الله يحب الأتقياء الأخفياء، الذين إذا شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفتقدوا».

أكثر ما نسمعك كتب التاريخ من حديثه أنه شهد فتوح الشام، فكان له أصدق ما يكون للمؤمن من الشوق إلى الجهاد والحرص على الاستشهاد

وحسن البلاء في الذب عن دين الله. وقل أن يزيدنا المؤرخون من المعرفة به غير ما كان من ولايته «حمص» لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد تعجب أيها القارئ المؤمن حين تدرك أن ولايته لم تجاوز العام، وإن تركت في مسمع التاريخ ثورة من البطولة لم يبلغها إلا الذؤابات من الصحابة الأعلام ـ على أنها لم تقترن بصهيل فرس ولا قعقعة حسام، وما أظلم الناس للبطولة إذا حبسوها في نطاق القتال وغمرات الأقدام وسلخوا من مفهومها روائع الانتصار على النفس والقوة على الحياة وشهواتها الحلال فضلاً عن الحرام.

وفي سيرة بطل اليوم على قصرها ما يملأ النفس بهذا النوع من البطولة والاعتصام. لقد كتب إليه عمر عند تصرم عام من ولايته يدعوه للقدوم على عادة أمير المؤمنين في اختبار عماله للوقوف بنفسه على مدى ما أصابوا من توفيق أو إخفاق، وقبل أن يفصل البريد مراحل من دار الخلافة التفت الناس حول أمير المؤمنين في دهشة واستغراب! ـ من هذا القادم لا يركب إلا ساقيه ولا ينتعل غير التراب تحت قدميه؟ ـ إن صدق الظن فهذا عمير بن سعد، والي أمير المؤمنين على حمص قد أقبل يشتد: عكازته بيده، وأدواته وقصعته على ظهره، وما نحسبه إلا قد قدم مجيباً دعوة أمير المؤمنين ـ ومتى بلغته دعوة أمير المؤمنين وما نرى رسول عمر قد فصل من المدينة إلا بعد أن بلغ عمير مشارف دار الهجرة ـ ها قد أقبل: إنه والله لعمير بن سعد بغية أمير المؤمنين ـ أمير حمص!! لا يهملج به برذون، ولا يهتز تحته سرج ولا يوجف بين يديه سائس ولا غلام وقد عاشر حضارة العيش في الشام بلد التمدن والرخاء. أهو هو عمير يا أمير المؤمنين؟ ـ بلى والله هو ذا قادم أعرفه وانتظر ما وراءه. ودخل عمير فسلَّم وأخذ مجلسه

في ندوة أمير المؤمنين، وكان عمر قد استغرب كاصحابه أن يفد عليه عجلاً في أقصر مما يبلغه البريد بين المدينة والشام ـ يا عمير! ترى أجبتنا أم البلاد بلاد سوء؟ وهنا ينطلق الأدب الرفيع، ويتمثل الخلق الإسلامي العف، وتتجلى قوة الحق التي لا تذكر هيبة عمر لما يغمرها من هيبة الله.. يا أمير المؤمنين: أما نهاك الله أن تجهر بالسوء وألزمك النأي عن سوء الظن؟

ـ صدقت وأرشدت أحسن الله إليك فيم جئت يا عمير؟

ـ لقد جئت إليك بالدنيا أجرّها بقرابها.

ـ بالدنيا تجرها فما معك منها؟

وهنا تشخص الأبصار إلى أمير حمص قد أجهده السير لأنه أتى راجلاً، وأخذ منه الحفاء لأنه لم يتخذ نعلاً، وترهف الآذان في لهفة لتسمع إلى القادم بالدنيا وما فيها يدل أمير المؤمنين على مواضع ذخيرته ومفاتيح كنوزه ولا يطول بهم الترقب حتى يسمعوا الجواب:

ـ معي يا أمير المؤمنين:

١ ـ عكازة أتوكأ عليها، وأدفع بها عدواً إن لقيته.

٢ ـ ومزود أحمل فيه طعامي.

٣ ـ وأداوة (وعاء من جلد) أحمل فيها ماء لشربي وطهوري.

٤ ـ وقصعة أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي.

٥ ـ وقعب (إناء من خشب) آكل فيه طعامي. فوالله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد إلا تبع لما معي.

انطلقت بهذا الجواب شعلة من السمو الروحي أحس عمر العظيم أنه ضعيف أمامها، وأرسلت هذه الكلمات في مسمع الكون درساً لم يجد عمر

الزاهد الحصيف بدّاً من أن يتتلمذ عليه. وما هو إلا أن فرغ من جوابه حتى قام عمر يلفه الذهول إلى مصلاه في الروضة الشريفة وفي جانبها قبر رسول الله ﷺ وأبي بكر حيث أطلق روحه في مراقي الجلال التي أشرقت عليه فبكى أشد البكاء ثم قال: اللَّهم ألحقني بصاحبي غير مفتضح ولا مبدل.

وعاد عمر بعد أن أعطى روحه قسطها من هذا الزاد الجليل يسأل أمير حمص:

ـ ما صنعت في عملك يا عمير؟

ـ أخذت الإبل من أهل الإبل والجزية من أهل الذمة، ثم فرقتها بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأتيتك به.

وهنا أيقن عمر أنه رزق الوالي الذي يؤمن جانبه وتطلب مرضاة الله بإقراره، فعزم عليه.

ـ عد إلى عملك يا عمير.

ـ أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني إلى أهلي.

ما بال ابن سعد لم يحرص على الولاية بل ما باله يفر منها وهي تتشبث بأذياله، وما باله يسرف في الإلحاح على عمر حتى يعفيه بعد أن وجد ضالته، ولو وقف الأمر عند هذا لكفى المتزود من المكارم شبعاً وريًّا، ولكنه لم يطو هذه الصحيفة من بطولته إلا لينشر له التاريخ صفحة أعظم نضارة وإشراقاً. فقد بعث إليه أمير المؤمنين بأحد رجاله حبيب يحمل مائة دينار ـ وهي يومذاك ثروة ويسار ـ ليقيم مع عمير ثلاثة أيام حتى يختبر حاله أفي سعة هو أم في ضيق، فإن كان في ضيق دفع إليه الدنانير. وأنفذ

«حبيب» وصاة أمير المؤمنين فلم ير لعمير عيشاً إلا الخبز والزيت، وقد شق على صاحب الدار ألا يطعم ضيفه ألين منهما فقال له: ـ يا حبيب إن رأيت أن تتحول إلى جيراننا فلعلّهم أوسع عيشاً منا. فإننا والله لو كان عندنا غير هذا لآثرناك به.

ـ لا بأس عليك مني يا عمير ولكن خذ هذه الدنانير المائة صلة من أمير المؤمنين فتوسع بها في معايشك.

ـ وصل الله أمير المؤمنين ورحمه! يا امرأة عمير: علي بفروك الخلق فاجعليه رقعاً كثيرة تصر فيها الدراهم، وخذي هذه الصرة على خمسة دنانير فأوقعي بها إلى فلان وهذه بستة فوسعي بها على فلان وهذه عشرة فاجعليها لفلان..

وهكذا.. حتى فرغ من المائة دينار، تفريقاً على إخوانه الفقراء. ورسول أمير المؤمنين يشهد غير مصدق ما ترى عيناه.. وعاد حبيب إلى عمر يقول: لقد جئتك يا أمير المؤمنين من عند أزهد الناس وما عنده من الدنيا كثير ولا قليل.

ـ إذن عُد إليه يا حبيب بثوبين ووسقين من طعام وسله أن يدعو الله لعمر.. بيد أن أمير حمص المستقيل قبل الثوبين وقال لحبيب: أما الوسقان فلا حاجة لي بهما وعند أهلي صاع من بر هو كافيهم حتى أرجع إليهم إن شاء الله.

وهكذا ينقضي ما وقع إلينا من العلم بتاريخ البطل المؤمن عمير بن سعد ونعرضه على رواد العبرة الغالبة من سيرة السلف الصالح وعلى طلاب القدرة الراشدة من ولاة اليوم، لا لنحرّم ما أحل الله من الطيبات ولا لندعو المسلم أن يسير مطرق الرأس وأعداؤه ينطحون السحاب، ولكن لنأخذ عنه

كيف تملك الدنيا بيدك ثم تخرج سلطانها من قلبك وتستخدمها راشداً فيما يصلح به من حولك. وكيف يصدق الوالي في تقدير تبعات الحكم ومسؤولياته حتى يفر منه وهو في مثال نزاهة عمير. وكيف يصل التجرد والإخلاص بالوالي الصغير حتى يحتاج إلى نصحه خليفة الإسلام ولو كان عمر وناهيك من عمر. وكيف تسمو في ثقتك بما عند الله حتى تعتقد أن ما في يد الله اقرب إليك مما في يدك. وأخيراً كيف يضعك التاريخ على كره منك في قمة العظمة وألسنة الأجيال وما أصبت مما يلفت أبناء جيلك إلا أخشن الطعام وأخلق الأسمال.

ألا رحم الله أمير المؤمنين عمر حيث يقول: وددت لو أن لي رجالاً مثل عمير أستعين بهم على أعمال المسلمين.

* * *

قُـدْقُـدْ بـن خِـنَـاقَـة

قدقد بن خناقة البكري.. كان شجاعها. أجيرها. يقتل النفوس لا يقيم لدمها وزناً. أسلم في خبر عجيب. جاء ليكفر. ليعين مشركاً. ليطيع أبا سفيان في قتل محمد.. مقابل أجر جعله له أبو سفيان. ورأى المعجزة، وبهجه النور. فآمن.

كان أبو سفيان ـ قبل أن يسلم ـ يتحرق غيظاً، يريد تصفية الموقف بقتل هذا الذي جاء بدين جديد فانتصر عليهم في بدر، ولم يتم لهم نصر في أُحد، ولم يقدروا على البقاء والثبات يوم الخندق.

أعجزت الحرب السافرة قريشاً يقودها ابن حرب.. وعجز أبو سفيان عن الوقوف وجهاً لوجه أمام ابن عمه محمد.. فكلاهما ابن عبد مناف، بل إن هاشماً جد محمد، وعبد شمس جد أبي سفيان أخوان شقيقان توأمان. ولجأ أبو سفيان إلى تدبير المؤامرات فدبرها مرات. كان إحداها أنه أستأجر قدقداً بطلنا اليوم.

واتفق قدقد مع أبي سفيان على قتل النبي ﷺ بجعل قدره عشرون ناقة لا يخسرها أبو سفيان من ماله، وإنما تخسرها قريش كلها. فأبو سفيان رجل مسِّيك اتفق معه وأعطاه خنجراً مسموماً يقتل به محمداً فيخلو الأمر لأبي سفيان.

هكذا قدروا وما علموا أنها الرسالة حفظها الله.. «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفأن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم.. الخ».

ودعوا قدقداً يتحدث عن نفسه!

قال قدقد: خرجت من عند أبي سفيان وأنا نشوان، فلما صحوت فكَّرت في عظيم ما أقدمت عليه، فسرت حتى إذا كنت بالروحاء في ليلة مظلمة، ما أرى موضع أخفاف الناقة! فلاح لي وميض البرق وإذا بهاتف من جوف الوادي «وادي سجح» يقول:

رسول أتى من عند ذي العرش صادقاً على طرق الخيرات للناس واقف

فظننته بعض السيارة.. وقصدت الصوت. فلما بلغت موضعه تسمعت فلا حس. فقفّ شعري، وعلمت أنه بعض الجن. فأنشأت أقول:

لك الخير قد أسمعتني قول هاتف ونبهت حسوساً قلبه غير خائف

فأجابني وكأنه تحت ناقتي:

لحا اللَّه أقواماً أرادوا محمداً بسوء ولا أسقاهمو ثوب ماطر
عكوفاً على الأوثان لا يتركونها وقدام دين اللَّه أهل البصائر

فمضيت لوجهي وفي ما سمعت.. فأصبت رسول الله في بني عبد الأشهل «رهط صديق الأمة الثاني سعد بن معاذ» يتحدث، وقد أخبرهم عن كل ما اتفق.. وقال: سيطلع عليكم الآن. فلا تهيجوه. وكنت لا أعرفه فقلت لصبي من الأنصار: أين هو؟ أين محمد القرشي الذي قدم عليكم؟. فنظر إلي الصبي متكرهاً وقال: ويلك. ثكلتك أمك. لولا أنك غريب

جاهل لأمرت بقتلك. ألا تقول: أين رسول الله؟ هو ذاك عند النخلة العوجاء. عند أصحابه. فأته فإنك إذا رأيته أكبرته وشهدت لتصديقه. وعلمت أنك لم تر قبله مثله.

فنزلت عن راحلتي. ثم أتيته فأخبرني بما اتفق لي مع أبي سفيان، ومع الهاتف، ثم دعاني إلى الإسلام فأسلمت. ثم قلت:

ألا أبلغن صخر بن حرب رسالة بأني رأيت الحق عند ابن هاشم
رأيت أمرءاً يدعو إلى البر والتقى عليماً بأحكام الهدى غير ظالم
فأخبرني بالغيب عما رأيته وأسررته من معشر في مكاتم

أسلم قدقد حينما رأى المعجزة. والمعجزة مع صنع الله يجيء بها رسوله الأمين. وليس لي تعليق على ذلك إلا فهم بديع حدثني به صديقنا الدكتور «عبد المجيد عطية» رحمه الله قال: لقد كنا طلاباً في الجامعة الأمريكية ببيروت.. وكان أستاذنا المستشرق الدكتور «فانديك» يحدثنا عن صدق رسول الإسلام. قال لنا فانديك: إن الدليل الوحيد على صدق هذا القرآن هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ (المائدة: ٦٧).

لقد كان محمد أول الأمر يتخذ حراساً من أصحابه، فلما نزلت رفع الحراسة عن نفسه. فهل من يفعل هذا صادق أم كاذب؟ إنه الصادق كل الصدق. فالإنسان لا يكذب على حياته يضعها في ميزان الرهان. في يد البشر. إن محمداً وضعها في عصمة التوكل على الله إيماناً بوعد الله. فالقرآن هو من عند الله. وهكذا حفظ الله محمداً من قدقد.. الفاتك الغادر، ليكون بعد، هو وأبو سفيان من الصحاب الأجلاء. رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

أَمَامَةُ بنت أبي العَاص بن الرَّبيع

أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد مناف بن قُصي، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ من زوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

فهي عبشمية الأب، هاشمية الأم. من قريش في الذروة وعلى السنام. تزوج أبوها أمها في الجاهلية فهاجرت أمها، ولم يسلم بعد أبوها. وقادوه أسيراً في بدر فافتدته زوجه زينب بقلادة كانت هدية لها من أمها خديجة. فأطلقه الرسول، وردّ القلادة.

في حديث كريم فيه عاطفة الوفاء، وفيه احترام المبدأ في استئذان الصحابة: «إذا رأيتم أن تطلقوا أسيرها وتردوا عليها قلادتها.. فأطلقوه وردوها».

وجاء أبوها مسلماً. فرد رسول الله عليه أمها بنكاحها الأول. لم يعقد له عليها من جديد.

وفي أخبارها. حب النبي لها طفلة صغيرة. كان يدللها ويحملها ويلاعبها، فما أحرانا أن نكرم الأطفال.

تحدث أبو قتادة فقال: بينما نحن على باب رسول الله ﷺ جلوس، إذ خرج علينا رسول الله يحمل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأمها زينب

بنت رسول الله وهي صبية.. فصلَّى رسول الله وهي على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها على عاتقه إذا قام، حتى قضى صلاته، يفعل ذلك.

وهذا الحديث قد روي من عدة طرق بألفاظ لا يختلف معناها: كان يحملها ويضعها وهو يصلي. وتحدثوا أن رسول الله دخل على أهله ومعه قلادة جذع فقال: لأعطينها أحبكن إلي. فقلن: يدفعها إلى ابنة أبي بكر (عائشة) فدعا ابنة أبي العاص من زينب. فقلدها بيده.. وكان على عينها رمص فمسحه بيده ﷺ. وتحدثت عائشة فقالت: إن النجاشي أهدى إلى رسول الله حلية فيها خاتم من ذهب فأخذه، وإنه لمعرض عنه.. فأرسل إلى ابنة ابنته (أمامة) فقال: تحلِّي بهذا يا بنيتي.

وتزوجها علي بن أبي طالب بعد موت فاطمة، كإحدى زوجاته الأخريات. فلما حضرته الوفاة بضربة أشقى الآخرين (ابن ملجم) قال لها: إن ابن أبي سفيان سيخطبك إليه فلا تتزوجيه.. وخطبها معاوية فأرسلت للمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب أحد أخوالها فقالت له: إن معاوية خطبني، فقال لها: لا تتزوجيه، ولو جعلت ذلك إلي.. فقالت: نعم قد تزوجتك.. فجاز نكاحه بها. ومعاوية لم يخطبها ليكابر بها وإنما أراد صيانتها فهو أقرب إليها نسباً من ابن المطلب خالها. لأنه عبشمي ابن عمها. ولكنها اختارت عليه الزواج من أحد أبناء الخئولة. فما أحبت أن تتزوج خصماً له مضى ما بينهما، وقد يبقى ما يثير الحزن في نفسها. رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

حمزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِب

حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله.. سيد الشهداء.. عم النبي وأخوه من الرضاعة.. أرضعتهما ثويبة جارية أبي لهب، أعني أخا حمزة وعم محمد.

وهل أرضعتهما في وقت واحد؟ لأنهما في سن واحدة أو أنها أرضعت حمزة قبل أن ترضع النبي بعامين أو أربعة.. سيان..!

وحمزة على هذا الأساس ترب نديد لمحمد في العشرة والتربية وملاعب الطفولة.. نشأ في بيت واحد.. في كنف رجل واحد وإن تعدد.. عبد المطلب الأب والجد حل محله أبو طالب الأخ.. العم..! وهذه النشأة قربت بينهما أخوين. وقرّبت بينهما أكثر من ذلك، قرب الرحم في قريش كلها.. قريش هذه التي جمعها قصي. بدأت تشكل مجتمعاً جديداً أخذ بسبيل الاستقرار والحضارة والصقل والانطلاق والصيانة لكل من هو قريب. ولكل من في مكة..! سيادة البيت قد بلغت فيها قريش الذروة..! وسيادة القرابة.. الرحم والوحدة قد وصلت فيها قريش إلى مضرب المثل.. إن اختصموا حكَّموا.. فرضخوا، وإن تنافروا وجدوا في مجتمعهم من يردهم إلى الألفة.. وبهذا كله.. انعقد لهم لواء سيادة، وأعلام قيادة، ومكانة صدارة.

ونبِّئ محمد.. وقام المدّثر على الصفا لينذر، واجتمعت قريش لتسمع، وفي نفس كل صنديد يقين لأنه لن يسمع من الصادق الأمين، إلا ما تطمئن إليه نفوس قريش. تتطاول الأعناق، وتكلمت النبوة، وخطب الرسول:

«أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم صبحاً.. أو مصدقيّ أنتم..؟ قالوا: بلى ما عهدنا عليك كذباً..» وأتم رسول الله ﷺ قوله.. «إني بشير ونذير إليكم».. فرأوا في ذلك شذوذاً على المجتمع، وهدماً لدين المجتمع، وتحطيماً لهبل.

فاحتار كل السامعين بم يجيبون؟. وبلغت الحيرة بالعم القريب أبي لهب ما حمله على أن ينطق بكلمة، كافرة فاجرة، لا يريد أن يتزعم بها قريشاً، فهو لم يخلق لها. وإنما أراد أن يعتذر لقريش كأنما هو ـ لعمق الصلة بينه وبين محمد ـ قد عدّ نفسه مسؤولاً عما قاله محمد.. الأوضاع في قريش، والأصهار لبني عبد شمس تقربه القرابة من هاشم، لتبعده المنافرة والمفاخرة من بني هاشم.. كلما تنافروا معه غلبوا في أكثر من موقف.. ولهذا حمل القرآن على حمالة الحطب.. امرأة أبي لهب، جميلة بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان..

والكلمة الفاجرة الكافرة من أبي لهب هي.. تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فنزلت آيات الكتاب لا تحمي القرابة ولا تمالئ العم، وإنما لتحمي العقيدة وتدافع عن التوحيد. وتقرر هذا الإسلام ليجرف في طريقه القريب الفاسد وليقرب البعيد الصالح، ولو كان عبداً حبشياً أو رومياً أو فارسياً.. إنه الإسلام للإنسان، دين سلام في أي مكان.

وانخفض قدر أبي لهب.. فذاب في المعركة كأن لم يكن له أثر. فوقف أبو طالب موقف النصر للقرابة، يحفظ ابن الأخ، ولا يؤمن بالدعوة.

شأن السيد لأسرته وفي مجتمعه. يفرضان عليه هذا الوضع الذي كان فيه والحق في ذلك. وقبل كل هذا هداية الله. (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء).

ووقف العباس وهو عم النبي موقفاً أشبه بموقف أبي طالب. فقد كان العباس كأبي طالب قريباً، حبيباً إلى رسول الله.

وأما حمزة الذي استطردنا له كل هذا الاستطراد فقد أتخذ موقف الانتظار تسفر عنه المعركة في هذا المجتمع في قريش. لا يريد أن يفارق إخوته، ولا يريد أن يحارب ابن أخيه وصديقه وحبيبه ورفيقه في ملاعب الطفولة.

وقف حمزة في مفترق الطرق، لا يدري أي الفريقين يتبع. وكان أول الأمر يبدو أن هذا المشكل وقعت فيه قريش كلها. وبنو عبد مناف على وجه خاص، وبنو هاشم على صورة أخص.. يبدو أنه قريب الحل.. كان يحسب الأمر هيّناً يعالج بحكمة أبي طالب. لا بعناد أبي لهب، ولا بشغب بني عبد مناف، ولا بعناد قريش. كان ينظر إلى ذلك وهواه مع الأغلبية من قريش. حتى إذ رأى أن أبا طالب لم ينتصر على ابن أخيه. فقد قطع محمد سعي أبي طالب، ورفض كل الرفض أن يقبل مساومة من عمه الحبيب. ولا أن يرضخ لأبي لهب عمه المناوئ، حينما قال محمد لأبي طالب يرد ما أغراه به: «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر لما تركته، أو أهلك دونه». حينما عرف حمزة معنى هذه الكلمة تبين له الموقف واضحاً لا يحتاج إلى تفكير ولا إلى تأخير، اتضح له أن عواطفه وكل مقوماته هي مع محمد، وينبغي أن تكون لمحمد. ولم يكن الأمر ينتظر إلا الحافز يدعو حمزة إلى الجهر بنصرة محمد. ولو لم يقع هذا الحافز من أبي جهل لكان هناك أي حافز آخر يحرّك نفس حمزة إلى نصرة محمد.

خرج حمزة إلى الصيد كشأن الأشراف من العرب، وعاد إلى البطحاء، فسمع كيف ائتمر الملأ من قريش حتى نالوا محمداً بالأذى. فغضب غضبة الأسد. فحمزة الشجاع الكريم الأريحي لا يعرف أنصاف الحلول، ولا يلجأ إلى الحل الوسط.

سمع هذا الكلام من نفس مؤمنة، أو بلسان كافر. فلم يسأل عن المصدر، وإنما ذهب ـ وقد صدق الخبر ـ إلى الملأ من قريش يجتمعون كعادتهم حول الكعبة فوقف على رؤوسهم يعلن إسلامه. ويشدخ رأس أبي جهل بالقوس ولا يسأل عن مخزوم، ولا يقيم وزناً لفتنة تقع في هذا المجتمع القرشي. وأكل الضربة أبو جهل، وسال دمه وهو ليس بالجبان الذي يخاف حمزة، وهو ليس بالهِّين على قومه. فدعاهم إلى السكون وترك حمزة ليذهب. حمله على ذلك ألا تكون فتنة في قريش. فلا يتقاتل بنو مخزوم مع بني هاشم، ولا يتقاطع بنو مخزوم مع بني عبد مناف. فتكون معركة أخرى تصور أبو جهل أن يكون فيها نصر لمحمد. سكت على هذه الضربة لينتصر بعد في ضربة أخرى يوجهها إلى هذه الدعوة في شخص الرسول العظيم.

هذا التعليل أراه صحيحاً في دافع الصبر الذي اندفع إليه أبو جهل. حتمية الأوضاع في المجتمع. ووضع المعركة القائمة.

وذهب حمزة إلى دار الأرقم، المدرسة الثانية في الإسلام (الأولى حراء، والثانية دار الأرقم) فأعلن إسلامه. وخرج بعد إسلام عمر وراء رسول الله يصلُون جهرة في المسجد.

وهاجر النبي إلى المدينة، وهاجر حمزة فبدرت منه بادرة شباب. تروى للسيرة، ولا تسوء بها السيرة. فقد جلس حمزة مع أصدقائه من الأنصار

يشربون الخمر التي لم تحرّم بعد. واحتاجوا إلى الطعام. ولعلّهم دلوه على ناقة لعلي ربطت بالفناء. وكانت تحسب في أعداد علي من مهر فاطمة. فقام حمزة ونحرها ونزع شواءها فأكلوا، وعلم عليّ فشكا ذلك إلى رسول الله. وذهب الرسول ومعه علي ينهي حمزة لينصف علياً. ليعرف الحقيقة فرآها. ونظر إليهم حمزة فقال كلمات ما كان ليقولها لو كان يملك عقله. قال: اذهبوا فأنتم عبيدي يا بني عبد المطلب. فرجع رسول الله وقد أخذ منه الغضب الراحم. لا أحسب أن عدم نزول العذاب بسببه. إلا أن حمزة معذور بشرب الخمر.. وإلا أن حمزة لم يشربها إلا وهي حلال. ولكن هذا من تصرف حمزة، وتأذى الصحابة مما تصنع الخمر التي تجنبها العقلاء منهم. وأكثر من ذلك جزع الرسول وغضبه هو الذي كان من أسباب تحريم الخمر.

وجاءت (بدر). وطلب العلية من بني عبد مناف العبشميين الأمويين للمبارزة يدعون أصحاب النبي أن يبرز إليهم أقرانهم.. ردّوا من برزوا لهم من الأنصار لأنهم يريدون العمومة من بني هاشم. فبرز حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب. كل منهم واجه قرناً من هؤلاء الثلاثة: عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس، وأخاه شيبة، والوليد بن عتبة (هذان خصمان اختصما). وقتل حمزة عتبة. وهو الراجح في نظري. وقتل على الوليد. واختلفا عبيدة وشيبة ضربتين فهلك شيبة واستشهد عبيدة جريحاً في الطريق. وأحسب أن قتل عتبة ومن معه وهو أحد العظيمين في القرية (مكة) (لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أحدهما عتبة بن ربيعة. وعتبة هو أبو هند زوج أبي سفيان وأم معاوية. لهذا كان غيظها ـ رضي الله عنها ـ عظيماً، شديداً. من فعل حمزة.. تريد قتله بأي وسيلة أخذاً لثأر أبيها وأخيها وعمها.

ورجع الرسول بالنصر الأكبر يوم بدر. قد منحه الله ذات شوكة. وكان

من أسنة هذه الشوكة وأسلحة النصر فيها ولا جدال بطلنا اليوم حمزة بن عبد المطلب.

وكان «أُحد».. جاءت قريش بقضِها وقضيضها تريد القضاء على الإسلام. تريد الانتصار على محمد. فلم تنتصر أول الأمر. كان النصر حليف محمد. رغم انخذال المنافقين. ورغم انتصار قريش بأبي عامر الراهب. ولكن ولله الأمر من قبل ومن بعد.. زلّ الرماة فتركوا الجبل. فكرّت قريش في جولة جاءت منها الهزيمة يوم أُحد.

كان مصعب بن عمير وفي يده اللواء يقود الناس إلى النصر. وكان علي يقتل حمالة الألوية. وكان حمزة يهدّ الناس هدًّا. وكان أبو دجانة يتبختر، وكان سعد بن ابي وقاص وطلحة يحميان رسول الله.

وحمى الوطيس. وأشاع الشيطان أن محمداً قُتل. ورجع إلى المدينة الذين أستنزلَهم الشيطان، ثم عفا الله عنهم. وعثر حمزة فانكشف درعه. وكان وحشي بن حرب يتربص له. وقد أغرته قريش. جعلت له جملاً. وكانت هند والنسوة من قريش معها في خيال الانتقام ينشدن الأناشيد. واغتنم الفرصة وحشي، فرمى حمزة بحربة كافرة أصابت منه مقتلاً فجندل البطل، وزغردت نساء قريش، وجاءت هند تبقر بطن البطل، تنتزع كبده. تلوكها. تمضغها. تشفي غيظها. فلم تبلغ منها قطرة.. فكانت آكلة الأكباد. حتى إذا أسلمت عفا الله عما سلف.. ورضي الله عنها.

وبهذا تظهر عظمة الإسلام. لا حقد ولا ثأر. التوبة تَجُبّ ما قبلها، والإسلام يجبّ ما قبله. وهكذا أسلم وحشي رضي الله عنه. فما أعظم الإسلام وما أكرم محمداً على ربه. نزع من نفسه غلّ البشر ليكون فيه خُلق النبوة. وليتضح للعالم أجمع أن رسالة محمد هي رسالة الله. لا مجال فيها

لهوى النفس (ليس لك من الأمر شيء) إن تاب وإن عذّب فهو الله رب العباد. أترى لو لم يخذل الله أبا لهب فيلعن في الكتاب. ولو لم يكف رسول الله عن الثأر لعمه. أكان يطيب لخالد أن يشتم الوليد؟ ويطيب لعمرو أن يشتم العاص؟ ويطيب لحذيفة أن يقتل اباه عتبة؟

لا تلعبوا بمبادئ الإسلام. فالإسلام فوق الأحقاد، والإسلام دين الهداية. لا احتكار دعاية، ولا سبيل الغواية وكان حمزة يجندل الأبطال. وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب.

وذهب سيِّد الشهداء وأسد رسوله شهيداً. وإنما بقي ليصلِّي عليه مع كل شهيد. فضل من الله ميَّزه به، ودفن حمزة بعد أن كُفِّن في ثوب كانوا إذا غطوا رأسه انكشف رجلاه. وإذا غطوا رجليه انكشف رأسه. فغطوا رأسه وستروا رجليه بالأذخر.

ورجع النبي إلى المدينة فسمع البكاء في بيوت بني عبد الأشهل فقال: ألا أن حمزة لابواكي له.

وسمعها صديق الأمة الثاني. سيد بني عبد الأشهل سعد بن معاذ فذهب إلى نسائه يخبرهن خبر النبي، فأخذ نساء الأنصار يبكين حمزة قبل شهدائهم، وذهب الكفر إلى غير رجعة وآمن من قريش الذين حاربوا الإسلام في أُحد وهم كثيرون منّ الله عليهم بالهداية: هند ووحشي وعكرمة وصفوان ابن أمية. كلهم من خيرة أصحاب محمد رضي الله عنهم أجمعين: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ (الحجر: ٤٧).

وكان لحمزة الحظ الأكبر. قائداً لسرية، وفارساً في غزوة، وشهيداً في أُحُد.

* * *

أم أيمن. . . . بَرَكَة

بركة الحبشية. أم أيمن. حاضنة رسول الله. أو الأم له بعد الأم. ورثها عن أبيه هي وخمسة أجمال أوارك وقطيع غنم. فأعتقها رسول الله فأصبحت مولاته، ومن أهل بيته.

أعتقها رسول الله حينما تزوج خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها. وتزوج عبيْد بن زيد الخزرجي أم أيمن فولدت له أيمن. وهو الذي تُكنَّى به. وقد صحب ابنها أيمن رسول الله ﷺ وقُتل شهيداً يوم حُنين. وقد تزوجها بعده زيد بن حارثة حبيب رسول الله ومولاه بعد أن أعتقه وزوّجه أم أيمن بعد النبوة، فولدت له أسامة (الحِب بن الحِبّ). وكان زيد بن حارثة مولى خديجة بنت خويلد، وهبته لرسول الله فأعتقه. فكأنما زواج أم المؤمنين قد أعتق أم ايمن وزيداً. وكان رسول الله يقول لأم أيمن: يا أماه. . وإذا نظر إليها قال لها: هذه بقية أهل بيتي.

وتحدثوا أنها لما هاجرت أمست بالمنصرف دون الروحاء (بئر الراحة) فعطشت، وليس معها ماء، وهي صائمة، فجهدها العطش. فدلى دلو من ماء برشاء أبيض. فأخذته فشربت منه حتى رويت. وكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش. ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواء الهاجر فما عطشت بعد تلك الشربة «وإني لأصوم في اليوم الحار فما أعطش».

كرامة من الله لمؤمنة. وليس ذلك على الله بعزيز. فكلنا ـ وعلى عصياننا ـ نعيش في رعاية الله وحفظه.

وكانت أم أيمن تلطف النبي وتقوم عليه، وكان يقول: «من سرّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن» فتزوجها رجل من أهل الجنة: شهيدنا في يوم مؤتة وسباقنا إلى الإسلام.. إنه أول من أسلم حتى اضطرهم أن يقولوا أول من اسلم من الموالي زيد بن حارثة. وكأنما أم أيمن من أهل بيت النبوة حينما قال لها رسول الله: «غطي قناعك يا أم أيمن».

كان رسول الله يحبها ويلاطفها ويمزح معها. فقد جاءت أم أيمن إلى النبي تقول له: احملني. فقال لها رسول الله: أحملك على ولد الناقة. فالت: يا رسول الله إنه لا يطيقني ولا أريده. فقال لها: لا أحملك إلا على ولد الناقة. يعني إنه كان يمازحها. وكان رسول الله يمزح ولا يقول إلا حقاً. فالإبل كلها ولد النوق.

وكانت أم أيمن تقبل على رسول الله فتقول: لا سلام (يعني السلام) لا تستطيع لعسر لسانها أن تقول (السلام) فرخص لها رسول الله أن تقول (سلام). وقد كانت عسراء اللسان ذكروا أنها قالت يوم حنين (سبت الله أقدامكم) تريد (ثبت) فقال النبي ﷺ (أسكتي يا أم أيمن فإنك عسراء اللسان).

وتحدثوا أنه مما جرى أن الرجل كان يجعل للنبي من ماله النخلات. أو كما شاء الله حتى فتحت قريظة والنضير. فجعل يرد بعد ذلك. وجاء أنس بن مالك. أمره أهله أن يأتي النبي ليسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه. وكان النبي ﷺ أعطاه أم أيمن. وسأل أنس النبي فأعطاه ذلك.

وكان في حوزة أم أيمن. فجاءت. فجعلت الثوب في عنق أنس وهي تقول: كلا والذي لا إله إلا هو لا يعطيكهن وقد أعطانيهن. فقال نبي الله: لك كذا.. وتقول: كلا والله. ويردّ عليها الرسول: لك كذا الذي أعطاه. يضاعف لها ذلك. ولقد حسب أنس أنه قال عشرة أمثاله، أو قريباً من عشرة أمثاله. هي لا تعرف إلا أن رسول الله أعطاه. فلا يمكن أن يأخذه أحد. ولم ترض حتى أخذت عشرة أمثال ذلك. حب وتكريم وإيمان. رضي الله عنهم أجمهين.

وحضرت أم أيمن «أحداً» وكانت تسقي الماء، وتداوي الجرحى. وشهدت خيبر.

تحدثوا أن حرملة مولى اسامة ابن زيد كان يقول: إنه بينما هو جالس مع عبد الله بن عمر، دخل الحجاج بن ايمن، فصلى صلاة لم يتم ركوعها ولا سجودها. فدعاه ابن عمر حين سلَّم فقال: أي أخي؟ أتحسب أنك قد صلَّيت، فلما ولى الحجاج ـ أي ذهب ـ قال ابن عمر: من هذا؟ قلت له: هذا الحجاج بن أيمن بن أم أيمن. فقال ابن عمر: لو رأى هذا رسول الله لأحبه. فذكر حبه لمن ولدت أم أيمن.

وبكت أم أيمن حين قبض النبي فقيل لها: ما يبكيك؟ قالت: أبكي على خير السماء. وفي لفظ آخر قالت: أي والله لقد علمت أن رسول الله سيموت، ولكني إنما أبكي على الوحي إذ انقطع عنا من السماء.

وبكت أم أيمن حين قُتل عمر. وقالت: اليوم وهىٰ الإسلام. عجيب لقد أصبحت الجارية الحبشية عراء اللسان تنطق بالحكمة.. لا عجب. إنه الإيمان. إنه الاكتساب والتلقِّي عن رسول الله. علمت به ما لم تكن تعلم.

وفي خبر طريف أن ابن أبي الفرات مولى أسامة بن زيد، خاصم

الحسن بن زيد ونازعه. واشتد بينهما الكلام، فقال ابن أبي الفرات في كلامه: يا ابن بركة. يريد أم أيمن. فقال الحسن: ابن أسامة، اشهدوا. ورفع الأمر إلى قاضي المدينة أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم. وقصّ عليه القصة، فقال قاضي المدينة أبو بكر بن حزم بن أبي الفرات: ما أردت إلى قولك يا ابن بركة؟ فقال: سميتها باسمها، فقال أبو بكر: إنما أراد بهذا التصغير. بها ولها. وحالها من الإسلام حالها. ورسول الله يقول لها يا أمه، ويا أم أيمن، وتقول له يا ابن بركة. لا أقالني الله إن أقلتك. فضربه سبعين سوطاً. حسبها جزاء له على هذا التصغير أو التحقير. فجزاه الله خيراً.

أما أم أيمن فحسبها من التكريم ما نالت من رسول الله، وحسبها من الجزاء الوافر ما نالت من الله، جزاءً كريماً هو الجنة. وتوفيت أم أيمن في خلافة عثمان.

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آل نبيه أجمعين.

* * *

جُلَيبيْب

جُليبيب، غير منسوب. واسمه قد جاء من تصغير جُلباب. صاحب رسول الله وأحد المفضلين بالسبق والجهاد، والشهادة، والثناء. كان دميماً. قصيراً. أراد رسول الله ﷺ أن ينكحه ابنة أحد الأنصار. ولم يسم هذا الأنصاري فيما نعرف. ولعلّ غيرنا عنده علم يدلنا عليه.

وخطب إلى الأنصاري ابنته. وكانت فيه دمامة وقصر. فكانَ الأنصاري وامرأته كرها أن يزوجاه لأنهما لا يحبان لابنتهما هذا الدميم القصير. وأحسب أننا لا نخطئ حينما نستنبط من ذلك العيب الذي ذُكر وحُدّد فيه. فلم يعب بما يُطعن في صراحة نسبه. وأحسب أنه في أغلب الظن من الأنصار. أو من قبائل العرب. فالأنصاري الأب كره الدمامة والقصر، ولم يذكر ما يعيب النسب. فهو غير منسوب إلى قبيلة معينة. ولكنه ـ ولا شك في ذلك ـ عربي صريح النسب. وسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله، وبما فعل أبوها وأمها. فتلت قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٣٦).

هذا القرآن الكريم قد نزل في زينب بنت جحش. أبت أن تتزوج مولى رسول الله زيد بن حارثة، فعلَّمها الله أن شرعة الإسلام لا تقر ما تعارفوا عليه في الجاهلية. فأطاعت زينب وتزوجها زيد، ثم قضى الله أمراً فطلقها

وزوّجها الله بعده لرسوله ﷺ. وتلت الأنصارية الآية الكريمة تُسمع أبويها أدب القرآن. ثم قالت: رضيت وسلّمت بما يرضي لي رسول الله. وسمع رسول الله ذلك فدعا لها: (اللَّهم اصبب عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها نكداً).

وتزوجها جُليبيب وعاش معها حتى قُتل. فلم يكن في الأنصار أيَم أنفق منها.

وكيف قتل جليبيب؟ غزا مع رسول الله ﷺ بعض الغزوات فأفاء الله عليه. وقال لأصحابه: هل تفقدون أحداً؟ قالوا: نعم. فلاناً وفلاناً.. ثم قال: هل تفقدون أحداً؟ قالوا: نعم فلاناً وفلاناً، ثم قال: هل تفقدون أحداً؟ قالوا: لا. فقال رسول الله (ولكني أفقد جليبيباً فاطلبوه في المعركة). فطلبوه. ذهبوا يفتشون عنه، فوجدوه إلى جنب سبعة من المشركين قد قتلهم ثم قُتل. فقام رسول الله من مكانه يمشي ليرى صاحبه الدميم القصير جليبيبا، أتاه النبي فوقف عليه وقال: (قتل سبعة ثم قُتل؟ هذا مني وأنا منه). يردّد ذلك ثلاث مرات. ثم احتمله النبي ﷺ على ساعديه، ما له سرير غير ساعدي رسول الله. ثم حفروا له فوضعه الرسول في قبره. لم يغسله، ولم يصلّ عليه، الشهيد لا يغسل، فلماذا لم يصل عليه؟. إنه شهيد ولا شك، ومؤمن ولا ريب، وحبيب إلى رسول الله ولا نكران، فلماذا لم يصلّ عليه؟ أمر أعجزني تعليله، ولعلّي أجد بعد له تعليلاً يشفي الغليل. ومن حديث أنس بن مالك قال: كان رجلاً من اصحاب رسول الله ﷺ، وكان في وجهه دمامة، فعرض عليه رسول الله التزويج. فقال: إذاً تجدني يا رسول الله كاسداً. فقال لنبي: (إنك عند الله لست بكاسد).

هذه السيرة العطرة لواحد من أصحاب رسول الله. قصير دميم فقير. ماذا فيها؟ ليس فيها شيء من البطولة العبقرية النادرة، ولكن فيها كل شيء من الخلق الكريم في النبي العظيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

ولقد قلنا من قبل أن سيرة أي صحابي سواء كان أبا بكر، أو عمر، أو علياً، أو خالداً، أو جليبيبا هي جزء من سيرة الرسول ﷺ. تأثروا بخلقه واهتدوا بهداه. تأسَّوا بصبره. وتعلَّموا من سنته. نشر كل واحد منهم على قدر ما أدرك هذه السُّنة وهذا الدين. ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

* * *

خَالِد بنُ سَعِيد

خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. من قريش في العلية، ومن أمية في الذروة. ومن عبد شمس على السنام. وأبوه سعيد بن العاص هو أبو أحيْحه. كان سيداً في قريش في عبد مناف. في عبد شمس في أمية. لو أحصينا نفراً من قريش الذين عُقد لهم لواء السيادة لوجدنا أبا أحيحة منهم، وعبد المطلب بن هاشم وعتبة بن ربيعة، وعبد الله بن جدعان، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل وأبو أحيحة.

فلقد كان أبو أحيحة مميزاً في قريش كلها. كان إذا أعتم لا يعتم قرشي قط. لم يأخذ هذا قسراً. وإنما كرّمته قريش امتيازاً لعلو مكانته. تصنع ذلك للأكرمين منها حباً وتقديراً وافتخاراً، وإلغاء لتبعات التكريم على كل عظيم.. كان هذا شأن المجتمع القرشي. كأنما هو نواة للدولة الموحَّدة. والموحِّدة. وكأنما إرهاص لوحدانية الإسلام. ووحدة الأمة. تجد لديها نظماً وتقاليد تتبع أحسنها وتطرح عن فهم أسوأها. ولقد كان.

وخالد بن سعيد بطلنا اليوم عجيب أمره. يكاد لا يعرفه المسلمون مع أنه ينبغي أن يكون في قلب كل مسلم حبيباً معروفاً. فهذا البطل قد بلغ المكان السابق في اعتناق الإسلام. حتى لقد قالوا: إنه أسلم مع أبي بكر.

قبل أبي بكر. ثالثاً أو رابعاً أو خامساً في الإسلام.

قالوا إنه الثالث. ولم يقل أحد أنه السادس. فكيف يكون لهذا السيد هذا المكان من السبق ولا يعرفه المسلمون؟ وأنا كاتب هذه السطور ما كنت أعرف ذلك لولا استمرار المطالعة في السير. كل ما كنت أعرفه أنه أحد أصحاب الألوية المسلمة في حرب الردّة. فلماذا جهله المسلمون؟ أحسبه العظيم كل العظمة. والجليل كل الجلال. والمؤمن كل الإيمان. وكل ذلك يلقي عليه الأضواء ليكون الأشهر المعروف.

وفي اعتقادي أن هناك أسباباً منها طول هجرته إلى الحبشة. فقد مكث في الحبشة مسلماً مهاجراً إليها أكثر من عشر سنوات. مثل جعفر بن أبي طالب، فقد عاد إلى دار هجرة أخرى، إلى المدينة يوم فتحت خيبر. ومنها ـ وهو العظيم الكبير قد آلمه أن يرى أبناء عمومته قد حاربوا الإسلام الذي يرى فيه عزّتهم، وهو قد اعتنق الإسلام وآمن به عن اقتناع. أحب أن يرى قومه جميعاً والعبشميين خاصة يدخلون في الإسلام. آلمه ذلك وأزعجه صنيع والده معه. عذّبه. ومنعه، وأذله، فزهد في الحياة لم ير فيها خيراً، وسبب آخر من صنع ابناء عمومته العنابس والأعياص الآخرين.

فمعاوية لم يقرب أحداً من أبناء أبي أحيحة. وعبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية قد قتل عُمْراً ابن سعيد الأشدق أحد أولاد أبي أحيحة.

كانوا المنافسين فأخفتوا شأنهم وشأوهم. وجاء العباسيون فلا بد ـ وقد صنعوا في بني أمية ما صنعوا ـ أن يكونوا العاملين على الإغضاء من قدومهم جميعاً.

كان إسلام خالد بن سعيد مع أبي بكر الصديق. ويقال: إنه أسلم بعد

أبي بكر الصديق. فكان ثالثاً أو رابعاً وقيل كان خامساً. ولقد أكبرت الإمام الحافظ ابن عبد البر حينما ترجم لخالد بن سعيد وجعله طليعة الخالدين. فلم يترجم لأحد قبله كما صنع غيره. وكانت ابنته أم خالد تقول: (كان أبي خامساً في الإسلام) وحينما قالوا له: من تقدّمه؟ قالت: علي بن أبي طالب، وابن أبي قحافة، وزيد بن حارثة، وسعد بن أبي وقاص. هاجر إلى الحبشة مع امرأته الخزاعية.. وهاجر معه كذلك أخوه عمرو. وأقام بالحبشة بضع عشرة سنة. ثم قدِم على النبي ﷺ بخيبر بعد فتحها. وكلَّم رسول الله المسلمين فأسهموا لنا ثم رجعنا مع رسول الله إلى المدينة وأقمنا معه، وشهد أبي مع رسول الله عمرة القضاء، وفتح مكة، وحنيناً والطائف وتبوك. أي أنه لم يتخلف عن رسول الله في سفر أو حضر.

وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات اليمن، فتوفي رسول الله وهو في اليمن. وكان خالد أول من كتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو من كتَّاب الوحي. أستعمله الرسول على صدقات مذحج. وأمَّره على صنعاء اليمن فبقي فيها حتى وفاة رسول الله وهو الذي وهب الصمصامة لعمرو بن معد يكرب الزبيدي.

وحين ارتدّت بعض قبائل العرب عن الإسلام كان خالد بن سعيد أحد قادة الألوية المنتصرة. وأتى خالد بن سعيد رسول الله ومعه خاتم فضة مكتوب عليه (محمد رسول الله) فأخذه النبي منه ولبسه. وهو الذي كان في يده.

وتحدثوا أن خالداً وأبان وعمراً بني سعيد بن العاص رجعوا عن عمالتهم حين مات رسول الله. كانوا أمراء من قبل النبي فزهدوا أن يبقوا في الإمارة. فلما وصلوا قال أبو بكر: (ما لكم رجعتم عن عمالتكم. ما

أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ؟ ارجعوا إلى أعمالكم) فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ ابداً. ثم مضوا إلى الشام. إلى الجهاد جنوداً لا قادة. مؤمنين لا سادة، فقتلوا جميعاً شهداء.. قتل خالد وعمرو في أجنادين تحت قيادة خالد آخر، هو سيف الله أبو سليمان خالد بن الوليد. تركوا أعمالهم للجهاد. فقد كان خالد على اليمن، وأبان على البحرين، وعمرو على تيْماء وخيبر، تركوا الإمرة للجهاد، حتى ليقال: ما فتحت بالشام كورة إلا وجد عندها رجل من بني سعيد ابن العاص ميتاً. وكان أخوهم الرابع سعيد بن سعيد بن العاص قد قُتل شهيداً مع رسول الله بالطائف. وكيف بدأ إسلامه؟ كان بدأ إسلامه أنه رأى في النوم أنه وُقف به على شفير النار. فذكر من سعتها ما الله أعلم به. وكان أبوه يدفعه فيه. ورأى رسول الله ﷺ آخذاً بحقويه لا يقع فيه، ففزع. قال: أحلف بالله إنها لرؤيا. ولقي أبا بكر بن قحافة، وذكر ذلك له. فقال أبو بكر: أريد لكم خير. هذا رسول الله فاتبعه فإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها. وأبوك واقع فيها. وذهب خالد إلى رسول الله وهو بأجياد. فقال: يا محمد إلى من تدعو؟ قال رسول الله (أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله فتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ولا يدري مَنْ عبَدَه ممن لم يعبده. وسمع خالد فقال: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله) فسرّ رسول الله لإسلامه.

وتغيب خالد عن أبيه، فلما علم بإسلامه أرسل في طلبه من بقي من أولاده الذين لم يُسلموا فوجدوه.. فأتوا به أباه أحيحة فأنَّبه وبكَّته وشتمه. وضربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه. ثم قال: تبعت محمداً

وأنت ترى خلافة قومك وما جاء به من عيب آلهتهم، وعيب من مضى من آبائهم. فقال خالد لأبيه: والله لقد تبعته على ما جاء به. فغضب أبو أحيحة ونال منه وشتمه مرة أخرى. وقال: أذهب يا لكع حيث شئت. والله لأمنعنك القوت.. فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني. فأخرجه وطرده وقال لبنيه: لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به ما صنعت به، فانصرف خالد إلى رسول الله ﷺ فكان يلزمه ويعيش معه حتى هاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية.

وتحدثوا أن أبا أحيحة قد مرض فقال: لئن رفعني الله من مرضي هذا لا يعبد إله ابن أبي كبشة أبداً. فقال خالد حين سمع ما قاله أبوه: اللَّهم لا ترفعه. فتوفي أبو أحيحة في مرضه ذلك كافراً مشركاً. وقى الله شرّه بكرامة أكرم الله بها خالداً. وليس ذلك على الله بعزيز.

رضي الله عن خالد بن سعيد وعن الصحابة أجمعين.

حمْنَةُ بنتُ جَحْش

حمنة بنت جحش، أخت عُبيد الله وعبد الله الأصغر. كان أبوها جحش حليفاً لحرب بن أمية. فهو قرشي بالحلف، لا بالنسب. وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم. أعني عمة رسول الله ﷺ. وهي بهذا أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين. أسلمت في السابقين. وهاجرت مع زوجها مصعب الخير، مصعب بن عمير إلى المدينة في أول المهاجرين.

وهي غير أختها حبيبة أم حبيب المستحاضة التي كانت زوجاً لعبد الرحمن بن عوف.

تحدث ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، قال: قامت النساء حين رجع رسول الله ﷺ من (أُحد) يسألن الناس عن أهلهن. فلم يخبرن حتى أتين النبي. فلا تسأله امرأة إلا أخبرها عن فقيدها الشهيد. الابن والأخ، والأب والزوج. فجاءته حمنة بنت جحش. فقال: يا حمنة احتسبي أخاك عبد الله بن جحش. قالت: إنا لله وإنَّا إليه راجعون. رحمه الله وغفر له. ثم قال: يا حمنة احتسبي زوجك مصعب بن عمير. فقالت: يا حرباه! فقال النبي ﷺ (إن للرجل لشعبة من المرأة). ثم قال: كيف قلت على مصعب ما لم تقولي على غيره؟ قالت: يا رسول الله. ذكرت يتم ولده.

ألم تكن حمنة الكبيرة البطلة في الاسترجاع إلى الله والصبر على

المصاب في الأخ ثم الجزع على الزوج؟ أما والله إن خسارتها لكبيرة في خالها حمزة، وفي أخيها عبد الله، وفي زوجها مصعب، ولكنها الكاسبة كل الكسب بصبرها. بهذه الشهادة تمتع بها الأخ والخال والزوج. وكانت حمنة غازية في (أحد) مع الجيش. حضرت (أُحداً) تسقي العطشى. وتداوي الجرحى. وحضرت خيبر ـ وقد أطعمها رسول الله في خيبر ثمانين وسقا.

ومن تزوجها بعد مصعب، وهي الكريمة بعد الزوج الكريم؟ لقد تزوجها الكريم العظيم طلحة بن عبيد الله، فأنعم به زوجاً وأباً، بطلاً عظيماً، رضي الله عنه. فولدت له محمد بن طلحة السجاد، وعمران. وبمحمد هذا كان يكنى طلحة.

سيرة صغيرة لا طول لها. ولكن العرض فيها يعني العرض لها في خبر واحد فيه كل البطولة. وليست حمنة بالتي تُهمل. لما صبرت. ولما أعزها الله به بعد. هاشمية الأم والأخوال. أموية الأب والأعمام. كانت في رعاية رسول الله لقرابتها ولإيمانها. والإيمان، والسبق، والصبر والتضحية، هي الأخلاق والقيم التي تقرّب صاحبها وصاحبتها إلى رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

* * *

أسْمَاء بنت عميس

هي إحدى الأخوات المؤمنات، لُبابة الكبرى (أم عبد الله بن العباس) ولبابة الصغرى العصماء (أم خالد بن الوليد) وهزيلة وعزة وسلمى (زوج حمزة بن عبد المطلب) فميمونة أم المؤمنين.

أسلمت أسماء بنت عميس قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. فهي من السابقين الأولين. وبايعت وهاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها الأول جعفر ابن أبي طالب، ذي الجناحين شهيدنا في مؤتة. وولدت له هناك عبد الله ومحمداً وعوناً. ثم قتل بمؤتة شهيداً في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة. وقد كانت الكريمة، يجلُّها ويحترمها أصحاب رسول الله، يعرفون لها حرمة السبق، وفضيلة الهجرة، وحسن العشرة لزوجها الأول، ولزوجها أبي بكر، فعليّ بعد ذلك. وكان النبي ﷺ يثني عليها. ولا عجب فأختها لبابة الكبرى هي المرأة الوحيدة التي ليست من محارم رسول الله، وإنما هي امرأة عمه، ولكنها الوحيدة التي كان يضع النبي رأسه في حجرها تفليه وتكحله. كأنما هو ابنها. وهو بلا شك ـ ﷺ ـ أحد أبنائها، فهي امرأة العم الحبيب العباس بن عبد المطلب. وأم بنيه الفضل وعبد الله وقثم وإخوانهم.. ولا أدري من أين جاءني هذا الوازع. وهذا الحب لأسماء؟ حتى إذا ما ذكرت خديجة ذكرت سيدتين أحسب أنهما تشبهانها، وهما أم سلمة، أم المؤمنين، هند بنت زاد الراكب، وأسماء بنت عميس. لا أذكر

واحدة منهم إلا ذكرت اثنتين كما هو الشأن في تذكُّري لأبي بكر.. أتذكر سعد بن معاذ كأنهما صنوان شبيهان.. وفي تذكري لأبي عبيدة أتذكر محمد بن مسلمة. وفي تذكري لعمر أتذكر خالد بن الوليد، لا على أنهما خصمان جرى بينهما ما أساء لأحدهما من الآخر. ولكن على أنهما الصنوان الشبيهان خلقاً وخُلقاً، وعبقرية وامتيازاً، وشجاعة جاءتنا بهذا الفتح العظيم. بكل الفتح المؤزر.

ولما قدمت أسماء بنت عميس من الحبشة قال لها عمر: (يا حبشية سبقناكم بالهجرة) كأنما هو يمازحها ويكرمها فقالت: أي لعمري لقد صدقت. كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعلم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء. أما والله لآتين رسول الله فلأذكرن ذلك له. فأتت النبي فذكرت ذلك له. فقال لها: للناس هجرة واحدة ولكم هجرتان. هاجرتم إلى أرض الحبشة ونحن مرهونون بمكة. ثم هاجرتم بعد ذلك.. هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إلي.. وهي أول من أشار بالنعش نعش المرأة يميزها عن الرجل.

وتحدثوا أن أسماء قالت: أصبت في اليوم الذي أصيب فيه جعفر وأصحابه، فأتاني رسول الله وقد هنأت ـ يعني دبغت أربعين أهاباً من آدم (أربعين جلداً) وعجنت عجيني وأخذت بني فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل عليّ رسول الله. وقال يا أسماء: أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه فضمهم وشمهم، ثم ذرفت عيناه فبكى. فقلت: أي رسول الله لعلّه بلغك عن جعفر شيء؟ فقال: نعم قتل اليوم. قالت: فقمت أصيح. فاجتمع إليّ النساء. وجعل رسول الله يقول: يا أسماء لا تقولي هجراً ولا تضربي صدراً. فخرج رسول الله حتى دخل على ابنته فاطمة وهي تقول: واعماه. فقال رسول الله: على مثل جعفر فلتبك الباكية. ثم قال: اصنعوا لآل

جعفر طعاماً فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم.

ولما خرجت من عدتها تزوجها أبو بكر الصديق العظيم. الكريم المؤمن الأول بعد رسول الله، فولدت له محمد بن أبي بكر. ثم توفي عنها أبو بكر.. وتحدثوا أن أسماء قد نفست بمحمد بن أبي بكر بذي الحليفة (آبار علي) وهم يريدون حجة الوداع. فأمرها أبو بكر أن تغتسل ثم تهل بالحج. أمره بذلك رسول الله (مرها فلتغتسل ثم تُحرم) وهي التي غسلت أبا بكر غسل الموت. كما أوصى هو بذلك. وعزم عليها أن تفطر لتقوى على غسله لأنها كانت صائمة. فذكرت يمينه من آخر النهار. فدعت بماء فشربت وقالت: والله لأتبعنه اليوم حنثا. ولما قضت عدتها بعد أبي بكر تزوجت علياً فولدت له يحيى وعمر. فأبناء جعفر وابن أبي بكر وابنا علي أخوان لأم.

وذات يوم تفاخر ابنها محمد بن جعفر وابنها محمد بن أبي بكر فقال كل واحد منهما. أنا أكرم منك وأبي خير من أبيك. وسمع علي. فقال لها: أقض بينهما يا أسماء. فقالت: ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر. ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر. فقال عليّ: ما تركت لنا شيئاً. ولو قلت غير الذي قلت لمقتك. فقالت أسماء: إن ثلاثة أنت أخسهم لخيار. وقال علي ذات يوم: كذبتكم من النساء الحارقة فما ثبتت امرأة منهم إلا أسماء بنت عميس.

حياة لمؤمنة سابقة فيها طول ولم تخل من العرض وكلها جلال.. جلال الإيمان. قبس النور. النور الذي أنزله الله على محمد ﷺ.

رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

عَبْدُ اللَّهِ بن جحش

عبد الله بن جحش حليف قريش، وأمه أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله. أسلم عبد الله، وعبيد الله، وأبو أحمد بنو جحش قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم. فهو ـ وأعني بطلنا ـ من السابقين الأولين.

وهاجر عبد الله وأخوه عبيد الله ابنا جحش إلى أرض الحبشة للمرة الثانية، وكان أخوه عبيد الله متزوجاً أمّ حبيْبة بنت أبي سفيان. وقد هاجرت معه إلى الحبشة. فتنصر عبيد الله بأرض الحبشة ومات بها على نصرانيته. ورجع عبد الله إلى مكة ثابتاً على إسلامه. أما أم حبيبة بنت أبي سفيان فقد تزوجها رسول الله فأضحت أم المؤمنين. وقد كان رهط عبد الله بن جحش وهم بنو غنم بن دودان أهل إسلام. قد رغبوا في الهجرة إلى المدينة، رجالهم ونساؤهم. وتركوا دورهم مغلقة. فخرج عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد واسمه عبد، وعُكاشة بن محصن، وأبو سنان بن مُحصن وسنان بن أبي سنان، وشجاع بن وهب، وأخوه عُقبة بن وهب، وأربد بن حميرة، ومعبد بن نُباتة، وسعيد بن رُقيش، ويزيد بن رقيش، ومحرز بن نضْلة، وقيس بن جابر، وعمرو، وصنوان بن عمرو، وثقاف بن عمرو، وربيعة بن أكثم، وزبير بن عبيد، خرجوا كلهم مهاجرين إلى المدينة، فنزلوا جميعاً على واحد هو «مُبشِّر بن عبد المنذر». وتحدثوا أنه كان ممن خرج بالهجرة

إلى المدينة رجالهم ونساؤهم وغلقوا دورهم فلم يبق منهم أحد إلا خرج مهاجراً، دار بني غنم بن دودان ودار ابن أبي البكير، ودار بني مظعون. وآخى رسول الله ﷺ بين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح. وبعد سبعة عشر شهراً من الهجرة، وفي شهر رجب، بعثه أميراً على سرية إلى «نخلة»، وخرج معه نفر من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، وليس عدم خروج الأنصار جاء نكولاً منهم، أو وقع صدفة. وإنما هو العهد على النصرة ما دام بينهم. حتى أنه ﷺ لم يعقد العزمة في بدر إلا بعد استشارة هؤلاء الأنصار. أطلقوا النصرة في كل مكان. لا في المدينة وحدها. فالمسألة في نظر الأنصار ليس العهد. عهد العقبة قد فرض عليهم الجهاد فرض العين داخل المدينة. وإنما هو الدفاع عن الإيمان الذي آمنوا به. وينبغي أن ينصروه. في «بدر» وفي «أُحد» وفي «الخندق». وفي كل المشاهد حتى «حنين» كان النداء لهم (يا أنصار رسول الله).

أمَّر رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش على هذه السرية. وكتب له كتاباً وقال: «إذا سرت يومين فانشره فانظر فيه. ثم امض للأمر الذي أمرتك به..» وفي هذه السرية سمَّى الصحابة عبد الله بن جحش أمير المؤمنين.

وتحدث سعيد بن المُسيَّب: أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش يقول قبل يوم «أُحد» بيوم: اللَّهم إذا لقيني هؤلاء غداً فإني أقسم عليك لما يقتلوني ويبقروا بطني ويجدعوني. فإذا قلت لي: لماذا فعل بك هذا؟ فأقول: اللَّهم فيك. فلما التقوا فعلوا ذلك به.

وقال الرجل الذي سمعه: أمَّا هذا فقد أستجيب له. وأعطاه الله ما سأله بجسده في الدنيا. وأنا أرجو أن يعطي ما سأل في الآخرة.

وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ يوم خرج إلى «أُحد » نزل عند

الشيخين فجاءته أم سلمة بكتف مشوية فأكلها. ثم جاءته بنبيذ فشرب. ثم أخذه رجل من القوم فشرب منه. ثم أخذه عبد الله بن جحش فعبّ منه. فقال له رجل: بعض شرابك. أتدري أين تغدو؟ قال: نعم ألقى الله وأنا ريان أحب إلي من أن ألقاه وأنا ظمآن.. اللَّهم إني أسألك أن استشهد، وأن يمثل بي. فتقول فيم صنع بك هذا. فاقول: فيك وفي رسولك.

قتل عبد الله بن جحش يوم «أُحد» شهيداً. قتله أبو الحكم بن الأخنس الثقفي. ودفن عبد الله بن جحش وخاله حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد. وكان يوم قتل ابن بضع وأربعين سنة.

وكان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، كثير الشعر. وولي تركته رسول الله، فكان الوصي على أبنائه فاشترى لابنه مالاً بخيبر. صلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله ورضي عنهم.

* * *

أبـو دُجَـانَـة

أبو دجانة واسمه سِماك بن خرشة الخزرجي الأنصاري. أسلم في السابقين من الأنصار، وآخى رسول الله بينه وبين بطل عظيم، أحد الذين عمروا الطرق، وخططوا المدن (عتبة بن غزوان).

ولا نعيد ما قلناه من قبل أن المشابهة بين الأخوين في هذا الدين، كثيراً ما تكون صادقة في أكثر الوجوه. الشجاعة. الصبر. الإيمان وما إلى ذلك.

شهد أبو دجانة «بدراً» وكانت عليه يوم «بدر» عصابة حمراء. وقد كان أبو دجانة يعلم في الزحوف بالعصابة الحمراء. وشهد أبو دجانة «أُحداً» وثبت مع الرسول ﷺ وبايعه على الموت. ولا يتضح جلال الموقف وثبات الرجال لأبي دجانة إلا لمن يعرف ما وقع في «أُحد» من خذلان وما انتهت إليه من نجاة لأنهم نصروا الله ودافعوا عن رسول الله.

ولا أدري كيف يتم إيمان مسلم لا يحب هؤلاء الذين أوصلوا النور إلينا. أنخذل المنافقون عن النبي بثلث الناس. وأستزل الشيطان فئة مؤمنة فهربت من القتال. ثم تاب الله عليها وثبتت فئة في طليعتها أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وسعد، وأبو عبيدة وأبو دجانة ومن إلى هؤلاء.

المعركة حاسمة وصلت إلى مشارف الهزيمة لولا أن تداركها الله

برحمته، يأبى إلا أن يتم نوره. فلولا لطف الله بثبات هؤلاء لما بقي للإسلام أثر. ولانتصر عليه الشرك. ولكن الرسول ثبت. والمؤمنون وثبوا. ثبَّتهم الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى). وأبو دجانة هذا التيَّاه يوم «أُحد» لماذا تاه؟ وبماذا اختال وبأي شيء تبختر؟ ذلك خبر أبي دجانة العريق العريض عاش به. فأكثر المسلمين يعرفون اسمه.

أخذ رسول الله يوم «أُحد» سيفاً فقال: من يأخذ هذا السيف؟ فبسطوا أيديهم. كلّ إنسان منهم يقول: أنا. أنا. فقال الرسول: من يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم. فقام سماك بن خرشة أبو دُجانة فقال: أنا آخذه بحقه. فأخذه ففلق به هام المشركين. وأخذ أبو دجانة السيف على أن يعطيه حقه. وكان أول العطاء أنه ارتجز يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي بالشعب بالسفح لدى النخيل
ألاّ أكون آخر الأفول أضرب بسيف اللَّه والرسول

وأخذ أبو دجانة السيف، وارتجز وتبختر. فقال رسول الله: إنها مشية يكرهها الله إلا في هذا الموقف. وتحدث ميمون بن مهران قال: لما انصرفوا يوم «أُحد» قال علي لفاطمة: خذي السيف غير ذميم. فقال رسول الله ﷺ: إن كنت أحسنت القتال فقد أحسنه الحارث بن الصُمة وأبو دجانة. لم يرد رسول الله أن يبخس أبا الحسن ما بذل يوم «أُحد» فهو بحق يومها كان قاتل الأبطال.

كل حملة الراية جندلهم أبو الحسن. وإنما أراد أن يثني على أبي دجانة وابن الصمة. وتحدث زيد بن أسلم قال: دخلوا على أبي دجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلل فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي

شيء أوثق عندي من اثنين. أما أحدهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، وأما الأخرى فكان قلبي للمسلمين سليماً.

أما والله أن هذا هو الإسلام في جوهره. كأنما لخصه أبو دجانة في كلمة واحدة. بإشراقة وجه في عميق إيمان.

ضُرب أبو دجانة يوم «أُحد» فلم يمت. ومرض فلم يذهب. ولكنه قُتل يوم اليمامة شهيداً سنة اثنتي عشرة. وقد شهد اليمامة وهو في الذين باشروا قتل مُسيْلمة الكذاب.

صلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ورضي عنهم أجمعين.

* * *

عَبْدُ اللَّه بن جُبّيْر

عبد الله بن جبير بن النعمان، أحد السابقين من الأنصار. فقد شهد العقبة مع السبعين. وثبَّته الله على الإسلام وثبَّت به الإسلام في يوم عسرة. وفي ساعة هزيمة في «أُحد».

شهد عبد الله «بدراً» و «أُحداً». وهما مشهدان لا طول لهما، ولكن لا يبلغ عرضهما شيء. شهد «أُحداً» وقد استعمله رسول الله ﷺ. أمَّره على الرماة وكانوا خمسين رجلاً. حدّد لهم المكان يقفون على يسار المعركة يشرفون عليها ويشرفون على المدينة. أوقفهم على عينين كشيئين. وهو جبل الرماة المعروف الآن. على العدوة اليسرى من قناة الوادي الكبير المسمى الآن «مسيل سيدنا حمزة». وخير لنا أن نحدد مكان المعركة بأحد من سيرة رجل كان ميزان النصر في يده ويد من معه حينما ثبتوا على الجبل، وأصبح الرجحان للهزيمة حينما عصوا، وطمعوا في الغنيمة فتركوا موقعهم.

ميدان المعركة.. لقد وقعت المعركة.. في قناة في سفح «أُحد» وراء ظهره، كأنما قد وجه وجهه «العقيق» يشاهد الجماهير، ووضع الرماة في ميسرة الميدان على عينين، واتخذت قريش مواقعها في أسفل قناة. في مكان واسع المطرد.. العيون على يسارهم وقناة وسلع وبطحان على

يمينهم. المسلمون اتجهوا ناحية الجنوب الغربي من المدينة، والمشركون على العكس نحو الشمال الشرقي. ولا تزال الأسماء معروفة، ولكن الضلالة من المعرّفين. «أُحد». المهراس. الثنايا. جبل الرماة.. كلها حينما تنتظم تحدد موقع المعركة.

أوقف النبي ﷺ الرماة على عينين وأوعز إليهم بقوله: قوموا على مصافِّكم فاحموا ظهورنا فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تتركونا (أي لا تنزلوا لتشركونا في الغنائم) وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا.. أراد بهذا القائد العظيم محمد عليه الصلاة والسلام أن يثبت حماة الميسرة بالنبل في مكانهم الاستراتيجي، ولكنهم ـ ولأمر أراده الله ـ اجتهدوا فخالفوا فكانت الهزيمة. القوة الروحية والقدرة الإلهية والمعجزة المحمدية يمنّ بها الله على عباده في هذا اليوم كلها قادرة على أن تجلب النصر. ولكن الله أراد للحيطة وللتفكير وللمادة من السلاح، والمكان والرجال أن يكون لها عملها فليس للإسلام بعد ـ وفي فتحه القادم ـ كل المعجزات وكل القوى الروحية ليستغني عن المادة وعن الاستعداد.

تخلى الرماة عن جبلهم وذلك لما انهزم المشركون، وتبعهم المسلمون يضعون السلاح فيهم حيث شاءوا وينهبون عسكرهم، ويأخذون الغنائم، قال بعض الرماة لبعض: ما تقيمون ههنا في غير شيء وقد هزم الله العدو فاغنموا مع إخوانكم. وقال بعضهم ألم تعلموا أن رسول الله قال لكم: أحموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم. فأجابوهم: لم يرد رسول الله ﷺ هذا. وقد أضلّ الله العدو وهزمهم. وطال الجدل. وفي طوله الفشل، كل الفشل..

فخطبهم أميرهم عبد الله بن جبير بطلنا اليوم ـ وقد كان يومئذ معلماً بثياب بيض ـ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله. ثم أمر بطاعة الله وطاعة

رسوله وألا يخالف لرسول الله أمر، فعصوا وانطلقوا فلم يبق من الرماة مع عبد الله بن جبير إلا نفير ما يبلغون العشرة، فيهم الحارث بن أنس بن رافع.

ونظر خالد بن الوليد وكان كشأنه على الأعنة إلى خلاء الجبل وقلة أهله، فكّر بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل. وقد كان خالد وابن عمه عكرمة مشركين لم يسلما بعد. فانطلقا إلى موضع الرماة فحملا على من بقي منهم فرماهما القوم حتى أصيبا. ورمى عبد الله بن جبير حتى فنيت نباله. ثم طعن برمحه حتى انكسر.. ثم كسر جفن السيف فقاتلهم حتى قتل. فلما وقع البطل عبد الله بن جبير جردوه ومثَّلوا به أقبح التمثيل. وكانت الرماح قد شرعت في بطنه حتى خرقت ما بين سرته إلى خاصرته إلى عانته فكانت حشوته قد خرجت منها ـ يعني أحشاءه ـ.

يرحم الله خالد بن الوليد، ورضي الله عنه وعن عكرمة فقد كانا مشركين فعلا بنا يوم «أُحد» الأفاعيل. ولكنهما آمنا فقادا جيوش الفتح وقاتلا جيوش الردّة وكان لهما من القدر والرفعة في معاملة النبي لهما شأن كبير، وقد قتل عكرمة شهيداً يوم اليرموك، ومات أبو سليمان مرابطاً في حمص بعد أن فتح لنا الفتح الكبير.. لا أحسب أن قائداً مسلماً قد بلغ ما بلغه خالد بن الوليد.

وفي تصرف النبي معهما وقبول إسلامهما ما يعني احترام المبادئ. لا الانتقام للثارات.. أعتق المبدأ الإسلام فأعتقهما الله من نقمة النار. ونقمة العذاب وإلى جنات الخلد.

العبرة في دين محمد للمبدأ لا للنسب ولا للحسب، ولا لشيء آخر غير هذا الإسلام.

ودعوا خوات بن جبير أخا الشهيد البطل يتحدث عن أخيه. وقال:

«فلما جال المسلمون تلك الجولة مررت به على تلك الحال فلقد ضحكت في موضع ما ضحك فيه أحد، ونعست في موضع ما نعس فيه أحد، وبخلت في موضع ما بخل فيه أحد. فقيل له: ما هي؟ فقال: حملته ـ يعني حمل أخاه ـ فأخذ بضبعيه، وأخذ أبو حنة برجليه. وقد سددت جرحه بعمامتي. فبينما نحن نحمله والمشركون ناحية إلى أن سقطت عمامتي من جرحه فخرجت حشوته ففزع صاحبي وجعل يتلفت وراءه يظن أنه العدو. فضحكت. ولقد شرع لي رجل برمح يستقبل به ثغرة نحري فغلبني النوم، وزال الرمح. ولقد رأيتني حينما انتهيت إلى الحفر له ومعي قوس، وغلظ علينا الجبل فهبطنا به إلى الوادي، فحفرت له بسِيَّة القوس وفيها الوتر، فقلت لا أفسد الوتر. فحللته ثم حفرت بسيتها حتى أنعمتا، ثم غيَّبناه وانصرفنا والمشركون بعد ناحية.. وقد تحاجزنا فلم يلبثوا أن ولوا ـ وكان الذي قتل عبد الله بن جبير عكرمة بن أبي جهل».

رضي الله عن ابن جبير وعن عكرمة. هما رجلان قتل أحدهما الآخر فدخلا الجنة.

أما النعاس مع خوات فمعجزة الإسلام. الإيمان. معجزة هذا النبي محمد يلقي الله النعاس في ساعة الكرب أمنة منه، لئن لم يصدقه متطرف من كلام خوات بن جبير فهو الصدق كل الصدق في كلام الله؟

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. ورضي الله عنهم أجمعين.

* * *

عَمْرُو بن عَبَسَة

عمرو بن عبسة (كسلمة) صاحب رسول الله. فليس هو بالمغفور. يعرفه المحدّثون والفقهاء، ولكن أغلب المسلمين لا يعرفون عنه شيئاً.

إنه رابع أربعة في الإسلام: محمد وأبو بكر وبلال وابن عبسة.. هذا ما يفخر به، ويفخر أبو ذرّ معه بأنه ربع الإسلام أو خمسه، ولعلّهم عدّوا الرجال.. فلم يعدوا الفتى علياً بن أبي طالب، وأم المؤمنين خديجة والمولى زيد بن حارثة. والربع أو الخمس وحتى إلى العشر: أليس هذا كبيراً يفخر به؟ وأنه وأبو ذر ليفخران بأنهما ما آمنا إلا بسعيهما يبحثان عن الهداية. إنهما مبصران: عزفاً عن عبادة الأوثان ووحَّدا الواحد الديان فآمنا برسالة الرحمن يبعث بها محمداً سيد بني الإنسان. ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

تحدثوا عنه: قال أبو أمامة: يا عمرو بن عبسة بأي شيء تدّعي أنك ربع الإسلام؟ قال: إني كنت في الجاهلية أرى الناس على ضلالة ولا أرى الأوثان بشيء، ثم سمعت عن رجل يخبر أخباراً بمكة ويحدّث بأحاديث، فركبت راحلتي حتى قدمت مكة، فإذا أنا برسول الله ﷺ. مستخفياً وإذا قومه جزءان فتلطفت حتى دخلت عليه، فقلت ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت: وما نبي؟ قال: رسول الله. قلت: الله أرسلك؟ قال: نعم، قلت:

فبأي شيء؟ قال: بأن يوحِّد الله ولا يشرك به شيء، وكسر الأوثان وصلة الأرحام. فقلت له: من معك على هذا؟ قال: حر وعبد. وإذا معه أبو بكر وبلال. فقلت له: إني متبعك. قال: إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت أني قد ظهرت فالحق بي. قال: فرجعت إلى أهلي وخرج النبي ﷺ مهاجراً إلى المدينة وقد أسلمت. قال: فجعلت أتخبر الأخبار حتى جاء ركبه إلى يثرب فقلت: ما فعل هذا الرجل المكي الذي أتاكم؟ فقالوا: أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذاك وحيل بينهم وبينه.. وتركت الناس إليه سراعاً فركبت راحلتي حتى قدمت عليه المدينة فدخلت عليه فقلت: يا رسول الله تعرفني؟ قال: نعم ألست الذي أتيتني بمكة؟ فقلت: بلى، فقلت يا رسول الله علمني مما علمك الله وأجهل.

وتحدثوا أنه قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية وذلك أنها باطل، فلقيت رجلاً من أهل الكتاب من أهل تيماء فقلت: إني امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معه آلة. فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهاً يعبده ثم لعلّه يجد ما هو أحسن فيتركه ويأخذ غيره إذا نزل منزلاً سواه، فرأيت أنه إله باطل لا ينفع ولا يضر فدلِّني على خير من هذا. فقال: يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها فإذا رأيت ذلك فاتبعه فإنه يأتي بأفضل الدين. فلم تكن لي همة منذ قال لي ذلك إلاّ مكة، فآتى فأسأل: هل حدث فيها حدث؟ فيقال لا: ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزل بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفياً ووجدت قريشاً عليه أشداء فتلطفت حتى دخلت عليه فسألته فقلت: أي شيء أنت؟ قال: نبي. قلت: ومن أرسلك؟ قال: الله. قلت: وبم؟. قال: بعبادة الله وحده لا شريك له وبحقن الدماء وبكسر

الأوثان وصلة الرحم وأمان السبيل. فقلت: نعم ما أرسلت به، قد آمنت بك وصدّقتك.. أتأمرني أمكث معك أو انصرف؟ فقال: ألا ترى كراهية الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث.. كن في أهلك، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجاً فاتبعني.. فمكثت في أهلي حتى إذا خرج إلى المدينة سرت إليه فقدمت المدينة فقلت: يا نبي الله أتعرفني: قال: نعم. أنت السلمي الذي أتيتني بمكة فسألتني عن كذا وكذا.. وقلت لك كذا وكذا، فاغتنمت ذلك المجلس وعلمت ألا يكون الدهر أفرغ قلباً لي منه في ذلك المجلس. فقلت: يا نبي الله أي الساعات أسمع؟ قال: الثلث الآخر، فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى تطلع الشمس فإذا رأيتها طلعت حمراء كأنها الحجفة فأقصر عنها فإنها تطلع بين قرني شيطان فيصلي لها الكفار فإذا ارتفعت قيد رمح أو رمحين فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى يساوي الرجل ظله فاقصر عنها فإنها حينئذ تسجد جهنم، فإذا أفاء الفيء فصل، فإن الصلاة مشهودة مقبولة حتى تغرب الشمس. فإذا رأيتها غربت حمراء كأنها الحجفة فأقصر. ثم ذكر الوضوء فقال: إذا توضأت فغسلت يديك ووجهك ورجليك، فإن جلست كان ذلك لك طهوراً، وإن قمت فصلَّيت وذكرت ربك بما هو أهله انصرفت من صلاتك كهيئتك يوم ولدتك أمك من الخطايا.

هذا الصحابي الجليل قد اهتدى لنفسه فهداه الله. وإنها لبطولة أن يطرد الباطل ويجري وراء الحق.